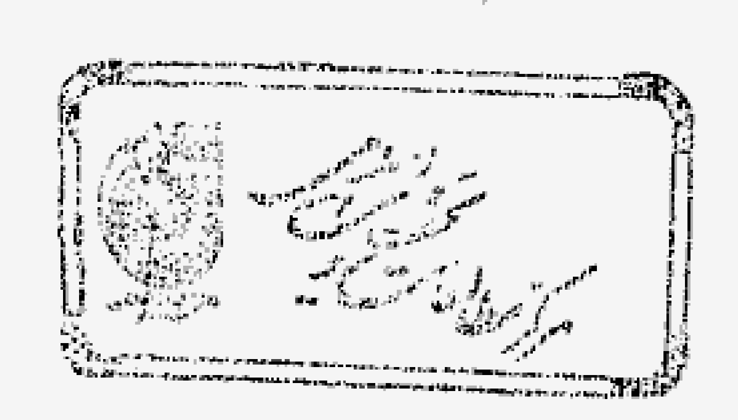


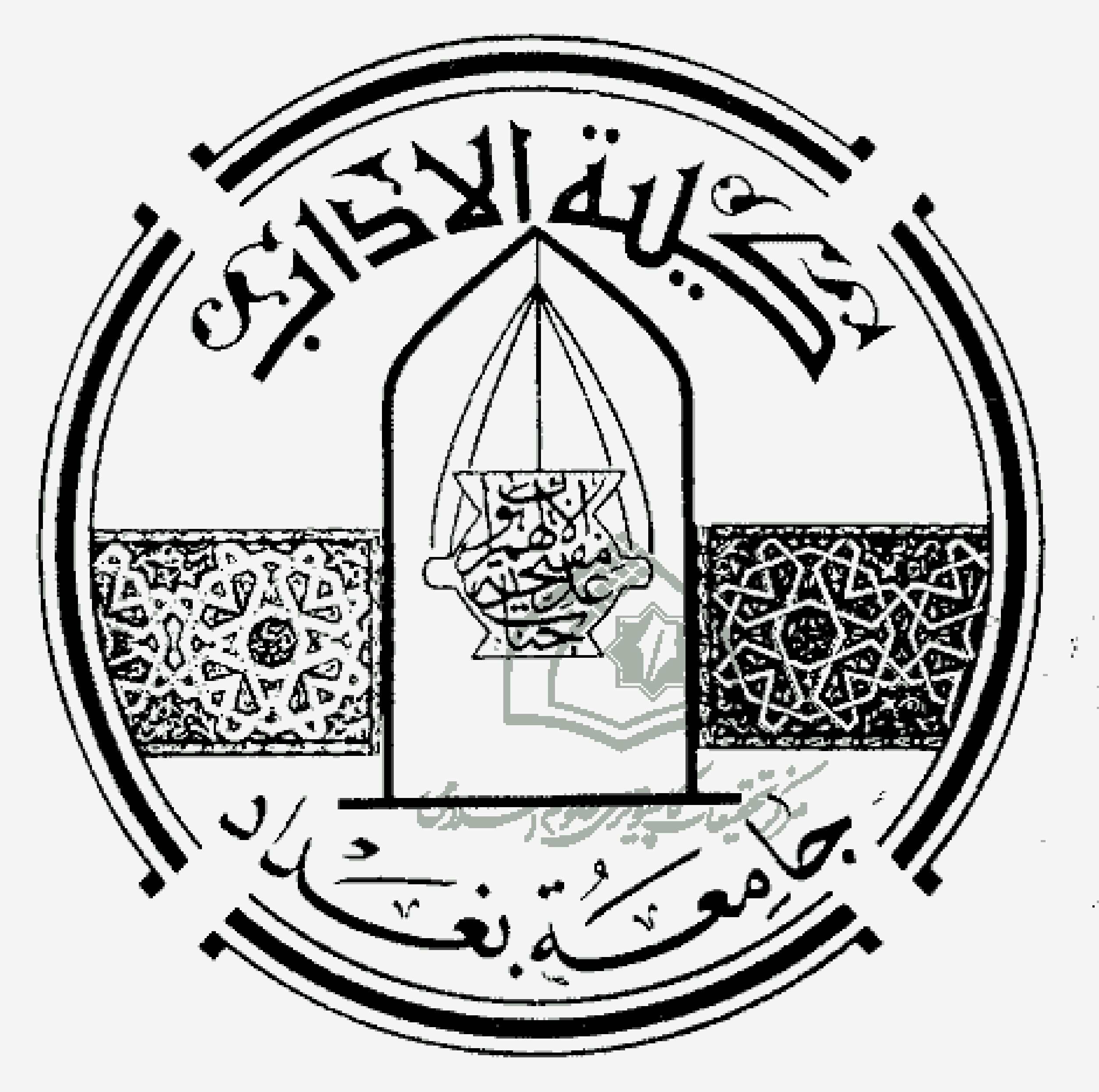
مجلة كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد

العدد السابع

نيسان ١٩٦٤

مطبعة العاني ـ بغداد



شعار كلية الآداب

اقر مجلس كلية الآداب هذا الشعار الذي يمثل :

١ ــ بغداد ــ المدينة المدورة بأسوارها الثلاثة وأبوابها الاربعة .
٢ ــ باب « المدرسة المستنصرية » أول جامعة اسلامية ببغداد .
٣ ــ قنديلاً في أحد الجوامع من عهد الخليفة المستنصر بالله العباسي وفي داخله آية من القرآن الكريم مكتوبة بالآجر على باب المستنصرية وهي « جنات عدن مفتحة لهم الابواب » .
٤ ــ قطعة من الزخرفة الآجرية في ايوان دار القرآن المستنصرية .
٥ ــ كتابة كوفية تحمل اسم الكلية في أعلى الشعار . وكتابة بخط الرقعة تحمل اسم « جامعة بغداد » .

لجنة المجلة

عروبة المدن الاسلامية (1)

ناجي معروف
عميد كلية الآداب بجامعة بغداد

المقـــدمة

تخطيط المدن عند العرب :

لقد كان للعرب حضارة أصيلة ، تمتد جذورها الى الجزيرة العربية قبل الاسلام • كما كان لهم فن قديم ، ترجع أصوله الى العرب القدماء ، ازدهر قبل الاسلام وبعده • وأصبح له شأن كبير في العصور الاسلامية المختلفة ، بحيث غدا فناً متميزا بطابعه العربي ، ونمطا حضاريا أصيلا ، يمتاز بعمقه ، وتنوعه ، وتأثيره القوي في الشرق والغرب •

وفي المراجع العربية الوفيرة ، ثروة طائلة عن الحضارة العربية ، وعن الفن العربي ، ولكنها ثروة مبددة ، غير منسقة ، ذكرت عَرَضاً في ثنايا الأمهات من المراجع العربية • وهي لذلك تحتاج الى التنظيم ، والتقصّي ، والتحري ، والدراسة العميقة ، والتحليل الصحيح ، بعقلية علمية ، تفهم دس الشعوبيين ، والمستشرقين غير المنصفين أو المتحيزين ، وتحذرهم ، لتخرج بصفحة ناصعة عن الأمجاد العربية الأصيلة •

ويمكننا أن نَعُدّ من أهم الظواهر الحضارية والفنية عند العرب « تخطيط المدن العربية » خلال حكمهم الطويل ، سواء كان ذلك في جزيرتهم العربية ، أم في البلاد التي كوّنوا فيها امبراطوريتهم العتيدة في العصور الوسطى •

وهذا التخطيط عند العرب على جدارته ، وأهميته الحضارية ، لم

---

(1) ان هذا البحث هو مقدمة كتابنا « تخطيط المدن عند العرب » أو « نشوء المدن الاسلامية وتطورها » المعد للطبع •

يكتب فيه أحد من العرب ، أو المستشرقين على الرغم من أن المراجع العربية قد زودتنا بمعلومات قيمة عن المدن العربية في العصرين الجاهلي ، والاسلامي • وبحثت لنا في تخطيطها ، وبناء أسوارها ، وقلاعها ، وحصونها ، وأبراجها • وتشييد مساجدها ، وقصورها ، ودورها ، ومدارسها ، وأسواقها ، وشوارعها ، وجسورها ، وقناطرها ، وحماماتها ، وخاناتها ، ومتنزهاتها ، وحدائق حيواناتها ، وحلبات خيولها • كما ذكرت سدودها ، ومنابع المياه فيها • وتكلمت عن شبكات الري ، والأراضي الموات ، والأراضي الخراجية • وعن سهولها ، وجبالها ، ووديانها ، وأنهارها • وعن المشاهد ، والمقابر ، والرُبُط ، والزوايا ، والمارستانات ، والجامعات ، وما يتصل بذلك من الأمور الحضارية الأخرى عند العرب •

ونحن اذا بحثنا في هذه الكتب القيمة ونقبنا فيها بأمعان ، وجدنا فيها تراثاً حياً ، لمدنية عربية أصيلة ، واغلة في القدم • انتشرت بعد الاسلام في أقاليم عربية ، وفي أقاليم أجنبية ، خضعت للدولة العربية في أطراف الصحراء ، وبطونها ، وفي السهول ، والوديان ، وأقاصي الأرض ، من عهد عادٍ وثمود ، الى دول اليمن ، والهلال الخصيب ، حتى نهاية القرون الوسطى •

الفصل الاول : بناء المدن العربية في الجاهلية :

يمكننا أن نذكر أن العرب اختطوا ، وشيدوا في العصرين الجاهلي ، والاسلامي مئات من المدن ، والقلاع ، والحصون • وقد انحصرت مدنهم التي بنوها في الجاهلية في جزيرة العرب فقط • أما المدن التي بنوها بعد الاسلام فلم تقتصر على جزيرتهم فحسب بل امتدت الى البلاد التي افتتحوها في آسية ، وافريقية ، وأوربة • وتكاد لا تخلو بقعة في الجزيرة العربية قبل الاسلام من مدينة أو قرية ، أو قلعة ، أو حصن[1] •

---

(١) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي • ومراصد الاطلاع لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي • وتقويم البلدان • وجميع المراجع الجغرافية العربية •

ونستطيع أن نؤكد أن ما بنوه قبل الاسلام في الحجاز ، ونجد ، وحضرموت ، وعُمان ، واليمامة ، والبحرين قد يبلغ المئات من المدن بين كبيرة وصغيرة ، غير القلاع ، والحصون التي تشبه المدن . كما يمكننا أن نؤكد أن ما في الجزيرة العربية من هذه المدن انما كان من انشائهم وحدهم دون ان يشاركهم في اختطاطها أحد على الأرجح . نذكر منها على سبيل المثال : مكة ، ويثرب ، والطائف ، واليمامة ، وصنعاء ، وعدن ، والحِجْر ، ومأرِب ، ونجران ، والقطيف ، وناعط ... الخ ولا يزال كثير منها باقيا حتى اليوم[1] .

واذا كنا قد عُنِيْنَا بدراسة الحضارة العربية قبل الاسلام ، فلأننا نرى من دون ادنى شك أن العرب مهـدوا بحضارتهم تلك ، للحضارة العربية التالية التي ازدهرت في العصر الاسلامي ، والتي كان لها تأثير في مختلف بقاع العالم ، وفي تقدم شعوب الشرق ، والغرب . واذا أخذنا بالرواية التي تقول : إن معبد النوبهار في مدينة بَلْخ قد شيد بتأثير مكة ، وتقليداً للكعبة في وضع الأصنام حوله ، وتعليق الجواهر النفيسة عليه ، وتعيين منطقة حرام حوله ، وهي « الحِمَى » أدركنا مبلغ تأثير هذا العصر الجاهلي في الشرق أيضا[2] .

ولئن اشتهر العرب في بناء عدد كبير من المدن في العصر الجاهلي ، فأن ذلك يدل على خصائص حضارتهم ، ومزاياها البارزة التي ساعدت كثيرا على نموها في الاسلام . لهذا يمكننا ان نعتبر العصر الجاهلي من أهم مصادر الحضارة الاسلامية في كثير من الأمور المهمة . ولذلك كانت دراسة العصر الجاهلي ضرورية جداً لتفهم التاريخ الاسلامي ، والدين الاسلامي ، وتأريخ الأديان ، وتأريخ الأدب العربي ، وأخيرا تأريخ الحضارة العربية ، والفن العربي .

---

(١) راجع المصادر السابقة .

(٢) ياقوت ٥ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ و٤١٩ و٣ : ٢٣٥ ، ٤٠٢ ، ٥٣٥ .

ومما يؤسف له أننا لم نستطع العثور عند دراستنا للمدن التي بناها العرب في العصر الجاهلي على تأريخ اختطاطها ، ولا على أسماء الذين اختطوها الا في النادر اليسير . وأحيانا يُعزَى بناء المدن العظيمة أو القلاع المنيعة ، أو الحصون العجيبة الخارقة الى النبي « سليمان »[1] الذى كان يسخّر الجن في بنائها . وهذا ما كان يلجأ اليه مدونو تأريخ هذه المباني عندما يجهلون مؤسسيها . أو عندما تبهرهم عظمتها . وتدهشهم منعتها . وأحيانا ينسبون تحقيق ذلك الى قدماء العرب من التبابعة أو العمالقة ، أو عادٍ ، أو ثمود أو طسم ، وجَدِيس . ولذلك اكتفينا بتعداد هذه المدن وتثبيت ما اشتهر منها ، من دون التفاصيل التي نجدها في المدن الاسلامية . وينبغي ان نذكر في الوقت نفسه أن مؤرخينا ، وجغرافيينا ذكروا أن العرب في العصر الجاهلي قاموا بأمور ذات قيمة ، لها علاقتها بتخطيط المدن . منها أنهم :

١ ـ كانوا يسوّرون مدنهم فذكروا أن (المدينة أي يثرب) كانت مسوّرة . وان (صنعاء) كان لها سور محكم . وفي أحد ابوابه أجراس تدق اذا دخله أحد . ويسمع صوتها من بعيد[2] .

٢ ـ كانوا يبنون مدنهم ، وقلاعهم ، بالصُّفاح وبالحجارة العادية ، او المُهنْدَمة بألوانها المختلفة ، السود أو البيض . وانهم استخدموا الاعمدة الحجرية ، والرخام الملون في واجهات البناء . كل وجه بلون خاص[3] .

٣ ـ وأنهم استعملوا التماثيل في داخل الدور ، والقصور ، والمعابد ، وفي افنيتها كما في قصر غمدان . والكعبة ، والمعابد المختلفة . ومما يؤيد ذلك الاصنام التي كانت في الحجاز واليمن . وما كان منها بوجه خاص في الكعبة فقد روي انه كان فيها يوم الفتح ثلاثمئة وستون صنماً ، وهي

---

(١) ياقوت ٣ : ٢٣٥ ، ٤٠٢ و١ : ٥٣٥ ، و٤ : ٢١٠ ، و٥ : ٤١٩ .

(٢) راجع صنعاء ويثرب .

(٣) ياقوت ٤ : ٢١٠ والصفاح : الحجارة العريضة .

تماثيل للآلهة من مختلف المواد • بمختلف الهيئات والأشكال[1] •

٤ ـ وأنهم زوّقوا الدور بالجص والآجر • واستعملوا فيها خشب السَّاج ، والمعادن الثمينة[2] •

٥ ـ ويظهر أنهم سلطوا مياه الامطار التي تجري في الشوارع ، الى وديان لتجري فيها هذه السيول •

الفصل الثاني : بناء المدن العربية في الاسلام :

اما المدن الاسلامية التي بناها العرب بعد اسلامهم ، في بلادهم ، والبلاد التي خضعت لهم فنَوَدُّ أن نشير الى انها مدن عربية لأنه قد تم انشاؤها أو توسيعها ، أو تجديدها على أيدي الخلفاء ، والملوك ، والأمراء ، والقادة العرب • ولأن القواعد التي خضعت لها وأنشئت بموجبها تمت على أيدي العرب أيضا • وسأذكر لك على سبيل المثال منها :

١ ـ مدناً ذات اسماء غير عربية ، تقع في بلاد خارج الجزيرة العربية ، وسوف تدهشك أسماء بناتها ، أو مجدديها ، أو موسعيها • كما يؤلمك ان ترى الكثير من المثقفين ثقافة عالية يجهلون هذه الحقائق الناصعة فكيف بغير المثقفين منهم • واليك بعض ما اشرت اليه من المدن التي اختطها العرب في البلاد الاعجمية ، مع أسماء الذين اختطوها ، أو بنوها من رجالات العرب[3] •

١ ـ مدينة مُكْران	سِنان بن سَلَمَة بن المُحَبَّق الهُذلي
٢ ـ باجَدّا بين رأسعين والرقة	أسَيْد السُّلَمي
٣ ـ قُم	طلحة بن الأحوص الاشعري

---

(١) ياقوت ٤ : ٢١٠ •

(٢) ياقوت ٤ : ٢١٠ •

(٣) راجع المدن المذكورة في معجم البلدان ، ومراصد الاطلاع ، وتقويم البلدان ، وكتب البلدان ، والخطط •

المدينة	المؤسس
٤ ـ شيراز	محمد بن القاسم الثقفي
٥ ـ تبريز في اذربيجان	الوَجْناء بن الرَّوَّاد الأزدي
٦ ـ مراغة	مروان بن محمد الأموي ثم خُزَيْمَة بن خازم
٧ ـ مُنَسْتِير	الربيع بن سليمان القُرَشي
٨ ـ مُرْسِيَة بالأندلس	الأمير عبدالرحمن الثاني الأموي
٩ ـ مَجْرِيط (مدريد)	الأمير محمد بن عبدالرحمن الثاني الأموي
١٠ـ قزوين	سعيد بن العاص الأموي

٢ ـ كما انني سأذكر لك على سبيل المثال أيضاً مدنا ذات اسماء عربية بنيت في بلاد اعجمية ، وبناتها ، أو الذين اختطوها ، أو وسعوها ، أو جددوها هم من العرب أيضا[1] .

المدينة	المؤسس
١ ـ عَسكَر مُكْرَم	مُكْرَم بن مِعزاء الحارث
٢ ـ المحفوظة بالسند	الحكم بن عَوَّام الكلبي
٣ ـ المنصورة بالهند	منصور بن جمهور الكلبي
٤ ـ حصن منصور	منصور بن جَعْوَنة العامري القيسي
٥ ـ المحمدية بالري	عَمَّار بن الخَصيب
٦ ـ الزهراء بالاندلس	الخليفة عبدالرحمن الناصر الأموي
٧ ـ مدينة موسى بقزوين	الخليفة موسى الهادي العباسي
٨ ـ جزيرة ابن عمر	الحسن بن عمر التغلبي
٩ ـ مدينة جابر بين الري وقزوين	جابر الزِّمّاني
١٠ـ البَلَد او الكَرَج	ابو دُلَف العِجْلي

---

(١) راجع المدن المذكورة في معجم البلدان ، ومراصد الاطلاع ، وتقويم البلدان وغيرها .

٣ ـ ولا يفوتني أن ادوّن هنا مدناً تحمل أسماء عربية وأعجمية في آن • أي أن نصفها عربي ، ونصفها الآخر أعجمي • وقد اختطها العرب أيضا على غرار المدن التي اسلفنا ذكرها • مثال ذلك المدن التالية[1] :

١ ـ أسد آباذ في نيسابور	أسد بن عبدالله القَسْري
٢ ـ نصر اباذ بالري	نصر الخُزاعي
٣ ـ مهدي أباذ او السري أو المحمدية بالرى	عَمّار بن الخَصيب
٤ ـ سعيد أباذ	محمد بن واصل الحنظلي ثم يعقوب بن الليث
٥ ـ موسيا باذ بالري	الخليفة موسى الهادي
٦ ـ سَيّد أباذ	ابن عُميرة
٧ ـ وليد أباذ	
٨ ـ وحَفْصا باذ	
٩ ـ وصَخْرأ باذ	
١٠ـ هَيْثَمأ باذ ••• الخ	

على انني سوف لا اكتفي بهذا القدر اليسير من المدن التي ذكرتها بل سأضع بين يدي الباحثين جدولا بالمدن العربية ، التي شيدها العرب ، في الجزيرة العربية ، في العصر الجاهلي • وجدولا آخر ضخما بالمدن الاسلامية ، التي شيدها العرب في آسية ، وأفريقية ، وأوربة • خلال حكمهم الطويل في خلافة الراشدين ، وخلافة **الامويين** ، وخلافة **العباسيين** ، وفي اثناء حكم الدويلات الاسلامية ، التي انشئت خلال حكم الدولة العباسية ببغداد ، وبعدها ، أو انسلخت من جسم الدولة العباسية ، واستقلت عنها •

الفصل الثالث ـ ملاحظات في المدن الاسلامية :

وسوف يلاحظ المتصفح للجدول الثاني الامور التالية :

١ ـ كثرة المدن المشيدة في هذه الارجاء من العالم الذى بسط العرب

---

(١) المصادر السابقة •

نفوذهم عليه ، بحيث يربو عددها على مئتي[١] مدينة اسلامية كبرى • عدا المدن التي لم ندرجها لعدم تأكدنا من بنائها في العهود العربية •

ولا غرو أن الدولة العربية كانت بحاجة الى مثل هذه المدن ، لضمان حاجاتها العسكرية ، والمدنية ، في مواطنها العربية الأصيلة • وفي البلاد التي آمنت بالاسلام ودخلت تحت لواء حكمهم • وكان اختطاط مثل هذه المدن يتناسب وحاجات هذه الدولة النامية بسرعة ، المتطورة باستمرار ، المزدهرة في كل ناحية من نواحي الحياة ، منذ أن بدأت على يد رسول الله (ص) ، وأصحابه يوم بدر الكبرى يوم كان عدد رجالها لا يتجاوزون ٣١٤ رجلا •

٢ ـ كما يلاحظ بوضوح تام أن هذه المدن لم تشيد في أرض الوطن العربي المعروف اليوم • أي في الجزيرة العربية وشمالي افريقية فحسب • وانما شيدت ووسعت او جددت في خارج حدوده ، في المشرق : في ايران ، والهند ، وأذربيجان ، وتركستان ، ومنطقة الخزر • وفي المغرب : في جزر البحر الابيض المتوسط ، ومناطق اخرى متعددة من أوربة كاسبانية ، والبرتغال ، وايطالية •

٣ ـ وليس بين هذه المدن الكبيرة الا النزر اليسير جداً مما انشأه رجال من غير العرب[٢] ومع ذلك فان العهود التي انشئت خلالها كانت عهوداً عربية ، وان أكثر الولاة ، أو الملوك ، وجميع الخلفاء الذين انشئت في زمنهم كانوا من العرب كذلك •

٤ ـ ان الأمر الذي لايمارَى فيه ، ولايَدَعُ مجالاً للشك ، والذي حفظه لنا التاريخ ، وأيدته الوثائق التاريخية ، والآثارية : أن مؤسسي هذه المدن العظيمة ، أو بُناتها كانوا عرباً صُرَحاء ، في أسمائهم ، وقبائلهم ، وعقائدهم • وأن كثيراً من هذه المدن بنيت على وَفْق الطراز العربي على الرغم من أنها كانت في أرض غير عربية ، بل وأصبحت هي الطراز

---

(١) راجع الجداول الملحقة في هذا البحث من صفحة ٣٧ الى صفحة ٥٦ •

(٢) راجع الجداول الملحقة بهذا البحث •

العربي[1] كما يشاهد ذلك في اسبانية والبرتغال • وصقلية ، وخراسان ، والهند حتى اليوم •

مما تقدم نستطيع أن نؤكد بكل اطمئنان ، أن هذه المدن الاسلامية انما هي مدن عربية ، بنيت في عهود كان العرب هم الحكام فيها • وان بناتها ، ومؤسسيها كانوا من العرب على الرغم من أن كثيرا منها طمست في عهود لاحقة ، وقضي حتى على أسمائها العربية • وأصبح العرب انفسهم لا يعرفون شيئا عن هذا التراث العربي العظيم ، الذي خلفه اجدادهم للعالم • كما نستطيع أن نؤكد أن كثيراً من هذه المدن انما هي من مستحدثات الاسلام ، ولا أثر للاعاجم أو الموالي فيها[2] •

وقد رأينا للبرهنة على عروبة هذا العدد الضخم ، من المدن الاسلامية ، التي انشأها العرب في القرون الوسطى ، أن نضع بين يدي القارىء ، والباحث جداول مفصلة بهذه المدن ، موزعة على العصور الاسلامية المختلفة ، حيث نظمنا جدولاً بالمدن التي شيدها العرب في خلافة الراشدين • وجدولاً ثانياً لما بنوه في خلافة الامويين بالشام • وثالثاً في خلافة العباسيين ببغداد ، وسامراء • وجداول أخرى مفصلة بالمدن التي انشئت في الاقطار العربية ، والاسلامية في عهود الدويلات الاسلامية العديدة في الشرق ، والغرب • ولولا خشية الاطالة لدونا ثبتاً بأسماء المهندسين ، والمعمارين الذين تولوا تخطيط هذه المدن ، وآخر بالكتب التي بحثت في تخطيطها ، وعمارة أبنيتها •

وقد ذكرنا في هذه الجداول أسماء المدن التي اختطها العرب • وتاريخ بنائها ، أو تجديدها ، وأسماء مؤسسيها ، وبناتها ، والولاة العرب الذين انشئت في عهودهم • كما ذكرنا اسم الخليفة الذي كان يتولى الحكم في اثناء اختطاطها • وكما كان هؤلاء الخلفاء قاطبة عرباً كذلك كان القادة ،

---

(١) لقد أصبح الطراز العربي في العمارة يقلد في اسبانية اليوم في المباني العامة ، ولاسيما في الملاعب الخاصة بمصارعة الثيران •

(٢) راجع معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٩٧ عن مدينة « قم » و ٣ : ٣٨٠ عن مدينة « شيراز » •

والولاة ، والملوك ، والمهندسون الذى تم على أيديهم انشاء هذه المدن[1] ، الا في النادر اليسير • وأما الفَعَلة والعمال ، والصناع ، فقد كانوا في الواقع خليطاً من العرب الذين اتخذوا من البلاد المفتوحة مواطن جديدة لهم ، وطبعوها بطابعهم العربي الخاص • ومن الأمم الذين دخلوا في الاسلام ، وأحبوا العرب ، وخالطوهم ، وامتزجوا بهم • أو من الذين رضوا بحكم العرب ولم يدخلوا في دينهم ، وهم المستأمَنون ، أو أهل الذمة ، أو المعاهَدون الذين عاهدهم المسلمون بالمحافظة على أرواحهم ، وأموالهم ، وأعراضهم •

الفصل الرابع : ملاحظات عامة في اختطاط المدن وتسميتها ، ونسبتها :

ولابد لنا بعد هذا العَرض الموجز ، للمدن التي بناها العرب قبل الاسلام وبعده ، من الاشارة بايجاز تام الى بعض الأمور المهمة ، لعلاقتها الوثيقة بالبحث الذي بين ايدينا بما يأتي :

١ ــ ان الكتب العربية زخرت بمئات من البلدان ، التي لم نذكرها بين المدن ، التي بناها العرب ، مع أنها تحمل أسماء عربية ، وتقع في بلاد أجنبية • ولم تكن موجودة قبل الفتح العربي • ولا نشك مطلقاً في أن أغلب مؤسسيها كانوا من العرب • غير أنه لا يوجد بين أيدينا ذِكرٌ لمن بناها ، أو اختطها كاليزيدية[2] وهي شِروان ، والكبيرة بجبال طبرستان[3] • والشبلية[4] من قرى اشروسنة ، التي ينسب اليها الزاهد أبو بكر الشبلي • والشيبانية[5] من نواحي الخابور • والمُطَهَّر[6] بطبرستان ••• الخ •

٢ ــ في تلك الكتب كثير من المدن التي تحمل أسماء عربية ، حفلت

---

(١) راجع الجداول الملحقة بهذا البحث •
(٢) معجم البلدان ٥ : ٤٣٦ •
(٣) ياقوت ٣ : ٣١١ •
(٤) ياقوت ٣ : ٣٢٢ •
(٥) ياقوت ٣ : ٣٧٨ •
(٦) معجم البلدان ٥ : ١٥١ •

بها الاقطار الاسلامية كالعراق ، والأندلس بوجه خاص لا نعرف متى بنيت ، ولا مَنْ بناها . ويقال مثل ذلك عن كثير من الاقطار الاسلامية المماثلة كالشام ، ومصر ، وبلاد المغرب بوجه عام . لأنه لا توجد بين أيدينا شروح كافية تشير الى الذين اختطوها ، أو أسسوها . ولذلك اكتفينا بذكر المدن التي نص المؤلفون ، على بنائها من قِبَل العرب .

٣ ـ وفيها كثير من المدن الأعجمية القديمة ، التي أضاف اليها العرب مبانيَ ومساجدَ ، وأرباضا . أو أسواراً ، وقلاعاً ، ونُسب اليها العرب الذين حلوا فيها ، أو المسلمون الذين عاشوا فيها . ومع ذلك كله لم نَعدّ اكثرها من المدن التي بناها العرب .

٤ ـ وفيها أيضا كثير من المدن ، التي لم يجد المؤلفون القدماء ، تفاصيل وافية عن مؤسسيها فحاولوا ان يعتبروا كثيراً من الاسماء الاعلام التي أطلقت عليها ، أسماء عربية من حيث المعنى أو الاشتقاق فقالوا مثلا : ان « سنجار » من « سن جبل جار علينا »[1] .

والثمانين[2] : سميت كذلك لان (نوحاً) ـ ع ـ حين بناها ، كان عدد من معه في السفينة ثمانين نفساً فنزلوا فيها .

وشمْشاط[3] : وهي مدينة بالروم على شاطيء الفرات . قيل : سميت بشمشاط أحد أحفاد (سام بن نوح) لأنه أول من أحدثها .

وصُحار[4] : سميت كذلك بصُحار بن إرم بن سام بن نوح .

وسَلَمْيَة : لأنه سلم مئةٌ من أهلها[5] .

وفارس : سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح . أو بفارس بن ماسور بن سام بن نوح . أو بفارس بن مَدْيَن بن إرم بن سام بن نوح[6] .... الخ

٥ ـ وفي تلك المؤلفات أخبار تناقلها المؤلفون من العرب المسلمين حاولوا فيها اعتبار المختطين والبُناة للمدن من أصلٍ سامي ، أو عربي

(١ و٢ و٣) معجم البلدان ٣ : ٢٦٢ .
(٤) ياقوت ٣ : ٢٩٣ .
(٥) ياقوت ٣ : ٢٤٠ .
(٦) ياقوت ٤ : ٢٢٦ .

قديم • وبالغوا في ذلك حتى نسبوا اليهم ما بُني من المـــدن في فارس ، وخراسان ، وتركستان ••• الخ • كما يمكن ملاحظة ذلك في : سنجار ، وآمد ، وهيت[1] والمنصـورة[2] ، والسـوس[3] ، وسوق الأربعـاء[4] والشام[5] ، المسماة باسم سام بن نوح • ونجران[6] ، وهرقلة[7] بنت •• سام بن نوح • وهمدان[8] •• الخ •• والبلقاء سميت بالبلقاء بن سورية من بني عمّان بن لوط وهو الذي بناها[9] • وصيدا سميت بصيدون بن كنعان بن حام بن نوح[10] ، وحمص التي سميت برجل من العماليق اسمه حمص بن المَهْر هو أول من بناها وقيل من عاملة وهو أول من نزلها[11] •

واما المدن العظيمة ، والحصون المنيعة التي بناها العرب ، فقد حاول الكتاب ، والرواة نسبتها الى النبي سليمان بن داود (ع) والى الجن المسخرين بأمره شأنهم في كل عمل جبارٍ أو خارقٍ للعادة[12] ، عندما لا يعرفون من بناه •

٦ ــ كما زخرت أيضا بمحاولات العرب الجدية في تعمير ما خَرب من المدن التي دمرتها الحروب ، او الطبيعة • وترميم ما تشعث من أبنيتها • واعادة بنائها مجددا •

وعلى الرغم من ذلك لم نُدْخِل أكثرها في الجداول التي عملناها لهذا

---

(١) ياقوت ٣ : ٢٦٢ •
(٢) معجم البلدان ٣ : ٢٦٧ •
(٣) ياقوت ٣ : ٢٨١ •
(٤) ياقوت ٣ : ٢٨٣ •
(٥) معجم البلدان ٣ : ٣١٢ •
(٦) ياقوت ٥ : ٢٦٦ •
(٧) ياقوت ٥ : ٣٩٨ •
(٨) ياقوت ٥ : ٤١١ •
(٩) صبح الاعشى ٤ : ١٠٦ •
(١٠) صبح الاعشى ٤ : ١١١ •
(١١) صبح الاعشى ٤ : ١١٢ •
(١٢) صبح الاعشى ٤ : ١٩ و١١٤ وياقوت ٥ : ٤١٩ وفي كثير من المدن والقلاع التي في الجزيرة العربية وبخاصة في اليمن •

الغرض • كسلوقية ، وقصر الافريقي ، وقصر عبدالكريم • وقصر كُلَيْب، والكنيسة السوداء ، وطُوانة ، وصُور ، وعكّة ، وعين زربى ، وبَلْخ ، ومرو ، وأندس قرب القسطنطينية • وقد أدخلنا بعضها في الثغور الجَزَرِيّة أو الشامية التي بناها العرب في خلافة الامويين ، والعباسيين بينهم وبين بلاد الروم[1] •

٧ ـ ومن جملة المدن التي ينبغي التنبيه عليها مدنٌ ذكرها البلدانيون باسم : حصون ، أو قصور ، أو أسواق تطورت الى مدن أو قرى كبيرة ، وظلت اسماؤها الاولى تغلب عليها فهم يقولون : حِصن منصور • ولكنهم يريدون به المدينة التي تقع قرب سُمَيْساط وعليها سور ، وخندق ، وثلاثة أبواب • وفي وسطها حِصن وقلعة عليها سوران[2] • وحِصْن كَيْفا : وهو بلدة ، وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمِد ، وجزيرة ابن عمر • وحِصْن مُحَسَّن من أعمال الجزيرة الخضراء بالاندلس • وحصن مهدي ، بلد من نواحي خوزستان • وقصر قيروان : مدينة عظيمة في قِبْلي القيروان صارت دار أمراء بني الاغلب • وكان بها جامع ، وحمامات كثيرة ، وأسواق ، وصهاريج للماء[3] ••• وقصر كُتامَة مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الاندلس • وقصر ابن هُبَيْرَة مدينة على الفرات • وقصر قُضاعة : قرية قرب شهربان من نواحي الخالص • وقصر الفلوس : مدينة بالمغرب قرب وهران • وقصر عبدالكريم : مدينة على ساحل بحر المغرب قرب سبتة • وقصر ريّان : منَ أعمال نينوى • وقصر باجه : مدينة بالاندلس ••• الخ •

وأما الاسواق فهي : بلدان ، ومدن أيضا منها : سوق حمزة بالمغرب وهو مدينة عليها سور[4] • وسوق الاربعاء بُلَيْد بنواحي الاهواز[5] •

---

(١) معجم البلدان ٣ : ٢٤٢ و٤ : ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٤٨٥ ، ٤٦ ، ١٤٤ ، ١٧٧ ، و١ : ٢٦١ •

(٢) ياقوت ٢ : ٢٦٥ •

(٣) ياقوت ٤ : ٣٥٤ ـ ٣٦٦ •

(٤) ياقوت ٢ : ٣٠٢ •

(٥) ياقوت ٣ : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ •

وسـوق الاهواز : مدينة بالاهـواز ، وسوق حَـكَـمَـة : موضع بنواحي الـكوفة • وسوق السلاح ، وسوق الثلاثاء وسـوق العَـطَـش ، وسـوق يحيى ، من أكبر محلات بغداد •

ومثل ذلك يقال عن الأرباض ، والحواضر ، والقُرى ، والقَـصَبات ، والقلاع ، والأَسـيَاف • (جمع سِيْـف) •

٨ ــ ومما لا يُـنْـكر أن العرب تأثروا بالأمم التي انضوت تحت لواء الاسلام واقتبسوا منها ما كان ينقصهم • الا انا ينبغي ألاّ نبالغ في هذا الاقتباس لان كثيرا من الامم الاجنبية ، والشعوب الاعجمية ، التي دخلت في الاسلام لم تكن ذات حضارة عريقة ، أو امجاد مُؤَثَّـلَة • بل كانوا بَدْواً أخذوا من العرب دينهم ، ولغتهم ، وخطّهم ، وكثيراً من معارفهم ، وتقاليدهم ، وعاداتهم • ومن ناحية أخرى سرعان ما ابتكر العرب بعد اقتباسهم من الامم ، حضارةً جديدة أنضر من تلك الحضارات ، وكان لها تأثير بالغ حتى على تلك الامم التي اقتبس منها العرب •

وقد ظلّ الاسلام مصدر الالهام والوحي للعرب في ابداعهم ، وابتكارهم يقدم الجديد باستمرار لهم ، والعالم أجمع •

الفصل الخامس : الفترة التي سبقت بناء المدن العربية في الاسلام :

١ ــ الاحتماء بالبادية :

لقد عُـنِـيَ العرب ببناء المـدن في زمن الفتـح ، وفي أثنـاء تأسيس دولتهم ، لاتخاذها معسكرات وحصوناً • ويلاحظ الباحث أنهم بنوها أول الأمر على هيئة معسكرات على طرف البادية ، وعلى مقربة من الماء[١] ، والمرعى أو « من المشارب ، والمرعى ، والمحتطب » • كالبصرة ، والـكوفة ، والفُسطاط • لا يفصل بينهم وبينها بحرٌ ، ولا ماء[٢] • وذلك :

أ ــ ليتمكنوا أن يحموا ظهورهم بالصحراء ، ويتخذوا منها خَطّاً

---

(١) البلاذري ص ٣٤١ •
(٢) البلاذري ص ٢٧٥ •

لرجعتهم عند اشتباكهم مع الاعداء .

ب ـ ليلتجؤا اليها عندما يضايقهم العدو ، كما كان يفعل المثنى بن حارثة الشيباني ، وسعد بن ابي وقاص ، وقادة اليرموك ، وفاتحو مصر لذلك لم يعنوا بإحاطتها بالاسوار المنيعة ، وبناء القلاع الحصينة .

ج ـ ليتمكنوا من ارسال الميرة ، والاوامر العسكرية ، والوصايا ، والتعليمات ، والنجدات المتلاحقة . دون أن تعيقهم المياه .

د ـ ليبسطوا منها نفوذهم في البلاد المفتوحة .

روي أن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص عندما كتب اليه يستأذنه في سكنى الاسكندرية : اني لا أحب ان تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم ، في شتاء ولا صيف . فلا تجعلوا بيني وبينكم ماءً . متى أردت ان أركب اليكم راحلتي حتى أُقْدِم اليكم قَدِمْت[1] .

ويذكر الطبري ، وابن الاثير أن عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن أبي وقاص وهو بِشَراف عندما كان متوجها لحرب الفرس : اذا انتهيت الى القادسية . والقادسية باب فارس في الجاهلية . وهي أجمع تلك الابواب لمادّتهم ..... وهو منزل رغيب ، خصيب ، حصين . دونه قناطر ، وانهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها . ويكون الناس بين الحَجَر ، والمَدَر على حافّات الحجر ، وحافّات المدر والجراع بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحْه . فإنهم اذا أَحَسُّوك انغضتَهم رَمَوْك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ، ورَجْلِهم ، وحدّهم وجدّهم . فإن أنتم صبرتم لعدوكم . واحتسبتم لقتاله . ونويتم الأمانة ، رجوتُ أن تُنْصَرُوا عليهم . ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابداً الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الاخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مَدَرَةٍ من أرضهم الى ادنى حَجَر من أرضكم . ثم كنتم عليها أجرأ ، وبها أعلم . وكانوا

---

(١) تاريخ عمرو بن العاص ص ١٣١ . وابن عبدالحكم ص ١٣٣ .

عنها أجْبَن ، وبها أجهل • حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة[1] •

٢ ـ عدم الاستيطان في المدن الاجنبية :

ولما كان العرب كلُّهم في خلافة الراشدين ، جنوداً محاربين ، تحت السلاح ، فقد حظر عليهم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان سكنى المدن القديمة ، كالمدائن[2] في العراق ، والاسكندرية في مصر[3] والشام ، والجزيرة • وأمر ولاتهم أن يُنْزِلوا العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى • وحظر عليهم الاشتغال بالزراعة لئلا يتقاعسوا عن الحرب • ولئلا يميلوا الى الرّخاء فيفقدوا بذلك صفتهم العسكرية ، وحماسهم الحربي • غير أنه سمح لهم باعمال الارضين التي لا حق لأحد فيها[4] • ومن جراء ذلك اعلن لجيوشه : أن عطاءهم قائم • وأن رِزْق عيالهم جارٍ • ولذلك انشأوا لهم معسكرات خاصة بهم استحالت فيما بعدُ الى مدن عسكرية • أضف الى ذلك ان العرب المسلمين يومئذ كانوا يخرجون الى الحرب جهاداً في سبيل الله • وكانوا بوجه عام يستصحبون معهم نساءهم ، وعيالهم لئلا تفسد أخلاقهم باختلاطهم مع الفرس ، والروم وغيرهم • وكان الجندي لا يقيم في الجيش أكثر من أربعة أشهر اذا كان بعيداً عن اسرته •

٣ ـ اصلاح المعسكرات والمسالح القديمة وتوسيعها :

ويظهر أن العرب بالاضافة الى ما انشأوه من الأجناد ، والمعسكرات ، أو المدن العسكرية لم يهملوا معسكرات الساسانيين والبيزنطيين فقد أصلحوا .

---

(١) الطبري ج ٣ : ٤٩٠ ـ ٤٩١ I ٢٢٢٧ ـ ٢٢٢٨ ليدن • وابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٣ •

(٢) البلاذري ٢٧٦ •

(٣) تاريخ عمرو بن العاص ص ١٣١ •

(٤) البلاذري ١٨٢ •

مسالحهم ، وشحنوها بالمقاتلة . من ذلك : مسالح الخريبة[١] ، والزابوقة[٢] ، والرزق بالبصرة[٣] . وقد كانت الأخيرة احدى مسالح العجم بالبصرة قبل ان يختطها المسلمون . ذكر ياقوت أنه كان في « سيلحون » الواقعة على ثلاثة فراسخ من بغداد ، مسالح لكسرى . وهم قوم بسلاح يرتبون في الثغور ، والمخافات[٤] . وكان العرب يوسعون القلاع القديمة ، ويمصرونها ، كما فعل هرثمة بن عرفجة البارقي الأزدي حين اختط « الموصل » بعد أن كانت في عهد الفرس قلعة ، وبعض بيوت . وكذلك عندما مصر « الحديثة »[٥] وكانت قرية قديمة فسميت « الحديثة » لأنها مصرت بعد « الموصل » . وهناك رواية أخرى تقول : ان هرثمة نزل « الحديثة » أولا فمصرها ، واختطها قبل « الموصل » . وأسكنها قوما من العرب . ويذكر ياقوت أن « البيضاء » وهي أكبر مدينة في كورة « اصطخر » كانت معسكرا للمسلمين يقصدونها في فتح « اصطخر »[٦] .

الفصل السادس : التحريات لتخطيط المدن العربية :

١ ـ التحريات الطوبوغرافية واختيار مواقع المدن العربية : لقد كان العرب اذا أرادوا بناء مدينة ارتادوا الاماكن المختلفة . وأجروا التحريات الطبوغرافية ، والتعبوية لمعرفة صلاحها للاغراض العسكرية ، كما فعلوا ذلك عندما بنوا الكوفة[٧] ، وواسط[٨] ، وبغداد[٩] ، وسامراء[١٠] ، وغيرها

---

(١) ياقوت ٢ : ٣٦٣ .
(٢) ياقوت ٣ : ١٢٥ .
(٣) ياقوت ٣ : ٤١ .
(٤) معجم البلدان ٣ : ٢٩٩ .
(٥) معجم البلدان ٢ : ٢٣٠ والبلاذري ٣٢٨ .
(٦) معجم البلدان ١ : ٥٢٩ .
(٧) البلاذري ٢٧٤ وياقوت ٤ : ٤٩١ .
(٨) ياقوت ٥ : ٣٤٨ .
(٩) راجع بغداد للسترنج ودوائر المعارف الاسلامية ، والمعاجم الجغرافية .
(١٠) ياقوت ٣ : ١٧٤ .

من المدن .

روى البلاذري : أن عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن ابي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة ، وقيروانا . وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً . فأتى الأنبار . وأراد أن يتخذها منزلا . فتحول الى موضع آخر فلم يصلح ، فتحول الى الكوفة ، فاختطها . وأقطع الناس المنازل[١] . وعندما أراد المعتصم بن الرشيد أن يبني سامراء خرج في سنة ٢٢٠هـ ونزل القاطول في المضارب . ثم جعل يتقدم قليلا قليلا ، ويتنقل من موضع الى آخر ، حتى نزل بالقاطول فاستطابه . وبدأ البناء فيه في سنة ٢٢١هـ[٢] .

وكان العرب يبنون مدنهم على الانهار ، أو على مقربة منها . كالكوفة التي اختطت غربي الفرات ، والبصرة التي انشئت غربي شط العرب . والفُسطاط التي بنيت شرقي النيل . وواسط ، وبغداد ، وسامراء على ضفتي دجلة . وكذلك شأن المدن الباقية بوجه عام .

ذكر ياقوت أن الحجاج عندما أراد أن يبني مدينة « واسط » ، قال لرجل ممن يثق بعقله : امضِ وابتغِ لي موضعا في كرْش من الارض ابني فيه مدينة . وليكن على نهر جارٍ[٣] . وأما اختيار موقع بغداد على دجلة فمن الامور التي أفاض في ذكرها المؤرخون ، والبلدانيون العرب . قال ياقوت[٤] : بعث المنصور وهو بالهاشمية رُوّاداً ، يرتادون له موضعاً يبني فيه مدينة . ويكون الموضع واسطاً ، رافقاً بالعامة ، والجند . فَنُعِتَ له موضع قريب من (بارِمّا)[٥] . وذُكِرَ له غذاؤه ، وطيب هوائه . فخرج اليه بنفسه حتى نظر اليه ، وبات فيه . فرأى موضعاً طيباً . فقال

(١) فتوح البلدان ٢٧٤ .
(٢) مروج الذهب ٢ : ٣٤٩ وياقوت ٣ : ١٧٤ .
(٣) معجم البلدان ٥ : ٣٤٨ والكرش من الارض : التلعة أو المرتفع .
(٤) معجم البلدان ١ : ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .
(٥) بارما : جبل بين تكريت والموصل يعرف بجبل حمرين ، تشقه دجلة عند السن . والسن في شرقي دجلة فتجري بحافتيه . وفي الماء منه عيون للقار والنفط . (راجع ياقوت مادة بارما) .

لجماعة من أصحابه : ما رأيكم في هذا الموضع ؟ قالوا : طيب موافق • فقال : صدقتم • ولكن لا مرفق فيه للرعية • وقد مررتُ في طريقي بموضع تجلب اليه الميرة ، والامتعة في البر ، والبحر • وأنا راجع اليه ، وبائت فيه • فأن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل ، فهو موافق لما أريده لي وللناس • فأتى موضع بغداد • فبات أطيب مبيت • وأقام يومه فلم يرَ الا خيرا • فقال : هذا موضع صالح للبناء ، فأن المادة تأتيه من الفرات ، ودجلة ، وجماعة الانهار • ولا يحمل الجندَ ، والرعيةَ الا مثلُه • فخط البناء •••

وذكر ياقوت وغيره أن المهدي الفاطمي خرج بنفسه في سنة ٣٠٠هـ يرتاد له موضعا يبني فيه مدينته خوفاً من خارج يخرج عليه • وأراد موضعاً حصيناً حتى ظَفِر بموضع « المهدية » وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند[1] ••

٢ ـ التحريات الصحية عند بناء المدن العربية : وكان العرب يحرصون على أن يكون المحل المختار لبناء المدن صحيا ، خاليا من الحشرات[2] ، والهوام ، والبقّ • غير موبوء ، ولا وَخْم الهواء • وأن تكون مناظره مما ترتاح له النفس • ذكر ابن الاثير[3] : أن عمر بن الخطاب لاحظ « أن العرب قد رَقّت بطونُها • وجفّت أعضادُها • وتغيّرت ألوانُها • فقيل له : انهم تأثروا بوخامة الهواء • فكتب الى سعد : أن ابعث سلمان [الفارسي] وحُذَيفة [بن اليمان] رائدين فليرتادا منزلا ، بريا ، بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ، ولا جسر فلما استقروا في المعسكرات ، بعيدين عن المدائن الفارسية ، رجع اليهم ما كانوا فقدوا من قُوَتِهم » •

وذكر ياقوت : أن العرب كانوا يرسلون الاطباء ، ليختاروا المكان الصحي لبناء المدن • فقد ذكر أن الاصمعي قال : « وجّه الحَجّاجُ الاطباء ليختاروا له موضعا ، حتى يبني فيه مدينة • فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر ،

---

(١) معجم البلدان ٥ : ٢٣٠ •

(٢) فتوح البلدان ٢٧٥ ـ ٢٧٧ •

(٣) ج ٢ ص ٢٢٣ •

الى البحر • وجولوا العراق ، ورجعوا • وقالوا : ما أصبنا مكاناً أوفق من مكانك هذا ، في خفوف الريح ، وأنف البرية »[1] •

وذكر أيضا أن الحجّاج عندما أراد ان يبني واسطاً ، طلب الى أحد خاصته ان يرتاد له موضعا صحياً على نهر جارٍ • فأقبل ملتمسا ذلك حتى سار الى قرية فوق « واسط » بيسير يقال لها : « واسط القصب » ، فبات بها • واستطاب ليلها • واستعذب أنهارها • واستمرأ طعامها ، وشرابها[2] • وذكر المسعودي : ان المعتصم لما عزم على بناء سامراء نظر الى فضاء واسع ، تسافر فيه الابصار ، وهواء طيب ، وأرض صحيحة فاستمرأها ، واستطاب هواءها[3] •

الفصل السابع : التصاميم الهندسية لبناء المدن العربية :

يظهر لنا أن هندسة المدن العربية ، وبناء مرافقها العسكرية ، أو المدنية لم تكن من الامور المرتجلة • وانما كان ثمة شيء من التنظيم منذ أول شروع العرب في اختطاط البصرة ، والكوفة ، والفسطاط • ثم القيروان ، وواسط • ثم بغداد ، وسامراء ••• الخ من وضع العلامات على الارض من قبل الغالي • الى التخطيط على الارض بالرّماد ، أو بالكلس ، وهو الجبس • الى عمل الخرائط ، والتصاوير ، والرسوم للأبنية ، والكتابات ، والزخارف ، على الورق ، أو الجلود ، أو الاقمشة • الى التصاميم المجسمة للقصور ، والمساجد ، والقُرى • من الذهب أو الفضة ، أو الشمع ، أو السُكّر • الى التقدير ، وهو : تخمين الكلفة والنفقات الواجب صرفها قبل الشروع في العمل • الى قيام المهندسين بأخفاء الاعوجاجات التي تحصل أحيانا في الارض بعد أن استبحر العُمران في البلاد الاسلامية • وأخذت الارض تتحكم في المهندسين • فأقدموا على اخفاء هذه الاعوجاجات

(١) معجم البلدان ٥ : ٣٤٨ •
(٢) ياقوت ٥ : ٣٤٨ •
(٣) مروج الذهب ٢ : ٣٥٠ •

أو المساحات غير المنظمة بناء المآذن ، أو المدافن ، أو المرافق المختلفة الاخرى أو بتشخين بعض الجدران • وقد بذل المهندسون جهوداً كبيرة في اتقان هذا الفن • قال الجاحظ يصف بغداد المُدَوَّرة : « قد رأيتُ المدن العظام ، والمذكورة بالاتقان ، والاحكام • بالشامات ، وبلاد الروم ، وفي غيرها من البلدان • فلم أرَ مدينة قط ارفعَ سُمْكاً ، ولا أجود استدارة ، ولا أنبلَ نبْلا ، ولا أوسع ابواباً ، ولا أجوَد فضلا من الزوراء •• كأنما صُبَّت في قالب ، وكأنما أُفرِغتْ افراغا »[1] •

وكان لاختلاف العصور والأمكنة ، والأُسر الحاكمة ، وتعدد الدول الاسلامية أكبر الأثر في تنوع هذه الوسائل ، ودقة التنظيم ، ووفرة الانتاج •

وقد وصل الينا عدد كبير من أسماء المهندسين ، والمعمارين ، الذين قاموا بتخطيط المدن ، وانشاء المساجد ، والقصور ، والاسوار ، والحصون ، والحمامات ، والعمائر المختلفة • كما وصلت الينا كتب ، أو أسماء كتب عربية أُلّفت في هندسة المدن أو فيما كانوا يسمونه « علم عقود الابنية » • وهو كما يذكر ابن الاكفاني[2] : « علم يتعرف منه أحوال أوضاع الابنية ، وكيفية شق الانهار ، وتَقْنِيَة القُنِيّ ، وسد البثوق ، وتنضيد المساكن • ومنفعته عظيمة في عمارة المدن ، والقلاع ، والمنازل ، وفي الفلاحة • وفيه كتاب لابن الهيثم ، وكتاب للكرخي » •

وقد بحثت هذه الكتب أيضاً في الامور الفنية الاخرى[3] كاستنباط المياه الجَوْفية ، وعمل الفوارات • ونصب الحنفيات • وانشاء القُنِيّ فوق

---

(١) الخطيب البغدادي ج ١ ص ١٧٧ • وذكر ياقوت ٣ : ١٥٦ ان الازهري قال : سميت الزوراء لازورار في قبلتها • وقال غيره : انما سميت الزوراء لان المنصور لما عمرها ، جعل الابواب الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة • أي ليست على سمتها • وهذا هو الاصح باجماع أهل السير •

(٢) ارشاد القاصد ص ١٠٨ • وتقنية القني : استحداث القنوات وبناؤها ، وشقها • كقولك : « تقنين » القوانين •

(٣) المنتظم ج ٦ ص ٥٧ ومعجم البلدان ١ : ٣١٣ و٢ : ٥١ ـ ٥٢ و٣ : ١٩٥ ، ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، ٢٩٥ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٣٩ و٤ : ٢٣٠ •

الارض وتحتها • والمصانع ، والسدود ، والخزانات ، والاحواض ، والصّهاريج ، والسّقايات والمياضيء • واظهار الماء على رؤوس الجبال • ورفعه الى القصور بالدواليب ، والقنوات الرّصاصية ، والحجرية ، والساجية ، التي تخترق البيوت ، والمنازل ، والمساجد ، والحمامات • وبناء القناطر ، والجسور ، والاسوار ، والقلاع ، والابراج ، والحصون • وبحث في الاميال في الطرق ، وضرب النقود ، وتعيين القبلة في المساجد • وما يحتاج اليه الصناع ، والمعماريون من أعمال الهندسة ، لنصب المقاييس على الانهار • ومن أشهر المقاييس في البلاد العربية مقياس النيل ، ومقياس دجلة • ذكر ابن الجوزي(١) قال : ونُصب المقياس على دجلة من جانبيها ، طوله : خمس وعشرون ذراعا ، على كل ذراع علامة مدورة • وعلى كل خمسة أذرع علامة مربعة مكتوب عليها بحديدة علامة الأذرع • تعرف بها مبالغ الزيادات •

ويمكننا أن نذكر فيما يلي نماذج من التصاميم الهندسية منذ أن كانت سهلة بسيطة ، الى أن تعقّدت ، وأصبحت تحوي تفاصيل كثيرة تعتبر ضرورية للمهندس ، أو المعمار لبناء القباب والمآذن ، والمحاريب • وعمل الأبواب والسقوف ، والملابن ••• الخ •(٢)

١ ـ وضع العلامات على الارض سنة ١٧هـ :

روى البلاذري أن سعد بن أبي وقّاص عندما انتهى الى موضع المسجد بالكوفة أمر رجلا فغلا بسهم قِبَل مَهَبّ القبلة ، وأعلم موقعه • ثم غلا بسهم آخر قِبَل مَهَبّ الشمال ، وأعلم على موقعه • ثم غلا بسهم قِبَل مهب الجنوب وأعلم موقعه • ثم غلا بسهم ، قِبَل مَهَبّ الصّبا فأعلم على

---

(١) المنتظم ج ٦ : ص ٥٧ •

(٢) الملابن : واحدها : ملبن • وهو صندوق يوضع على ضريح من الاضرحة • وهو أيضا الباب الذي يوضع في مدخل مدرسة أو قصر •

موقعه . ثم وضع مسجدها ، ودار امارتها في مقام الغالي ، وما حوله .[١]

٢ ـ التخطيط بالرماد سنة ١٤١هـ :

طلب أبو جعفر المنصور الى معماريه ، ومهندسيه ، أن يطلعوه على تخطيط بغداد . فوضعوا حبَّ القطن المُنَفَّط على الأرض وأضرموا النار به . فتكونت خطوط من الرَّماد تمثل خارطة بغداد . فتنقل أبو جعفر المنصور بينها من كل باب . ومرَّ في فُصلانها ، وطاقاتها ، ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد . ثم أمر بالشروع بالبناء[٢] ، وحفر أسوارها على رسوم الرَّماد . وتم بناؤها في أربع سنين[٣] .

٣ ـ الذر بالكلس قبل سنة ٦٩٣هـ :

جاء في نَكْت الهِمْيان[٤] أن علاءالدين الرُكني ، الزاهد ، ناظر أوقاف القدس ، والخليل وأحد اذكياء العالم ، المشهور بهندسته لكثير من المنشآت الاسلامية بالقدس ، والخليل ، والمدينة ، خَطَّ حماما في مدينة (الخليل) . ورسم الأساس . وذرَّه بالكلْس للصناع .

٤ ـ التصوير على الجلود وغيرها :

ذكر الجهشياري[٥] ان أبا جعفر المنصور ، تقدم الى بعض المهندسين

---

(١) ورد في البلاذري ص ٢٧٥ (علا ، والعالي) وهما خطأ . والصواب ماذكرناه . وجاء فيالقاموس المحيط للفيروزبادي: غلا بالسهم غَلْواً وغُلُوّاً : رفع يديه لاقصى الغاية . وكل مرماة غلوة . والمِغْلَى : سهم يُغْلَى به . وفي ياقوت ٤ : ٦ يقال : بينهما غَلْوَة سهم . وقد نقل الدكتور أحمد فكري قسما من هذا النص بحرف العين وليس بحرف الغين في كتابه « المدخل في مساجد القاهرة ومدارسها » ص ٢٠٠ و٢٠١ والصواب بحرف الغين المعجمة أي المنقوطة .

(٢) مناقب بغداد ص ٨ ولسترنج ص ١٧ .

(٣) اللمعات البرقية ص ١٨ .

(٤) ص ١٢٣ .

(٥) الوزراء والكتاب ص ١٢٣ .

بتصوير الضيعة المعروفة بالسُّبَيْطِيَّة من أعمال البصرة ، فصوّرها ، وعرض الصورة عليه ، فاستحسنها .

وذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي[١] أن المنصور عندما أراد اخراج الأسواق من المدينة المدوّرة الى الكرخ دعا بثوب واسع فحدّد فيه الأسواق . ورتب كل صنف منها في موضعه . ثم بُنيت على هذا الرسم .

وجاء في المناقب أيضا ان بغداد صوّرت لملك الروم ، أرضها ، وأسواقها ، وشوارعها ، وقصورها ، وأنهارها ، غربيها ، وشرقيها . فكان يعجب من وضع شوارع الجانب الشرقي خصوصا من شارع « الميدان » ، وشارع « سوَيْقة نَصْر » بن مالك الخُزاعي ، والقصور التي في الاسواق ، والشوارع من سوَيْقة نَصْر الى قنطرة البَرَدان . وكان اذا شرب دعا بالصورة فشرب على صورة شارع نَصر ويقول : لم أر صورة شيء من الابنية أحسن منه .[٢]

وذكر ابن أبي زرع الفاسي في روض القرطاس[٣] : أن ادريس الثاني عندما شرع ببناء مدينة فاس كان يمسك بيده الفأس ويبدأ به الحفر ، ويختط به الأساس للفعلة .

وفي سنة ٢٦٣هـ ذكر المقريزي[٤] أن المهندس المعروف بالنصراني الذي أنشأ جامع أحمد بن طُولُون بجبل يشكر بالقطائع كتب الى ابن طُولُون يقول له : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار ، بلا عَمَد الاعمودَي القِبلة . وأنا أُصَوّره للأمير حتى يراه عيانا بلا عَمَد الاعمودَي القِبلة . فأمر بأن تحضر له الجلود ، فأحضرت . فصوّره له فأعجبه ، واستحسنه . وعهد اليه بنائه .

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٨٠ ومناقب بغداد ص ١٣ .
(٢) مناقب بغداد ص ١٥ .
(٣) روض القرطاس لابن ابي زرع .
(٤) الخطط ج ٢ ص ٢٦٥ .

وجاء في تحفة الامراء في تأريخ الوزراء[1] أن الوزير أبا الحسن علي بن عيسى عندما أراد بناء مُسَنَّاته على دجلة في سنة ٢٩٢هـ قدَّر لها ولما يُبْنَى عليها ما يُحتاج اليه من النفقة مئة الف درهم • وصوَّر له البناء • وأُحضرت اليه الصورة والتقدير •

وفي الحلل المَوْشِيَّة[2] أن عبدالمؤمن الموحدي نزل في سنة ٥٥٥هـ في جبل الفتح عند عبوره الى الأندلس فأمر ببناء حصن هناك اختط رسومه بيـــده •

٥ ـ التصاميم المجسمة :

جـاء في كتاب الأنس الجليـل[3] في تاريخ القدس والخليل : أن عبدالملك بن مروان بنى قبـة الصخرة في سنة ٧٢هـ على نموذج مجسم عُرِف بقبة « السلسلة » فقد ذكر العُلَيْمي أنه حين أراد ان يبني قبة تقي المسلمين الحر والبرد ، بعث في جميع عَمَلِه ، والى سائر الأمصار • ان تكتب الرعية اليه برأيهم ، وما هم عليه ، لانه كره ان يفعل ذلك دون رأيهم • فوردت الـكتب من سائر عمَّال الامصار ترى رأي أمير المؤمنين موافقا في انشاء هذه القبة • فجمع الصناع لعملها • وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال : انه خراج مصر لسبع سنين • ووكل على صرف المال أبا المقدام رجاء بن حياة الـكندي • وكان من العلماء الاعلام • ويقال : ان عبدالملك وصف ما يختاره من عمارة القبة ، وتكوينها للصُنَّاع • فصنعوا له ، وهو ببيت المقدس : القبة الصغيرة ، التي هي شرقي قبة الصخرة ، التي يقال لها « قبة السِلْسِلة » فأعجبه تكوينها • وأمر ببنائها ، بهيئتها •

وجاء في الطبري[4] أن أسد بن عبدالله القَسْرِي أُهْدِي اليه سنة

---

(١) ص ٢٨٧ • والتقـدير هـو : الـكشف أو الـكلفة بالمبالغ ، والنفقات التي تخمن للبناء •

(٢) الحلل الموشية في الاخبار المراكشية ص ١١٨ •

(٣) العليمي ج ١ ص ٢٤١ •

(٤) II ص ١٦٣٦ •

١٢٠هـ قصران أحدهما فضة ، والآخر ذهب • وجاء في « مطالع البدور »[١] أن يعقوب بن الليث الصَّفَّار صاحب خراسان أهْدَى الى الخليفة العباسي المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها : عشر بُزاة منها بازي أبلق لم يُرَ مثلُه ••• ومسجد فضة برواقين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومئة ، من مسك ، ومئة من عُوْدٍ هندي •

وذكر ابن الجوزي[٢] ان المقتدر بالله العباسي كانت لديه قرية من فضة تثمن بمئات الوف الدراهم • وكانت على صفة قرية فيها البقر ، والغنم ، والجمال ، والجواميس ، والاشجار ، والنبات ، والمساحي ، والناس ، وكل ما يكون في القُرَى • كما ذكر ابن الجوزي والخطيب البغدادي[٣] انه كان في دار الشجرة ببغداد في خلافة المقتدر أيضا ، شجرة من الفضة ، وزنها نصف مليون درهم ، عليها أطيار مصوغة من الفضة تُصَفِّر بحركات ، قد جُعلت لها • كما كان في تلك الدار (٣٨) ألف ستر من السُّتور الدِّيباج المذهبة ، بالطُرُز المُصَوَّرة بالجامات ، والفيَلة ، والخيل ، والجمال ، والسِّباع ، والطرد • وفي تلك الدار شجرة في وسط بركة مدورة فيها : ماءٌ صافٍ • وللشجرة ثمانيةَ عشر غصناً لكل غصن شاخات كثيرة ، عليها الطيور ، والعصافير من كل نوع ، مذهبة ومفضضة • وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها مذهب • وهي تتمايل في أوقات • ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الرِّيح ورقَ الشجر • وكل من هذه الطيور يصَفِّر ويهدر • وفي جانب الدار ، يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً ، على خمسةَ عشر فرسا ، قد أُلبسوا الديباج وغيره • وفي أيديهم مطارد على رماح ، يدورون على خط واحد ••• وفي الجانب الأيسر مثل ذلك •

ويذكر المقريزي اعداداً كبيرة ، واحصائيات جسيمة من التماثيل ، والتحف ، والمطرزات من مختلف المعادن • ويذكر من بينها نموذجاً مجسما

---

(١) مطالع البدور في منازل السرور ج ١ ص ١٣٥ •
(٢) المنتظم ج ٦ ص ٧٦ •
(٣) المنتظم ج ٦ ص ١٤٤ والخطيب ج ١ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ •

لبستان أرضه من فضة مخرقة مذهبة • وطينه ند • وأشجاره فضة مذهبة ، مصوغة • وأثماره عنبر وغيره • وزنه ثلاثمائة وستة ارطال[1] •

اما النماذج المجسمة ومنها : قصور السُكَّر والتماثيل فقد جاءت عنها أخبار كثيرة في المنتظم[2] ، وخطط المقريزي نذكر منها : تمثال امرأة بمصر من قراطيس بخُف ، وإزار • لم يشك أحد في انها امرأة[3] ذكر ذلك ابن الجوزي في حوادث سنة ٤١١هـ • وذكر في حوادث سنة ٣٥٣هـ في خلافة المطيع أن معزالدولة البويهي رأى من بين التحف في دار الخلافة صنماً من صُفْر على صورة امرأة وبين يديه أصنام صغار كالوصائف[4] • وفي سنة ٤٨٠هـ اظهر الكافوريون في احتفال جرى ببغداد تماثيل من الكافور ••• وسيَّر الملاحون سفينة على عَجَل ، وأظهر الطَحّانون أرحاء تطحن على وجه الارض[5] • وفي سنة ٤٨٨هـ عمل أهل بغداد نوعا من احتفالات « الكرنفال » اظهروا فيها : أنواع الملاهي من الزموز ، والحكايات ، والخيّالات « السينما » فعمل أهل باب المراتب من البواري المُقَيَّرة حيواناً على صورة الفيل ، وتحته قوم يسيرون به • وعملوا زرافة كذلك • كما عمل أهل قصر عيسى بالكرخ سُمَيْرِيَّة كبيرة تجري في الشوارع وفيها الملاحون يجدفون • وأتى أهل سوق يحيى بناعورة تدور معهم في الأسواق • وعمل أهل سوق المدرسة قلعة خشب تسير على عَجَل ، وفيها غلمان يضربون بقِسِيّ البُنْدُق ، والنشاب • وأخرج قوم نِسْراً على عَجَل وفيها حائك ينسج • وجاء الخبّازون بتنور وتحته ما يسير به ، والخباز يرمي الخبز الى الناس[6] •

ومن النماذج المجسمة قنديل من ذهب وزنه ٦٠٠ مثقال و ٩ قناديل

---

(١) الخطط ج ١ ص ٤١٦ •
(٢) ابن الجوزي ج ٦ ص ٧٤ ـ ٧٦ • والمقريزي ج ١ ص ٣٨٧ •
(٣) المنتظم ٧ : ٢٩٧ •
(٤) المنتظم ٧ : ٢٠ •
(٥) المنتظم ج ٩ : ٣٨ و١٠ : ٦٧ •
(٦) ابن الجوزي ٦ : ٣٤٤ •

فضة أنفذها الخليفة المطيع لله الى حجرة الرسول (ص) سنة ٣٣٤هـ[١] . ومنبر كبير جميعه منقوش مذهب عمل ببغداد بدار الوزير بباب العامة سنة ٤٧٠هـ . وحُمل الى مكة[٢] . وسريران أحدهما ملبس بالذهب ، والآخر بالفضة[٣] وسريران آخران عاليان احدهما للخليفة والثاني لرئيس الرؤساء[٤] .

ومن الامور التي تعزى الى البراعة في الهندسة والميكانيك ما ذكره ابن الجوزي[٥] في المنتظم في حوادث سنة ٥٤٧هـ في احتفال ولي العهد حيث عَمِل الذهبيون ببغداد قبة عليها صور بعض الامراء بحركات تدور . وعَمِل غيرهم قبة فيها خيل تدور وعليها فرسان بحركات . وعلّقت قبة فيها صورة السلطان وعلى رأسه شَمْسَة . وعلّق رجل أحدب قبة عليها جماعة من الحُدْب ... وعَمِل أهل باب الأزج أربعة ارحاء تدور وتطحن الدقيق لا يُدْرَى كيف دورانُها . وعَمِل الملاحون سُمَيْرِيّة على عجل تسير ... الخ .

ولما كانت الزخارف في العمائر الاسلامية متنوعة وكثيرة جدا فقد جاءت على شكل كتابات كوفية ، أو نسخية . وعلى شكل زخارف شجرية وهندسية . وعلى صورة فسيفساء . وقد برع العرب والمسلمون في النسج بخيوط الفضة ، والذهب ، والقصب ، وسائر ألوان الحرير[٦] ، كما برعوا في حفر الزخارف على الجص ، والجبس ، والآجر ، والرُخام ، والحجر ، والنحاس ، والخشب ، والعاج ، والفضة والذهب . ونقشها على الورق ، والرَّق .

---

(١) المنتظم ٩ : ٨٥ .
(٢) ٨ : ٣١١ .
(٣) المنتظم ج ٨ : ٢٢٩ و٢٣٠ .
(٤) ٨ : ١٨١ و١٨٢ .
(٥) ١٠ : ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٦) المقريزي ١ : ٤١٧ و٢ : ٣١ والمنتظم ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٥١ و١٠ : ٩٥ .

ويلاحظ في زخارف الآجر في أكثر الأحيان أن الزخرفة انما تكون برصف القطع بجنب بعضها ، وغرزها في الجدران على طريقة رصف الفسيفساء وغرزها • كما يلاحظ ذلك في بعض كتابات المستنصرية والمرجانية وزخارفهما[١] • وكان طبيعيا ان تؤدي وفرة الزخارف في الريازة الاسلامية الى استخدام النماذج المجسمة للكتابة ، والزخارف على اختلافها بمراحلها الثلاث : أ ـ الرسم ب ـ التخطيط جـ ـ التفريغ ، كما هو متبع في البلاد العربية حتى اليوم كالمغرب والعراق وغيرهما في الزخرفة على الجص ، والجبس ، أو على الآجر •

ومن النماذج المجسمة للزخارف :ـ ما ذكر عن المدرسة التكريتية التي بناها ابن سُوَيْد التكريتي العراقي[٢] بدمشق حيث طُلِيتْ بعض جدرانها بطبقة من الجص ، ثم رسم فوقها أنواع الزخارف ، والخطوط • ثم حفرت حفراً عميقاً حتى برزت الاشكال مجسمة • وهي تعد لذلك من أنفس الزخارف الاسلامية بدمشق[٣] ومثل ذلك يقال عن الزخارف المتنوعة ببغداد ، وسامراء ، والموصل • فالزخارف الخشبية البارزة ، والكتابات الكوفية ، والنسخية النافرة ، المحفورة في ضريح الامام موسى الكاظم الذي وجد على قبر الصحابي[٤] « سلمان الفارسي » • وفي ضريح جمال‌الدين بن العاقولي[٥] تعد بحق قِطَعاً فنية رائعة • وقد صنع المَلْبَن

(١) المدرسة المستنصرية ٦٨ والمدرسة الشرابية ١٨ ـ ٢٠ • وتاريخ علماء المستنصرية ٤٥ و١٨٣ واللوحات ٣ ، ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ •

(٢) وجيه‌الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي التاجر المثري الكبير المتوفى سنة ٦٧٠هـ وكان معظما عند الملك الظاهر وكانت له بدمشق مدرسة لا تزال موجودة • كما كان له رباط بقاسميون دفن فيه • وكان نجم‌الدين البادرائي البغدادي قد ولاه ناظرا على المدرسة البادرائية التي انشأها بدمشق • [راجع الدارس للنعيمي ١ : ٢٠٦ و٢ : ١٩٣ ، ٣٦٤] •

(٣) دمشق في العصر الايوبي ص ٦٦ •

(٤) دليل خان مرجان ص ٣١ اللوحة ٢٦ •

(٥) تاريخ علماء المستنصرية ص ١٢٩ ـ ١٣٣ اللوحة ١٨ ودليل خان مرجان ص ٣٤ اللوحة ٢٩ •

الأول في خلافة المستنصر ٦٢٤هـ وعُمل الثاني سنة ٧٢٨هـ وهما اليوم من التحف القيمة في دار الآثار العربية ببغداد •

ومن الزخارف النافرة المحفورة على الآجر ببراعة ومهارة : زخارف المدارس البغدادية الثلاث التي لا تزال ماثلة وهي : المدرسة الشرابية ، والمدرسة المستنصرية ، والمدرسة المرجانية • والكتابات البارزة في المدرستين الأخيرتين وكذلك المقرنصات التي تكثر بوجه خاص بالمدرسة الشرابية ، وتحت أحواض المآذن القديمة • ولا تزال هذه المقرنصات Stalactites تستعمل في العراق في المباني الخاصة ، ولاسيما في المساجد والمآذن[1] • فإذا اضفنا الى ذلك الزخارف الجصية ، والجبسية في سامراء ، والأندلس ، والمغرب والزخارف الفخارية من نوع الباربوتين النانيء Barbotine والكتابات ، والزخارف الآجرية الأخرى في قنطرة حربى سنة ٦٢٩هـ وفي خان مرجان سنة ٧٦٠هـ والزخارف الخشبية ، والرخامية ، والنحاسية في الموصل • وكَفْت المعادن في العراق ، والشام ، ومصر ، والأندلس ، وما كان يرسمه الرسامون ، والمطرزون ببغداد والقاهرة[2] وغيرهما بالذهب ، والحرير ، والقصب ادركنا انه لا يمكن بحال من الأحوال التوصل الى مثل هذه النتائج الدقيقة الباهرة في البناء ، والزخرفة ، والكتابة ، بدون رسوم أو تصاميم •

---

(١) المدرسة الشرابية ١٨ ـ ٢٠ •

(٢) المنتظم ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٥١ و١٠ : ٩٥ والمقريزي ١ : ٤١٧ و٢ : ٣١ •

الملاحق

الملحق الاول
جدول بقسم من المدن العربية قبل الاسلام

آ ـ مدن الحجاز :

١ ـ مكة
٢ ـ يَثْرِب
٣ ـ الطائف
٤ ـ وادي القُرَى
٥ ـ يَنْبُع
٦ ـ الجُحْفَة
٧ ـ جَبَلَة
٨ ـ تَيْماء
٩ ـ مَدْيَن
١٠ ـ تَبُوك
١١ ـ الحِجْر
١٢ ـ جُدَّة
١٣ ـ ودّان
١٤ ـ فَيْد
١٥ ـ الأَبْواء
١٦ ـ أمج
١٧ ـ بزواء
١٨ ـ دُوْمَة الجَنْدل
١٩ ـ الديدان
٢٠ ـ السقيا
٢١ ـ صفينة
٢٢ ـ مِنَى
٢٣ ـ المَجاز
٢٤ ـ مَجَنَّة
٢٥ ـ قرح
٢٦ ـ خَيْبر
٢٧ ـ حِصْن العشيرة
٢٨ ـ العَيْص
٢٩ ـ نطاة
٣٠ ـ البحار
٣١ ـ حباشة
٣٢ ـ الحديثة
٣٣ ـ القاحلة
٣٤ ـ القرعاء
٣٥ ـ قرن
٣٦ ـ الجار

ب ـ مدن اليمن :

١ ـ صنعاء
٢ ـ ظِفار
٣ ـ ضروان
٤ ـ مِرْباط
٥ ـ نَجْران
٦ ـ جُرَش
٧ ـ حُدَيْلة
٨ ـ تبالة

٩ ـ بينون

١٠ ـ عدن

١١ ـ صُحار

١٢ ـ جون

١٣ ـ جيش

١٤ ـ سبأ

١٥ ـ ناعِط

١٦ ـ الكسر

١٧ ـ آب

١٨ ـ ذو اشرف

١٩ ـ بِرْك الغِماد

٢٠ ـ الحيق

٢١ ـ حضور

ج ـ مدن اليمامة :

١ ـ اليمامة

٢ ـ حجر

٣ ـ صعفوق

٤ ـ الوشم

٥ ـ القرية

٦ ـ مرآة

٧ ـ أباض

٨ ـ أحسن

٩ ـ أكمة

١٠ ـ بلاد

١١ ـ نطاع

١٢ ـ الجدار

١٣ ـ الحاتمية

١٤ ـ حائل

١٥ ـ قَرْقَرَى

١٦ ـ الباقرة

١٧ ـ الحديقة

١٨ ـ الثقب

١٩ ـ الهدّار

٢٠ ـ منفوحة

د ـ مدن البحرين :

١ ـ هَجَر

٢ ـ القطيف

٣ ـ الأحساء

٤ ـ المُشَقَّر

٥ ـ حوارين

ملاحظة : هناك عدد كبير من المدن الاخرى ، والقرى ، والحصون التي تشبه المدن حفلت بها المعاجم ، وكتب البلدان ، لم نذكرها في هـذا الجدول الموجز لأن ما ذكرناه من المدن العربية قبل الاسلام في هذا الجدول انما كان على سبيل المثال لا الحصر .

الملحق الثاني

اختطاط المدن العربية في خلافة الراشدين

الرقم	اسم المدينة	سنة بنائها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
١ ـ	البصرة	١٤هـ	عُتْبة بن غَزوان	عمر بن الخطاب
٢ ـ	الكوفة	١٧هـ	ابو الهَيَّاج الأسدي	عمر بن الخطاب
٣ ـ	جَبَلَة بساحل الشام	١٧هـ	معاوية بن ابي سفيان	عمر بن الخطاب
٤ ـ	تَوَّجّ أو تَوَّز بفارس	١٩هـ	عثمان بن ابي العاصي	عمر بن الخطاب
٥ ـ	الفُسطاط	٢١هـ	عمرو بن العاص	عمر بن الخطاب
٦ ـ	حديثة الموصل	ـ	هَرْثَمة بن عَرْفَجة البارقي الأزدي ثم اعادها مروان بن **محمد**	عمر بن الخطاب
٧ ـ	الموصل	ـ	هَرْثَمة بن عَرْفَجة البارقي	عمر بن الخطاب
٨ ـ	حديثة الفرات أو حديثة النورة	٢١ ـ ٢٢	ابو مِدلاج التميمي	عمر بن الخطاب
٩ ـ	قزوين	مصّرها بين ٢٩ ـ ٣٤هـ	سعيد بن العاص	عثمان بن عفان

الملحق الثالث

اختطاط المدن العربية في خلافة الامويين بالشام ٤٠ ـ ١٣٢هـ

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافه
١ ـ	مُكْران	٥٠ ـ ٥٣هـ	سِنان بن سَلَمَة بن المُحَبَّق الهُذَلي	معاوية بن ابي سفيان
٢ ـ	القيروان	٥٥هـ	عُقْبَة بن نافع الفِهري	معاوية بن ابي سفيان
٣ ـ	حُلوان مصر	٧٠هـ	عبدالعزيز بن مروان	عبدالملك بن مروان
٤ ـ	باجَدّا بين راس عين والرقة	ـ	أُسَيْد السُّلَمِي	عبدالملك بن مروان
٥ ـ	واسط	(٧٥) أو ٨٣هـ	الحجاج بن يوسف الثقفي	عبدالملك بن مروان
٦ ـ	عَسْكَر مُكْرَم	٧٥ ـ ٩٥	مُكْرَم بن مِعزاء الحارث	عبدالملك بن مروان
٧ ـ	النِّيل في العراق	حوالي ٨٣هـ	الحجاج بن يوسف الثقفي	عبدالملك بن مروان
٨ ـ	قُمْ	٨٣هـ	طَلحة بن الأحوص الاشعري	عبدالملك بن مروان
٩ ـ	شيراز	٧٥ ـ ٩٥هـ	محمد بن القاسم الثقفي	الوليد بن عبدالملك
١٠ ـ	الرَّملَة	٩٧ ـ ٩٩هـ	سليمان بن عبدالملك	الوليد بن عبدالملك
١١ ـ	جرجان بين طبرستان وخراسان	ـ	يزيد بن المهلب بن ابي صفرة	سليمان بن عبدالملك

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
١٢ـ	المحفوظة بالسند	ـ	الحكَم بن عَوّام الكلبي	هشام بن عبدالملك
١٣ـ	اسد اباذ في نيسابور	١٢٠	اسد بن عبدالله القَسْري	هشام بن عبدالملك
١٤ـ	المنصورة بالهند	١٢٦	منصور بن جُمهور الكلبي	هشام بن عبدالملك
١٥ـ	الحُر بالموصل	ـ	الحُر بن يوسف الثقفي	هشام بن عبدالملك
١٦ـ	واسط الرقة	١٠٥ ـ ١٢٦	هشام بن عبدالملك	هشام بن عبدالملك
١٧ـ	كفر لاب بالشام	ـ	هشام بن عبدالملك	هشام بن عبدالملك
١٨ـ	تونس	ـ	حسان بن النعمان أو عبدالله بن الحَبْحاب	هشام بن عبدالملك
١٩ـ	رُصافة هشام	ـ	هشام بن عبدالملك	هشام بن عبدالملك
٢٠ـ	عكة	ـ	هشام بن عبدالملك ثم أحمد بن طولون	هشام بن عبدالملك
٢١ـ	حديثة الموصل	ـ	مروان بن محمد	مروان بن محمد

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
٢٢ـ	مراغة	ـ	مروان بن محمد عندما كان والي ارمينية وأذربيجان ثم خزيمة ابن خازم في خلافة الرشيد	مروان بن محمد
٢٣ـ	وَرْثان في آذربيجان	ـ	مروان بن محمد	مروان بن محمد
٢٤ـ	قصر ابن هُبَيْرة	١٢٨ ـ ١٣٢	يزيد بن هُبيرة	مروان بن محمد
٢٥ـ	حِصن منصور غربي الفرات قرب سُمَيْساط		منصور بن جَعْوَنَة العامري القيسي	مروان بن محمد
٢٦ـ	سَلَمْيَة أو سلَميّة		صالح بن علي العباسي	خلافة الامويين
٢٧ـ	مَرْعَش بين بلاد الشام وبلاد الروم		مروان الثاني ثم الرشيد	مروان بن محمد
٢٨ـ	مُنَسْتير في تونس بين المهدية وسوسة		الربيع بن سليمان القُرشي	مروان بن محمد

الملحق الرابع

اختطاط المدن العربية في خلافة العباسيين ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
١	هاشمية الكوفة أو قصر ابن هُبَيْرَة	١٣٢هـ	ابن هبيرة ثم السفاح	أبو العباس السفاح
٢	هاشمية السفاح	١٣٢هـ	أبو العباس السفاح	أبو العباس السفاح
٣	نصر اباذ بالري	ـ	نصر الخزاعي	أبو العباس السفاح
٤	عسكر مصر	١٣٣هـ	صالح بن علي العباسي أو أبو عون عبدالملك بن يزيد	أبو العباس السفاح
٥	الأنبار	١٣٦هـ	جددها السفاح	أبو العباس السفاح
٦	المعمورة أو المَصِّيْصَة	١٣٩هـ	أبو جعفر المنصور	أبو جعفر المنصور
٧	مَلَطْيَة	١٤٠هـ	عبدالوهاب بن ابراهيم الامام	أبو جعفر المنصور
٨	أَدَنَة	١٤١ أو ١٤٢هـ	صالح بن علي العباسي	أبو جعفر المنصور
٩	بغداد	١٤٥هـ	المنصور	أبو جعفر المنصور

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
١٠-	عسكر المهدي أو رُصافة بغداد	١٥١هـ	المهدي	أبو جعفر المنصور
١١-	الرافقة	١٥٥هـ	أبو جعفر	أبو جعفر المنصور
١٢-	المحمدية بالري أو الري أو مهدي اباذ	١٥٨هـ	عمّار بن الخصيب	أبو جعفر المنصور
١٣-	الحُطَمِيّة من نواحي الخالص	—	السَّرِيّ بن الحُطَم	——
١٤-	رصافة الكوفة	—	أبو جعفر المنصور	أبو جعفر المنصور
١٥-	سيروان قرب الري	—	المهدي	أبو جعفر المنصور
١٦	المنصورة بالهند	—	عمرو بن حَفْص المُهَلبي	أبو جعفر المنصور
١٧-	مدينة موسى بقزوين وهي مُوسَيَاباذ	—	موسى الهادي	المهدي
١٨-	الرَّقَّة	—	علي بن سليمان بن علي العباسي	الرشيد

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
١٩ـ	الحَدَث أو الحمراء أو المحمدية أو المهدية	١٦٩هـ	علي بن سليمان بن علي العباسي وأعاد عمارتها محمد بن ابراهيم في خلافة الرشيد ثم سيف الدولة الحمداني	المهدي
٢٠ـ	كفربيا بازاء المَصِّيْصة		المهدي أو الرشيد	المهدي أو الرشيد
٢١ـ	سِيْسَر بجوار همدان	ـ	سلمان بن قيراط وسلام الطيفوري	المهدي والامين
٢٢ـ	الصالحية	ـ	عبدالملك بن صالح	الرشيد
٢٣ـ	الكنيسة السوداء بثغر المَصِّيصة	ـ	الرشيد	الرشيد
٢٤ـ	الهارونية	١٨٣هـ	هارون الرشيد	الرشيد
٢٥ـ	طرسوس	١٩٠هـ	سليمان خادم الرشيد	الرشيد
٢٦ـ	سعيد اباذ	ـ	محمد بن واصل الحنظلي	الرشيد
٢٧ـ	مَرْعَش	ـ	الرشيد	الرشيد

الرقم	اسم المدينة	سنة تأسيسها	مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
٢٨ـ	عَيْن زَرْبَى	ـ	الرشيد	الرشيد
٢٩ـ	العباسية	ـ	ابراهيم بن الاغلب	في عهد الاغالبة
٣٠ـ	قصر قيروان	١٨٤هـ	ابراهيم بن الاغلب بن سالم	في عهد الاغالبة
٣١ـ	رقّادة	٢٦٣هـ	ابراهيم بن أحمد بن الاغلب	في عهد الاغالبة
٣٢ـ	رُصافة القَيْروان	ـ	ـــ	ـــ
٣٣ـ	سُوْسَة	ـ	زيادة الله بن الاغلب	في عهد الاغالبة
٣٤ـ	المَطِيْرة	ـ	مَطِيْرَة بن فزارة الشيباني	المأمون
٣٥ـ	مدينة المبارك بقزوين	ـ	مبارك التركي	المأمون أو المعتصم
٣٦ـ	رَحْبَة مالك بن طَوْق	ـ	مالك بن طَوْق التَّغْلِبِي	المأمون أو المعتصم
٣٧ـ	المتوكلية أو شمكور في ارّان	ـ	بُغا	المعتصم
٣٨ـ	البيضاء بالسند	ـ	عمران بن موسى البرمكي	المعتصم
٣٩ـ	سامراء	٢٢١هـ	المعتصم	المعتصم
٤٠ـ	قادسية سامراء	»	المعتصم	المعتصم

الرقم	اسم المدينة		مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
٤١ـ	تِنِّيْس بمصر	ـ	عيسى بن منصور الخراساني وعَنْبَسَة الضَّبِّي	الواثق والمتوكل
٤٢ـ	الايتاخية أو المحمدية بسامراء	ـ	ايتاخ التركي	المتوكل
٤٣ـ	الماحوزة أو متوكلية سامراء	٢٤٥هـ	المتوكل	المتوكل
٤٤ـ	جزيرة ابن عمر	٢٥٠هـ	الحسن بن عمر التغلبي	ــــ
٤٥ـ	وَلْوالِج (خلف بَلْخ)	ـ	نَصْر بن بِسطام	ــــ
٤٦ـ	والِج	ـ	مزاحم بن بِسطام	ــــ
٤٧ـ	مدينة جابر بن الرَّي وقزوين	ـ	جابر الزِّمَّاني	ــــ
٤٨ـ	تبريز	ـ	اَلْوَجْناء بن الرَّوَّاد الأزدي	المتوكل
٤٩ـ	مَرَنْد في اذربيجان	ـ	البَعِيْث وابنه محمد	المتوكل
٥٠ـ	البَلَد أو الكَرَج	ـ	ابو دُلَف العِجلي	المتوكل
٥١ـ	الحَوَيْزة	ـ	دُبَيْس بن عفيف الأسدي	الطائع لله
٥٢ـ	القطائع	٢٥٦	أحمد بن طُولُون	

الرقم	اسم المدينة		مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافنه
٥٣ـ	العباسة	ـ	العباسة بنت أحمد بن طولون	
٥٤ـ	ارْبِل	ـ	مظفـــرالدين كُوكْبـــري بن زين‌الدين كوجك	المستنصر
٥٥ـ	شهرزور	ـ	روز الضحاك	
٥٦ـ	المختارة بالبصرة	٢٥٥هـ	الزنج	
٥٧ـ	الموفقية	٢٦٧هـ	الموفق بن المعتضد العباسي	
٥٨ـ	المدينة المنيعة قرب واسط	٢٦٧هـ	بهبوذ أو محمدعلي زعيم الزنج	ــــ
٥٩ـ	المنصورة بجوار طهيثا	ـ	ناصرالدولة الحمداني	
٦٠ـ	أُرْدُمُشْت		ناصرالدولة الحمداني	
٦١ـ	فخراباذ	ـ	فخرالدين البويهي	
٦٢ـ	فَراوة	ـ	عبدالله بن طاهر	
٦٣ـ	دهِسْتان	ـ	عبدالله بن طاهر	
٦٤ـ	الشَاذياخ أونيسابور	ـ	عبدالله بن طاهر	

الرقم	اسم المدينة		مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
٦٥ـ	احمد اباذ في قزوين	ـ	أبو عبدالله أحمد القزويني	
٦٦ـ	سمرقند ، أو (سُمران) أو المحفوظة		ـــــ	
٦٧ـ	سيِّد اباذ		ابن عُمَيْرَة	
٦٨ـ	جزيرة قيس او كيش			
٦٩ـ	سِيْف بني زهير			
٧٠ـ	سِيف آل المظفر			
٧١ـ	سِيف آل الصَّفَّار			
٧٢ـ	صَرْخَد بالاردن		بنيت قبل عهد نورالدين الشهيد	
٧٣ـ	قلعة عجلون		عزالدين اسامة بن مُنْقِذ	
٧٤ـ	الصالحية بدمشق		في حدود الخمسمئة بناها المقادسة	
٧٥ـ	طَوْد بمصر		درباس الكردي الاحول في عهد صلاح الدين الايوبي	

الرقم	اسم المدينة		مؤسسها	الخليفة الذي انشئت في خلافته
٧٦ـ	الحِلَّة أو الجامِعَيْن	٤٩٥هـ	سيف الدولة بن صدقة الأسدي	——
٧٧ـ	المنصورة بالبطيحة	ـ	مهذب الدولة في عهد بهاء الدولة بن عضد الدولة	القادر بالله العباسي
٧٨ـ	العِمادية	٥٣٧هـ	عماد الدين زنكي	عماد الدين زنكي
٧٩ـ	المجاهدية	٥٣٨هـ	مجاهد الدين بهروز	——
٨٠ـ	المنصورة بمصر	٦١٦هـ	——	الملك الكامل بن العادل
٨١ـ	الثغور الجزرية والثغور الشامية		——	

الملحق الخامس

اختطاط المدن في الجزيرة العربية

المدينة	المختط
١ ــ المدينة	في عهد الرسول (ص) والراشدين
٢ ــ الزُبَيْدِية في طريق مكة	زُبيدة زوجة الرشيد
٣ ــ زَبِيْد باليمن ٢٠٤هـ	جعفر مولى زياد الزيادي
٤ ــ المُذَيخِرَة باليمن ٢٠٦هـ	جعفر مولى زياد الزيادي
٥ ــ كَدْراء باليمن ٤٠٠هـ	حسين بن سلامة
٦ ــ مَعْقِر باليمن ٤٠٠هـ	حسين بن سلامة
٧ ــ المنصورة باليمن	سيف الاسلام طُغْتِكِيْن بن أيوب
٨ ــ الغمْر بالبحرين	محمد بن الغِمْر
٩ ــ قَلَهات بعُمان بعد ٥٠٠هـ	صاحب هرمز

الملحق السادس

اختطاط المدن العربية في عهد الأدارسة

١ ـ فاس : عُدْوة الاندلسيين	
سنة ١٩٢هـ	ادريس الثاني
٢ ـ فاس : عُدْوة القرويين	
سنة ١٩٣هـ	ادريس الثاني
٣ ـ حمزة	حمزة بن الحسن العلوي
٤ ـ سوق حمزة	حمزة بن الحسن العلوي
٥ ـ البصرة	ابراهيم بن القاسم بن ادريس
٦ ـ أصيلا	الادارسة
٧ ـ سبته	الادارسة
٨ ـ النكور	سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور
٩ ـ المدينة في نفزاوة	ـــــ
١٠ ـ تَنَس الحديثة ٢٦٢هـ	الكَرْكَدَن ، وابن عائشة ، والصقر صُهيب من الأندلسيين
١١ ـ وَهْران ٢٩٠هـ	محمد بن أبي عَوْن ، ومحمد بن عبدون من الأندلسيين

الملحق السابع

اختطاط المدن العربية في عهد الفاطميين في المغرب ومصر

المدينة	المختط
١ ـ المهدية بتونس ٣٠٣هـ	عُبَيْدالله المهدي
٢ ـ المَسِيلة أو المحمـــدية في المغرب ٣١٥هـ	علي بن حمدون الأندلسي
٣ ـ زَوِيلَة المهدية	عبيدالله المهدي
٤ ـ المنصورة ٣٣٧هـ	المنصور بن القائم بن المهدي
٥ ـ صَبْرة ٣٤٤هـ	اسماعيل بن القائم بن المهدي
٦ ـ القاهرة ٣٥٨هـ	جوهر الصَّقَلّي
٧ ـ مِيلَة ٣٧٨هـ	المنصور بن القائم بن المهدي
٨ ـ العزيزية (خمس قرى)	العزيز بن المعز الفاطمي

الملحق الثامن

المدن التي اختطها العرب في شمال افريقية على عهد الصنهاجيين ، والمرابطين ، والموحدين ، والمرينيين .

المدينة	المختط	الدولة
١ ـ أَشِيْر ٣٢٤هـ	زِيري بن مُناد	الدولة الصنهاجية
٢ ـ مِلْيانة	زِيري بن مُناد	الدولة الصنهاجية
٣ ـ قلعة حمَّاد ٣٧٠هـ	بُلُكِّيْن بن زِيري	الدولة الصنهاجية
٤ ـ المنصورية	المنصور بن يوسف بن زيري	الدولة الصنهاجية
٥ ـ مراكش ٤٧٠هـ	يوسف بن تاشْفِين	دولة المرابطين
٦ ـ مِكناسة الزيتون	يوسف بن تاشْفِين	دولة المرابطين
٧ ـ تلِمْسان الحديثة أو تافرزت	الملثمون أي المرابطون	دولة المرابطين
٨ ـ تلِمْسان القديمة أو اغادير	الملثمون أي المرابطون	دولة المرابطين
٩ ـ المَهْدية بمراكش	عبدالمؤمن الموحدي	دولة الموحدين
١٠ـ مدينة جبل طارق ٥٥٥هـ	عبدالمؤمن الموحدي	دولة الموحدين
١١ـ الرباط	المنصور الموحدي	دولة الموحدين
١٢ـ طُبْنَة سنة ٤٥٤هـ	عمر بن حفص المُهَلَّبي	زمن بني رستم

١٣- بَجاية أو الناصرية **٤٥٧هـ**	الناصر بن علْناس	تميم بن المعز بن باديس
١٤- تاهرت القديمة	عبدالخالق من بني رستم	في زمن بني ميمون
١٥- تاهرت الحديثة	عبدالرحمن بن رُستم	في زمن بني رستم
١٦- البيضاء خارج فاس ٦٧٤ - ٦٧٧هـ	أبو محمد عبدالحق المَريني	الدولة المرينية
١٧ - قصبة تطاوين أو تطوان **٦٨٥هـ**	السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق المَرِيْنِي	الدولة المرينية
١٨- مدينة تطاوين أو تطوان **٧٠٨هـ**	السلطان أبو ثابت عامر بن عبدالله المَرِيْنِي	الدولة المرينية
١٩- شفشاون	أبو الحسن علي بن موسى بن راشد	في زمن بني راشد

الملحق التاسع

المدن العربية في جزر البحر الابيض المتوسط

المدينة		
١ ـ قُبْرُس	بنى فيها معاوية بن ابي سفيان مدينة	عثمان بن عفان
٢ ـ جزيرة (اقريطش) « كريت »	الفاتح جنادة بن أبي أمية الأزدي	معاوية بن ابي سفيان
٣ ـ جزيرة رودِس	الفاتح جُنادة بن أبي أمية الأزدي	معاوية بن ابي سفيان
٤ ـ جزيرة أرواد	جُنادة بن أبي أمية الازدي	
٥ ـ الخندق في كريت	أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي	المأمون العباسي
٦ ـ بَلَرْم وتتكون من :		
أ ـ الخالصة .		في عهد الاغالبة والفاطميين
ب ـ حارة الصقالبة .		في عهد الاغالبة والفاطميين
حـ ـ مرسى البحر .		في عهد الاغالبة والفاطميين
د ـ حارة المسجد المعروفة بابن صقلاب		في عهد الاغالبة والفاطميين
		في عهد الاغالبة والفاطميين

هـ ـ الحارة الجديدة .	في عهد الاغالبة والفاطميين
و ـ البيضاء في بَلَرْم	في عهد الاغالبة والفاطميين
ز ـ العسكر في بَلَرْم	في عهد الاغالبة والفاطميين
٧ ـ المجاهدية وهي ميورقة من جزر الباليار	مجاهد بن عبدالله العامري

الملحق العاشر

المدن التي اختطها العرب في الاندلس (اسبانية والبرتغال)

المدينة	المختط
١ ـ قلعة أيوب	أيوب بن حبيب اللخمي
٢ ـ قرطبة	الامير عبدالرحمن الداخل وخلفاؤه من الامويين
٣ ـ رُصافة قرطبة	الامير عبدالرحمن الداخل الاموي
٤ ـ تُطيلة	الامير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل
٥ ـ مُرْسية أو تدمر	الامير عبدالرحمن الثاني الاموي
٦ ـ أُبَّدَة	الامير عبدالرحمن الثاني الاموي
٧ ـ طَلَمَنْكَة	الامير عبدالرحمن الثاني الاموي
٨ ـ مجريط (مدريد)	الامير محمد بن عبدالرحمن الثاني الاموي
٩ ـ أسْتُوريس (حصن أحدثه)	الامير محمد بن عبدالرحمن الثاني الاموي
١٠ ـ اشبونة وهي شنتبونة في البرتغال	عمرها المسلمون
١١ ـ الزهراء ٣٢٥هـ	الخليفة عبدالرحمن الناصر الاموي
١٢ ـ الزاهرة	الحاجب المنصور المعافري
١٣ ـ مدينة سالم (الجزيرة الخضراء) أو « الثغر الاوسط أو الأدنى »	جددها المسلمون وأسسوا فيها مدينة
١٤ ـ اشبيلية (وتسمى حِمص)	بنو عباد اللخميون
١٥ ـ غرناطة	بنو الأحمر أو بنو نَصْر من الخزرج
١٦ ـ دانية	مجاهد العامري

المراجـــع

١ ـ فتوح البلدان : البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٩٣٢م ·

٢ ـ تاريخ الرسل والملوك : ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ القاهرة ١٩٦٢م وليدن ·

٣ ـ مروج الذهب : المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ القاهرة المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦هـ ·

٤ ـ تحفة الامراء في تاريخ الوزراء : هلال بن المحسن الصابيء المتوفى سنة ٤٤٨هـ طبعة آمدروز بيروت ١٩٠٤م ·

٥ ـ الوزراء والكتاب : الجهشياري المتوفى في القرن الرابع الهجري : مطبعة مصطفى البابي الحلبي : مصر سنة ١٩٣٨م ·

٦ ـ تأريخ بغداد : الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ مطبعة السعادة · مصر ١٩٣١م ·

٧ ـ المنتظم في تاريخ الامم : ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ ·

٨ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥ و٥٦ و٥٧ و٥٨ و١٩٥٩م ·

٩ ـ الكامل في التاريخ : ابن الاثير المتوفى سنة ٦٢٩هـ · القاهرة · مع أخبار الدول للقرماني ·

١٠ ـ مراصد الاطلاع في معرفة الامكنة والبقاع : عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩هـ : دار احياء الكتب العربية ·

١١ ـ نزهة القلوب حمدالله المستوفي القزويني المتوفى سنة ٧٤٠هـ الترجمة الانكليزية للسترنج · طبعة ليدن ١٩١٩م ·

١٢ ـ مناقب بغداد : المنسوب خطأ لابي الفرج بن الجوزي · مطبعة دار السلام بغداد سنة ١٣٤٢هـ ·

١٣ ـ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية : محمد لسان‌الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧١٣هـ · مطبعة التقدم الاسلامية · تونس ـ سنة ١٣٢٩هـ ·

١٤ ـ مطالع البدور في منازل السرور : علاءالدين علي بن عبدالله البهائي الغزوري المتوفى سنة ٨١٥هـ · القاهرة مطبعة ادارة الوطن سنة ١٢٩٩هـ ·

١٥ ـ تقويم البلدان : أبو الفداء ·

١٦ ـ صبح الاعشى : للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي : المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩١٤م ·

١٧ ـ الدارس في تاريخ المدارس : عبدالقادر النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ مطبعة الترقي بدمشق ج ١ سنة ١٩٤٨ و ج ٢ سنة ١٩٥١ ·

١٨ ـ القاموس المحيط : الفيروز ابادي ·

١٩ ـ اللمعات البرقية في النكت التاريخية : شمس الدين بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ مطبعة الترقي • دمشق ١٣٤٨هـ •
٢٠ ـ ارشاد القاصد الى اسمى المقاصد : شمس الدين محمد بن ابراهيم ابن ساعد الانصاري السنجاري « المعروف بابن الاكفاني » • بيروت ١٣٢٢هـ •
٢١ ـ الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل : مجير الدين الحنبلي العليمي • المطبعة الوهبية ـ القاهرة ١٢٨٣هـ •
٢٢ ـ الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى : السلاوي : أحمد بن خالد الناصري : الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦م •
٢٣ ـ غزوات العرب : الامير شكيب ارسلان • مطبعة الحلبي • مصر سنة ١٣٥٢هـ •
٢٤ ـ تاريخ عمرو بن العاص : الدكتور حسن ابراهيم حسن • مصر • مطبعة المعارف سنة ١٩٢٦م •
٢٥ ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس : ابن ابي زرع أبو عبدالله محمد بن عبدالحليم • الرباط سنة ١٩٣٦م •
٢٦ ـ الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية : شكيب ارسلان • المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٦م •
٢٧ ـ المدخل في مساجد القاهرة ومدارسها : أحمد فكري دار المعارف بمصر ١٩٦١م •
٢٨ ـ دمشق في العصر الايوبي : ياسين الحموي المطبعة الهاشمية • دمشق سنة ١٩٤٦م •
٢٩ ـ دليل متحف الآثار العربية في خان مرجان ببغداد ، مديرية الآثار القديمة • مطبعة الحكومة • بغداد سنة ١٩٣٨م •
٣٠ ـ بغداد في خلافة العباسيين : لسترنج مطبعة جامعة اوكسفورد • لندن سنة ١٩٠٠م •
٣١ ـ المدرسة المستنصرية : ناجي معروف • بغداد ١٩٣٥م •
٣٢ ـ المدرسة الشرابية : ناجي معروف • مطبعة العاني ببغداد ١٩٦١م •
٣٣ ـ تاريخ علماء المستنصرية : ناجي معروف • مطبعة العاني بغداد ١٩٥٩م •
٣٤ ـ صفة جزيرة الاندلس « منتخبة من كتاب الروض المعطار من خبر الاقطار » ليفي بروفنسال •
٣٥ ـ تاريخ الادب الجغرافي العربي : كراتشكوفسكي ترجمة صلاح عثمان هاشم • القاهرة سنة ١٩٦١م •
٣٦ ـ فتوح مصر : ابن عبدالحكم • القاهرة ١٩٦١م •

العربية في الاعلام

الدكتور ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كنت قد استقريت الاعلام العربية في العراق في مقالة نشرتها في هذه المجلة عرضت فيها لاعلام العراقيين العرب ولاعلام العراقيين غير العرب من كرد وتركمان • وأريد في هذه المقالة أن أعرض للاعلام العربية في بلاد أخرى عربية كانت ام غير عربية • ولا أدعى أن عرض هذا سيأتي على الاعلام العربية في جميع البلدان ، ذلك أني لم أصب في استقرائي الا جملة من البلاد تهيأ لى عنها معلومات خاصة نتيجة البحث في الوثائق المكتوبة من كتب وصحف وغيرها •

وهأنا ابدأ هذه السلسلة بأعلام شبه جزيرة العرب فاعرض للاعلام البدوية فيها مما هو شائع في بلاد نجد وما جاورها من البلاد • وأعلام شبه الجزيرة العربية متشابهة ذلك ان الصبغة البدوية واضحة فيها ولا يشذ عن هذه الاعلام الا ما هو مستعمل في أطراف الجزيرة من البلاد ، أي ما اطلق عليه جغرافياً اسم بلاد الهلال الخصيب كالعراق وبلاد الشام في مدلولها التاريخي الجغرافي القديم ، وهذا يعنى أن هذه البلاد قد ابتعدت عن البداوة وخلدت الى حضارات مختلفة منذ قرون عديدة •

ولابد أن نشير الى أن اعلام هذه الجهات وان اتصفت بالبداوة التى سنتبينها ، فقد ورد منها ما هو معروف مسموع عند أهل الحواضر • ومن ذلك الاعلام السامية القديمة ولا سيما العبرية منها نحو : (ابراهيم) ويلفظ بين البدو (براهيم) ، و (اسماعين) ويلفظ (سماعين) كما هي الحال في بادية نجد ، و (جبرين) و (دايود) يريدون به (داود) و (ادريس) ويلفظ عندهم (دريس) •

وقد شاركوا المتحضرين في طريقة اطلاق العلم المضاف الى لفظة

الجلالة نحو : (عبدالله) و (جودالله) و (ضيف الله) و (جلب الله)[١] و (جارالله) و (دخيل الله)[٢] و (عطاالله) • على ان هذه الاعلام قد تأتي مفردة غير مضافة نحو (عبد) و (عبود) و (عبيد) بالتصغير و (عطا) و (عطوان) و (عطية) و (جوده) و (جويد) و (دخيل) و (داخل) •

الاعلام الدالة على صفات(٣) :

والغالب في هذه الاعلام أنها صفات حسنة ، على أنها لا تخلو من صفات أخرى سلبية اطلقت لسبب من الاسباب وسنعرض لذلك ما اسعفنا الاستقراء•

ومن هذه الاعلام : (صالح) و (صويلح) و (بشار) و (بشير) و(بشران) و (فَرح) و (فريح) بالتصغير و (فارح) و (مفرح) و (فرحات) و (فريحة) و (مبارك) و (مبروك) و (مبروكة) و (مباركة) و (جبر) و (جابر) و (جابرة) و (جبّار) •

على ان الاسم (محمد) شائع جداً ولا حاجة ان نعلق على هذا غير أن البدو يلفظونه (محِمَّد) بهذا الشكل الذى لا يعرفه المتحضرون • غير ان البدو يستعملون مادة (حمد) كثيراً في اعلامهم فعندهم (احمد) و (حَمَد) و (حْمَيد)[٤] بالتصغير و (حْمود) و (حامد) و (حمدان) و (حماد) و (حْميده) و (حميدان)[٥] و (محيميد) •

---

(١) الدلالة في هذا العلم ان المسمى به يكون امينا لربه أمانة الكلب لصاحبه •

(٢) ربما لا يوجد بين الاعلام الاضافية ما كان مضافا الى (الدين) على طريقة أهل الحواضر المتمدنة •

(٣) اعتمدت في هذا الباب على ما استقريته بنفسي وعلى ما كتبه الاستاذ ليتمان في مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الاول ، المجلد الحادي عشر الجزء الاول ١٩٤٩ •

(٤) هذا التصغير معروف في الفصيح ويطلقون عليه تصغير الترخيم وهو (حُمَيد) •

(٥) تكثر صيغة (فعيلان) في الاعلام النجدية أو قل البدوية وهي صيغة من صيغ التصغير السماعية ذلك ان زيادة الالف والنون فيها من مادة التصغير وليست هي زيادة الوصف كما في الفصيح المشهور • ومثل هذا : (دْهيران) و (صْليبان) و (بْنيّان) و (نخيلان) و (سعيدان) والخ •

و (سْعود) و (سعدون) و (سعيّد) بالتصغير و (مسعود) و (مْسيعيد) و (مسيعيدة) و (سعيدان) و (زايد) و (زويّد) بالتصغير و (مزيد) و (زياد) و (زايده) •

و (نور) و (نوّار) و (نوره) و (نويران) • و (ضاوى) و (ضُوية) و (ضاوية) و (سالم) و (سويلم) و (سلام) • و (عامر) و (عمير) و (عويمر) و (عمران) و (معمر) و (عمر) تفاؤلا بطول العمر ، ومثل هذا (عيّاش) و (عويّش) بالتصغير و (عايش) و (عايشة) و (عويشة) •

ومن الاعلام ما دل على صفات تدل على الشر ولكن الشر المقصود على الاعداء فمن ذلك (دامغ) أي يدمغ اعداءه و (عادى) و (عدّاى) و (عَدوان) اي أنه يواجه اعداءه بالعداوة •

ومن ذلك ما يستفتحون به في الغلبة والنصر نحو (غالب) و (غلاب) و (غانم) و (غنام) و (فايز) و (فوّاز) و (غازي) و (غزّاي) و (غزوة) و (غزّية)[٦] و (شجاع) و (غاضب) و (مغضب) و (متعب)[٧] و (فارس) •

ومن الاعلام الدالة على صفات ما يشير الى لون او صفة في الجسم نحو: (اسمر) و (سمرون) و (سمّير) بالتصغير و (سميران) • و (اسود) و (سويّد) و (سويدان) و (اسيود) و (اخضر) و (خَضَر) و (خضيّر) و (خِضِر) • و (ادعج) و (دعيّج) و (دْعَيا) بالتخفيف و (دعيجة) • و (فحيمان) اى لونه كالفحم •

و (شريّم) تصغير اشرم و (خشيّم) اى ذو الانف الصغير و (شامان) اي ذو الشامة • و (زِگمان) ذو الانف الطويل لان (زگم) تعنى الانف عند أهل نجد •

---

(٦) ربما كانت (غزوة) و (غزية) من اعلام الاناث اشارة الى ان المولودة قد ولدت ابان الغزو •

(٧) واستعمالهم (متعب) قد يراد به أنه اتعب امه في حمله ووضعه أو أنه متعب لاعدائه •

الاعلام المأخوذة من أسماء الحيوان :

وعادة اطلاق العلمية من أسماء الحيوان قديمة معروفة ، فقد ذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق الشيء الكثير من ذلك ، ومعلوم أن أسماء الحيوان التى وردت في هذا الكتاب هى مما هو معروف مشهور في بلاد العرب • نحو (ضب) و (ظبي) و (ظبية) و (خنزير) و (يحمور) و (يعفور) و (قطاة) و (عقاب) و (نسر) و (حية) و (عقرب) وغير ذلك •

وما زالت هذه الاعلام معروفة في بادية نجد وما جاورها من المواطن التى اتصفت بالبداوة ومنها : (أسد) و (سبع) و (شبل) و (شبلى) و (نمر) و (فهد) و (فهاد) و (فهيدان) و (ذيب) و (ذيبان) و (ذياب) و (ذويب) و (سرحان) و (سريحان) • ويطلق على ابن آوى (واوى) •

اما (الكلب) فيسمون به ويلفظونه (چلب) وقد تقدم الكلام على (چلب الله) • و (ثعلب) و (حصينى) •

و (القنفذ) علم مستعمل ولكن بابدال القاف الى الكاف الثقيلة گنفذ•

ومنها (اليربوع) ويلفظ (جربوع) او بهيأة التصغير (جريبيع) •

ومنها (الجمل) ويلفظ (جِمل) و (مخلول) و (مخليليل) بالتصغير والمخلول بلغة أهل البادية الجمل الصغير الذي في انفه خلال •

ومنها (العنز) ويشتق منه (عنّاز) و (عنيزان) للعلمية • ومن اعلام أهل نجد (جدى) وأكبر الظن انه سمى باسم الكوكب الذي هو الجدى ، وهم يتسمون بـ (تويسان) وهو تصغير التصغير لـ (تيس) وقد ذكر الاستاذ Hess [٩] : ان اكابر العشيرة يلقبون بالتيوس •

ومنها (الغزالة) فهم يسمون بـ (غزال) و (غزالة) و (غزيّل) بالتصغير ومن اسماء الغزال عند اهل نجد (عفرى) بضم العين وتصغيرها (عفيرى) وكذلك يسمون بـ(ظبى) و (ظبية) •

وكذلك يسمون بـ (برغش) و (برغوث) و (جراد) وغير هذا من الحيوان المعروف عندهم •

---

(٨) ابن دريد ، الاشتقاق (أنظر فهرس الاعلام) •

(٩) مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الاول) المجلد الحادي عشر ج ١ ص ١٤ •

الاعلام المأخوذة من أسماء النبات :

من اعلام اهل نجد (تامر) و (تمر) و (رمانة) و (زهر) و (شرى) و (وشريان) والشرى هو الحنظل ، و (شمروخ) و (شميريخ) وهو قسم من عذق التمر •

الاعلام الدالة على الزمان :

النجديون وسائر الجماعات البدوية ولا سيما تلك المواطن المجاورة لهم كبادية الشام وجزيرة العراق وجنوبى نجد متشابهة في اعلامها وفي طرائق اختيار العلم ، فمن هذه أنهم يختارون الازمنة المعروفة كاسماء الايام واسماء الشهور والمناسبات الاخرى التى تعرض لهم وسنأتي على بيان هذا كله •

فمن اسماء ايام الاسبوع أنهم يسمون بـ (خميس) و (جمعه) و (سبتي) لمن ولد يوم السبت •

ومن اسماء الشهور أنهم يسمون بـ (رمضان) و (رميضين) بالتصغير و (رجب) و (رجيب) كما يسمون بـ (صباح) و (صبيح) بالتصغير و (صبحان) ، و (ربيع) و (مربيع) و (ربعة) ، و(شاتى) و (شتوان) • وقد تعرض لهم حادثة طبيعية فتكون سببا فى اطلاق علم خاص على المواليد فى تلك الفترة ومن ذلك تسميتهم بـ (ثلج) و (ثالج) و (ثلاج) و (ثليج) و (ثليجان) و (وثلجة) •

ومنه أيضا (مُطَر) بضم الاول وفتح الثاني و (ماطر) و (مطيرة) و (طلة) أي ولدت عند سقوط الطل • وربما استفادوا العلم من مناسبة عرضت لهم كحادثة حرب أو غزو أو فتنة أو عرس أو صادف موسم الحج نحو : (حربية) و (محارب) و (غزوة) و (غزّاي) و (غازى) و (عرسان) و (عرسة) ، و (حاج) و (حجى) •

وقد يتخذون من فترة خاصة او زمن معين وسيلة لاطلاق العلم نحو :

(دهيران) لمن ولد في سنة اجدبت فيها الارض ولم يسقط المطر ، و (رحيل) و (رويحل) لمن ولد وقت السفر و (نازل) و (منيزل) لمن ولد عند نزولهم في مكان ما ، و (عيّاد) و (عيدة) و (عيّادة) لمن ولد ليلة العيد أو صباح العيد .

الاعلام الدالة على المكان :

وهذه معروفة عندهم كما هي معروفة عند سائر القرويين كتسميتهم بـ (وادى) و (منيهل) و (بادى) و (بدّاي) و (بديوى) . و (بريدة) وهذه نجدية ولدت في قرية (بريدة) .

و (بعيجان) وقد ولد عند بئر يقال له بعيجان . وهذا كثير لا حصر له .

ومن المفيد ان نشير أن تصنيف الاعلام على هذا النحو المتقدم يخص شبهالجزيرة العربية كلها ما خلا ما سمي جغرافيا بلاد الهلال الخصيب الذى تتسم الاعلام فيه بطابع متحضر يبعد عن البداوة بنسب مختلفة بين قطر وقطر .

ولا اريد ان أنهي هذا القسم دون ان اشير الى ان القبائل أو الاسر الكبيرة في جنوبى اليمن وبلاد حضرموت لها اسماؤها المصدرة بـ (با) والمراد بذلك (ابو) وهذا التركيب ليس على سبيل الكنية نحو (باكثير) و (بارباع) و (باخميس)(١٠) و (شراحيل) و (باعيد) و (باوزير) و (باجناح) و (بانافع) و (باصهى)(١١) .

العربية عند المسلمين من غير العرب :

كان الدين الاسلامي سببا في نشر العربية بين أمم شتى من غير العرب ، فقد دخل الاسلام افريقيا على أيدى المسلمين في الشمال

---

(١٠) بارباع وباخميس من باب استعارة أسماء أيام الاسبوع للعلمية كما مر بنا في غير هذا المكان .

(١١) باصهى لم يتيسر لنا معنى هذه التسمية .

الافريقي[١٢] فكان أن دخلت شعوب افريقية كثيرة في حوزة الاسلام ، كما قدر للاسلام أن يظل امماً اخرى في القارة الاسيوية حتى وصل الى الصين. وقد اضطر هؤلاء المسلمون الى أن يقرأوا القرآن وهكذا قدر للعربية ان تكون اللغة المقدسة لهذه الامم أو قل ربما أصبحت اللغة الثانية بعد لغتهم الأصلية يتعلمونها حبا وعقيدة •

ومن هنا ابقت العربية في لغات هذه الامم شيئاً كثيرا منها وسنعرض لهذا الدخيل في لغات هؤلاء مما ظهر في أعلامهم ، وكيف تأثرت هذه الاعلام العربية او قل المواد العربية بشيء خاص اكتسبته بفعل الاقليمية المحلية •

وسأعرض للاعلام العربية في غينيا الاسلامية وجمهورية النيجر الاسلامية مما اقتصر عليه استقرائي كتابة هذا البحث ، وعسى ان يتهيأ لى في قابل الايام شيء عن اعلام الاقاليم الافريقية الاخرى •

ومن الجدير بالذكر أن العربية في هذه الاعلام قد اكتسبت شيئاً مرده النطق المحلى اذ من المعروف ان لهذه الاقاليم لغاتها الخاصة الافريقية كما انها تعاني ازدواجية اللغات ، ذلك ان عامة هذه الاقاليم كانت مستعمرات تابعة اما الى بريطانيا او فرنسا وما زال قسم منها تابعا للحكم البرتغالي المباشر وهكذا فالانكليزية والفرنسية هما اللغتان اللتان يستعملهما جمهور كبير من الافارقة فى ميادين العلم والعمل • اما العربية فقد بقى لها الجانب الديني وان الافريقي يهواها ويحرص عليها ما تيسر له ذلك • ولقد كان لجامعة القرويين في المغرب الأقصى ، ولجامعة الزيتونة في تونس الفضل في تلقين العربية لهؤلاء الافارقة ، وهم يقصدون المغرب وتونس حتى يومنا هذا لهذا الغرض •

---

(١٢) بحثنا في « الاعلام في الشمال الافريقي » في مقالة نشرت في هذه المجلة العدد السادس ١٩٦٣ . كما نشرنا مقالة في مجلة الدراسات الادبية للجامعة اللبنانية عن « العربية في الاعلام الايرانية » .

الاعلام العربية في غينيا
أعلام الذكور

العلم	طريقة النطق المحلي	
محمد(١٣)	مامادي	Mamadi
محمود	ماموردو	Mamoudou
شيخ	سيكو(١٤)	Sekou
خليل	كالو	Kalou
طالب	طالبي	Talibi
الامين(١٥)	لامين	Lamin
القادر(١٦)	كادر	Kader
أحمد	أمادو	Amadou
ابراهيم	ابريما	Braïma
صديق	صديقي	Sidiki
عبدالله	بورلاي(١٧)	Boulay

(١٣) العلم (محمد) من الاعلام الشائعة ولكنه متأثر بالنطق المحلي (ما مادى) وهو يركب كثيرا مع غيره من الاعلام تبركا باسم النبي (ص) فيقال (ما مادى كالو) و (ما مادى سعيدو) .

(١٤) (شيخ) تصبح (سيكو) في النطق المحلي ومن الطريف ان نشير الى ان اسم رئيس الجمهورية الغينية وهو مسلم (سيكو توري) وهو يقابل (شيخ توري) وهنا تجاور الكلمة العربية (سيكو) الكلمة الغينية (توري) في هذا العلم المركب) .

(١٥) يراد بـ (الأمين) النبي محمد (ص) الملقب بـ (الأمين) ولهذا جاء محلىً بالالف واللام .

(١٦) التسمية بـ (القادر) كثيرة في افريقيا وربما كان ذلك تبركا بالصوفي المعروف الشيخ عبدالقادر الجيلي فالمعروف ان الطريقة الصوفية القادرية شائعة في افريقيا .

(١٧) لقد تغير (عبدالله) الى (بورلاي) ولم اهتد الى سبب هذا التغير الغريب .

سعيد	سعيدو	Sédou
سليمان	سولمانا	Solmana
عثمان	انسمانا	Amsamana
الحسن	لانسينه	Lansiné
الحسين	لانسانى	Lansani
ضياء	ديـا	Dia

هذه نبذة من الاعلام العربية في غينيا الخاصة بالذكور تتبين منها قدرة العربية على البقاء وتغلبها على غيرها من اللغات •

أعلام الاناث

العلم	طريقة النطق المحلي	
حواء	هوى	Hawa
آمنة	مناتـا	Minata
رقية	روكيتو	Rokétou
خديجة	كديـا	Kedia
زينب	جنبو	Djinalou
فاطمة	فنتـا	Fanta
سعاد	سوادو	Souwadou
رحمة	رماتـا	Ramata
عائشة	آيستا	Aïssata

وهذه جملة من اعلام الاناث وهى اعلام عربية ولكن الاستعمال المحلي قد احالها شيئاً آخر يخفى على غير العارفين ممن لم يعرف هذه الجهات • وأكبر الظن ان هذه الصور المحلية لهذه الاعلام العربية هى من باب ما يطلق على الصغار تحببا باحالة العلم الصحيح الى شيء آخر لغرض التحبب ثم يغلب هذا الشيء على صاحبه فيصير كأنه علم جديد لا علاقة له بأصله ، ألا ترى ان كثيرا من المتفيهقين من أهل زماننا يحيلون (سعاد) من اعلام الاناث الى (سوسو) لغرض التحبب للطفلة الصغيرة ومثل هذا ما يغلب على بعضهن فتسمى (عواشة) والمراد بها (عائشة) و (فطم) والمراد بها (فاطمة) و (خجة) والمراد بها (خديجة) وغير هذا كثير في اعلامنا الدارجة •

وفي جمهورية النيجر الافريقية شعب مسلم يعيش فيه البيض الى جوار السود وان كان البيض اقلية بالنسبة للجمهرة الغالبة من السود •

ومن المفيد ان نثبت هنا ان للبيض في هذه البلاد اعلاما عربية ما زالوا يستعملونها في صورتها العربية ، في حين ان السود لهم اسماؤهم النيجرية(١٨) •

ولنعرض للاعلام العربية عند النيجريين البيض فنؤكد ان غالبية الاسماء تصدر عندهم بـ (محمد) وقد يكون العلم (محمد) واسم أبيه (محمد) نحو : (محمد بن محمد) و (محمد الشريف) و (محمد حبيب الله) •

ومثل محمد (محمود) فعندهم (محمود بن محمود) •

والملاحظ ان هذه الاعلام ذات صبغة دينية نحو :

(محمد حبيب الله) و (محمد بن كنز التقى) و (عبدالصمد بن حبيب‌الله و (محمد بن خليل الرحمن) و (محمد بن الشفيع) و (محمد بن الامين) •

---

(١٨) الاعلام النيجرية ما كانت باللغة النيجرية وهي في الغالب نعوت استعيرت للعلمية نحو : (الديوان) ومعناه ذو حسب ، و (مود) ومعناها مضياف . و (تلجات) ومعناها بطل ، ولكن هذه الاعلام قد تأثرت بالعربية فالالف واللام لازمة في طائفة منها نحو : (الديوان) ، وربما وجدنا فيها أسماء عربية نحو : (موصى) وهو (موسى) و (كابوس) وتعنى المصيبة •

والاعلام الاضافية معروفة عندهم نحو : (عبدالصمد) و (عبدالكريم) و (عبدالفتاح) و (عبدالله) •

ومنها ما كان منسوباً نحـــو : (الحنفى) و (الملكى) و (التهامي) و (البوصيري) و (الحمادى)[١٩] و (محمد المدنى بن محمد بن محمد)[٢٠]•

أما اعلام الاناث البيض فهي كذلك عربية بخــلاف النساء السود فالغالب في اسمائهن أنها بلغة النيجر ، فمن اعلام النساء البيض ما يأتى :

(فاطمة) و (رقية) و (آسية) و (وديعة الله) و (عبيدةالله)[٢١] و (زهراء) و (البتول) و (رحمة) و (نعمة) و (هند) و (زاهدة) و (اميمة) و (خولة) و (الوسيلة) •

وكان ان دخل شيء من العربية في أقاليم نائية من آسيا الوسطى وهي اليوم الجمهوريات الداخلة في حضيرة الاتحاد السوفيتي نحو جمهوريـــة منغوليا والتتر والقـازاق وازبكستان وتاجســكتان وداغستان واذربيجـان وغيرها • وقد تبينا هذه العربية في الاعلام وها نحن نثبتها في هذا المكان معلقين عليها بما يصل اليه جهدنا في الاستقراء والاستنتاج •

الاعلام العربية في اللغة المنغولية[٢٢] :

ومنها (ابدولا) وهو (عبدالله) و (اسن) وهو (حسن) و (مادومادى) وهو (محمد) و (جلالِدُن) بكسر اللام وضم الدال وهو (جلال الدين) •

ولم يتيسر لنا ان نعرف من القازاقية الا اسم (قهمر) وهو (قمر) علما لمذكـر •

---

(١٩) وهذه الاعلام المنسوبة هي في الغالب محلاة بالالف واللام على وجه اللزوم •

(٢٠) ويشيع عندهم استعمال (ابن) بين العلمين كما هي الحال في كثير من الاقطار الافريقية • ومن الجدير بالذكر ان للمورتانيين طريقة أخرى وهو أنهم يستعملون (ولد) بين العلمين في معنى (ابن) • نحو (المختار ولد دادا) و (محمد ولد دادا) •

(٢٠) وتأنيث العبد واضافته الى لفظة الجلالة من الاعلام التي لم تعرف في غير هذه البلاد •

(٢٢) أفدت في هذا الباب مما سجله الزميل الفاضل الدكتور حسين علي محفوظ فله أجمل الشكر •

اما التترية فالاعلام العربية كثيرة واضحة كل الوضوح نحو :

(انور) و (ايسا) وهو (عيسى) و (حليل) وهو (خليل) و (حليم) و (زاريف) وهو ظريف (وزاكير) وهو (ذاكر) و (سابير) وهو (صابر) و (ساليح) وهو (صالح) و (ساتار) وهو (ستار) و (سهليم) وهو (سليم) و (شاكير) وهو (شاكر) و (غاريف) وهو (عارف) و (غليم) وهو (عليم) و (غازيز) وهو (عزيز) و (جغفر) وهو (جعفر) .

والذى نلاحظه في هذه الاعلام ان التتر يبدلون العين الى الغين ، وأنهم يطيلون في كسر ما قبل الحرف الاخير في اسم الفاعل حتى يحيلوا هذا الكسر الى مد طويل ، كما يطيلون في فتحة الحرف الاول من (فعيل) الصفة المشبهة نحو (غازيز) وهو (عزيز) .

ومن اعلام الاناث عندهم ما يجارى هذا النمط من النعوت الذىعرفناه في اعلام الذكور نحو : (رئيسة) و (سهليمة) وهى (سليمة) و (فاتيما) وهى (فاطمة) و (كهبيرا) وهي (كبيرة) و (كهريمة) وهي (كريمة) و (غيشة) وهى (عائشة) و (خديشة) وهى (خديجة) و (أمينة) و (لطيفة) و (صنية) وهى (سنية) و (صالخة) وهى (صالحة) و (حوا) و غزيزة) وهي (عزيزة) و (رزينة) و (رسمية) و (ارقية) و (صبغت) و (زينب) و (مرشدة) وغير هذا مما لا يبعد عن هذا النحو من النعوت المنقولة الى العلمية .

والذى نلاحظه أنهم يبدلون الغين بالعين ويبدلون الخاء بالحاء ، كما يبدلون بالجيم الشين ، ولهم طريقتهم في اطالة المد كما يتبين لنا من الاعلام التى رسمناها كما تلفظ بينهم .

ومن الاعلام القديمة عندهم (ايسا) وهو (عيسى) و (موسا) و (غُمَر) وهو (عمر) و (غثمان) وهو (عثمان) . ومن اضافاتهم الى لفظة الجلالة قولهم (كليمالله) و (غليم الله) و (شهيم الله) و (شيم الله) .

وقد يسمون بشيء من اسماء الاسبوع نحو : (جومايوم) والمراد به (الجمعة) من أيام الاسبوع .

ومما جاء من الاعلام العربية في اللغة الآجارية وهى لغة أجارستان

الواقعة الى الجنوب من كرجستان وهى على القرم ما نسجله الان :

(بديع) و (بديعة) و (بهيجة) و (حافظ) و (حافظة) و (سميح) و (سميحة) و (نعيم) و (نعيمة) و (ناظم) و (ناظمة) و (فاضل) و (فيضي) و (كاظم) و (عثمان) و (علي) و (فائق) و (رضا) و (نوري) وغيرها •

ومن الاعلام العربية في اللغة الباشغردية أى لغة باشغيريا ما يأتي :

(جه‌مال) وهو (جمال) و (قاهير) و (شاكير) و (جاحيز) اي (جاحظ) و (مسعوت) أي (مسعود) و (شه‌هيت) أي شهيد و (حه‌ليت) أي خالد و (عبدالاحت) أي (عبدالاحد)[٢٣] و (ساديق) أي (صادق) و (شفى) أي (شفيع) و (ساليح) أي (صالح) و (أسمان) وهو (عثمان) و (سَلَوات) أي (صلوات) و (مُحَمَّت) وهو (محمد) •

والذى نلاحظه في هذه الاعلام أن لغة باشغيريا تتفق مع التترية في موضوع اطالة الكسر في الحرف ما قبل الآخر من أسماء الفاعلين • ثم أنها تبدل بالدال في هذه الاعلام المثبتة تاء كما تبدل بالصاد سيناً وبالعكس •

ومن الاعلام العربية في جمهورية اذربيجان ما نثبته هنا[٢٤] :

(غـــلام) و (غفور) و (كبير) و (رؤوف) و (نبى) و (هلال‌الدين) و (شُكور) بضم الشين و (قهار) و (رحمة) و (رحمة الله) من اعـــلام الذكــور •

ومن اعلام الاناث نحو : (رابية) وتلفظ (ر بَا) و (مقدس) و (موجودة) و (مولودة) و (سعاده) و (مكرمه) و (حبيبة) و (محبوبة) و (حُمَيرة) بالتصغير و (شاهدة) و (ثريا) و (قمرى) و (مِنوّر) و (مشكورة) و (مستورة)

---

(٢٣) من الغريب ان يطلق الباشغيريون هذا العلم وهم مسلمون ذلك ان هذا العلم مما هو شائع من اعلام نصارى العراق وغيرهم من العــرب والنصارى •

(٢٤) افدت هذا مما استقريته بنفسي من الطلاب الوافدين الى العراق من مواطن جمهوريات الاتحاد السوفيتية المسلمين •

و (عرافت) و (مُحَرَّم)[٢٥] و (مُحَبَّة)[٢٦] .
و (عمرى) و (نورى)[٢٧] .
ومن الاعلام العربية في جمهورية ازبكستان ما نذكره :
(محمودوف سيف الدين) وهو (محمود) و (مرزا محمدوف صدّيق)[٢٨]
و (دوستمحمدوف يعقوب) و (شُكوروف) و (رؤوف) و (يحيايف) أي (يحيى) و (صابر طاهروف) و (موسايف الله‌بيردى) و (موسايف خدابيردى) و (موسايف عطاءالله)[٢٩] . و (شمس الدينوف رمزالدين)[٣٠] من اعلام الذكور .

اما اعلام الاناث فهي كما يلي : (ابراهيموفا مقدس)[٣١] و (رشيدوفا زُهرة) و (احمدوفا نظيرة) و (نوري پولاتوفا) أي فولاذ و (ملكة خان خالدوفا) و (أسدوفا منيرة) .

ومن الاعلام التاجيكية المعروفة في جمهورية تاجيكستان ما يأتي :

(ظفر ناظروف) و (كامل مسافروف) و (قاسم نسيموف) و (أحمد قادروف) و (مطهر خالقوف) و (عبدالجبار مَمَد جانوف) أي (محمد

---

(٢٥) (محرم) من اعلام الاناث ، والمشهور فيه عند العرب وغيرهم من المسلمين أنه من اعلام الذكور .

(٢٦) (محبة) من اعلام الاناث وهو اسم المفعول من الرباعي (احب) وهو غير معروف كثيرا ذلك ان الثلاثي (محبوب) يغنى عنه وقد ورد في الشاهد القديم

ولقد نزلت فلا تظني غيره   مني بمنزلة المحب المكرم

(٢٧) (عمرى) و (نورى) من اعلام الاناث وهما غير مختومان بعلامة التأنيث وهو على طريقة الاتراك في مثل هذه الاعلام .

(٢٨) العلم (صدّيق) ويصدر باللقب العائلي على طريقة الغربيين في تقديم اسم الاسرة على اسم الشخص واللقب في هذه الاعلام مختوم بـ (وف) على الطريقة الروسية .

(٢٩) العلم (موسايف) هو (موسى) مختوما بـ (يف) على الطريقة الروسية .

(٣٠) الاضافة الى كلمة (الدين) معروفة في اعلامهم كثيرا .

(٣١) الملاحظ ان اعلام الاناث تصدر باللقب العائلي مختوما باللازمة الروسية ولكنها مطلقة الآخر نحو (ابراهيموفا) .

جانوف) و (بابا عالموف) و (عالم شاه كريموف) و (قيوم غيوروف) و (واسع قيومّوف) و (اسماعيل خواجيوف) و (اسرافل اسماعيلوف) و (شمس الدين قمروف) و (رسول بابا جانوف)[٣٢] و (عظيم علي عسكروف)[٣٣] و (رحمت احمد جانوف) و (أمير قول صبوروف) و (قطبي كراموف) و (شرف الدين رزّاقوف) و (شاهين بهراموف) و (خنجر أمينوف) و (أسد باهروف) و (مَمَد كريم صديروف) و (ممد شيرزاد شايوف) و (علامة شرافوف) و (سراج الدين علاء الدينوف) و (مَمَد عزيز مرادوف) و (مصطفى قول شاه محمدوف) •

وتختلف اعلام الاناث عن اعلام الذكور في الزيادة اللازمة الاعجمية فالزيادة في اعلام الاناث تكون (وا) نحو : (فاطمة طاهروا) و (سلامت كبيروا) و (مملكت قادروا) و (عيادت كريموا) و (سلطنت شاكروا) و (زُهرا كريموا) و (شرافت زائروا) و (لطافت شرفوا) و (معتبر شرفوا) و (شرف صالحوا) و (گل بهار شريفوا)[٣٤] و (گل عِزار نظيروا) و (گلشَن صادقوا) و (منيره شمس الدينوا) و (سلامت خالدوا) و (صباحت نديروا) و (طلحت ناصروا)[٣٥] و (مبارك محمودوا)[٣٦] و (قمرى برهانوا) •

وقد تيسر للاسلام ان يدخل ارض البلقان على ايدي الاتراك وهكذا استقرت فئة مسلمة في كل دولة من دول البلقان • وبين هذه الجماعات الاسلامية نجد شيئا من العربية واضحا في اعلامهم ومن ذلك :

(مَحْمَد) أو (محمدوف) ، و (ابراهيم عليف) و (بيت الله) و

---

(٣٢) (بابا جان) من الاعلام المعروفة عند الكرد في العراق •

(٣٣) (علي عسكروف) علم مركب مختوم باللازمة الاعجمية •

(٣٤) (گل بهار شريفوا) من الاعلام التي اشتركت العربية والفارسية فيها •

(٣٥) المعروف ان (طلحة) من اعلام الذكور ولكن هؤلاء الاعاجم راعوا فيها اللفظ فلفظها مؤنث •

(٣٦) (مبارك) من الاعلام الشائعة بين العرب ولكنه عند هؤلاء الاعاجم قد استعير للمؤنث •

(شعبان) و (رمزية) و (فائق) و (فخري) و (ناجي) و (عبدالله) و (رافي) و (علي) و (صبري) و (حسان) و (فاطمة) و (بحرية) و (خيرالدين) و (صالحة) و (سليمان) و (عثمان) و (صليح) و (الماس) علما لانثى و (لوطفى) أي لطفى • والغالب في هذه الاعلام انها مقتبسة من الاعلام العربية الدائرة عند الاتراك •

ومن الطريف ان نختم هذه السلسلة بشيء من الاعلام العربية في بلدان الشرق الاقصى وسأقتصر في ذلك ما استعمل من ذلك في البلاد الاندنوسية فأقول :

أعلام الرجال : (نجم‌الدين) و (ماس‌الدين) و (ذهب‌الدين)[٣٧] و (سيف‌الدين) و (حسن‌الدين) •

اما الاعلام المصدرة بـ (عبد) فهي : (عبدالصمد) و (عبدالرحيم) و (عبدالرحمن) و (عبدالحارث) و (عبدالغفور) و (عبدالكريم) وغير هذا كثـــير •

ومن اعلام الاناث عندهم : (نور ليلى) و (ستى زينب) و (ستى كريمة) و (نور عيني) و (نور حياتي) و (ستى رفيعة) •

وقد تجد في اعلامهم المنسوب على النحو العربي ولكن مادته ليست عربية نحو : (مردانى) و (مرسودى) و (سُفْرى) و (راسيدى) •

ومن المفيد ان نذكر ان اعلام هؤلاء قد حدث فيها نوع من المشترك فالعلم العربي يجاور العلم الاعجمي فاما ان يكون الثاني من قبيل الشهرة أو اللقب واما ان يكون اسم الاب نحو (أحمد سوكارنو) •

هذا ما تيسر لي من استقراء العربية في اعلام هذه المجاميع البشرية من عرب وأعاجم فعسى ان يتيهأ لي شيء في قابل الايام أكمل به هذه السلسلة اللغوية •

---

(٣٧) من الغريب اضافة (الذهب) و (الماس) لكلمة (الدين) على نحو ما عرف عند الاندنوسيين •

الشيخ محمد عياد الطنطاوي

معلم اللغة العربية ، العربي الاول ، في أروبا

بقلم

الدكتور حسين علي محفوظ

استاذ اللغة الفارسية المساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

أحيا المستشرقون ـ في سنة ١٩٦١[١] ـ ذكرى الشيخ محمد عياد الطنطاوي معلم اللغة العربية الاول في بتربورغ ـ مدينة القيصر بطرس الكبيرة القديمة الجميلة[٢] ـ وعدّني رجال الكرسيّ خلفه وثانيه ؛ فشغلت بتصفح المحفوظ في خزانة الكلية الشرقية بجامعة لنينغراد من كتبه ، وقرأت كل آثاره الموجودة هناك ، وقلبت كافة أوراقه ومسوداته ، وتتبعت جميع ما بلغته يدى من مراجع ترجمته • فدونت سيرته ، وأثبت ما عثرت عليه من فائت أخباره وآثاره وأشعاره •

وكل ما أودعت هذه المجموعة من شعره ـ غير اللامية والموالات

(١) المكتبة ؛ السنة ٢/العدد ٦ ص ٢٥ . والانباء السوفياتية : السنة ١٥/العدد ٨ ص ١٢ •

(٢) التي سميت من بعد بتروغراد ، ثم لنينغراد •

المنشورة في « أحسن النخب » وأبيات معدودة ـ أشياء جديدة لا يعرفها تاريخ الادب العربي • كما وجدت من تآليفه ما غاب عن كراچكوفسكي ، ولم ينله سعي أحمد تيمور ؛ اللذين يُعَدّان ـ حقا ـ خير من جمع أطراف أخباره وأشعاره من العلماء •

ولا أدري ؛ ربما لذّ لي ـ من بعد ـ ان اهدى هذه الاثارة (وهي ثمرة جهد سنتين) الى زميلي الفاضل ؛ الاخ الاديب الكاتب القصصي محمود تيمور ، وارث كمال الفقيد تيمور ، والصديق المستشرق الباحث الاستاذ فكتور بيلايف ـ وارث كرسي كراچكوفسكي ـ الذي أحبّني وأحبّ العرب والعربيّة • والله ـ تعالى جدّه ـ المسؤول ان يوفق لنا خدمة العلم والادب واللغة والحقيقة والحق •

الدكتور حسين علي محفوظ



مراجع ترجمة الطنطاوي

لاحظت الطنطاوي عناية الباحثين ، فتتبع سيرته العلامة الكبير الجامع البارع المصنف المحقق أحمد تيمور باشا ، وخصه بمقالة مطولة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق[٣] واشار اليه في فهرس الخزانة التيمورية[٤] وهكذا المستشرق الفاضل كراچكوفسكي اذ أوسعه بحثا في المجلة نفسها[٥] وألف رسالة مفردة[٦] ـ كُرِّر نشرها في مجموعته[٧] ـ وتتألف من :

١) مقدمة في درس المراجع[٨] .

٢) ثلاثة فصول ؛ هي :

ـ الفصل الاول : الطنطاوي في مصر[٩] .

ـ الفصل الثاني : الطنطاوي في روسيا[١٠] .

ـ الفصل الثالث : تراث الطنطاوي[١١] .

ثم أولته مجلة الزهراء اهتماما كبيرا فترجمه احمد تيمور المذكور في المجلد الاول من أجزائها[١٢] .

ولم ينس خيرالدين الزركلي التعرض له في « الاعلام »[١٣] . كما

---

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ج ٩ ص ٣٨٧ ـ ٣٩١ .

(٤) فهرس الخزانة التيمورية ج ٣ ص ٢١٥ .

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ج ١٢ ص ٥٦٢ ـ ٥٦٤ ، ولاحظ مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ٥١ و٥٣ .

(٦) عرّف بها الاب انستاس ماري الكرملي في مجلة لغة العرب مج ٨ ج ٤ ص ٣٠٣ ، ولاحظ مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ١٣٧ .

(٧) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٢٩ ـ ٢٩٩ ، ولاحظ ص ٤ .

(٨) المرجع المذكور مج ٥ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٦ ، ولاحظ مج ٦ ص ٥٥٩ .

(٩) المرجع نفسه مج ٥ ص ٢٣٧ ـ ٢٥٩ .

(١٠) المرجع نفسه مج ٥ ص ٢٥٩ ـ ٢٧٨ .

(١١) المرجع نفسه مج ٥ ص ٢٧٨ ـ ٢٩٩ .

(١٢) مجلة الزهراء مج ١ ج ٧ ص ٤١٧ ـ ٤٣٠ .

(١٣) الاعلام ج ٧ ص ٢١٢ وج ١٠ ص ٢٢٠ .

ـدره صديقنا المطلع عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين[١٤] وبروكلمن في كتابه المعروف[١٥] ولويس شيخو اليسوعي في تاريخ « الآداب العربية »[١٦] واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين[١٧] .

عدا عن اشارات في طائفة من الكتب والمجلات الغربية والشرقية ، تحتاج الى توضيح وتصحيح[١٨] .



(١٤) معجم المؤلفين ج ١١ ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

(١٥) بروكلمن ج ٢ ص ٦٣١ .

(١٦) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٥٩ ــ ولاحظ اشارة كراچكوفسكي الى ذلك في مجموعته مج ٣ ص ٣٦٩ و٣٧٤ .

(١٧) هدية العارفين ج ٢ ص ٣٧٢ .

(١٨) مثل : مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٢٠٩ ، وكتاب الادب لهوارت/تراجع نقد كراچكوفسكي في مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٩٠ ــ ٣٩١ ؛ والآداب العربية في القرن التاسع عشر/لاحظ نقد كراچكوفسكي أيضا في مجموعته مج ٣ ص ٣٦٩ و٣٧٤ .



الشيخ محمد عياد الطنطاوي
١٢٢٥ - ١٢٧٨

محمد عيّاد الطنطاوي[19]

١٢٢٥ - ١٢٧٨

هو محمد بن سعد[20] بن سليمان ؛ عيّاد ، الطنطاوي - الشافعي[21] •
ولد في قرية « نجريد » بقرب طنطا ، سنة ١٢٢٥هـ ، وبها نشأ[22]
وذهب - لمّا ترعرع - الى طنطا ، وأسلم الى الكتّاب - وعمره نحو من
ست سنين - فحفظ القرآن الكريم ، واعاده • وشدا شيئا من مبادىء
العلوم ، واستظهر كثيرا من الكتب والرسائل •

تحصـــيله

ابتدأ الطنطاوي بالتفقه - وهو ابن عشر سنين - فدرس على طائفة
من الاساتيذ بطنطا ثلاث سنين • وكانت حينئذ حافلة بالعلماء والفقهاء
والقراء • وقد قرأ على :

الاستاذ الشيخ محمد الكومي ؛ قرأ عليه شرح ابن قاسم في الفقه
بطنطا سنة ١٢٣٦هـ •

والاستاذ المصنف السيد محمد ابي النجا - قرأ عليه الشرح السالف
ايراد ذكره ، مرةً اخرى ، سنة ١٢٣٧هـ • وسمع شرح الخطيب في الفقه
سنة ١٢٣٨هـ •

---

(١٩) تراجع/ترجمة الطنطاوي بخطه في تعليق الكافي بين ورقة ٦٦ ب
و ٦٧ أ •

(٢٠) هو سعد عيّاد ، المعروف بالمرحومي ؛ نسبة الى محلة مرحوم •
وكانت بلدا كبيرا في جوار طنطا • ولقد كانت احفل من طنطا بالمال والسكان
قبل قرنين تقريبا ؛ في حدود سنة ١١٧٦هـ وكان سعد هذا تاجرا سفارا
يبيع القماش والصابون والبن • وكان له بيت بطنطا ودار بنجريد وأخرى
بالصافية - وهي بليدة زوجته « ام محمد عياد » • وقد ترك سعد هذا بلدتهم
مرحوم ، وانتقل مع والده سليمان عياد المرحومي الى طنطا وسكنها حتى مات
في حدود سنة ١٢٤٣/تراجع ترجمة الطنطاوي بخطه •

(٢١) مشتهى الالباب/ورقة ٢ أ •

(٢٢) وتراجع مجلة الزهراء مج ١ ص ٥٥٤ •

وخرج في طلب العلم فأتى القاهرة في آخر سنة ١٢٣٨هـ ، فأصاب من أكابر رجالها الشيخ ابراهيم الباجوري (المتوفى سنة ١٢٧٦هـ) ، وغشي مجلسه ولازمه سنين . وكان هذا الرجل متناهيا في الفضل ، حاويا قصب السبق ؛ قد اعطى بسطة في العلم ، فلازمه من أواخر سنة ١٢٣٨هـ وقرأ عليه أصول الكتب ، ونظر في علوم النحو والفقه والبلاغة والاصول والمنطق والكلام[٢٣] .

وقرأ تفسير البيضاوي[٢٤] على الشيخ حسن العطار (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ)[٢٥] .

ومن شيوخه ـ أيضا :

الشيخ الشبيني[٢٦][٢٧] .

والشيخ برهان‌الدين أبو المعالي ابراهيم السقاء (المتوفى سنة ١٢٩٨هـ)[٢٨] .

والشيخ مصطفى القناوي الشافعي الاحمدي ، شيخ الجامع الاحمدي بطنطا ؛ فقد روى عنه حديث الاولية والكتب الستة ، في المحرم سنة ١٢٤٤هـ[٢٩] .

تدريسه في بتربورغ

دعي الشيخ محمد عياد الطنطاوي لتدريس اللغة العربية في مدينة

---

(٢٣) وتراجع/مجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢١ ، ولاحظ ص ٤٢٤ . ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٨ ، وبروكلمن ج ٢ ص ٦٣١ .

(٢٤) تقييدات على شرح الازهرية/ورقة ٢ أ ، وتراجع مجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢١ .

(٢٥) له ترجمة في المراجع المعروفة ؛ منها : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٢٦) كذا ـ ولعله/الشيبي .

(٢٧) تراجع/مشتهى الالباب ـ ورقة ٨٢ ب .

(٢٨) مجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢١ ، ولاحظ ص ٤٢٤ .

(٢٩) المرجع المذكور مج ١ ص ٤٢٠ .

بطرسبرج سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠[٣٠] فغادر مصر يوم السبت ٢٣ المحرم سنة ١٢٥٦هـ[٣١] وبقي في القسطنطينية اثنى عشر يوما ، فنسخ في قصر الكرنتينة « المحجر الصحي » هنالك (كتاب الايضاح في شرح سقط الزند) وفرغ منه يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٢٥٦هـ[٣٢] .

وقد وصل الى مركز روسيا ٢٦ أيّار سنة ١٨٤٠ ، وألقى أولى محاضراته في المدرسة الشرقية ٢ تموز ١٨٤٠[٣٣] ثم رجع الى مصر صيف سنة ١٨٤٤ ، وعاد الى بتربورغ في الخريف .

ثم التمسته الجامعة ان يدرس فيها سنة ١٨٤٧[٣٤] فدرّس بها ٨ تشرين الأول سنة ١٨٤٧ .

ودرس في الكلية الشرقية سنة ١٨٥٠ ـ ١٨٥٤[٣٥] . وكان من مناهجه تدريس القواعد ، والقصص ، والمقامات « مقامات الحريري » ومنتخب من كتب التاريخ والادب ، عدّ عن الخط والترجمة .

ثم زاد في سنة ١٨٥٥ ـ مباحث « تاريخ العرب » حتى زمن المغول ؛ معتمدا على تاريخ ابن خلدون ، والسيوطي[٣٦] .

ولقد أصابه المرض في تلك السنة ، ولازمه ست سنين[٣٧] فاضطر ان يترك التدريس في ١٧ شباط سنة ١٨٦١ .

---

(٣٠) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٨١ وتراجع مج ١ ص ٩٤ ـ ٩٨ و١١٨ ولاحظ مج ٥ ص ١٦٣ ، ومج ٣ ص ٦٩ و١٦٧ و٢٧٢ ، ومج ٤ ص ٣٠٧ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٢٠٩ .

(٣١) الايضاح في شرح سقط الزند/المخطوط ـ ورقة ١٨٣ ب .

(٣٢) المرجع المذكور/ورقة ١٨٣ ب ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٤ .

(٣٣) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٨١ ، ومج ٣ ص ٣٢٥ .

(٣٤) مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٤ ، وتراجع مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ٢١٩ .

(٣٥) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٨٩ ، وتراجع الاعلام ج ٧ ص ٢١٢ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٤ .

(٣٦) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٦ ص ٥١٠ ـ ٥١٢ ، ومج ٥ ص ٩٤ و٩٥ و١٠٥ و١٥٩ .

(٣٧) مجموعة كراچكوفسكي مج ٣ ص ٣١٨ .

وخلف من بعده مساعدوه وافاضل تلاميذه(٣٨) .

تلاميــــذه

خرّج الطنطاوي فئة كثيرة من فحولة المستشرقين ، منهم :

١) انطوني بيك موخلينسكي ـ قرأ عليه جملة من الكتب العربية والمطائف الادبية ، ومنها ديوان عبدالرحمن الصفتي(٣٩) .

٢) نفروتسكي(٤٠) .

٣) والين G. A. Wallin (٤١) .

٤) كرگاس(٤٢) .

وفــــاته

توفي الشيخ محمد عياد الطنطاوي ، يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٨هـ/٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٦١ . ودفن في مقبرة المسلمين بقرية « ڤولكوڤو » في لنينغراد(٤٣) .

تراثــــه

ترك الطنطاوي ميراثاً خطياً قيّماً تعتز بـه خزانة الكلية الشرقية

(٣٨) مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ١٣١ ، ومج ٥ ص ٨٢ ـ ٨٣ ، و٢١٧ ـ الهامش الاول ، ولاحظ ص ١١٣ و٢٢١ و٢٢٤ .

(٣٩) تلاقي الارب في مراقي الادب/الورقة الأولة .

(٤٠) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢١٧ الهامش الاول ، ولاحظ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٥٩ .

(٤١) مجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٤٢) مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ١٣١ .

(٤٣) تراجع مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٩٣ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٨ ولاحظ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، ومعجم المؤلفين ج ١١ ص ١٠٠ ، والاعلام ج ٧ ص ٢١٢ ، وفهرس الخزانة التيمورية ج ٣ ص ٢١٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ ، ولاحظ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ فقد نبه على غلط المؤرّخ هوارت .

بجامعة لنينغراد ، تبلغ عدة كتبه ١٥٠[٤٤] غير نسخ معدودة في خزانة معهد الامم الاسيوية • وقد عني كراچكوفسكي بصفة طرائف من تلكم الاسفار[٤٥] •

آثار الطنطاوي[٤٦]

(١) أحسن النخب في معرفة لسان العرب[٤٧] :

٢٣١ صفحة + XXV و٤ أوراق/طبع في مدينة لبسيا في مطبعة ولهلم فوغل ، غرة المحرم سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م •

وفصوله :

(أ) المقدمة :

قصيدة/تاريخ ولادة الامير الكبير شاه زاده نقوله الكساندروفيچ

بعث الهنا نحو السرور رسوله

يقرى عليه سلامه ووصوله

٢٤ بيتا مع الترجمة الفرنسية •

(ب) مباحث :

الاسم

الوصف

(٤٤) مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ •

(٤٥) تراجع مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ٨٧ و٩١ و١٠٤ و٣٧٢ ، ومج ٢ ص ٣٢٩ ـ ٣٥٥ ، و٤٥٠ ـ ٤٥٥ ، ومج ٦ ص ٣٥٥ ـ ٣٦٣ و٤٩٠ ـ ٥٠١ و٥٠٢ و٥١٥ و٥١٦ •

(٤٦) ولاحظ مجموعة كراچكوفسكي مج ٦ ص ٦٠٤ و٦٠٥ و٥١٠ ـ ١٢ ، ومج ٥ ص ١٠٧ •

(٤٧) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٥ ـ ٦ ، والاعلام ج ٧ ص ٢١٢ ، ومعجم المؤلفين ج ١١ ص ١٠١ ، وبروكلمن ج ٢ ص ٦٣١ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٧ ، والآداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٥٩ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٩ ، وفهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ج ٤ ص ٥ ـ ٦ ، ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي ج ١ ص ٣٥٥ •

العدد

الضمير

اسم الاشارة

الموصول

اسم الاستفهام

الفعل

حروف الجر

الظروف والاحوال

(ج) العبارات ـ الجمل المستعملة في الحياة :

التهنئة

الاستحمام

الوضوء

الصلاة

العيدين

رمضان

العطاس

الزواج

العرس

السنة الجديدة

عاشورا

البيت الجديد

المرض والوجع

السفر والاياب

السلام

النوم

اليقظة

الثوب الجديد

الحج

المكدى

بناء البيت

العزاء

الاولاد

المأدبة

السب

السقاية

(د) أمثال

(هـ) المراسلات « المكاتيب » ١٢ رسالة فصيحة ، و٦ عاميّة .

(و) الرسائل الادبية ؛ ٩ رسائل ؛ منها :

١ ـ محمد خليل صاحب زاده الفاروقي نقيب الاشراف ١٨ جمادي الآخرة ١٢١٢هـ .

٢ ـ محمد قطه العدوي ٤ محرم ١٢٥٩هـ .

٣ ـ ابراهيم الدسوقي غرة شهر رمضان ١٢٥٧هـ .

٤ ـ يوسف ١٢ جمادي الاولى ١٢٥٧هـ .

٥ ـ عبدالسلام الحلبي الترمانيني الى الطنطاوي في غاية ذ [ي القعدة] سنة ١٢٥٧هـ .

(ز) الملحقات/الرقاع والبطاقات ، وعدتها ٤ .

(ح) التمسكات/أي الصكوك .. الخ .

(ط) الوصولات .

(ي) صورة وقف كتاب سنة ١١٧٥هـ ، وحجة بيت سنة ١١٧١هـ .

(ك) مواويل ـ ٤٢ موالاً .

(ل) قصيدة حرب الشام لأمين أفندي .

(م) دوبيت ـ ٢ .

(ن) موشح واحد .
(س) مقطعات وأبيات ومفردات ــ **٥٩** .
(ع) امثال وحكم ونوادر واشعار واخبار والغاز .
(ف) قصص وحكم ــ **٨** .
(ص) فسّورة ــ **٧** .

(٢) اصلاح تحريف كتاب الايضاح في شرح سقط الزند ، لابن الخطيب التبريزي ــ كتبه بقصر السكرتينة في القسطنطينية يوم السبت **٢٢** صفر سنة **١٢٥٦** ، وكان كتب في مصر نحواً من **١٢** كراسة ، من نسخة مؤرخة يوم الخميس **٢٧** ذي الحجة سنة **٩٨٥**هـ ، بخط عبدالقادر بن ابي بكر ، وفيها تحريف كثير أصلح بعضه ــ **١٨٣** ورقة/خزانة الكلية الشرقية بجامعة لنينغراد 837

(٣) الامثال[٤٨] .

(٤) الانتخابات .

قوامه **١٨٣** ورقة بخطه ــ أودعه منتخباً من :

كتاب العقد
كتاب الاغاني
الخطط للمقريزي
تعليق من شرح لامية العجم للصفدي

تكملة في حال الاعياد والمواسم في عصره :
عيد راس السنة
يوم عاشورا
مولد النبي
مولد الحسين
ليلة نصف شعبان (من ليالي الوقدة)
موسم شهر رمضان

---

(٤٨) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٣ .

ليلة الرؤية (موسم غرة رمضان)

ليلة القدر

ليلة العيد

عيد الفطر (العيد الصغير)

عيد النحر (العيد الكبير)

قافلة الحاج (المحمل)

موسم فتح الخليج

الميلاد (للنصارى)

الغطاس

خميس العهد

ركوب الباشا

صلاة الجمعة

مولد السيدة زينب

مولد السيدة نفيسة

مولد العفيفي

مولد السيد البدوي في طنطا

من شرح لامية العجم للصلاح الصفدي

وصف تنيس من (تاريخ تنيس)

وصف الجزيرة الخضراء

نقول من جريدة : الوقائع المصرية « جرنال مصر القاهرة »

يوم السبت ١١ شعبان ١٢٤٧/العدد ٣٤٠

١٨ شوال ١٢٤٨/العدد ٤٩٣

٢ جمادى الاولى ١٢٤٧/العدد ٣٠٣

سلخ جمادى الاولى ١٢٤٩/العدد ٥٥٣

١٢ رمضان ١٢٥٠/العدد ٥٧٢

٥ جمادى الآخرة ١٢٤٧/العدد ٣١٥

١٠ شوال ١٢٤٨/العدد ٤٩٠

٧ رمضان ١٢٥٠/العدد ٥٨٥

السجع

نقول من اطباق الذهب ـ المقامة ١ و٢ و٣ و٤ و٢٩ و٣٣ و٣٤ و٧٢ و١٠٠

من كتاب سجع المطوق للخطيب محمد بن نباتة

من تحرير القيراطي

من كتاب مدح كل شيء وذمه

براعة الاستهلال

حسن التخلص

الاقتضاب

براعة المقطع

حسن الختام .. الخ

نقل من عجائب المخلوقات للقزويني

ترجمة الباب الاول من گلستان السعدي

سير الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين حتى المقتدر بالله .

تاريخ ولادة الامير شاهزاده نقوله الكساندروفيچ/قصيدة سنة ١٨٤٣

مواويل ٤٥

العبارات المستعملة في الحياة وجواباتها :

عند الخروج من الحمام

عند الوضوء

بعد الصلاة

في العيد

بعد الشرب

عند العطاس

للزواج

بعد العرس

للبيت الجديد

عند الحلق

لعزومة القادم على الاكل

في العزا

عند لبس الثوب الجديد

للقادم من السفر

اذا كسر واحد حاجة

اذا ظن واحد أنك تكلمه وليس كذلك

للمسافر

اذا سقاك واحد

للشحّات

لتهييج الشغاله على الشغل

للمريض

لمن تصنع

للحاج

اذا سألت واحد عن واحد هل هو طيب أو مات

عند رؤية الرعد

عند رؤية البرق

اشعار عاميّة

(٥) بغية المريد على رسالة التوحيد ، حاشية على رسالة الباجوري[٤٩]

(٦) تاريخ العرب[٥٠]

---

(٤٩) فهرس الخزانة التيمورية ج ٤ ص ١٧ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٤ ، ومجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨١ ٠

(٥٠) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٢ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ ٠

(٧) تحفة الاذكيا بأخبار بلاد الروسيا[٥١]

(٨) ترتيب تلاقي الارب في مراقي الادب على حروف المعجم ـ وهو ديوان صديقه عبدالرحمن الصفتي/خزانة الكلية الشرقية 892

(٩) ترجمة الباب الاول من گلستان لسعدي الشيرازي[٥٢] /كتاب الانتخابات ـ ورقة ١٠٩أ ـ ١١١أ

(١٠) ترجمة الطنطاوي/بخطه[٥٣] .

ورقة بخطه أودعها كتاب « التعليق على الكافي في العروض » بين ورقة ٦٦ب و ٦٧أ .

(١١) ترجمة مختصر تاريخ روسيا ـ تأليف أستريالوف[٥٤] .

(١٢) تصحيح أغلاط نسخة « يتيمة الدهر » للثعالبي ـ

نسخة جميلة خزائنية برسم ... المولى محمد خليل بن علي الحسيني الحنفي ، المعروف بالمرادي المفتي بدمشق ، سنة ١١٩٥هـ ؛ بخط يس بن أحمد ابن الشمعة محفوظة بخزانة معهد الامم الاسيوية بلنينغراد D 162 .

قال الطنطاوي في آخرها : « قرأه بتمامه الشيخ محمد الطنطاوي ، مدرس العربية في المدرسة الشرقية بتربورغ وتم في ١٩ رمضان سنة ١٢٦٢هـ ، وصحح بالهامش بعض اغلاط يسيرة اذ النسخة خالية عن قبيح الاغلاط » .

(١٣) تعاليق حاشية المقولات للشيخ حسن العطار[٥٥] .

---

(٥١) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، وتراجع تعريف كراچكوفسكي بالكتاب وصفته في مجموعته مج ١ ص ١٦٦ ـ ١٧٤ ، ولاحظ هدية العارفين ج ٢ ص ٣٧٢ ، وايضاح المكنون ج ١ ص ٢٤٠ ، والاعلام ج ٧ ص ٢١٢ .

(٥٢) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ .

(٥٣) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٨ ـ ٩ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٧ .

(٥٤) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٥٥) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٦ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(١٤) تعاليق على حاشية الامير على شرح الملوى على السمرقندية في البيان[٥٦] .

(١٥) تعليق على حاشية البيجوري على السمرقندية[٥٧] .

(١٦) تعليق على الكافي في علمي العروض والقوافي[٥٨] ـ أشار اليه في حاشية الكافي وهي تحرير لهذا التعليق .

(١٧) تقييدات على (شرح الازهرية في النحو للشيخ خالد الازهري) مع التعرّض لحاشية الشيخ حسن العطار[٥٩] ـ .

نسخة خزانة الكلية الشرقية 827 في ٤٦ ورقة فرغ منها في أول رجب سنة ١٢٥٣هـ بخطه .

(١٨) تواريخ الخلفاء والسلاطين والملوك وسلاطين الديار المصريّة من زمان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الى عصر عبدالمجيد خان سنة ١٢٥٠هـ[٦٠] .

مختصر في ٣ أوراق ـ المجلد الخطي 833 في خزانة الكلية الشرقية ؛ بخطّه .

(١٩) حاشية (اعجب العجب في شرح لامية العرب ـ للزمخشري) .

شرح وتعاليق وتفسير على هامش النسخة الخطية 780 في خزانة الكلية الشرقية : « قابله وحشاه ـ في ضحوة الاربعاء ٢٥ ربيع الاول سنة ١٢٥١هـ ثم اطلع على شرح (ابن لاجك) ونقل منه ما يزيد على هذا الشرح بالهامش . وكان الفراغ من ذلك يوم الثلاثاء ٢١ ج[مادى] الاولى سنة ١٢٥٣ » .

---

(٥٦) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٤ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٥٧) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٤ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٥٨) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ .

(٥٩) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٣ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ .

(٦٠) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٢ .

(٢٠) حاشية التحفة السنية والعقائد السنية[٦١] (شرح منظومة السيد محمد بليحة لبرهان‌الدين ابى المعالي ابراهيم السقاء ـ المتوفى سنة ١٢٩٨هـ) .

(٢١) حاشية الزنجاني في الصرف[٦٢] .

(٢٢) حاشية شرح الازهرية في النحو[٦٣] .

(٢٣) حاشية الكافي في علمي العروض والقوافي[٦٤] ـ كتب الاصل يوم الثلاثاء ٢٥ صفر سنة ١٢٥٦هـ بقصر السكرتينة بالقسطنطينية والسلطان اذ ذاك عبدالمجيد خان ابن السلطان محمود خان .

وكان فرغ من تصنيف الحاشية في ذي الحجة سنة ١٢٤٥هـ ، وأنجز كتابتها يوم الاحد ٢١ رجب سنة ١٢٥٥هـ .

نسخة خزانة الكلية الشرقية 786 /قوامها ٦٦ ورقة بخط محمد الرملاوي بن مصطفى الشافعي .

(٢٤) حال الاعياد والمواسم في مصر[٦٥] .

أودعه كتاب الانتخابات .

(٢٥) الحكايات[٦٦] .

---

(٦١) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨١ ، ومعجم المؤلفين ج ١١ ص ١٠١ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٨ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٤ .

(٦٢) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٢ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٨ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ .

(٦٣) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٢ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٨ .

(٦٤) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٩ ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ .

(٦٥) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩١ .

(٦٦) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، والاعلام ج ٧ ص ٢١٢ ، ومجلة الزهراء مج ٥ ص ٤٢٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ ـ ولاحظ مجموعة كراچكوفسكي مج ١ ص ٢١٩ .

مجموعة بخطه في ١٢٦ ورقة في خزانة الكلية الشرقية 745 ؛ تحتوي على ٣١ حكاية ؛ هي :

١ ـ حكاية بدوي من عرب الطور جاء الى مصر عند عرب المرج في شهر رمضان « عامية » •

٢ ـ وصية نحوى لولده عند الاحتضار •

٣ ـ النحوى في السفينة « عامية » •

٤ ـ المصري وصورة بنت سلطان بغداد « عامية » •

٥ ـ مكر النساء يغلب مكر الرجال أو كيد النساء يغلب كيد الرجال « عامية مصرية » •

٦ ـ القلم حكم الشرط « عامية مصرية » •

٧ ـ مكّارة المصرية « عامية » •

٨ ـ القضاة الثلاثة والعجل « عامية » •

٩ ـ القاضي الجابع والوزّة المحشية « عامية ؛ عنوانها/المجنون قاضيكم والذي يقيم في أراضيكم » •

١٠ ـ النصراني جار القاضي « عامية » •

١١ ـ حكاية الشيخ موسى « قصة شاه بندر التجار الخواجه على وبنته ست الحسن والجمال وابنه الشاطر محمّد ـ عامية مصرية » •

١٢ ـ حكاية الشيخة حليمة « عامية مصرية » •

١٣ ـ حكاية الاثنين الجعيدية في مصر « عامية » •

١٤ ـ حكاية السبع ملاعيب « عامية مصرية » •

١٥ ـ حكاية عيوشه المستحيه « عامية مصرية » •

١٦ ـ ٢٣ حكايات ضائعة •

٢٤ ـ الشبلي وحجر الطاحون « عامية م » •

٢٥ ـ الحجاج وابن الحنفية/الجمال ذات القرون وورق الحجارة •

٢٦ ـ تجربة الاخوان « عامية وفصيحة فيها أشعار عامية » •

٢٧ ـ الرجل الذي لا يزوج ابنته « عامية » •

٢٨ ـ الصعيدي الغشيم « عامية مصرية » .

٢٩ ـ محاورة حسين البربري وفضل البربري/في مصر « عامية » .

٣٠ ـ حكاية الدالي محمد .

٣١ ـ حكاية العرسه .

(٢٦) ختم على شرح القطر لابن هشام[٦٧] .

(٢٧) ختم على متن الجوهرة في العقائد للقآني « المتوفى سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١ »[٦٨] .

(٢٨) رسائل[٦٩] .

(٢٩) رسائل الطنطاوي الى تلميذه المستشرق الفلندي G. A. Wallin[٧٠] .

(٣٠) سيرة الرسول والخلفاء والامويين والعباسيين ـ في الانتخابات ورقة ١١٣أ ـ ١٥٨أ/ناقص . الموجود منه حتى سيرة المقتدر بالله .

(٣١) شرح منظومة الشيخ السلموني في العقائد[٧١] .

(٣٢) شرح نظم السمرقندية[٧٢] .

(٣٣) غنية المريد في علم التوحيد[٧٣] .

(٣٤) قاموس عربي فرنسي ـ طبع في قازان سنة ١٨٤٩[٧٤] .

---

(٦٧) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٦٨) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٦٩) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٧٠) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٦ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٧١) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨١ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٣٨٨ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٤ .

(٧٢) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٣ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ .

(٧٣) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨١ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٧٤) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٨ .

(٣٥) قواعد اللغة العربية/باللغة الروسية(٧٥) .

(٣٦) لذيذ الطرب في نظم بحور العرب(٧٦) .

(٣٧) ما يقال في الحياة اليومية من التعابير وأجوبتها ــ دوّنها في الانتخابات ورقة ١٨٢أ ــ ١٨٣ب ونشرها في « أحسن النخب » .

(٣٨) مجموعة شعره(٧٧) ــ المجموع الخطي 1235 في خزانة الكلية الشرقية .

(٣٩) مشتهى الالباب على منتهى الآراب(٧٨) .

مخطوط في خزانة الكلية الشرقية 820 في ٨٦ ورقة أكمل سويده يوم عاشوراء سنة ١٢٤٥هـ ، وفرغ من تبيضه يوم الاحد ٧ ربيع الاول سنة ١٢٤٥هـ .

(٤٠) معجم تتري عربي(٧٩) .

(٤١) منتهى الآراب في الجبر والميراث والحساب(٨٠) منظومة في بحر الرجز ؛ أوّلها :

يقول راجي عفو ربٍّ فرد	محمد عاد بن سعد
حمداً لمولانا القديم الوارث	الباسط المحيي المميت الباعث
ثم صلاة وسلاما أبدا	للمصطفى نبينا اسّ الهدى
محمد خيار نسل كعب	والآل والصحب خيار الحزب
وبعد ذا : فاعلم بان الارث	حضّ عليه المصطفى وحث
دلّت على تفضيله الاخبار	كذلك الآيات والآثار

(٧٥) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ .

(٧٦) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٤ ، ومعجم المؤلفين ج ١١ ص ١٠١ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٦ .

(٧٧) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ .

(٧٨) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦ .

(٧٩) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ .

(٨٠) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٥ ، والاعلام ج ٧ ص ٢١٢ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ .

اتقـــانه بصـنعة الحســـاب ... فهـي اليــه اعظـم الاســباب

ومقصدي جمعهمـا في رجــز ... « يقـرّب الاقصى بلفظ موجز »

لـكن فيـه بالامـام السـبط في ... كشف الغوامض[٨١] النفيس اقتفى

وقـد ختمتـه بعلـم الجبـر ... وزدت مـا أهملـه في الذكـر

سـميته بمنتهـى الآراب ... في الجبـر والمـيراث والحساب

واسـتعين الله في الاتمـام ... واطلـب الغفـران للآنـام

تم في غرّة شعبان سنة ١٢٤٤هـ ـ مخطوط في خزانة الـكلية الشرقية 820 .

(٤٢) الموّالات[٨٢] .

عدّتها **٤٥** موّالا ـ جمعها في الانتخابات/ورقة **١٧٢**أ ـ **١٨١**ب ، ونشرها في « أحسن النخب » .

(٤٣) نظم تصريف الزنجاني[٨٣] .

في **٧** أوراق ، بخطه سنة **١٢٥٥** في خزانة الـكلية الشرقية 833

ارجوزة في **٢١٧** بيتا ؛ أوّلها :

حمـداً لمن صرف افعـال الورى ... وزاد من نعمـائه من شـكرا

ثم صـلاة مـع تسـليم على ... مجرد عـن غير اوصـاف العـلا

محمـد أشـرف خلـق الحق ... والآل والصحب هـداة الخلـق

وبعـد فالتصـريف للنحـاة ... اتقـانه مـن أعظـم الآلات

فهـو أبو العلـم [و] علـم النحـو ... قـد كـان أمهـا لهـذا النحـو

وهـاك نظمـا فيـه كالعقيـان ... اودعتـه رسـالة الزنجـاني

والله ارجـو صـرف كـل صارف ... بفضـله ونفـع كـل واقف

---

(٨١) كشف الغوامض ـ للسبط الماردينى/ولد ٤ ذي القعدة سنة ٨٢٦هـ بالقاهرة وتوفى سنة ٩٠٩ . وله تآليف منها : الترتيب ، والتحفة ، والاصل ، وشرح الاصل ، وشروح المقنّع ، والفصول ، والوسيلة (تراجع/ مشتهى الالباب) .

(٨٢) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٣ .

(٨٣) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٢ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٥٦٣ .

(٤٤) نظم السمرقندية في البيان[٨٤] •

(٤٥) نقد ترجمة بعض التعابير العربية في كتاب المستشرق سلفستر دى ساسى[٨٥] •

(٤٦) نقد طبعة رحلة ابن جبير[٨٦] •

(٤٧) نقد كتاب « الامم الاسلامية » تأليف گارسين دى تاسى[٨٧] •

(٤٨) هامش كتاب « الحجة في سرقات ابن حجة لشمس الدين محمد بن حسن النواجى » •

النسخة مكتوبة بخط يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الميلوى ، يوم الخميس ١٤ ذي الحجة سنة ١١٠٨هـ ـ محفوظة بخزانة الكلية الشرقية 746 ملكها محمد عياد الطنطاوي سنة ١٢٥٥ وطالعها في بتربورغ غرة رمضان سنة ١٢٦٣هـ •

وتعاليقه تدل على فضل وادب ومعرفة بالانتقاد واطّلاع على اللغة والبلاغة ، وتشهد على حفظه لشعر الشعراء كابن نباتة وابن عربي وتمييزه بين التراكيب الفقهية والادبية والباردة : لاحظ ورقة ٩ و٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣٦ و٣٨ب و٣٩ب و٤٢ و٤٣أ ب ، و٤٤أ ب ، و٤٦ب و٤٧ و٥٤ب و٥٥أ ب و٥٧أ ، و٥٨ و٦١ و٦٥ب ، و٦٦ب ، و٨٩ و٩٠ب ، و٩١ و٩٤ و٩٨أ ب ، و٩٩ و١٠٠ب ، و١٠٧ و١٠٨أ ب ، و١٠٩ و١١١ و١٢٤ و١٢٨ب و١٣٠ و١٣١ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٥ و١٤١ب ، و١٤٢ و١٤٥ •

وقد ينتصر لاحدهما أو يؤاخذهما معا •

---

(٨٤) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٨٣ ، وبروكلمن ج ٢ ص ٦٣١ ، ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٩ ص ٣٨٨ ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ . والاعلام ج ٧ ص ٢١٢ .

(٨٥) مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ٢٩٧ .

(٨٦) المرجع المذكور مج ٥ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٨٧) المرجع نفسه مج ٥ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

تقريظ الطنطاوي وآثاره

[١]

قال عبدالرحمن الصفتي يمدح الطنطاوي :

أتراه يدنو وهو أبعد قاصي ... ملك من الإعراض في أقفاص
رقم العذار على صحيفة خدّه ... شتّان بين سوالف وعقاص
مالي اذيب من الجليد جلامدا ... وارى الهوى عن طاعتي متعاصي
وئن ضللت على الهوى في ودّه ... ومطيع عذّال الصبابة عاصي
أخلصت فيه تنسكي عشقاً وهل ... يجري بجنة قربه اخلاصي
وسعيت اصطاد الرشا فوقعت في ... شرك العيون ولات حين مناص
شكت الخصور روادفاً قد حمّلت ... اقدامه في المشي حمل قلاص
فتنازعا تختاً سقامي ملكه ... وا حيرتي من أخمص وخماص
قمر على غصن على صنم شلت ... فيه الجهالة دانيا أو قاصي
لما دعته الى وصالي عطفه ... من معطف بتعطف متواصي
وسقت قساوة قلبه من لينها ... فاجاب بعد تمتع وتعاصي
خشى العواذل ان تراه اذا بدا ... فأتى بعدة آمن الارهاص
متقلد الصمصام من ألحاظه ... ومن الدجا متدرّعاً بدلاص
وشذاد بشّرني بسعد قدومه ... ففررت مثل الطير من أقفاص
ونشرت خدي في الطريق لنعله ... فشفى باثمد تربها ارماصي
وعقدت الوية العناق مسلّما ... وفككت عقدة حظي المتعاصي
واقمت افراحاً اجاب نداءها ... طرب صفا عن شائب الانغاص
وعكفت في محراب لذتها على ... ما من تعاطيه يتوب العاصي

والبدر نقط بالنجوم الحسن من حبب على وجه الطلا رقّاص
وابيض ليل بات فيه مسامري ظبي ثوى بحبالة القنّاص
وأدار كاس رقايق قد أُترعت من كل معنى ندّ عن قناص
ما افتر مبسمه وفاد بلفظة الاّ وفيها درّة الغوّاص
فكأنه يهدي ثناء محمّد عيّاد ميت شعائر الاخلاص
من في العوارف والمعارف مفرد قد شاد للمجد الأثيل صياصي
لبس الجمال على الجلال كأنه ملك توسط موكباً بعراص
فان اشتكى فخر ظلامة مدّعى اخذت يداه من العلا بنواصي
واذا سجا ليل الشكوك وقد نأى صبح اليقين عن النهى متعاصي
فالشمس تشرق من بروج مقاله بأدلة تدنى شريد القاصي
ولو احتسيت الراح من أخلاقه لسئمت حس[٨٨] المنكر الغصاص
وسكرت من خمر يزيد به الحجا ما فيه من اثم ولا امغاص
ولئن قتلت بحبه لم أدر من اي الثلاثة يشتفى بقصاص
من نصه البتار أم من لفظه السحار ام من فهمه القناص
قسماً بآيات الضحا من وجهه لم أنس فيه سورة الاخلاص
كلاّ ولا في نثر درّ حديثه ارضى بخالص فضة وخلاص
واري النعيم عذاب قلبي في الهوى والمكث في سجن الغرام خلاصي[٨٩]

[٢]

قال عبدالهادي نجا الابياري ، يقرظ (تقييدات شرح الازهرية) للمطناوي :

تلك الفرائد في عقود الحسن قد نظمت فازرت بالجمان الغالي
وغصون آداب تفتق زهرها وثياب حسن طرّزت بلآلي
فبها لعمري الازهرية أزهرت وبها لقد كسيت بثوب جمال

---

(٨٨) حسو ؟
(٨٩) تلاقي الارب في مراقي الادب/ورقة ١٣٩أ ــ ١٤٠ .

لا غـــرو ان كتبت بمـاء محاجر فيهـا ارتقى من رام أوج معـــالي
فانخ مطـــايا العزم عنــد ربوعها والزم بها ان رمت عقد غوالي[٩٠]

[٣]

تقريظ (مشتهى الالباب) لسرور الدمنوري ؟ بخطه :

لهــذا العلــم أثمــار تدانــت بافنـــان تطيب لمـــن جناهـــا
وهـــذا الشـــرح جنتهـــا فـزره وللألبـــاب عنـــدك مشـــتهاها
ولـــلآراب غـــايات وهـــذا كتـــاب قـــد تضمّن منتهاها[٩١]

[٤]

تقريظ (حاشية في التوحيد) لعبدالرحمن الصفتي :

تلك الصحايف من يشـهد برتبتها يوحـــد الحـق قطعـــاً لا بتشبيه
محمد عنـــد كل الناس جامعهـــا من لطف معناه قد رقت حواشيه[٩٢]

(٩٠) تقييدات على شرح الازهرية ـ المخطوط/الورقة الأوّلة ٠
(٩١) مشتهى الالباب ـ المخطوط/الورقة الأوّلة ٠
(٩٢) تلاقي الارب في مراقي الادب/الورقة ٦٦أ ٠

شعر الطنطاوي

جمعه

الدكتور حسين علي محفوظ

القصائد

[١]

« تاريخ خمسة وعشرين سنة من تتويج ابهة قيصر الروسيا نقوله الاول [سنة ١٨٥١] :

بشائر دقت بالسرور وبالسعد   فانطقت الاقوام لله بالحمد

بعقدين تاج الملك قد زاد رونقاً   كما حاز اشراقاً بواسطة العقْد

فمن ذا يضاهي قيصرالروس سطوةً   وما لسواه بسطة الحل والعَقْد

اذا ماج بحر الجيش فيمعرك الوعى   بجزر الأعادي لم يزل منه في مدّ

صواعقه ترمي وبرق سيوفه   بابصارهم يغدو ويدهش بالرعد

فكم شاد من قصر وأبدع بنيةً   وكثر جيش الغزو في غاية الحد

وفي الأمن تغدو كل يومٍ جيوشه   لتمرين اعمال الحروب على السرد

بذلك اوصى بطرس حال هدنة   فصارت وصاياه مقدسة العهد

وحصّن ثغر الملك حتى تبسّمت   ثغور الرعايا بالطلاقة والرغد

رفيـق بمـا يلقـاهم مـن صـعوبة — حريص على تخليصهم من ظبا الادّ
فشاد على النيفا[٩٣] قناطر احكمت — خراطيمها نؤى الجليـد بلا حـدّ
ألم تـر شـاذروانها وستونهـا — بصنع بديع الشكل محكمة السرد
قناديلهـا تزرى أشـعة نورهـا — نجوم سـماء في الضـياء بلا رد
بنـاء جديد قـد تصاغر عنـده — بنا هرم قد فات ، او بنية السدّ
وكـان اذا ماج الجليـد تقطعت — مسالك كل الناس في غاية الحـد
فسـخرت الامـواه حتى تشـيدت — وأنست عجيبـات تعـد بلا جحـد
تقـول اذا شـمت البنـاء ممهـداً — هل الجنّ تبنى او سليمان يستعدى
وخيّس مولا[نا] له كـل عنصـر — فازجت رياح النصر بارجة الجنـد
وكـم عـربات بالجيـوش وغيرهـا — تقـاد بلا خيـل لهـا ناره تهـدى
وكـم ارضـين ذللت لجيوشـه — فاذعن اهلوهـا بعـدّ ولا قـدّ
حمى كـل صقع عـدله فبـلاده — غدت حرَماً ما صيد فيها من الوفد
وألبسـه الخـلاق ثوب مهـابة — وعـزّ وحلمٍ ما لـه فيـه من ندّ
وحبّب ما بين الخـلائق شـخصه — يعـدّون رؤياه من الفوز والسـعد
اذا مـرّ فـرداً خلتـه من مهـابة — محاطـا بشجعان العساكر والاسـد
تميّز ما بين الملـوك بحسبـه — واحسـانه حتى تلقب بالفـرد
واسعده الرحمن في اهـل بيتـه — فزوجتـه في المنجبـات بلا عـدّ
سـما فضلها بين الورى وكمالها — فاوصافها الحسنى تجل عن العـدّ
واولاده شـهم بـدا وعقيلـة — فهم زينة الدنيا وهم عرفها الوردي
فمنهم أمـير الجيش وارث تختـه — به القرن اودى حين كرّ على ندّ
ومنهـم امير البحر والبطـل الذي — بعـزم واقـدام يكـر على الضـد
واحفـاده تلك الزهـور التي لهـا — تبدت علامات الوما (كذا) من المهد
وفي ربع قـرن زادت الروسيابه — باكثر من قرن وربمت على البعـد
به حسـدتها في الفنا اخواتهـا — فقالوا الذي قالوا وليس لها مردى
كما قال ضرّات الجميلة : وجهها — دميـم من الغيظ المبرّح والحقـد

---

(٩٣) نهر بتربورغ .

فزادت بهذا العيـــد للناس فرحة
وزينت البلدان بالبشــــر والسـعد

فياما احبـــا ان نورخه ابشـــرا
بعقدين تتويج وواسطة العقد »[٩٤]

[١٨٥١]

[٢]

« تاريخ جلوس ابّهة القيصـر اسكندر الثاني ، على تخت الروسيا [سنة ١٨٥٥] :

الطرف بعـد البكا أغفى وما سهدا
في دجن ليل الشجا نجم السرور بدا

ان كــان ولّى همام لا نظـير لـه
فقـــد تولى فتى ما مثله أحـــدا

عـلا الســرير عليٌ في مكانتـــه
وصار عيش الورى من عدمه رغدا

لقلبنــــا سلوة ان جــاء يخلفـــه
ولي عهــد له عينا لـــه ولـــدا

ماضي العزيمة ابلى في الحروب بلا
من ذا يفوت اذا ما خلفه طــردا

وفارس لا يجارى في السباق وان
مضى الى قنص كم يفرس الأُسُدا

ســاس الامور برأي صائب وقفـــا
اباه والشبل لا غروى حكى الاسدا

يا ترس عـــزم به الاجناد غالبـــة
يا رمح طعن به عمر العدا نفـــدا

يا حصن قوم اذا ما نابهم حـــدث
ارسلت كيما يزول العـد والعددا

يا ربّ حلٍّ وعقد ان بدت عُقَد
تحلل يداك علينا كلّ ما عقـــدا

تظنّـــه الناس في جيش لهيبتـــه
بين النفوس اذا ما ســـار منفـردا

وغمـــر الســعد اني اذ مثلت الى
عليـــــاء سدته اســـدى اليّ يدا

فاهنــــأ بقيصرة فاقت محاســــنها
اذا بدت خلت ان البدر قد سجدا

واهنأ بأولاد عزّ قـــد سموا شرفا
فهم رياحين ازهـــار تضوع ندى

لاســـيما فلـــذة الاكباد ســـيدنا
وليّ عهدك مَنْ أوجَ العلا صعدا

ان كان لم يوف عمر البدر فهو به
فرد[٩٥] سناه تمام يجذل الـكبدا

---

(٩٤) المجموع المخطوط ـ 1235 / الورقة III

(٩٥) نور ؟

واهنــأ بمنجبة في الناس محسنة	ففيك سلوتها عن فقد من فقدا
واهنأ باخوة عزم في الحروب هم	اسد الشرى سبق لا يلحقون مدى
واهنأ بقومك قد فاقوا الورى عددا	وفرط جود وقدصاروا بكالسعدا
واهنأ بعسكرك الجرار ان له	رايات نصر لها قلب العدى ارتعدا
واهنأ بأرض غدت بالعدل عامرة	بسيطة وسواها غرها حسدا
ان كان اسكندر اودى بعسكره	دارا فمنك يذوقالخصمكأس ردى
لكل اسكندر في ملكه ظفر	فانظر لعمك قد اصلى العدى بددا
وراح باريز والدنيا تذل له	امر الاوربا على تدبيره عقدا
فقلد الملك اهل الملك وانقطعت	عن ذي التغلب اخوان وقد طردا
ان أول اولا أعيا سطوته	فثالث ثانيا يخشى ولا عضدا
ماذا اقول وكيف القول في ملك	محبب للبرايا منعم أبدا
فدم قريراً ومسروراً تدور بما	تهوى المقادير اذ ما تبتغي الرشدا
تسعى اليك قوافينا مؤرخة	للروسيااسكندرالثانيوفتسندا»(٩٦)

١٨٥٥

[٣]

« تاريخ قدوم سعادة ولي عهد الروسيا الامير الكبير اسكندر ، مع خطيبته الكبيرة مارية ، وتزوجه بها [سنة ١٨٤٠] :

لاقبال السرور بدا الشعار	ولاحت منه افراح غزار
فما احلى مناظر بتر بورغ	لعرس ولي عهد قد يسار
وكان الغيم اطبق منذ حين	فمنذ قدمت فالارجاء نار
صحت والشمس فيها قد أنارت	ووجه الجو صاف لا غبار

(٩٦) المجموع المخطوط ـ 1235 / الورقة VIII .

بلى غامت لرعـــد مـدافعٍ قــد … اثـير دخانهـــا وبـــدا اسـتعار
فمـــا احلى قدومك بعـــد حـــين … وكـــل الناس عمهـــم انتظـــار
موسيقى الجيوش لهـــا لحـــون … بهـــا طـــرب الاكـــابر والصغار
ومشـــيتهم اذا ســـاروا كبحـــر … وكالمـــوج الســـلاح اذا يثـــار
فيـــالله يـــوم العـــرس أبـــدى … ولي العهـــد وانكشـف الغبـــار
كبـــدرٍ بل كشـــبلٍ بل كليث … ولـكن لا يرى عنـــه نفـــار
وليلتـــه التي كعقـــود غيـــد … لوقدتهـــا نظـــام أو نثـــار
بلى كفصـــوص المـــاس تبـدى … لهـــا انـــلألاء كلّلهـــا النضـــار
ومـــذ نالت بخدمتـــك الاراضي … علوّاً فالســـما منهـــا تغـــار
فلمّـــا أبصـــرت أنـوار أرض … المّ بهـــا رعـــود أو زحـــار
انارت جوّهـــا بالبـــرق حينـــا … لـكي تحظى كمـــا حظى الديار
لئن نســيت غـــرائب مبدعـــات … فـلا ينسـى لهاتيـك ادّكـــار
فمـــا لسميّك المجد الذي قـــد … خصصت به كمـــا وضح النهـــار
فكيف وقـــد ورثت العزّ قدمـــا … ورايتكـم لهـــا شـــاع انتصـــار
بعـــزم الامبراطـــور المفـــدّى … جيوش النصـــر تظفر حيث ساروا
انام النـــاس في ظـــل الامـــاني … بشـــوكته فللخطـــب الحصـــار
فمـــا احـــد عليـــه في فخـــار … علا فعليـــه في الدنيـــا المـــدار
بخـــير اب شرفت وخـــير أمّ … لها دان العـــلا وسمـــا الفخـــار
وفي رجب الأصـمّ قبلت عرســـا … عقيلة قومهـــا فيهـــا الوقـــار
كشمس اقبلت للبـــدر هـــونا … تضيء وهكـــذا يحلـو الجـــوار
محصـــنة فشنف ســـمع دهـــر … جهـاراً باثنا فلهـــا السّرار(٩٧)
وطب نفســاً وسرّ حشـــاً وأرّخ … بعرسـك فاء للدنيـا افتخار »(٩٨)

١٨٤٠

---

(٩٧) السرار ـ محض النسب وأفضله/القاموس ٠

(٩٨) المجموع الخطيّ 1235 / الورقة I .

[٤]

« قصيدة لابهة ملك فيرتمبرغ :

قوافل حمدٍ نحو بابك بالشكر — سعت ومن الموفى الثناء على البر
بجدواك اغدو كالحمام مطوّقاً — ففي عنقي النعمى وانك في صدري
ايا ملكا فاق الملوك مكارماً — بكل الذي يبغى القضاء [له] يجري
انام رعاياه بظلّ أمانه — وعممهم بالعدل والعفو والبرّ
حمى اهل علم والفنون وصنعةٍ — بجود وفيض دونه وابل القطر
ورقاهم اوج المعالي فأصبحت — يراعتهم تثني عليه بما يجري
واسس بنيان المعالي بعزمه — فكم بنية اعلى وكم شاد من قصر
ولاسيما قصر النزاهة والمنى — فكم فيه من شكل وكم فيه من زهر
وازرى هنيا والمرىء برقته — هنيئاً مريئاً اذ برقته يزرى
بهمته اجرى الكحيلات حلبة — ولم يهو الا فارس الطرد والكر
فما لهشام في علو مقامه — اذا نحن قسناه سوى سالف الذكر
وصاد قلوب الناس بالرفد والجدا — كما صاد شذاذ الوحوش على قسر
وطوّقني ما لا أطيق بشكره — اقرّ لذا الاحسان بالعيّ والحصر
وسلّ اغترابي حين شاد مكانتي — واعلمني سعدى وسلمى مع العصر
(افادتكم النعماء مني ثلاثة — يدي ولساني والضمير الذي يسري)[٩٩]
يد نحو ابواب السماوات بالدعا — تمد لابقاء المليك على الدهر
لساني يشدو بالمديح وبالثنا — وينشر شعرا يزدري غرز الدرّ
وقلبي على الاخلاص للباب مُنْطوٍ — أسير نوالٍ قيد نحوك بالاسر
تمتّع بعز من عزيز مهيمن — وطول بقاء للورى غاية البشر »[١٠٠]

---

(٩٩) تضمين البيت المعروف .

(١٠٠) المجموع المخطوط ـ 1235 / الورقة III .

[٥]

« ... الامير الـكبير شاهزاده[١٠١] ، ولي عهد الروسيا ، وزوجته الاميرة الكبيرة ، وولده البكرى الامير الكبير نقوله ؛ وناولني بيده الكريمة هذه الورقة ، وقرأت لهم هذه القصيدة :

دعـــاء

الله يحفـــظ قصـــرا والقيصـره ويديم عـــز نقـــولة واسـكندره

وبنيهمـا الامـــراء ارباب العـــلا وكـــذا بناتهما الحسان الفاخـره

لاسـيما اسعـــاد وارث تختــه اسكندر راس الجيوش الظافــره

ووليّـــة العهـــد التي بجمـــالها وجلالهـا تزري البـدور السـافره

وسـلالة لهمـا تسامى قدرهـــم وغلوا فهم نور العيون الباصـره

واخوه قسطنطين وهـــو المرتقـي وامـــير بحر ذو مزايا ظاهــــره

وكذاك زوجتـه عقيلـــة قومهـــا وسلالة لهمـــا تبـــدت باهــــره

واخـــو الذكاء نقـــولة نقلت لنا عنـــه مكارم لم تزل متكــاثره

وكذاك ميخايـــل من صدقت لـــه من مهده حسن المخايل وافـــره

وأمـــيرة الامـــراء ماريـــة التي فيهـــا المحاسن لم تزل متظـــافره

والدوقـــة الســـامي وأولاد سمت لهمـا كأزهار الغصـــون الناضره

وشقيقة الشمس المنـــيرة اولفـــة والزوج والاشعار فيهـــم قاصـره

لا زال هـــذا البيت محروسا على مر الزمان لـــه العنـــاية ناصـــره

وفروع دوحـــة مجـــده وعلـــوه في كل حـــين لا تزال الزاهـــره

بتربورغ ١٨٥٢

للفقير الشيخ محمد عياد

معلم العربي في المدارس الشرقية »[١٠٢]

---

(١٠١) أي : ابن الملك ـ بالفارسية .

(٢) المجموع المخطوط ـ 1235. الورقة V ولاحظ الورقـة VI أيضا .

[٦]

« تاريخ وفاة أبهة قيصر ...(١٠٣) نقوله الاول :

لم أدر سطح الاراضي تحتنا رجفا   ام السما سقطت من فوقنا كِسَفا
ام غارت الانجم الزهراء ام كسفت   شمس الضحيّة ام بدر السما خسفا
ام غار بحر عطايا ماؤه غدق   للشاربين ومنه [انسائل](١٠٤) اغترفا
ام قيصر الروسيا قد سار نادبه   يبكي العيون دما حيث الضيا كُسِفا
قالوا المصيبة ان عمّت فهيّنة   ما بال هذا واذ عمّ الورى كَثفا
يا شمس قد اشرقت حينا وقد غربت   افي الفؤاد ... الدنفا
يا طود عزّ ومنه خاف مضطرب   من خوف جندك اخلى السفح والطنفا
يا سيف نصر واسياف الجيوش اذا   ما كلمت لم يجد مكلومها طرفا
يا قوس عزم وعنها السهم تنفذ في   قلوب كل العدى ما اخطأت هدفا
يا رحمة لضريع ضاق مطلبه   يا مطلقا لأسير معدم رسفا
من ذا يضام وقد آمنت جانبه   من ذا يهان وقد اوسعته كنفا
ما مات من ذكره باق وسيرته   طول الزمان تزين الكتب والصحفا
ومن له حسن آثار مخلدة   ومن له خلف أغنى به السلفا
قد غاب عن عيننا ذا الدر في جدث   فهل لذلك يدعى قبره صدفا
لو كان يفدى بنفس أو بأمتعة   كنا بذلنا له الارواح والتحفا
يبكي عليه غريب قلّ ناصره   يبكي عليه لهيف كم به رؤفا
يبكي عليه اليتامى والارامل اذ   عليهم كفه بالجود قد وكفا
تبكي عليه بنوه والبنات كما   تبكي عليه الرعايا كلها أسفا
تبكي عليه بلاد عمّها دعة   قد أخصبت وحوت سكانها ترفا
تبكي عليه بعوث أرسلت مددا   تبكي عليه سرايا ارسلت ...(١٠٥)

---

(١٠٣) الاصل مسوّدة فاسدة يحار فيها البصر .
(١٠٤) كلمة غير بيّنة اكاد اقرؤها كذلك .
(١٠٥) يكاد في الاصل يقرأ « أنفا » وربما « حتفا ؟ »

تبكي عليه جنـــان شادها ولـكم ابكى المدارس والأفلام والصحفـــا

تبكي عليه الجواري المنشآت أسى تبكيه منظـــرة اعجـــوبة لهفـــا

تبكي عليـــه جميع الروسيا حزنا لمـــا به قـــد علت ضراتها شـرفا

تبكي عليـــه قوافينـــا مؤرخـــة بنوه[١٠٦] نقوله•••احسن الخلفا؟

••• ••• ••• ••• ••• ••• ••• ••• •••»[١٠٧]

[٧]

« تاريخ ولاة الامـير الـكبير شاهـزاده نقـوله الـكساندروفيج [سنة ١٨٤٣] :

بعث الهنا نحـو السـرور رسوله يقرى عليـه سـلامه ووصـوله

ان العلا ضحكت بثغـر باسـم ووفت لنـا بعـوائد موصـوله

والبشـر لاح فكلنـا مستبشـر والسـعد قـاد لكلنا مأمولـه

والارض نافسـت السـماء بزينة والعز دق الى الصفـاء طبـوله

والقلب كاد يطير لمّا فاضت الـذكـرى بفيض بشـارة مقبـوله

بسماء تاج الملك نجـم قد بـدا قـد زان بين نجومهـا اكليلـه

لاميرنا السـامي ولي العهد قـد وافى ولي العهـد حب نقـوله

طرفاه قـد طابا نجـارا من لـه مثـل الامـير عمومة وخؤولـه

ورث المكارم كـابراً عن كابر يكفيك أن كان الملوك اصـوله

ماذا يقـول المادحون ومدحـه قـد أعجـز الشعراء فهى كليله

وأرى اعترافـاً بالقصور كنـاية ما لا ينـال فلا ينـال بحيـله

ما ان مدحـت نقـولة بمقالتي لـكن مدحـت مقالتي بنقـوله

للروسـيا فخـر على أخواتهـا بجنـابه ولهـا الاياد طـويله

---

(١٠٦) كذا ؟ .

(١٠٧) المجموع المخطوط ـ 1235 /

ما كنت أحسب ان قدري يرتقى حتى اشاهد ملكها وقبيله
الماجدون المحسنون المكرمو ن المنعمون الحائزون فضيله
الغالبون القاهرون المانعو ن الحافظون مبيته ومقيله
ما اسعد البيت الذي أطنابه شدت بكل مهذب وعقيله
ما اسعد البيت الذي أحبابه منصورة وعداته مخذوله
ما اسعد البيت الذي في بطرس آثاره مشهورة منقوله
ما اسعد البيت الذي سطواته راعت ملوك الارض فهي مهوله
انا ضيف قطركم وكم من عائد اوليتمو زواره ونزيله
وبأرض قلبي كم زرعتم نعمة نبتت سنابل شكرها محموله
فالآن فاه لسان شكري قائلاً في حيكم هل تسمعون مقوله
ادعوا الاله مهنئا ومورخا للروسيا رغد بطلع نقوله »[١٠٨]

١٨٤٣

[٨]

قال : في صديقه عبدالرحمن الصفتي :

يا خليليّ في الهوى كيف آسى وشقيق الخدود نافح آسا
من مليح الحاظه فاتكات قد أصاب الحشا بهن وآسى
كلما رام سلمها مستهام انتضت سيفها فخاف المراسا
ي في معرك العيون مجال ان تشا قل تشببا أو حماسا
الامان الامان من سحر عيني ك اذا ما غشيتهن النعاسا
رشأ ان رنا بأطراف لحظ جعل القلب حيث يأوى كناسا
اشرقت شمس وجهه فأمدت من سناها المصباح والمقباسا

(١٠٨) الانتخابات/ورقة ١٦٩ب ـ ١٧١ب ، وأحسن النخب ـ المقدمة ٤ أوراق .

ولها فوق خده شفق لا — ح اكتسى الجلنار منه لباسا
قد وفى بالوصال في روض انس — وجلا من رضابه لي كاسا
صافياً خالياً من المزج لكن — ان تذقه تجده بكراً عناسا
بعثت ميت الغرام لنشر — وأحلّت حيّ الهوى ارماسا
واذا ما الاكياس خفت كؤوسا — نقلوها وخففوا الاكياسا
لعبت مرة بعقل سراة — اوجدت في صدورهم وسواسا
زوجوها عقوبة بغمام — فبنى ودقه بها أعراسا
فتحلت من الحباب وأوحت — لنهاهم شيطانها الخناسا
وادارت أقداحها كف ألمى — قد حكاها بعرفه أنفاسا
فاحتسوها فقادهم عسس الليـ — ـل سكارى واهرقوا الاعساسا
لي حبيب حوى المحاسن لكن — انا ما نلت من هواه خباسا
قابل العدل بالاساءة حتى — بعهود الهوى وفيت وخاسا
قد رماني عهدا بأسهم لحظ — مالها غير حاجبيه قياسا
سانحا في الرياض راق الرياحيـ — ـن فكان في وجنتيه غراسا
لزمته العذال حتى اذا ما — زارني برهة تكون اختلاسا
كاختلاسي الآداب من محفل صار — مجلسي رحابه ايناسا
بهمام فصل الخطاب خطيب — مصقع فاق في الذكاء اياسا
هو عبدالرحمن من شاد للمجـ — ـد حصونا منيعة واساسا
فبه مصر لا تُطاول قدرا — هل رأيت الآجام والاخياسا
وله حجة اذا اظهر الشكّ — تجبّ الاشكال والالباسا
ولئن طار للضلال قتام — ساق فيه من الهدى نبراسا
خائض للشاردات لجيّ بحر — وعليها جاب القفار وداسا
بيديه مقالد العلم نصّاً — وكتاباً وسنة وقياسا
ولديه البديع طوع يديه — احتراسا على العلا واقتباسا
لفظ الدر ثغره فلهذا — ليس يرضى من كاتريه لماسا
ملكته زمامها مكرمات — جامحات على سواه شماسا

قـل فيهـا شبيهه مثلمـا قـد ... زاد فيهـا حسّـاده أجناسـا

طلبـوا شـأوه فلـم يدركوه ... وهـل الأوس يلحـق الدرباسا

ولئن كـان في الزمـان أخيراً ... فهـو البدو رتبـةً وارتئاسـا

اودع القلب حبّه مثلمـا قـد ... اودع الفضـل لفظـه اطراسـا

ني بكـم نسـبة وحسن ذمـام ... ووثيـق العهـود لا يتناسـى

فإليـك العروس تمشي اختيـالا ... بزفـات فـاقت بـه الاعراسـا

فالمحوهـا بنظـرةٍ حيث جاءت ... واقامت في مدحكم اعراسا(١٠٩)



(١٠٩) تلاقي الارب في مراقي الادب/ورقة ٣٧أ/ ـ ٣٨ب ٠

المقطّعات والنُبَذ

[١]

تاريخ رجوع الدوقة مكسمليان ... [؟] من مصر الى بتربورغ :

ســافر الدوقة العزيز لمصــر

فحبا أهلها الصفا والسرورا

عاد في صحـّة وأُنس فأرّخ

مكسمليان آض طـرفاً قريرا

٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٢

١/ صفر ١٢٦٩ (١١٠)

[٢]

كتب على حاشية متن الزنجاني في الصرف :

الصـرف زين أهلـه

وهـو لهـم كالـكنز

قالوا لمـا تقـرؤه

قلت لأجل العزّ(ى) (١١١)

(١١٠) المجموع الخطي ـ 1235 / الورقة III .

(١١١) مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ج ٩ ص ٣٨٨ ، ومجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٥ .

[٣]

كتب الى بعض أصدقائه بمصر ، من روسيا :

انا بين قوم ٍ لا ادين بدينهم
أبداً ولا يتدينون بديني(١١٢)

[٤]

كتب على حاشيته على رسالة البيجوري :

ان علـم الـكلام افضل علـم
فيه وصف الإله والرسل يُسْرد
فالى هـذه الرسـالة يمـم
فهي حازت لمـا عليك تأكـد(١١٣)

[٥]

اني رأيت عجيبـا
في بتربورغ وانـه
شيخ من المسلمين
يضمّ في الصدر خنّه(١١٤)

[٦]

قـال : « وهو ذاهب الى قصر الـكرنتينة(١١٥) في زورق في الخليج القسطنطيني لما رأى ابنية اسلامبول ، وخصوصا قصر السلطان :

مـذ لاحت اسلامبول وهي التي ... مـن يرهـا ودّبهـا مسـكنه
علمت اني ضـاع عمري سـدى ... في مصـر دار الـذل والمسـكنه
نسـيت من حُسـن مشيداتهـا ... اني يُغدى بي الى الكرنته(١١٦)(١١٧)

---

(١١٢) مجلة المجمع العلمي العربي مج ٤ ص ٩ ص ٣٨٩ .
(١١٣) مجلة الزهراء ج ١ ص ٤٢٢ .
(١١٤) تتبعات في التاريخ والجغرافيا واللغة والادب .
(١١٥) المحجر الصحي .
(١١٦) أي : الـكرنتينة .
(١١٧) الايضاح ـ المخطوط/ورقة ١٨٤أ .

[٧]

قال : « في الوبور[١١٨] :

لم يدر عُبّاد السعير بنفعها — اذ أجّجوها في هباء هواء
واري الفرنج درت بخالص نفعها — اذ سيّرت سفنا بها في الماء
مع انهم لم يعبدوا فكأنّهم — قصدوا التماس العذر للآباء[١١٩]

[٨]

ايضاً :

وبورنا ونار كانونه — من هول هذا البحر نصران
ازرق فيه زبد ابيض — كانه كشمير نصراني[١٢٠]

[٩]

تخميس

لما أردت الى المعالي ارتقي
لم اخش من خطر البحار[١٢١] واتقي
بل جزت فيه مغرّبا من مشرق
وركبت لجة بحر روم ازرق — من خطبه هيهات ما لي مشفق
اغبر عيش بالتصافي اخضر
والفود من بعد اسوداد مقمر
وازور محبوب بديع اصفر
وقد حلا فيه الممات الاحمر — وما رئي لي العدو الازرق[١٢٢][١٢٣]

[١٠]

يا ليتني مثل الحريري قد رئي
له من الخطب العدوّ الازرق[١٢٤]

(١١٨) الزورق البخاري ، الذي يسمى – عندنا – في العراق « ماطور » .
(١١٩) الايضاح – المخطوط/ورقة ١٨٤أ .
(١٢٠) المرجع المذكور/ورقة ١٨٤أ .
(١٢١) السفار/خ ل .
(١٢٢) أي البحر .
(١٢٣) الايضاح/المخطوط – ورقة ١٨٤أ .
(١٢٤) المرجع المذكور/ورقة ١٨٤أ .

[١١]

كـــل يوم زر الحبيـب وكـــررّ فشـــهود الحبيب شـــهد مكـرّر
كيف يقـوى على البعـاد معنّى قـــد برى جسمه الغـــرام وأثر
فتعجب ممـــا يقـــول الحـريري كل شهر زر مرّة ليس اكثر[١٢٥]
واذا ما الهـــلال قـــد زاد نوراً فاجتمـاع الورى للقيـــاه اوفـــر
ليس قصـــدي مـــن الزيارة الاّ انس قلب من البعـــاد تفطّـــر
راقبـــوه لعقـــد مجلس انسٍ في لياليه فهي بالوعـــد تنظر[١٢٦]

[١٢]

تشـــــطير :

(لئن كان لرحمن عبد مقصر)
بمـا كسبت ايدى هـواه رهـين
وقـد نسى العهـد الوثيق وخانه
(فانت على حفظ العهود امين)[١٢٧][١٢٨]

[١٣]

تشـــــطير :

(من الصخر لي قلب فلا يعرف الهوى)
ولـكن بكسر الجفـــن علّمته الحبّـــا
وقـــد كان لي طـرف بعيـــد عن البكا
(ولـكن بلطف منـك صيّرته صبّـا)[١٢٧][١٢٩]

---

(١٢٥) اشارة الى قول الحريري :

لا تزر من تحب في كل شهر غـــير يوم ولا تزده عليـــه
فاجتلاء الهـلال في الشهر يوم ثم لا تنظـــر العيون اليـــه

(١٢٦) الانتخابات/ورقة ٥٥أ ·

(١٢٧) الاصل لصديقه عبدالرحمن الصفتي ·

(١٢٨) تلاقي الارب في مراقي الادب/المخطوط ــ ورقة ٥٩ب ·

(١٢٩) المرجع المذكور/ورقة ١٢ب ·

المواّلات

(١)

الدهر كله عبر للعاقل الفكار
حكم علينا وشحطنا برور وبحار
صبر على دهرنا لمن يكون غدّار
هلبت ما يصطلح وتعود لمتّنا
ويجو الحبايب يهنونا ونملا الدار[١٣٠]

(٢)

في خاطري يا فريد العصر احضى بك
ويتحف القلب خمر الثغر ورضا بك
يا بدر ، اهل الهوى والشوق مرضى بك
نانا جفا لم هناك احسن من المعروف
وارضى بمغرم بطول العمر يرضى بك[١٣١]

(٣)

في خاطري من لماك الحلو شربة راح
يا من اذا قلت له مرّه : تعالى راح

---

(١٣٠) الانتخابات/ورقة ١٧٨ب ، وأحسن النخب ص ١٩٠ .
(١٣١) الانتخابات/ورقة ١٧٩أ ، وحسن النخب ص ١٩٠ .

وصلك وعطفك علينا احسن الافراح
ندر عني ان سمح بالوصل محبوبي
لاقبّل الخد منه والقدم والراح(١٣٢)

(٤)

يا ناس على شان غزال البرّ في الابحار
نزلت ادوّر وفي الحال خدت مركب نار(١٣٣)
انا ترابى وجاني الضد ليل ونهار
اهين من البحر اهين من الهوا والنار(١٣٤)(١٣٥)



(٥)

موّال نعماني(١٣٦)

في وصف حاجب على الالحاظ ألقى نون
سطّرت نوبه على السنطير(١٣٧) والقانون
يا اللي رضا بك شفا(١٣٨) يروى عن القانون
ارحم متيمٌ غدا جسمه يشابه عود

---

(١٣٢) الانتخابات/ورقة ١٧٩أ ، وأحسن النخب ص ١٩٢ ٠
(١٣٣) مركب نار = الباخرة ٠
(١٣٤) فيه تورية ؛ لان الهوا بمعنى العشق أيضا ـ وان كان يكتب بالياء ـ لكن يكفي في حصول التورية اتحاد النطق/كذا في الاصل ٠
(١٣٥) الانتخابات/ورقة ٨٠ب ، وأحسن النخب ص ١٩٤ ٠
(١٣٦) يسمى عندنا ـ في العراق ـ الزهيري ٠
(١٣٧) أي : السنطور ـ آلة موسيقية معروفة ، وهكذا « القانون » ٠
(١٣٨) الشفاء ، والقانون من كتب ابن سينا الفيلسوف الطبيب المعروف ٠ وفي لفظ « شفا » ايهام عذب وتورية جميلة ٠

وزاد غـــرامه ولا حــــدش لســــقمه يعــــود
ما به صــــدود من حبيب قلبــــه وخلف وعــود
ما بــه عذول في غــرامه زاد على القــانون(139)

(٦)

يحظى بورد الخدود من كان له جاني
وان كنت تذنب انا في محبتــك جاني
نقسى على مداميل تابا عرف ايش جاني
تاريك لك قلب اقسى من صميم الصخر(140)



---

(١٣٩) أحسن النخب ص ١٨٠ ·
(١٤٠) الانتخابات/ورقة ١٨٣ب ·

النظم التعليمي

٣ أبيات/نظم تصريف الزنجاني 833 ورقة ٢١ .

٦ أبيات ؛ جواب اشكال شيخه الشبيني في الحساب/مشتهى الالباب 820 ورقة ٨٢ب .

١٣ بيتا ؛ نظم فروق الصفة المشبهة واسم الفاعل/تقييدات شرح الازهرية 827 .

١ بيت واحد في جواب لغز (الالف المنقلبة عن ياء المتكلم في النداء)/ المرجع المذكور ورقة ٣٠ب .

٢ بيتان ؛ نظم الدينارية الصغرى/مشتهى الالباب ورقة ٢٣أ .

٦ أبيات ؛ نظم الأكدرية واجابه عنها صديقه عبدالرحمن الصفتي/ مشتهى الألباب ورقة ٢٧أ .

٤١ بيتا ، نظم القاب الزحاف والعلل وما يتعلق بذلك/تعليق علي الكافي في علمي العروض والقوافي 786 ورقة ١٥أ - ١٦أ .

مســاجــلات

محمد عيّاد الطنطاوي وعبدالرحمن الصفتي

[١]

قال عبدالرحمن الصفتي ؛ ملغزاً :

يا سارياً فوق متن الصافن العادي ... يطوى الفيافي من قطر ومن وادي
أجمل فديتك ما قد خفّ محمله ... من ســبع أســئلة أعيت لمرتاد
وطف هديت على اهدى الدروس بها ... وانشـر صحيفتها في محفل النادي
فأول الســبع ما المقصود من ألف ... بــاء وتــاء وباقيهــا لعــدّاد
اسماء جنس ترى أم عمّها علـم ... ويقتضى نوع كلٍّ حسن ارشــاد
الثاني من واضع الالفاظ تلك وما ... زمان وضـع وما يرضى لاســناد
وثالث السبع هــل عمت بجملتها ... كل اللغات معـاً ام بعض أفــراد
الرابع الهمز هل قد رادفت ألفــا ... ام فارقت وعلى هــذا فما البادى
فرقــاً وأيهمــا أصلٌ لصــاحبه ... وخـامس أجمعت اعلام اعــداد
لأي شيء كذا من مارسوا لغــة ... على ابتداء بهمــز فاقتفى البادي
وسادس السبع ما قد قيل في الف ... يقال في أبجــد مع باقي تعــداد
ومــا يرى ضبطها لفظــا ومهمله ... تكون ام كان لاستعمالها هــادي
وسابع السبع ما من حكمهــا نقلوا ... وقفــا وصرفا وتذكــيرا لاضداد
واللفظ والرســم والاعراب مشكلة ... كــذا البنــاء شرود غير منقــاد

كذاك ما حكمها في الشرع ان نقشت ... على بساط فأين الريّ للصادي
هذا الذي يسأل الصفتي معتذرا ... بفرط جهل عراه غير معتاد
يا رب صلّ على المختار ما طلعت ... شمس المعارف تجلو غيم ترداد(١٤١)

اجابة محمد عيّاد الطنطاوي :

يا راقيا اوج اعزاز واسعاد ... وخير من في المعالي رائح غادي
في سبع أسئلة ألغزت مشكلة ... لا يهتدى لخفاها غير نقّاد
فغصت في بحرها الزخار أطلبها ... حتى استبانت لطلاب وقصاد
اسماء جنس ومنها يبتنى كلم ... ورجح القوم ان الواضع الهادي
ووقت آدم وضع قد غدا وعلى ... ما صحّ يحذف ما يرضى لاسناد
وان نقل ان غير الله واضعها ... فالاستناد لعلم ظاهر بادي
وبعضها في لغات العرب مشتهر ... كالحاء خالصة والثاء والضاد
والهمز فرع جديد أصله ألف ... والابتداء بهمز عندهم عادي
وليس هذا باجماع فبعضهم ... يقول انّ بباء بعضهم بادي
وأبجد مع باقيها لقد وضعت ... لجُمل أصلها أعلام أفراد
والحكم في الابتدا والوقف حكم سوى ... والبعض منصرف مثل أبا جاد
وان اردت بها لفظاً مذكرة ... أولا فأنت لها من غير ترداد
والرسم مثل سواها وهي معرفة ... ولو نقول باعجام لاعداد
وحكم نقش حلال ليس يحرم في ... شرع النبي فهذا الرأي للصادي
خذ سبع أجوبة عن سبع أسئلة ... بدراً وشمسا اضاءا أفق اسعاد(١٤٢)

[٢]

قال محمد عياد الطنطاوي ، وقد فتش على صاحبه [عبدالرحمن الصفتي] في مولد السيد البدوي لظنه انه هناك فلم يجده :

---

(١٤١) تلاقي الارب في مراقي الادب/ورقة ٢٤ب ـ ٢٥أ .
(١٤٢) تلاقي الارب في مراقي الادب/ورقة ٢٥أ ـ ب .

توهمـــت في تلك المواطـــن أنني أراك فمالت بي الى نحوها الأهـوا
على انني شاهدت في كل ســـاعة مشاهدك الحسنى ومنهجك الأقوى
وكيف يقـــولون التوهم مبطـــل ولـكنهم لمـا عموا أخطأوا الفتوى

فأجابه [عبدالرحمن الصفتي] بقوله :

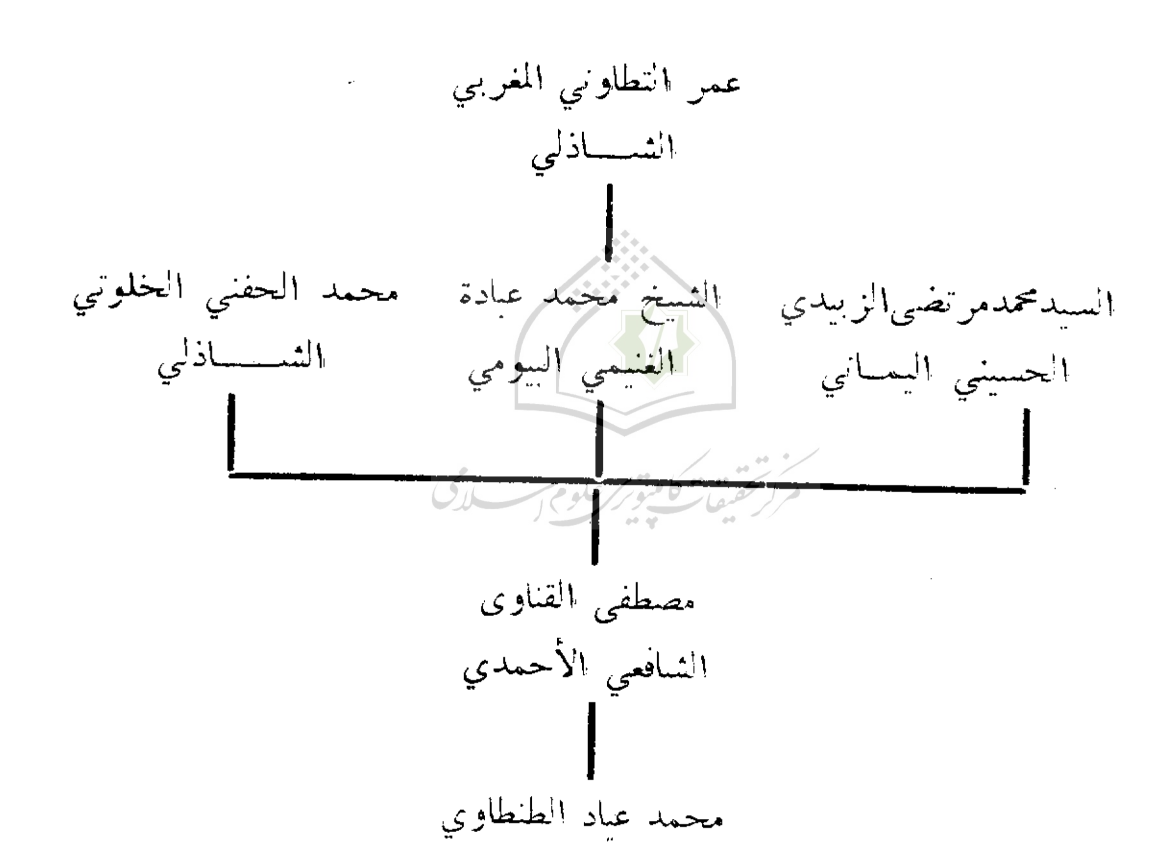
برئت من العليــــاء في كل مشهد اذا لم اكن فيما تحب كما تهـوى
فمـــا قام بي الا هـــواك سجية وعني أحاديث الغـــرام به تروى
واني زلال مثـــل طبعك شافيـــا على ظمأ وقت الهجير به أروى(١٤٣)



(١٤٣) تلاقي الارب في مراقي الادب/ورقة ١٦٣أ .

الملاحيق

(١) اشياخ محمد عياد الطنطاوي في الرواية[١٤٤]



---

(١٤٤) وتراجع/مجلة الزهراء مج ١ ص ٤٢٠ ·

(٢) اساتيذ كرسي اللغة العربية[١٤٥] :

دمانش درّس ١٨١٩ – ١٨٢٢

سنكوفسكي درّس ١٨٢٢ – ١٨٤٧

محمد عياد الطنطاوي ١٨١٠ – ١٨٦١

نفروتسكي ١٨٢٣ – ١٨٧١

رزق‌الله حسّون ١٨٢٥ – ١٨٨٠

گرگاس ١٨٥٣ – ١٨٨٧

فضل‌الله صرّوف ١٨٢٦ – ١٩٠٣

روزن ١٨٤٩ – ١٩٠٨

مُرقُص ١٨٤٦ – ١٩١١

انطون خشّاب ١٨٧٤ – بعد ١٩١٩

كراچكوفسكي ١٨٨٣ – ١٩٥١

فكتور بيلاييف ١٩٠٢ –

الدكتور حسين علي محفوظ ١٩٢٦[١٤٦] –

---

(١٤٥) وتراجع/مجموعة كراچكوفسكي مج ٥ ص ١٣٨ .

(١٤٦) درّس علوم اللغة العربية وآدابها في قسم اللغة العربية بالكلية الشرقية في جامعة لنينغراد منذ ربيع ١٩٦١ حتى أوائل صيف ١٩٦٣ .

المراجـــع

(١) المطبوعة :

١ ـ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ـ لويس شيخو اليسوعي/ج ٢ ـ بيروت ١٩٠١ .
٢ ـ احسن النخب في معرفة لسان العرب ـ الشيخ محمد عياد الطنطاوي ـ لبسيا ١٨٤٧/١٢٦٤ .
٣ ـ الاعلام ـ خيرالدين الزركلي ج ٧ و١٠ الطبعة الثانية .
٤ ـ الانباء السوفياتية العدد ٨/٦٧٢ السنة ١٥ ـ لبنان ١٩٦٢ .
٥ ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ـ اسماعيل باشا البغدادي ج ١ ـ استانبول ١٩٤٥ .
٦ ـ بروكلمن ج ٢ الطبعة الثانية ـ ليدن ١٩٤٤ .
٧ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ج ٤ ـ مصر ١٩٣٧ .
٨ ـ فهرس الخزانة التيمورية ـ أحمد تيمور ج ٣ ـ مصر ١٣٦٧/١٩٤٨ .
٩ ـ فهوس الخزانة التيمورية ـ أحمد تيمور ج ٤ ـ مصر ١٣٦٩/١٩٥٠ .
١٠ـ فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ـ دار الكتب المصرية ج ٣ ـ القاهرة ١٣٤٥/١٩٢٧ .
١١ـ مجلة الزهراء مج ١ ـ مصر ١٣٤٣ .
١٢ـ مجلة لغة العرب ـ الاب انستاس ماري الكرملي مج ٨ ـ بغداد ١٩٣٠ .
١٣ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ٤ ـ دمشق ١٣٤٢/١٩٢٤ .
١٤ـ مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ج ١ ـ القاهرة ١٣٥٣/١٩٣٥ .
١٥ـ مجموعة كراچكوفسكي ٦ مجلدات ـ موسكو ولنينغراد ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠ .
١٦ـ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ج ١١ ـ دمشق ١٣٨٠/١٩٦٠ .
١٧ـ المكتبة ـ مكتبة المثنى العدد ٦ السنة ٢ ـ بغداد ١٩٦١ .
١٨ـ هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادي ج ٢ ـ استانبول ١٩٥٥ .

(٢) الخطية :

١ ـ اصلاح تحريف كتاب الايضاح في شرح سقط الزند/ المخطوط 837 في خزانة الكلية الشرقية بجامعة لنينغراد .
٢ ـ انتخابات/المخطوط 838 .
٣ ـ ترجمة الطنطاوي بخطه/بين ورقة ٦٦ب و ٦٧أ « تعليق الكافي » المخطوط 786 .
٤ ـ تلاقي الارب في مراقي الادب ، ديوان عبدالرحمن الصفتى/المخطوط 892 .
٥ ـ تعليق على الكافي في علمي العروض والقوافي/المخطوط . 786 .
٦ ـ تقييدات على شرح الازهرية/المخطوط 827 .
٧ ـ حاشية اعجب العجب في شرح لامية العرب/المخطوط 780 .
٨ ـ الحجة في سرقات ابن حجة/المخطوط 746 .
٩ ـ الحكايات/المخطوط 745 .
١٠ـ مجموعة شعر الطنطاوي ـ أوراق/المخطوط 1235 .
١١ـ مشتهى الالباب على منتهى الآراب/المخطوط 820 .
١٢ـ نظم تصريف الزنجاني/المخطوط 833 .
١٣ـ يتيمة الدهر/المخطوط في معهد الامم الاسيوية D 162 .

مصادر اخبار بشار بن برد

الدكتور علي الزبيدي

استاذ مساعد في قسم اللغة العربية

لم تصل الينا أخبار بشار بن برد في رسالة خاصة او في كتاب مستقل كما هي حالة عدد قليل من شعراء العصور العباسية الكبار ، كأبي نواس[١] وأبي تمام والبحتري[٢] والمتنبي[٣] ، بل وردت مع اخبار وتراجم الشعراء الآخرين الذين عنيت بهم المصادر العربية القديمة كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز والاغاني وتاريخ بغداد وغيرها من كتب الادب والنقد والتاريخ[٤] . ولكن هذا لا يعني ان بشاراً لم يحظ بعناية خاصة ، اذ ليس من المألوف ان يهمل رواة الادب العباسي ومدونوه ونقاده ، الشاعر الذي وصفوه بانه رأس المحدثين وكبيرهم واستاذهم وشيخهم ... الخ[٥] .

جاء في معجم الادباء لياقوت ان لاحمد بن أبي طاهر (٢٠٤ - ٢٨٠هـ) كتابا خاصا بشاعرنا اسمه « أخبار بشار والمختار من شعره »[٦] وقد ذكره

---

(١) انظر : اخبار أبي نواس لأبي هفان تحقيق عبدالستار فراج . اخبار ابى نواس لابن منظور (القاهرة ١٩٢٥) .

(٢) انظر : اخبار ابي تمام للصولي واخبار البحتري للصولي والموازنة بين الطائيّين للآمدي .

(٣) انظر : الصبح المنبي للبديعي والوساطة للجرجاني .

(٤) مواقع اخبار بشار في المصادر معروفة ولا موجب لاثباتها هنا .

(٥) سيأتي ذكر هذه الاقوال ومناقشتها عند الكلام في شاعرية بشار .

(٦) ياقوت : معجم الادباء ٣/٩٢ .

ياقوت في جملة كتب لابن أبي طاهر عن شعراء آخرين تحمل هذا العنوان أو عنوانا آخر هو « اختيار شعر ٠٠ الخ » في حين ان ابن النديم يدرج كتب هذا المؤلف تحت العنوان الثاني ذكراً معهـا « اختيار شعر بشار »(١) ٠ وأرجح الظن ان ابن النديم وياقوت يقصدان الكتاب نفسه لان المصنفين في زمن أحمد بن أبي طاهر يجمعون بين الاخبار والاشعار المختارة في الرسائل التي كانوا يؤلفونها من هذا النوع(٢) ٠ ولـكن المرجح أيضا ان ابن طاهر لم يستوف كثيرا من أخبار بشار بدليل ان صاحب الاغاني لا يذكره في أسانيده أكثر من ثلاث مرات(٣) ٠ والذي يدل عليـه كلام بعض مدوني الادب العباسي في القرنين الثاني والثالث أن اخبار بشار كانت مدونة مستوفاة منذ اوائل القرن الثالث ؛ قال ابن المعتز (م ٢٩٦ هـ) في نهاية الترجمة الموجزة التي خصّ بها بشار : وأخبار بشار كثيرة ونوادره وطرائفه أكثر من أن يتضمنها هذا الـكتاب ، على ما قدمنا فيه من ايثارنا الايجاز والاختصار »(٤) وقد أيد ابو الفرج هذا ايضا في نهاية الفصل الطويل الذى كرسه لبشار قائلا « ولبشار أخبار كثيرة ذكرت في عدة مواضع ؛ منها أخباره مع عبدة وأخباره مع حماد عجرد ٠٠ الخ »(٥) ٠

ولم يكتف ابو الفرج بهذه الملاحظة التي سبقه اليها ابن المعتز بـل أثبتها فعلا في الفصل الطويل الذي خص به بشار حتى كاد هذا الفصـل يؤلف وحده كتابا محترما لكثرة أخباره وتنوعها ، ولتناولها اكثر النواحي المهمة في حياة بشار وشاعريته ٠ والواقع ان قيمة هذا الفصل لا تقتصـر على ما جاء فيه من مادة اخبارية غزيرة بل تظهر ايضا في الاسانيد الواضحة

---

(١) الفهرست (مطبعة الاستقامة) ص ٢١٥ ٠

(٢) انظر اخبار ابى تمام للصولي ٠

(٣) الاغاني (دار الثقافة) ٣/٢٢٠ و٢٣٩ عن طريق عم أبي الفرج الحسن بن محمد ٠

(٤) طبقات الشعراء المحدثين (ذخائر العرب) ٣١ ٠

(٥) الاغاني ٣/٢٤٥ ٠

المفصلة التي تصدرت كل خبر مهما صغر • لقد كشفت سلاسل الاسناد هذه طوائف الاخباريين والرواة وسائر المعنيين بالشعر والخبر ممن عنوا باخبار بشار واشعاره خلال الفترة الممتدة بين اواسط القرن الثانى ، اى الوقت الذى تألق فيه بشار ، والعقود الاولى من القرن الرابع ، وهى الفترة التى الف خلالها ابو الفرج كتاب الاغانى • ومعنى هذا ان هذه الاسانيد تلقى ضوءاً على الطرق او الاساليب التى اتبعت في جمع اخبار بشار وتدوينها وتمهد السبيل في الوقت نفسه لمعـرفة الأجواء التي أحاطت بهذه الاخبار والعوامل المختلفة التى تلاعبت فيها خلال انتقالها من فم الى فم او من كتاب الى آخر • وطبيعى ان يستوجب هذا فحـص اخبـار الأغـانى ودراستها وتصنيفها وفقا لسلاسل الاسناد ، ثم القاء نظرة مماثلة على الاسانيد القـليلة الاخرى التى ذكرتها بعض المصادر القديمة ولا سيما تاريخ بغداد ؛ لان الخطيب البغدادي حرص هو أيضا على اسناد معطياته التاريخية • وقد كانت اسانيده واضحة على الرغم من تأخر زمانه عن الفترة التى جمعت ودونت فيها أخبار شعراء العصر العباسي الأول • ولا جدال في ان مثل هذا الفحص سيكون مفتاحا للدراسات الببليوغرافية[1] المحترمة لا عن بشار وحده بل عن شعراء عصره أيضا • فاخبار بشار واى شاعر كبير آخر ترجم له ابو الفرج في شيء من التفصيل ، عدسة كبيرة تعكس المسالك التي سلكتها المعلومات قبل تدوينها وبعده •

على هذا الاساس يجب أن تقوم دراسة مصادر بشار وغير بشار ، فاذا وفقنا في ذلك ، أمكننا ان نضع خطة او منهجا لبحث مصادر الادب العباسى في القرنين الثاني والثالث على الاقل •

ان مراجعة أسانيد أخبار بشار في الاغانى هى الخطوة الاولى اذن ، وبفضلها استطعنا تصنيف الرواة الذين نقل عنهم ابو الفرج على النحو الآتي :

---

(١) آثرنا ان لا نترجم هذا الاصطلاح لعدم اتفاق الباحثين على كلمة عربية واحدة والافضل تعريب اللفظة الاجنبية •

اسم الراوية	عدد الاخبار المسندة اليه
١ ـ يحيى بن علي بن يحيى المنجم ت ٣٠٠ هـ[١]	٣٣
٢ ـ هاشم بن محمد الخزاعي ت ٣١٢ هـ[٢]	٢٨
٣ ـ الحسن بن علي بن يحيى المنجم ت ؟[٣]	٢٢
٤ ـ عم أبي الفرج الحسن بن محمد ؟ ت في حدود ٣٥٠ على الأرجح[٤]	١٩
٥ ـ (كتاب) هارون بن على ٢٨٨ هـ[٥]	١٤
٦ ـ حبيب بن نصر المهلبي ت ٣٠٧ هـ[٦]	١٠
٧ ـ أحمد بن العباس العسكري ت ؟	٨
٨ ـ محمد بن عمران الصيرفي ت ٣٢٥ هـ[٧]	٦
٩ ـ الجاحظ (كتاب البيان والتبين) ت ٢٥٥ هـ	٢
١٠ـ رواة آخرون روى كل منهم خبرا او خبرين .	

هذه القائمة تدل على أن أبناء آل المنجم يحيى والحسن وهارون كانوا أول وأكثر من عنى برواية أخبار بشار واهتم بتدوينها . أما الاول فهو أبو أحمد يحيى بن على بن أبى منصور (٢٤١ ـ ٣٠٠ هـ) نادم الموفق ومن تلاه من الخلفاء فلقب لذلك بالنديم[٨] ، وكان متكلما معتزلى المذهب ، وله

(١) الفهرست (لايدن) ١٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٦٨/١٤ .

(٣) الفهرست نفسه وتأريخ بغداد ٣٩٠/٧ يذكر انه ابن هارون بن علي ولعله تصحيف .

(٤) تاريخ بغداد ٤١٧/٧ لا يذكر تاريخ وفاته .

(٥) الفهرست . نفسه . معجم الادباء ٢٦٢/١٩ .

(٦) تاريخ بغداد ٢٥٨/٨ .

(٧) نفسه ١٣٤/٣ يتوهم بعضهم انه محمد بن عمران بن موسى المرزباني وهذا خطأ فهو محمد بن عمران بن موسى بن ماهان ، أبو أحمد الصيرفي المعروف بابن مهيار وقد روى عنه الحسن بن عليل العنزي المتوفى سنة ٢٩٠هـ . أنظر تاريخ بغداد ٣٩٨/٧ .

(٨) ياقوت . معجم الادباء (المأمون) ٢٨/٢٠ .

في ذلك كتب كثيرة ومن كتبه في الادب كتاب « الباهر في اخبار شعراء مخضرمي الدولتين » (الاموية والعباسية) وهو الكتاب الذي يقول عنه ابن النديم أن يحيى بدأه ببشار وابن هرمه وطريح وابن ميّادة ومسلم بن الوليد واسحق بن ابراهيم وابى هفان ويزيد بن الطثرية ... الخ .

وكان آخر ما عمل فيه (في الكتاب) مروان بن أبي خفصة ولم يتمه. ثم أتمه ابنه ابو الحسن أحمد بن يحيى[1] . وكان يحيى هذا شاعرا وقد بالغ المرزباني في تقريظه عندما قال انه « أديب شاعر مطبوع ، أشعر اهل زمانه وأحسنهم أدبا وأكثرهم افتنانا بعلوم العرب والعجم »[2] وقد أكد ياقوت شاعريته قائلا « ولابى أحمد شعر كثير وتصانيف .. الخ[3] » ولكن آثاره لا تؤيد شاعريته بقدر ما تشير الى سعة اطلاعه في الادب ، وخاصة فيما يخص شعراء القرنين الثاني والثالث . ولعل خير دليل على هذا كثرة الاخبار والروايات التى نقلها عنه ابو الفرج في تراجم اولئك الشعراء[4] . كما يرد اسمه في كتب المرزباني التى وصلت الينا[5] ، وفي الاسانيد التى اوردها الخطيب البغدادى فى تراجم عدد غير قليل من الشعراء المولدين والمحدثين[6] . ونشاطه الكبير في هذا الباب يجعله في طليعة رواة الادب العباسى ومدونيه الاوائل ، في حين ان اسمه قلما يرد في أخبار الشعراء الاسلاميين والجاهليين . لهذا كله صار لزاما علينا ان نلقى نظرة على أسانيد يحيى بن على لتكوين فكرة حسنة عن المصادر التى استقى منها معطياته الادبية التاريخية من جهة وللتمكن من نقد هذه المعلومات وتثمينها من جهة أخرى . وبقدر ما يتعلق الامر ببشار يمكن ترتيب مصادر يحيى بن على على النحو الآتى :

---

(١) الفهرست ٢١١ ـ ٢١٢ وقد سمى كتابه ذيل كتاب الباهر .
(٢) المرزباني ، معجم الشعراء (القاهرة ١٩٦٠) ٤٩٣ .
(٣) ياقوت ، معجم الادباء ٢٠/٢٩ وانظر . ابن الانباري . نزهة الالباء (تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي) ١٦٢ .
(٤) الاغاني ٣/١٢٩ وما بعدها وفي اخبار شعراء القرن الثاني .
(٥) المرزباني : معجم الشعراء والموشح . انظر فهارس الاعلام .
(٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ٧/١١٢ .

يحيى بن على
اسناد لا يزيد على أربعة
او ثلاثة اسماء

١ ـ الاصمعى
٢ ـ ابو عبيدة
٣ ـ محمد بن سلام (مؤلف طبقات الشعراء المشهور)
٤ ـ خلاد الارقط[١]
٥ ـ يحيى بن الجون العبدى راوية بشار
٦ ـ جعفر بن محمد النوفلى يروى شعر بشار
٧ ـ محمد بن الحجاج ـ يروى شعر بشار
٨ ـ أبو حاتم السجستاني
٩ ـ عمر بن شبه
١٠ـ سعيد بن سلام
١١ـ الحسن بن جهور
١٢ـ جرير بن حازم
١٣ـ حميد بن سعيد
١٤ـ هشام الكلبى
١٥ـ عافية بن شبيب
١٦ـ اسماعيل بن زياد الطائى
١٧ـ الحرمازى
١٨ـ على بن محمد النوفلى
١٩ـ بعض أصحاب بشار ؟
٢٠ـ أبو يعقوب الخريمي الشاعر
٢١ـ ابو جعفر الاسدى
٢٢ـ الحمراني ؟

(١) خلاد بن يزيد الباهلي احد الرواة للاخبار والقبائل والاشعار . الفهرست ١٦٢ .

ان دراسة هذه الاسانيد تمكننا من ارجاع المعلومات التي دونها او رواها يحيى بن علي المنجم الى ثلاثة مصادر :

١ ـ رواة واخباريون كبار عاصروا بشارا او أدركوه كأبي عبيدة والاصمعي ومحمد بن سلام والسجستاني وعمر بن شبة وهشام الكلبي •

٢ ـ رجال وصفهم ابو الفرج أو من روى عنه بأنهم (رواة بشار) مثل يحيى بن الجون العبدي الذي كان يكتب لشاعرنا وجعفر بن محمد النوفلي الذي كان يروي شعره كما يقول ابو الفرج ومحمد بن الحجاج •

٣ ـ رجال عاصروا بشارا ولم يكونوا من اهل الرواية والتأليف في الاخبار بل كانوا من ندمائه او جلسائه او جيرانه او ممن كانت لهم صلة ما به كما يستدل من مضمون الاخبار المنسوبة اليهم أمثال جعفر بن محمد العدوي والحرمازي وأبو جعفر الاسدي وعياش بن ابي ربيعة وغيرهم ممن وصفوا بانهم « بعض اصحاب بشار »[1]

بناء على هذا يمكن القول ان يحيى بن علي كان يعني عناية كبيرة بعملية جمع الاخبار دون ان يرتبط بجهة واحدة او بطائفة معينة من الرواة فيلتزم بذوقها الفني أو باختصاصها التاريخي والادبي • فبين المخبرين الذين انتهت أسانيده اليهم رجال لغة وغريب وأهل اختصاص بالادب القديم كالاصمعي والسجستاني وعمر بن شبه ، ورواة أخبار وأنساب او اخباريون كما يسمونهم أيضا كأبي عبيدة وهشام الكلبي وعلان الشعوبي • ورجال وصفوا بانهم رواة بشار خاصة واناس من مختلف الاصناف والاوساط • معنى هذا كله ان يحيى لم يشتغل بجمع الاخبار كيفما اتفق ، بل كان يتحرى الدقة ، ويحاول ان يستقي المعلومات من مصادرها الطبيعية • ولم يقلل

---

(١) الاغاني (الثقافة) ٣/٢٠٧ •

من هذه الدقة والعناية كون الشعراء الذين ينقل أخبارهم قريبين من زمانه واحتمال وجود آثار مكتوبة دونها اولئك الشعراء أنفسهم أو سجلها لهم كتابهم أو رواتهم او معاصروهم من محترفي جمع الاخبار او هواتها . فالمعلوم أن شعراء القرنين الثاني والثالث من مخضرمين ومحدثين لا يشبهون شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ، فقد عاشوا في عصر انتشرت فيه الثقافة واتسعت فيه مزاولة الكتابة والوراقة في الاوساط الادبية والعلمية[1] فتسنى لهم كتابة شعرهم وأخبارهم بانفسهم أو من قبل المشتغلين بالتدوين منذ اوائل القرن الثاني ، وهناك اشارات في المصادر القديمة تدل على أن بعض آثار الشعراء المدونة شوهدت مكتوبة على الجلود والعظام والمواد الاخرى التي كانت تستعمل قبل اكتشاف الورق في أواسط القرن الثاني[2] . ولعل خير مثال على هذا شعر أبي الشمقمق أحد أصحاب بشار، جاء في الحيوان وقيل لابن داحة : « واخرج كتاب أبي الشمقمق فاذا هو في جلود كوفية ودفتين طائفيين بخط عجيب ، فقيل له ـ يعني لابن داحة ـ لقد أضيع من تجود بشعر أبي الشمقمق فقال لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت ان اودعه سويداء قلبي وأجعله محفوظا على ناظري لفعلت ! »[3] .

ولنعد الى يحيى بن علي لنقول : يستنتج من كثرة الروايات التي أسندها ابو الفرج اليه انه كان يعتمد على كتابه (الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين) وعلى كتاب ولده أبي أحمد الحسن بن يحيى الموسوم بذيل كتاب الباهر . ولكن الغريب ان ابا الفرج لا يذكر انه ينقل من الكتابين المذكورين مع أنه لم يفعل ذلك عند روايته عن هارون بن علي بن يحيى اذ يكتفي

---

(١) انظر فصل « الوراقون وتجار الكتب » من كتاب « في الادب العباسي » لكاتب هذا المقال .

(٢) آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ٢/٣٦١ والفهرست ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) الحيوان (تحقيق عبدالسلام هارون) ١/٦١ .

بالقول (نسخت من كتاب هارون بن علي) ولعل سبب هذا ان ابا الفرج أدرك يحيى بن علي المتوفى سنة ٣٠٠ هـ ففضل ذكره والاسناد اليه بدلا من ذكر كتابه ؟ لكنه ذكر كتاب هارون لانه لم يدركه اذ مات سنة ٢٨٨ هـ[1] هذا جائز ولكنا لا نستطيع ان نجزم برأي • لان ابا الفرج يذكر الكتب التي ينقل عنها حينا ويغفل عن ذكرها حينا آخر •

بقي لنا ان نقول ان الاخبار المسندة الى يحيى ليس لها طابع معين فهي متنوعة المشارب فيها ما هو أدب ونقد وفيها ما هو تاريخ ونسب ومنها ما يتعلق بحياة الشاعر أو صفاته الجسمية والخلقية • وتغلب عليها أيضا صفة الحياد وانعدام الشخصية أو الذات ، أعني ان يحيى يروي الخبر دون ان يعلق عليه او يبين رأيه فيه • ومع هذا فان اهتمامه بالشعراء من الموالى خاصة وسكوته عن بعض الروايات المتهافتة او الواضحة الوضع والانتحال كما هي الحال فيما نقله عن نسب بشار لا يخلو من تعاطف شعوبي خفيف• اقول (لا يخلو) لاني لا اريد ان اسارع الى اتهام الرجل بمجرد هذا الافتراض فمن المحتمل ان تكون عنايته بالموالي نتيجة ذلك الميل العام نحو شعر المحدثين عامة • وقد لمس ابن المعتز ذلك عند ادباء زمانه وفسره بسأمهم من العمل في الادب القديم لكثرة العمل فيه كما ذكرنا[2] وقد كان هذا الميل صورة من صور الصراع بين القديم والجديد وقد لمح ابن قتيبة الى هذا أيضا في مقدمة كتاب الشعر والشعراء كما هو معروف[3] •

وما يقال عن يحيى بن علي ينطبق أيضا على أخيه الحسن بن علي الذى أسند اليه ابو الفرج ٢٢ خبرا من اخبار بشار ولكن الملاحظ ان نشاطه كان اقل بكثير من نشاط أخيه كما ان المصادر التي انتهت اليها أسانيده اقل

---

(١) الفهرست (الاوربية) ١٤٣ ·

(٢) ابن المعتز · طبقات ٨٧ ·

(٣) انظر مقدمة كتاب الشعر ولشعراء لابن قتيبة ·

عددا وأدنى مكانة ويمكن ترتيب هذه الاسانيد على الوجه الاتى :

الحسن بن على اسناد	علان الشعوبى بدر بن مزاحم زكريا بن هارون أحمد بن المبارك محمد بن الحجاج اسحاق الموصلى الفضل بن سعيد قدامه بن نوح خلاد الارقط بعض الشعراء من معاصرى بشار محمد بن سلاّم الفضل بن يعقوب زحر بن حصن ابان اللاحقى

ويغلب الطابع القصصي على معطيات الحسن بن علي فقد نقل كثيرا من الاخبار المتعلقة بحياة بشار ، بدأها بذكر نسبة المزعوم الذى يدعى فيه انه من سلالة ملوك الفرس ، ثم تطرق الى عدد من اخبار بشار ونوادره • وقد روى ذلك كله باسلوب تبدو فيه الظرافة وخفة الروح •

لهذا لم يهتم بالجانب اللغوى او الادبى باستثناء خبرين كان احدهما اقرب الى النكتة او النادرة على الرغم من القصيدة الطويلة التى رواها • وهى قصيدة فكاهية طويلة يعاتب بها بشار فتى من بنى منقر لان وكيله اشترى له نعجة نحيلة وسرق باقى ثمنها • ويتحدث بشار عن ذلك واصفا النعجة العجفاء باسلوب ظريف وبما عرف عنه من خفة الروح ومضاء النكتة •

ويتردد في أسانيد الحسن بن علي اسم محمد بن القاسم بن مهرويْه الذي يروى عنه مباشرة • وقد تردد اسم هذا الرجل في اسانيد يحيى بن على

كما يرد اسمه في أخبار كثير من شعراء القرن الثاني[١] • ولم نوفق رغم الجهود التي بذلناها الى معرفة بعض التفاصيل اللازمة عن حيـــاة ومؤلفات هذا الراوية ولكنا نستطيع ان نؤكد انه لعب دورا مهما في رواية جزء كبير من روايات الاغاني[٢] • زد على هذا أن اسمه يتردد في كتب المرزباني الواصلة الينا كالموشح ومعجم الشعراء الذين الفا خلال الفترة نفسها أي في القرن الرابع كما يعتمد في رواياته على بعض مؤلفي النصف الثاني من القرن الثالث وخاصة ابن الجراح وعبدالله بن المعتز[٣] •

ان كتب التراجم والطبقات لم تذكر شيئا عن محمد بن القاسم بن مهرويه ، وقد حاول الاستاذ ليون زولنديك الذى درس اخبار دعبــل الخزاعي معرفة هذا الرجل فلم يوفق أيضا[٤] • ولو لم تتفق المصادر التي ذكرناها على اسمه لجاز ان نفترض ان في الامر تصحيفا أو خطـأ لان شخصيات ادبية متعددة من ادباء القرن الثالث خاصة تحمل اسم محمد بن القاسم كأبي العيناء ومحمد بن القاسم الانباري وغيرهما • والفهرست لابن النديم هو المصدر الوحيد الذى اشار في سطرين الى رجل بهذا الاســم فذكر كُنْيته (أبو عبدالله) ولقبه بالخولاني دون ان يضيف أمرا ذا قيمة[٥] • ولا ندرى اذا كان هو القصود او غيره •

بقى من هؤلاء الاخوة الذين ذكرناهم من آل المنجم هارون بن على

---

(١) الاغاني ، ٢١ انظر فهرست الاعلام •

(٢) ليون زولندك (مصادر كتاب الاغاني) مجلة :
Arabica, vol III No. 8 Septembre 1961.

(٣) انظر ابن الجراح : الورقة وطبقات الشعراء لابن المعتز ، فهرس الاعلام •

(٤) ليون زولنديك ، نفسه •

(٥) الفهرست (الاستقامة) ١٢٥ •

بن يحيى الذى نقل عنه ابو الفرج اربعة عشر خبرا صدرها بقوله « نسخت من كتاب هارون بن علي » . وكان هارون حافظا راوية للاشعار ، حسن المنادمة ، لطيف المجالسة كما وصف . وقد صنف كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا ؛ افتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه بمحمد بن عبدالملك بن صالح ، واختار من شعر كل واحد عيونه ، وقال في اوله : انى عملت كتابى في اخبار شعراء المولدين ، وذكرت ما اخترته من اشعارهم ، وتحريت في ذلك الاختيار اقصى ما بلغته معرفتي وانتهى اليه علمي ... الخ[1]) وذكر ان هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبله في هذا الفن ، وانه كان طويلا فخذف منه أشياء ، فاقتصر على هذا القدر[2] . ويعلق ابن خلكان بعد ذلك على الكتاب بقوله : وبالجملة فانه من الكتب النفيسة ، فانه يغنى عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم ، فانه اختصر اشعارهم ، وأثبت فيها زبدتها وترك زبدها . وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الاصبهاني وقلت : ان كتاب الخريدة وكتاب الخطيرى والباخرزى والثعالبى فروع عليه وهو الاصل الذي نسجوا على منواله[3] . وقد توفى هارون سنة ٢٨٨هـ[4] .

والظاهر ان أبا الفرج ينقل عن كتاب البارع الذى ضاع مع ما ضاع من مصادر الادب ولم يبق منه الا تلك الفقرات المنقولة عنه في الاغانى وهى كثيرة نجدها في اخبار عدد غير قليل من الشعراء المولدين . وهارون يروى أكثر أخبار بشار بواسطة علي بن مهدي الكسروي وهو أديب من اصل فارسي كهارون « وكان مؤدبا أديبا حافظا وكان يؤدب ولد هارون بن

(١) معجم الادباء : ١٩/٢٦٢ .

(٢) وفيات الاعيان (القاهرة ١٩٤٩) ٥/١٣٧ والفهرست ٢١٢ وقد ذكر له كتابا آخر هو : اختيار الشعراء الكبير ولعله الذي أشار اليه ابن خلكان وياقوت .

(٣) المصدر نفسه ، وانظر : القفطي : انباه الرواة ٣/٣٢٩ حاشية المحقق .

(٤) الوفيات : نفسه ومعجم الادباء : نفسه .

علي النديم »[1] ولعل أصله الفارسي يفسر اهتمامه برواية أخبار بشار مع البرامكة وخاصة مع خالد بن برمك[2] وما نظم له من مديح كما يفسر عنايته بذكر نسب بشار المزعوم وتجنبه نقل الروايات التى تنال من بشار أو تحط من قيمته أو تذم مسلكه وتطعن في عقيدته أو تشير الى شعوبيته بأسلوب مباشر أو غير مباشر •

ان نشاط هؤلاء الادباء الثلاثة من ابناء آل المنجم يدل على اهتمام الاوساط ذات الاصول الفارسية والشعوبية بأخبار بشار بن برد ، وليس هذا غريبا فقد كان هذا الشاعر يفخر بفارسيته علانية ولا يتحرج من اظهار شعوبيته في كل مناسبة وبمختلف الاساليب • لقد رددا شجرة نسبه الحافلة بعدد كبير من أسماء ملوك الفرس دون ان يردعهم تعدد هذه الاسماء واضطرابها واستحالة الاطمئنان اليها • والأنكى من هذا أنهم لم يترددوا في ايصالها الى النبى ابراهيم الخليل (ع) دون ان يبدوا اى نوع من انواع الشك والتحرز او يبينوا كيف أصبح ملوك الفرس وحفيدهم المدلل بشار من سلالة النبي ابراهيم[3] ومما يؤيد هذا التعاطف الشعوبي اعتماد ابناء آل المنجم في اسانيدهم على شخصيات معروفة بميولها الشعوبية أو بتعصبها للفرس على العرب امثال علان الشعوبي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبان بن عبدالحميد اللاحقي وأبي يعقوب اسحاق الخريمي وهما شاعران شعوبيان مشهوران • واخيرا على بن مهدى الكسروى المؤدب الذى اشرنا اليه قبل قليل • ولعل يحيى بن على كان اكثر الثلاثة اعتدالا بسبب ميوله المعتزلية ولهذا وجدنا في رواياته أخبارا تتناول معتقدات بشار واحواله

---

(١) الفهرست (الاستقامة) ٢٢٠ •

(٢) الاغاني ٣/ •

(٣) انظر اخبار بشار في الاغاني ١٣٩/٣ وما بعدها للاطلاع على تفاصيل ما اشرت اليه •

الدينية من النوع الذي رواه الجاحظ في البيان والتبيين حول خلاف بشار مع واصل بن عطاء[1] . والذي يتأمل الاخبار المذكورة يجد ان المعتزلة كانوا من أشد خصوم بشار عليه فقد هاجمه واصل بن عطاء المتوفى سنة (١٣١هـ) هجوما عنيفا وسعى في نفيه من البصرة لاسباب مذهبية . وتصدى له بعده واصل عمرو بن عبيد واستطاع نفيه ثانية من البصرة . حتى الجاحظ لم يسلم من تحيز عندما روى تفاصيل نزاع بشار وواصل ونقل ما نسب اليه من شعر يطعن في عقيدته الدينية بلا تحفظ . وقد اوضحت هـذا الموضوع بتفصيل أكثر فيما كتبته عن حياة بشار[2] .

والى جاب هؤلاء الرواة الثلاثة الذين تجمعهم صلة الأدب والنسب والرواية تكشف لنا اخبار بشار طائفة اخرى ترددت اسماؤها في أسانيد هاشم بن محمد الخزاعي وحبيب بن نصر المهلبي وعم ابى الفرج الحسن بن محمد . أما الاول فاخباره نادرة جدا ولكن الخطيب البغدادي اشار اليه في اسطر قليلة قال فيها : « هو هاشم بن محمد بن عبدالله بن مالك ابو خلف[3] الخزاعي .. حدث عن عباس الرياشي[4] وعبدالرحمن بن آخي الاصمعي[5] ، وروى عنه أحمد بن جعفر بن سلم ومحمد بن أحمد بن حماد المتيم . ومات يوم السبت لعشر بقين من رجب سنة ٣١٢هـ »[6] .

لقد روى صاحب الاغاني عن هاشم هذا ستة وعشرين خبرا يمكننا

---

(١) البيان والتبيين (السندوبي) ١/٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) سنحاول نشر ذلك في عدد قادم .

(٣) يكنيه أبو الفرج بأبي دلف بدلا من ابي خلف . انظر الاغاني ١٣٥/٣ و١٦٢ ، ٢٠٦ .

(٤) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي وكان عالما باللغة والشعر وكثير الرواية عن الاصمعي . الفهرست ، ٩٢ .

(٥) هـو عبدالرحمن بن عبـدالله ويكنى بأبي محمـد وقيل بأبي الحسن وكان من الثقلاء الا انه ثقة فيما يرويه عن عمه . انظر الفهرست (الاستقامة) ٨٩ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٩٩ .

(٦) تاريخ بغداد ١٤/٦٨ وطبقات الزبيدي ١٢٧ .

اجمال مصادرها على النحو الآتى :

هاشم بن محمد الخزاعى اسـناد	الاصمعى وقد اسندت اليه اغلب الاخبار
	ابو عبيدة
	محمد بن سلام
	يحيى بن الجون العبدى
	خلاد الارقط
	محمد بن الحجاج
	ابو عمرو بن العـــلاء ، بطريق الاصمعى
	الجاحظ
	اسحاق بن ابراهيم التمار البصري

وتؤيد أسانيد هاشم الخزاعي روايته الاخبار عن الرياشي وعبدالرحمن بن أخي الاصمعي كما ذكر الخطيب البغدادي اذ يتردد اسماهما في منقولاته عن الاصمعى على النحو التالى :

هاشم	←	الرياشي	←	الاصمعى
هاشم	←	عبدالرحمن	←	الاصمعى
هاشم	←	الحسن بن عليل العترى[1]	←	الاصمعى
هاشم	←	قعنب بن محرز[2]	←	الاصمعى

---

(١) هو الاديب اللغوي الاخباري ومن كبار رواة الاغاني نشط في نقل اخبار شعراء العصر العباسي الاول وروى عن يحيى بن معين ، وهدبة بن خالد ، وأبي خيثمة زهير بن حرب ، وقعنب بن محرز الباهلي وابى الفضل الرياشي وروى عنه قاسم بن محمد الانباري وغيره وكان صدوقا . ومات سنة ٢٩٠ بسر من رأى . انظر انباه الرواة للقفطي (دار الـكتب ١/٣١٨ وتاريخ بغداد للخطيب ٧/٣٩٨ .

(٢) تدل الاسانيد التي ورد اسمه فيها على انه من أصحاب الاصمعي وتلامذته .

وينقل هاشم عن ابي عبيدة على هذا النحو :

هاشم ← أبو غسان دماذ[1] ← ابو عبيدة

وقد تكرر هذا الاسناد الاخير اكثر من ثلاث مرات . أضف الى هذا ان هاشما استقى عددا من رواياته من محمد بن سلام ومحمد بن الحجاج باسانيد اخرى مختلفة .

أما حبيب بن نصر الذي سجل له صاحب الاغاني عشرة اخبار فيستقي معلوماته او رواياته من ثلاثة مصادر : الاصمعي ومحمد بن الحجاج وأبي عبيدة . ويمر اسناده الذي لا يزيد عن ثلاثة رواة بعمر بن شبه في كل مرة . ويقول الخطيب البغدادي عن حبيب هذا انه : « حبيب بن نصر المهلبي ، حدث عن محمد بن مهاجر المعروف بأخي حنيف ، وعن محمد بن عمر بن أبي مذعور وغيرهما . وروى عنه ابو الفرج الاصبهاني وعبدالله بن موسى بن اسحاق الهاشمي وغيرهما ... وتوفي ببغداد سنة ٣٠٧هـ »[2].

بقي من هؤلاء الرواة الثلاثة الذين امتازوا بصفات مشتركة سنذكرها بعد قليل عم أبي الفرج الاصبهاني واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن الهيثم الاموي حدّث عن عمر بن شبّه وعبدالله بن أبي سعد الوراق وروى عنه ابن أخيه أبو الفرج[3] » وكان جل نشاطه في رواية أخبار عدد غير قليل من شعراء القرنين الثاني والثالث عن طريق الرواة الذين ذكرهم الخطيب البغدادي ورواة كثيرين آخرين وردت اسماؤهم في أسانيده . وكان دوره واضح الاهمية في نقل أخبار بشار ، وسلم الخاسر[4] صاحب بشار وتلميذه وجملة من شعراء الخمر والمجون كحماد عجرد[5] ومطيع

---

(١) دماذ أبو غسّان اللغوي من أصحاب أبي عبيده ، ودماذ لقب غلب عليه واسمه رفيع بن سلمه وكان كاتب ابى عبيده . انظر انباه الرواة للقفطي ٢/٥ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٤٨ وطبقات النحويين للزبيدي ١٢٨ والفهرست (الاستقامة) ٥٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٣/٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٤١٧/٧ .

(٤) الاغاني ١١٧/٢١ .

(٥) الاغاني ٦٣/١٢ .

بن أياس[1] وبعض أخبار أبي نواس مع جنان[2] خاصة والمغني ابراهيم بن المهدي[3] الذي أورد قسما كبيرا من أخباره ، وشعراء آخرين لا مجال لذكرهم كلهم .

اما عن بشار فقد روى عم ابى الفرج تسعة عشر خبرا من أخباره . وطبيعي ان يضعه نشاطه الكبير هذا في طليعة الذين نقلوا انباء هذا الشاعر وبملاحظة أسانيده نجد أخباره مستقاة عن المصادر التالية :

عم ابى الفرج الحسن بن محمد اسناد

- ابو حاتم السجستانى
- ابو زيد الانصارى
- محمد بن سلام
- ابن عائشة
- يزيد بن وهب
- يحيى بن الجون العبدى راوية بشار
- ابو عبيدة
- صالح بن عطية بواسطة عبدالله بن ابى سعد
- عبدالله بن ابى سعد
- ابو الشبل عاصم بن وهب
- أحمد بن ابى طاهر
- رجل من باهله ؟
- نصر بن عبدالرحمن العجلى
- النضر بن طاهر ابو الحجاج
- بعض ولد ابى عبيدالله وزير المهدي

---

(1) الاغاني ١٨/٢٧٨ روى له أكثر من عشرة أخبار .
(2) الاغاني ١٨/٦ .
(3) الاغاني (دار الكتب) ١٠/١٠٧ و ج ٥/٢٩٠ و ٩/٣٣٦ .

ويرد اسم عبدالله بن أبى سعد في بعض هذه الاسانيد مؤكدا ما ذكره الخطيب البغدادى والقفطى من ان عم ابى الفرج كان يروى عنه • كما ورد اسم أحمد بن ابى طاهر في ثلاث سلاسل هنا وفي اسانيد بعض الشعراء الذين مرت بنا اسماؤهم • ولعل عم ابى الفرج كان يعتمد على ما دونه ابن ابى طاهر في الكتاب الذى ألفه عن بشار وشعره • ويلاحظ ايضا كثرة تردد اسم الكراني في منقولاته عن شعراء القرن الثانى ولعل المقصود هنا ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرمانى (بالميم) لا الكرانى • وقد وصفه ابن النديم بأنه « مضطلع بعلم اللغة والنحو ، مليح الخط ، صحيح النقل ، وكان يورق بالاجرة »[1] ويورد عم ابى الفرج اخباره عن الكرمانى بدون واسطة وعلى النحو الآتي :

عم ابى الفرج ← الكرمانى ← ابو حاتم السجستانى
عم ابى الفرج ← الكرمانى ← ابن عائشة
عم ابى الفرج ← الكرمانى ← رواة آخرون

ان القاء نظرة فاحصة على منقولات هؤلاء الرواة الثلاثة أعنى هاشم وحبيب بن نصر وعم ابى الفرج تدفعنا الى القول بان الاخبار ذات طابع لغوى أدبى عند هاشم الخزاعى وحبيب بن نصر وأنها ذات صفة اخبارية ادبية عند عم ابي الفرج • ان اسانيد هاشم تبين تلمذته أو روايته عن عباس الرياشى وتظهر علاقاته الوثيقة بتلك الطائفة من الرواة الذين نقلوا عن الاصمعى او تتلمذوا عليه او تأثروا به • وكانت اكثر عنايتهم باللغة والغريب والاخبار والاحكام والنقدات التى تعنى بهذا الجانب • لهذا نجد منقولاتهم كثيرا ما تفسر مختارات من اشعار بشار او تعقد مقابلات بينه وبين كبار معاصريه مثل مروان بن أبى حفصة وسلم الخاسر وعقبة بن رؤبة بن

---

(١) الفهرست (الاستقامة) ١٢٤ انظر أيضا انباه الرواة للقفطي ١٥٥/٣ الذي وصفه بعين الصفات وذكر بعض كتبه • وانظر السيوطي : بغية الوعاة ٦٠ والزبيدي : طبقات النحويين ٨٧ ومعجم الادباء ٢١٣/١٨ وكشف الظنون (الاوربية) ١٨٩٩ •

العجاج • خذ على سبيل المثال هذه الرواية :

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن الاصمعي قال : ولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط ، وكان يشبه الاشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء ان يأتوا بمثله • قيل له يوما وقد أنشد قولـه :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها ؟ ! فقال : ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر ••• الخ[1] • وقد انتقل هذا الخبر الى عدد كبير من كتب الادب والنقد عبر كتاب الاغاني حتى صار ـ بصرف النظر عن الصور المختلفة التي حرر بها ـ عنصرا لا غنى عنه في تقدير شاعرية بشار ومواهبه الفائقة[2] • وطبيعي انه لم يكن الوحيد من هذا النوع من الاخبار التي نقلتها هذه الطائفة من الرواة التي يمكن ان توصف بأنها كونت شبه مدرسة وكان لاتجاه هذه المدرسة النقدي فضل كبير على تطور النقد الادبي فيما بعـد •

ومن الجدير بالذكر ان هذه الطائفة او المدرسة من الرواة لم تخل من بعض المتطرفين في تعصبهم للادب القديم مثل اسحاق الموصلي وابـن الاعرابي • جاء في الاغاني : حدثني جحظة (البرمكي) قال : حدثني على بن يحيى قال : كان اسحاق الموصلي لا يعتد ببشار ويقول : هو كثـير التخليط في شعره ، وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ؛ أليس هو القائل:

انما عظـم سليمى حبتي قصب السكر لاعظم الجمل

واذا أدنيت منهـا بصـلا غلب المسك على ريح البصل

---

(١) الاغاني (الثقافة) ٣/١٣٥ •

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب الاختبار من شعر بشار والمصادر الاخرى التي ترجمت لشاعرنا •

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف الى هذا لزيّفه . قال : وكان يقدم عليه مروان ويقول هو أشد استواء شعر منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها . وكان (يعني اسحاق) لا يعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيرا[1] . وكأنّ جحظة قد أراد الرد على اسحاق وامثاله حين نقل عن المصدر نفسه خبرا آخر يقول ان أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس وفي الاسلام القطامي وان أحسن المحدثين ابتداء بشار بن برد[2] . اما ابن الاعرابي الذي اسهم في رواية اخبار عدد كبير من أخبار الشعراء المحدثين فلم يكن له أي دور في نقل أخبار بشار فلماذا ؟ هل كان تعصبه للقديم سبب عدم اهتمامه به ؟ فاذا كان الامر كذلك فلماذا أبدى ابن الاعرابي نشاطا ملحوظا في نقل اخبار شعراء اكثر تخليطا في الاسلوب من بشار مثل ابي العتاهية ؟ أكان سبب اهتمامه بابي العتاهية كون هذا الاخير كوفيا مثله فكان من الطبيعي ان يروي اخباره كما كان من الطبيعي ان ينقل الرواة البصريون أخبار بشار ؟ صحيح ان من طبيعة الاشياء ان يشتغل البصريون بنقل أخبار شعراء البصرة وان يشتغل رواة الكوفة بأخبار شعراء الكوفة وأن المنافسة بين علماء المدينتين ورواتها قد تنعكس في عمليات جمع الاخبار وروايتها ؟ ولكن الذي يمكن ان نؤكده ان صلة الرواة الكوفيين بالشعراء الكوفيين وصلة رواة البصرة بشعراء البصرة لم تؤلف مدرستين للرواية مثلما تألفت مدرستان في النحو لان طبيعة الرواية تختلف عن طبيعة النحو ولان هذا الاخير نشأ قبل نمو حركة تدوين أخبار الشعراء المولدين بزمن طويل ولان شعراء العصر العباسي الاول لم يرتبطوا بالمدن التي ولدوا ونشأوا فيها فقد آثروا التجوال والانتقال وتمركز أكثرهم في بغداد .

(للبحث صلة)

---

(١) مقدمة ديوان ابي نواس (طبعة آصاف) ١٣ .
(٢) الاغاني ٣/١٤٢ .

تجارة الحنطة الدولية

من ١٩٤٥ الى ١٩٦٣

للدكتور محمد حامد الطائي
استاذ مساعد في قسم الجغرافية

المقـــدمة :

في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، اهتمت هيئة الامم المتحدة ومعها كثير من دول العالم في تنظيم تجارة الحبوب وخاصة الحنطة وطحينها. ومن أجل ذلك ، أقيمت وكالة دائمية تتولى الوساطة بين الدول المستوردة والمصدرة . واصبح مؤتمر الحنطة الدولي يعمل بالتعاون مع منظمة التغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة ، ووضع الاتفاقيات لضمان مصالح الدول المستوردة والمصدرة على السواء . اما عدد أعضاء المؤتمر في اجتماعه الاخير في ١٩٦٢ فقد بلغ ٤٣ دولة ، بالاضافة الى من حضره من المراقبين من دول عدة . وكان المؤتمر في اول اجتماعه قبل ٢٠ سنة ، يضم خمسة اعضاء فقط (الدول المصدرة الرئيسية الاربع مع المملكة المتحدة) .

وهذا الاهتمام بتنظيم تجارة الحنطة دوليا ، يعكس اهمية هذا المحصول بالنسبة لاقتصاديات الدول المستوردة والمصدرة اولا ورفع مستوى المعيشة في العالم ثانيا وانعاش الاقتصاد العالمي ثالثا . والحنطـــة كبيرة الاهمية في التجارة الدولية من ناحية الكمية التي تتطلب استخدام الكثير من وسائل النقل البحرية والبرية ، ومن ناحية القيمة التي تستلزم توفير العملة الأجنبية واجراء عمليات التحويل الخارجي .

وقبل مدة قصيرة نقلت وكالات الانباء في العالم خبر الصفقة الضخمة التي عقـــدها الاتحاد السوفيتي مع كنـــدا لشـــراء من الحنطـــة ما قيمتـــه

٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠٠ دولار • وفي نفس الوقت نقلت هذه الوكالات نبأ الصفقة التى عقدها العراق مع الولايات المتحدة لشراء ٠٠٠ر١٥٠ طن من الحنطة ، ثم عقد صفقة اخرى مع استراليا لشراء ٠٠٠ر١٠ طن •

نظرة شاملة عند نهاية الحرب :

في نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الدول المصدرة الرئيسية للحنطة هى كندا والارجنتين واستراليا والولايات المتحدة الامريكية • واما الدول المستوردة الرئيسية فكانت دول غرب اوربا وشرق اسيا والهند ودول امريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الاوسط • وكانت الحنطة في الدول المنتجة تستهلك في التغذية وعلف الحيوانات وصنع الكحول • ولم يكن استعمالها في الاغراض غير التغذية بأقل اهمية من استعمالها في التغذية من ناحية الكمية •

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الدول المصدرة الاربع تشكو من فائض كبير من الحنطة المكدسة في مخازنها ، وهى تأمل تصريف هذا الفائض باسعار مرتفعة بعد انتهاء الحرب • في حين ان الدول المستوردة الرئيسية كانت تشكو من نقص كبير في الحنطة اللازمة لسد حاجة سكانها، وهي تأمل توفر الكميات المطلوبة بعد انتهاء الحرب ، وامكانية الحصول عليها باسعار اوطىء من اسعار الفترة الاخيرة من الحرب • وقد تميز الموسم الزراعى لعام ١٩٤٤/٤٥ في كثير من الدول المستوردة بقلته وخاصة في الهند وايران وتركيا والعراق وسوريا ولبنان ومصر وتونس والجزائر ومراكش • وبعد ان كانت بعض الدول تصدر كميات محدودة من الحنطة ، اصبحت في وضع اضطرت معه الى استيراد كميات اضافية لسد حاجة الاستهلاك الداخلي •

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الدول المصدرة الرئيسيةالاربع مع المملكة المتحدة ، كاكبر مستورد للحنطة ، قد ارتبطت باتفاقية لتنظيم شؤون انتاج الحنطة وتصريفها • وكان ذلك بعد اجتماع واشنطن في اواسط

١٩٤٢ • ثم تشكل مجلس الحنطة الدولي الجديد في آب ١٩٤٢ • وعقد اجتماعه الثاني في اوائل ١٩٤٣ •

وأخيرا ففي نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان هناك أمور مهمة ثلاثة تشغل المسؤولين وتحملهم على تنظيم عمليات تصدير الحنطة واستيرادها وهي :

١ ـ وجود فائض كبير من الحنطة عند الدول المصدرة الرئيسية الاربع ؛ كندا والارجنتين واستراليا والولايات المتحدة •

٢ ـ وجود مناطق واسعة من العالم ، تحتاج الى كميات كبيرة من الحنطة لسد الاستهلاك الداخلي ، مما اضطر بعضها الى تطبيق نظام توزيع الخبز بالبطاقات •

٣ ـ تقليص الانتاج في الدول المنتجة الكبرى ، وتوسيع نطاق التصدير الى المناطق التي تشكو قلة الحنطة والتي اضطرت الى مزج طحين الحنطة مع طحين الحبوب الاخرى والبطاطة لصنع الخبز ، والى المناطق التي يهددها خطر المجاعة •

الاتفاقيات الدولية

مؤتمر الحنطة الدولي :

ان الاوضاع الدولية المتعلقة بانتاج الحنطة وتصريفها ، حملت المسؤولين في الدول المصدرة والمستوردة على التعاون لوضع الحلول الناجحة لمعالجة المشكلة المعقدة بالنسبة للدول التي تنتج كميات كبيرة من الحنطة من جهة والدول التي تعتمد على الاستيراد كليا أو جزئيا لسد استهلاكها الداخلي من جهة ثانية •

وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كان هناك تنظيم دولي يمكن اتخاذه أساسا لتعاون دولي أوسع ، ذلك هو مجلس الحنطة الدولي الذي اجتمع لاول مرة في ١٩٤٢ • وفي نفس السنة وقعت كل من الولايات المتحدة

والمملكة المتحدة على اتفاقية خاصة ، لتنظيم تجارة الحنطة بينهما • ثم وقعت على هذه الاتفاقية ٩ حكومات ، كان بعضها في المنفى ؛ وهي الصين والاتحاد السوفيتي وبلجيكا وجيكوسلوفاكيا وبولندا وهولندا واليونان والنرويج ويوغوسلافيا •

وبعد تكوين هيئة الامم المتحدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أصبحت مجالس الحنطة الدولية من المنظمات التابعة لهذه المؤسسة الدولية • كما أصبحت هذه المجالس تنظم تجارة الحنطة الدولية وتحدد الكميات التي تتعهد الدول المصدرة بتصديرها ، ويقابلها الكميات التي تتعهد الدول المستوردة باستيرادها •

ويجتمع مؤتمر الحنطة الدولي لوضع تفاصيل الاتفاقية العامة التي تبقى نافذة المفعول مدة ثلاث سنوات من تاريخ تصديقها ، بما في ذلك الحدين الاعلى والادنى للاسعار • وكان آخر المؤتمرات الدولية لتنظيم تجارة الحنطة ، قد عقد في جنيف فيما بين ٣١ كانون الثاني و١٠ مارت من عام ١٩٦٢ • وكان مجلس الحنطة الدولي في ٢ آب ١٩٦١ قد طلب من السكرتارية العامة لهيئة الامم المتحدة ، عقد مؤتمر دولي للتفاوض حول اتفاقية الحنطة الدولية الجديدة التي ستصبح نافذة اعتبارا من ١ آب ١٩٦٢ • والمؤتمر المذكور يعقد عادة مرة واحدة كل ثلاث سنوات •

اما منظمة التغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة فتتعاون مع مؤتمر الحنطة الدولي ومجلس الحنطة الدولي رغبة في تحقيق أهدافها في توسيع نطاق الانتاج الزراعي وتحسين نوعيته لرفع مستوى المعيشة ومحاربة الفقر والمجاعة في مختلف أنحاء العالم •

اما الدول الاعضاء التي حضرت المؤتمر فقد بلغ عددها ٤٣ دولة وهي :

١ الارجنتين
٢ استراليا
٣ النمسا
٤ بلجيكا
٥ البرازيل
٦ كندا

٧ سيلان

٨ كولومبيا

٩ كوبا

١٠ الدانمارك

١١ فنلندا

١٢ فرنسا

١٣ ألمانيا الاتحادية

١٤ اليونان

١٥ الفاتيكان

١٦ الهند

١٧ ايران

١٨ اسرائيل

١٩ ايطاليا

٢٠ اليابان

٢١ ليبريا

٢٢ ليبيا

٢٣ المكسيك

٢٤ مراكش

٢٥ هولندا

٢٦ ايرلندا

٢٧ نيوزيلندا

٢٨ النرويج

٢٩ الباكستان

٣٠ الفلبين

٣١ بولندا

٣٢ البرتغال

٣٣ جمهورية كوريا

٣٤ السعودية

٣٥ اتحاد جنوب افريقيا

٣٦ اسبانيا

٣٧ السويد

٣٨ سويسرا

٣٩ سوريا

٤٠ الاتحاد السوفيتي

٤١ الجمهورية العربية المتحدة

٤٢ الولايات المتحدة الامريكية

٤٣ المملكة المتحدة .

وشاركت للمراقبة سبع دول هي بلغاريا وجيكوسلوفاكيا وهنغاريا والعراق وبيرو والسودان ويوغوسلافيا .

أهداف المؤتمر :

تجاريا يعتبر مؤتمر الحنطة الدولي على جانب كبير من الاهمية ، لما يصدر عنه من اتفاقيات تضمن مصالح الدول المصدرة والمستوردة على السواء

وتسهل عمليات التصدير والاستيراد • وقد شعرت الدول بأهمية المؤتمر والاتفاقيات التي يضعها •

واولى اتفاقيات الحنطة قد عقدت في ١٩٤٩ ، ثم عدلت في ١٩٥٣ • وجددت في ١٩٥٦ ثم في ١٩٥٩ ، وأخيرا في ١٩٦٢ •

وفي المادة الاولى من الاتفاقية حددت الاهداف التي يمكن ان تجمل بما يلي :

١ ـ ضمان توفير الحنطة والطحين للدول التي بحاجة الى الاستيراد والاسواق للدول المصدرة •

٢ ـ توسيع التجارة الدولية والمحافظة على حرية تجارة الحنطة والطحين بقدر الامكان ، ضمانا لمصالح الدول المصدرة والدول المستوردة • وبذلك تحقيق لتنمية الاقتصاد العالمي •

٣ ـ التغلب على الصعوبات التي جابهها المنتجون والمستهلكون بسبب وجود كميات فائضة في دول ووجود نقص كبير في دول أخرى •

٤ ـ تشجيع استهلاك الحنطة والطحين في العالم ، وبصورة خاصة في الدول النامية لرفع المستوى الصحي وتحسين التغذية في هذه الدول ، وبالتالي يساعد على تقدمها اقتصاديا •

٥ ـ تحقيق التعاون الدولي في التغلب على مشاكل الحنطة في العالم ، لما هو قائم من علاقة بين تجارة الحنطة من جهة واستقرار أسعار المنتجات الزراعية في الاسواق من جهة ثانية •

٦ ـ تحديد أسعار الحنطة في الاسواق الرئيسية • وعلى أساسها تجري مفاوضات عقد الصفقات بين الطرف المصدر والطرف المستورد • والاسعار كما حددها المؤتمر المذكور كانت :

أ ـ الحد الاعلى ـ ٢٫٠٢ دولار كندي للبوشل الواحد

ب ـ الحد الادنى ـ ١٫٦٢ دولار كندي للبوشل الواحد

تعهدات التصدير والاستيراد :

استنادا الى الاتفاقية الدولية في ١٩٥٦ فقد تعهدت الدول المصدرة بتقديم الكميات التالية :

الدولة	الكمية بالاطنان المترية
الارجنتين	٤٠٠ر٠٠٠
استراليا	٨٢٣ر١٧١
كندا	٢ر٨٠٠ر٣٩٥
فرنسا	٤٥٠ر٠٠٠
السويد	١٧٥ر٠٠٠
الولايات المتحدة	٣ر٥٩٥ر٤٣٤
المجموع	٨ر٢٤٤ر٠٠٠

اما الدول المستوردة فقد تعهدت بشراء الكميات التالية :

الدولة	الكمية بالاطنان المترية
النمسا	١٠٠ر٠٠٠
بوليفيا	١١٠ر٠٠٠
البرازيل	٢٠٠ر٠٠٠
سيلان	١٧٥ر٠٠٠
كولومبيا	٧٠ر٠٠٠
كوستاريكا	٤٠ر٠٠٠
كوبا	٢٠٢ر٠٠٠
الدنمارك	٥٠ر٠٠٠
جمهورية الدومنيكا	٣٠ر٠٠٠
الاكوادور	٥٠ر٠٠٠

الدولــــة	الـكمية بالاطنان المترية
مصر	۳۰۰ر۰۰۰
السلفادور	۲٥ر۰۰۰
ألمانيا الغربية	۱ر٥۰۰ر۰۰۰
اليونان	۳۰۰ر۰۰۰
كواتيمالا	٤۰ر۰۰۰
هايتي	٦۰ر۰۰۰
هندوراس	۲٥ر۰۰۰
الهند	۲۰۰ر۰۰۰
اندونسيا	۱٤۰ر۰۰۰
ايرلندا	۱٥۰ر۰۰۰
اسرائيل	۲۲٥ر۰۰۰
ايطاليا	۱۰۰ر۰۰۰
اليابان	۱ر۰۰۰ر۰۰۰
الاردن	۱۰ر۰۰۰
كوريا	٦۰ر۰۰۰
بلجيكا	٤٥۰ر۰۰۰
لبنان	۷٥ر۰۰۰
ليبريا	۲ر۰۰۰
المكسيك	۱۰۰ر۰۰۰
هولندا	۷۰۰ر۰۰۰
نيوزيلندا	۱٦۰ر۰۰۰
نيكاراكوا	۱۰ر۰۰۰
النرويج	۱۸۰ر۰۰۰
بناما	۳۰ر۰۰۰
بيرو	۲۰۰ر۰۰۰

الفلبين	١٦٥ر٠٠٠
البرتغال	١٦٠ر٠٠٠
السعودية	١٠٠ر٠٠٠
اسبانيا	١٢٥ر٠٠٠
سويسرا	١٩٠ر٠٠٠
اتحاد جنوب افريقيا	١٥٠ر٠٠٠
الفاتيكان	١٥ر٠٠٠
فنزويلا	١٧٠ر٠٠٠
يوغوسلافيا	١٠٠ر٠٠٠
المجموع الكلي	٨ر٢٤٤ر٠٠٠

وبأمكان الدولة المستوردة ان تحصل على الكمية التي تحتاجها من الحنطة من دولة أو أكثر من الدول المصدرة ، وذلك حسب الاتفاق والاسعار المقررة • وفي حالة تعهد دولة مستوردة شراء كمية معينة من دولة مصدرة ، فيحق للدولة المستوردة الحصول على تلك الكمية أو على قسم منها من دولة مصدرة أخرى ، بعد موافقة الدولة المصدرة الاولى • وفي حالة تعذر تجهيز الكمية المطلوبة من الحنطة من دولة مصدرة سبق وان تعهدت بالتجهيز ، فبامكان الدولة المصدرة ان تحيل الطلب الى دولة مصدرة ثانية بعد موافقتها على قبول التحويل • وعندئذ تدفع الدولة المستوردة قيمة الحنطة الى الدولة المجهزة حسب الاسعار المتفق عليها سابقا •

مثال ذلك ، اتفقت الهند في عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ على استيراد ١ر٧١١ر٠٠٠ طن من الحنطة ، من الدول وبالكميات التالية ، ولكنها استوردت فعلا ١ر٣٩٦ر٠٠٠ طن فقط •

الدولة	الكمية بالاطنان
الارجنتين	٢٤٣ر٠٠٠
استراليا	٣٩٤ر٠٠٠
كندا	٥٠١ر٠٠٠
الولايات المتحدة	٥٧٣ر٠٠٠
الكمية المتفق عليها	١ر٧١١ر٠٠٠
الكمية المستوردة فعلا	١ر٣٩٦ر٠٠

التزامات الدول المستوردة :

في مؤتمرات الحنطة الدولية ، تتعهد كل من الدول المصدرة ببيع كميات معينة من الحنطة ، كما وان كلا من الدول المستوردة تعلن رغبتها بشراء كميات محددة في تلك السنة ، على ان لا تقل عن النسب المئوية الملتزمة بها من أصل الكمية المطلوبة . وفيما يلي الدول المستوردة والنسب المئوية من الكميات المتفق عليها كحد أدنى للاستيراد بموجب اتفاقية مؤتمر الحنطة الدولي المنعقد في آب ١٩٦٢ .

الدولة	النسبة المئوية
النمسا	٦٠
بلجيكا ولوكسمبرك	٩٠
البرازيل	٣٠
سيلان	٨٠
كوبا	٩٠
جمهورية الدومنيكان	٩٠
ألمانيا الاتحادية	٨٧ر٥

الـــدولة	النسبة المئوية
اتحاد روديسيا ونياسالاند	٩٠
الهند	٧٠
اندونسيا	٧٠
ايران	٨٠
سويسرا	٨٧
الجمهورية العربية المتحدة	٣٠
المملـكة المتحدة	٩٠
الفاتيكان	١٠٠
فنزويلا	٦٠
ايرلندا	٩٠
اسرائيل	٦٠
اليابان	٨٥
هولندا	٩٠
ليبريا	٧٠
ليبيا	٧٠
نيوزيلندا	٩٠
نيجريا	٨٠
النرويج	٩٠
الفلبين	٨٠
بولندا	٥٠
البرتغال	٨٥
جمهورية كوريا	٩٠
السعودية	٧٠
اتحاد جنوب افريقيا	٩٠

مكانة الدول الاعضاء في المؤتمر :

ان الدول المصدرة تتباين في اهمية صادراتها بالنسبة للتجارة الدولية ، فهناك اربع دول تعتبر رئيسية ، وهي في الواقع تصدر اكثر من ٩٠٪ من مجموع صادرات الدول المصدرة كافة • اما الدول المصدرة الاخرى فتعتبر ثانوية اذا ما اخذ بنظر الاعتبار نسبة صادراتها من مجموع التجارة الدولية•

وينطبق مثل هذا القول على الدول المستوردة ، اذ انها تتباين في اهمية استيراداتها بالنسبة للتجارة الدولية • فهناك دول تستورد كميات كبيرة من الحنطة ، وهى تعتمد على الاستيراد في سد معظم حاجة الاستهلاك الداخلي ، وذلك لانها لا تنتج الا القليل من الخبز الذى تستهلكه شعوبها • اما الدول المستوردة الاخرى ، فان استيراداتها تعتبر ثانوية بالنسبة لمجموع تجارة الحنطة الدولية ، وذلك اما لقلة عدد سكانها او لانها تنتج ما يسد معظم حاجتها •

وفيما يلي قائمتان تبينان مكانة الدول الاعضاء في مؤتمر الحنطة الدولى مع الاصوات التى تمتلكها هذه الدول • وعدد الاصوات في الواقع يعتبر مقياسا لاهمية الدولة في مجال تجارة الحنطة الدولية •

الدول المصدرة للحنطة

الدولة	عدد الاصوات
الارجنتين	٧٠
استراليا	١٢٥
كندا	٢٩٠
فرنسا	٧٠
ايطاليا	١٠
المكسيك	٥
اسبانيا	٥
السويد	١٠
الاتحاد السوفيتي	١٢٥
الولايات المتحدة	٢٩٠
المجموع	١٫٠٠٠

الدول المستوردة للحنطة

الدولة	عدد الاصوات
النمسا	٦
بلجيكا ولوكسمبرك	٣٣
البرازيل	٢٨
سيلان	١٢
كوبا	١٢
جمهورية الدومنيكان	٢
المانيا الاتحادية	١٣٩
اتحاد روديسيا ونياسالاند	٦
الهند	٢٠
اندونيسيا	٦
ايران	٤
ايرلندا	١١
اسرائيل	٦
اليابان	١٥٤
هولندا	٧٠
ليبريا	١
ليبيا	٣
نيوزيلندا	١٤
نيجريا	٤
النرويج	١٨
الفلبين	٢٢
بولندا	١٠
البرتغال	٩
جمهورية كوبا	٢
السعودية	٥
اتحاد جنوب افريقيا	١٠

الدولة	عدد الاصوات
سويسرا	٢٣
الجمهورية العربية المتحدة	١٦
المملكة المتحدة	٣٣٩
الفاتيكان	١
فنزويلا	١٤
المجموع	١٠٠٠ر١

الكمية والتصريف

يلاحظ في جدول الدول المصدرة ، ان صادرات كل دولة تتفاوت تفاوتا كبيرا من سنة الى اخرى • وهذا التفاوت يعكس في الغالب حالة الانتاج في الدولة المصدرة • فالتصدير يرتفع حين يكون الموسم الزراعي جيدا والانتاج كبيرا ، وينخفض التصدير في حالة رداءة الموسم الزراعي وقلة الانتاج •

اما استيرادات الدول المستوردة الرئيسية فقد تميزت بانسجامها • كما سجلت بعضها زيادة مستمرة كالهند واليابان • وهذا يدل على ان الانتاج قد حافظ على مستواه تقريبا ، في حين ان عدد السكان قد ازداد زيادة ملموسة ، او ان زيادة السكان كانت بنسبة اعلى من الزيادة التي سجلها الانتاج الزراعي • وهذه الحالة تعكس كذلك درجة اعتماد هذه الدول على الاستيراد لسد حاجة الاستهلاك المحلي •

وقد تعرضت استيرادات الدول المستوردة الثانوية الى تقلب كبير من سنة الى اخرى ، وذلك بسبب تفاوت كمية الانتاج • لذا فاسواق هذه الدول تكون قليلة الاهمية عادة ، لان ما تستورده من الحنطة سنويا يعتبر ضئيلا بالنسبة لمجموع التجارة الدولية •

وسجلات التجارة الدولية تبين ان بعض الدول تكون مصدرة في سنة ومستوردة في سنة ثانية مثل العراق وسوريا وتركيا • وذلك بسبب تقلب حالة المواسم الزراعية • ففي السنة التي يكون فيها الموسم جيدا ، يفيض الانتاج عن الحاجة الداخلية ويصدر الفائض الى الخارج • وفي حالة رداءة الموسم ،

ينخفض الانتاج عن مستواه الاعتيادي ، وتصبح الدولة بحاجة الى الاستيراد لتوفير الخبز اللازم لتغذية سكانها • واسواق مثل هذه الدول لا يعتمد عليها بالنسبة للدول المصدرة الرئيسية ، وخاصة وانها عندما تحتاج الى الاستيراد فهي لا تستورد الا قدرا محدودا فقط •

الدول المصدرة الرئيسية

صادراتها من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠

(الكمية بآلاف الاطنان المترية)

الدولة	١٩٤٨/ ٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠
كندا	٥ر٨٩٠	٧ر٨٣٤	٦ر٨٩٧	٧ر٨٦٤	٧ر٦٨٩	٦ر٣٢٦	٧ر٣٩٧	٧ر١٧٧	٦ر٦٠٩
الولايات المتحدة	٩ر٠٦٦	٥ر٩٧٩	٧ر٤٧٨	٩ر٣٢٦	١٤ر٩٢٤	١١ر٣١١	٨ر٩٨٧	٩ر٧٢٦	١٣ر٦٦٦
الارجنتين	١ر٨٦١	٣ر٠٥٧	٣ر٦٢٩	٣ر١٥٥	٢ر٦٩٨	٢ر٦٦٠	٢ر١١٢	٢ر٣٩٨	٢ر٤٨٥
استراليا	٢ر٧١٥	١ر٩٤١	٢ر٥٤٤	٢ر٧٧٤	٣ر٣٢٤	١ر٦٧٥	٢ر٠٥٠	٣ر١٦٥	٥ر٠٥١
الاتحاد السوفيتي	٩٥٠	٦٥٠	٧٠٠	٣٨٠	١ر١٦٠	٥ر٤٥٠	٣ر٨٧٨	٦ر٠٥١	٥ر٦٣٨

الـدول المســتوردة الرئيســية
استيراداتها من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠
(الكمية بالاف الاطنان المترية)

الدولة	١٩٤٨/٥٢	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠
جيكوسلوفاكيا	—	٩٧٥	٩٦٤	١ر١٤١	١ر٠١٤
فرنسا	٥٣٠	٦٩٩	٢٩١	٥٣٩	٣٣٣
بولنـدا	—	١ر٧٩٣	٦٦٦	١ر٣١٢	١ر٦٩٩
بريطانيا	٤ر١١١	٤ر٦٠١	٤ر٥٨٩	٤ر٣٤٣	٤ر١٧٣
البرازيـل	٩٥٦	١ر٤٤١	١ر٥٠٦	١ر٨٢٠	٢ر٠٣٢
الهنـــد	٢ر٠١٨	٢ر٨٥٥	٢ر٧١١	٣ر٥٤٥	٤ر٣٣٨
اليابان	١ر٥٠٨	٢ر٢٣٩	٢ر٢٨٠	٢ر٤١٢	٢ر٦٧٨
الباكستان	—	٧٢٩	٧٦٤	٦١٣	١ر١٨٠
الجزائـر	١٠٧	٥٠	١٠٨	٥١٩	٥٣٦
الجمهورية العربية المتحدة	٥٨٧	٧٠٩	٧٧٤	٧٣٠	٦٣٠
السعودية	—	٣٦	٢٨	٣٥	٤٢
سوريا	١٩ر٢	—	—	٦١	٢٢٨
العـراق	١٢	٤٩	—	١٤٦	٢٠٦

وكان مجموع تجارة الحنطة الدولية في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ بحسب المجموعات كالاتي :

المجمـوعة	١٩٥٩	١٩٦٠
اوربا ـ ما عدا الاتحاد السوفيتي	٢ر٢١٨ر٠٠٠	١ر٨٨٠ر٠٠٠
الاتحاد السوفيتي	٦ر٠٥١ر٠٠٠	٥ر٦٣٨ر٩٠٠
امريكـا الشمالية	١٦ر٩٣٧ر٠٠٠	٢٠ر٣١٠ر٠٠٠
امريكـا اللاتينية	٢ر٤٥٨ر٠٠٠	٢ر٤٨٦ر٠٠٠
اسـيا	٤١١ر٠٠٠	٥٦ر٠٠٠
افريقيـا	١٥٨ر٠٠٠	٢١٩ر٠٠٠
المجموع الكلى	٢٨ر٢٣٣ر٠٠٠	٣٠ر٥٨٩ر٩٠٠

العراق والتجارة الدولية

من المفيد بيان مكانة العـراق في انتاج الحنطة وتجارتها الدولية • فالمساحة المزروعة بالحنطة خلال العشرة سنوات الاخيرة سجلت زيادة تقدر بنحو من ٣٥٪ • وقدرت هذه المساحة بحوالى ٩٥٠ر٠٠٠ هكتار (الهكتـار يساوى ٤ دونمات والدونم يساوى ٢٥٠٠ متر مربع) في عام ١٩٥٢ ووصلت الى ١ر٤٥٠ر٠٠٠ هكتار في ١٩٦٢ • كما وان الزيادة في المساحة كانـت مستمرة فى هذه الفترة •

اما انتاج الحنطة في العراق فلم يتعرض لمثل الزيادة التى تعرضت لها المساحات المزروعة • وأتصف بالتقلب الكبير ايضا • وهذه الظاهرة الاخيرة مألوفة في المحاصيل الزراعية ، وخاصة الحبـــوب • ويرجـع السبب الى الاحوال المناخية وعلى الاخص كمية وتوزيع الامطار • ويوضح هــذا التقلب الجدول التالى :

السـنة	الانتاج بالاف الاطنان
١٩٥٤	١١٦٠
١٩٥٥	٤٥٢ر٣
١٩٥٦	٧٧٦ر٤
١٩٥٧	١١١٨
١٩٥٨	٧٥٧
١٩٥٩	٦٥٨ر٦
١٩٦٠	٥٩٢
١٩٦١	٨٥٧ر٤
١٩٦٢	١٠٨٥ر٥
١٩٦٣	٤٦٥ر٧

اما استهلاك الحنطة في العراق ، فيقدر بحوالى ٨٠٠ر٠٠٠ طن سنويا • وعليه فان العراق يصدر كميات محدودة من الحنطة في بعض السنوات التي

يزيد فيها الانتاج عن هذا القدر • وهو يعتبر مستوردا ثانويا بالنسبة للتجارة الدولية في السنوات التي يقل الانتاج عن القدر المطلوب • وفيما يلي جدول لبيان ذلك •

السنة	الصادرات بالاطنان	المستوردات بالاطنان
١٩٥٣	١٦٥٤	٦
١٩٥٤	٢٨ر٨٦٣	٥٠
١٩٥٥	٧٠ر١٩٦	—
١٩٥٦	—	٣٣ر٩٤٣
١٩٥٧	٥ر٣٥٨	١٠٠ر٦٢٧
١٩٥٨	٨٨٣٤	٤٩ر٠٣١
١٩٥٩	—	١٥٣ر٤٧١
١٩٦٠	—	٣٠٠ر٩٤١
١٩٦١	—	٤١٣ر٩٨٣
١٩٦٢	٣٨ر٨٤٤	—
١٩٦٣	—	٣٠٠ر٠٠٠ (تخمينا)

ويستورد العراق ما يحتاجه من الحنطة عادة من كنـــدا والولايات المتحدة واستراليا وسوريا • وفي سنة ١٩٥٩ أستورد من الاتحاد السوفيتي ٢٣ر٩٥١ طناً وفي ١٩٦٠ استورد ١٣ر٧٨٠ طنا •

والموسم الزراعي الحالي (١٩٦٣) قدر باكثر من ٤٥٠ر٠٠٠ طن • وهذا يعني ان العراق لسد حاجة الاستهلاك الداخلي بحاجة الى استيراد ما يزيد عن ٣٠٠ر٠٠٠ طن • لذلك فان الحكومة اوفدت قبل شهرين وفـدا الى الولايات المتحدة لعقد صفقة شراء ١٥٠ر٠٠٠ طن من الحنطة • وتم التعاقد فعلا وشحنت الدفعة الاولى وقدرها ٥٠ر٠٠٠ طن • كما وفاتحـت الحكومة كذلك استراليا لشراء ١٠ر٠٠٠ طن من الحنطة • وربمـا وصل الاستيراد الى ٣٠٠ر٠٠٠ طن او كثر في هذه السنة •

انتاج الحنطة في العراق والدول المجاورة

فيما يلي جدولان يبين الاول المساحات المزروعة بالحنطة في العراق والدول المجاورة ، والثاني يوضح انتاج الحنطة في هذه الدول • والمهم ان نلاحظ ان المساحات كانت منسجمة وتعرضت الى زيادة مستمرة • اما الانتاج فقد تميز بالتقلب •

المساحات المزروعة بالحنطة
(الاف الهكتارات)

الدولة	معدل ١٩٤٨/٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦
العراق	٩٣٦	١ر١٨٢	١ر٣٩٠	١ر٣١٤	١ر٤٢٥
ايران	٢ر٠٨٠	٢ر٣٠٠	٢ر٣٠٠	٢ر٩٠٠	٢ر٣٠٠
تركيا	٤ر٧٧٠	٦ر٥٤٧	٦ر٥٤٦	٧ر٤٢٨	٧ر١٨٦
سوريا	٩٩٤	١ر٣١٤	١ر٣٤٧	١ر٥٣١	١ر٤٦٣
لبنان	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
الاردن	١٨٢	٢٤٦	٢٧٣	٢٦٠	٢٧٠
مصر	٦٠٥	٧٥٢	٧٥٤	٦٦٠	٦٤٠

انتاج الحنطة بآلاف الاطنان

الدولة	معدل ١٩٤٨/٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦
العراق	٤١٨	٧٦٢	١ر١٦٠	٤٧٣	٧٧٦
ايران	١ر٨٦٠	٢ر٢٤٠	٢ر١٠٠	٢ر٣١٣	٢ر٧٠٠
تركيا	٤ر٧٧١	٨ر١٣٠	٥ر٠٦٠	٧ر٠١٦	٦ر٦١٢
سوريا	٧٦٢	٨٧٠	٩٦٥	٤٣٨	١ر٠٥١
لبنان	٥١	٥٠	٦٠	٦٠	٦٢
الاردن	١٢٧	١٠٠	٢٣٣	٧٩	١٣٥
مصر	١ر١٣٣	١ر٥٤٧	١ر٧٢٩	١ر٤٥١	١ر٥٤٧

الخلاصـــة :

في فترة السلم التي أعقبت الحرب العالميـــة الثانية ، ازداد النشاط الدولى لتنظيم تجارة الحنطة ، واصبحت مؤتمرات الحنطة الدولية تعقـد دوريا كل ثلاث سنوات لضمان مصالح الـــدول المصدرة والمستوردة على السواء • والواقع ان حركة التصدير والاستيراد لم تتغير في النواحي العامة ، عما كانت عليه خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التي سبقتها ، فالدول المصدرة الرئيسية والمناطق المستوردة الرئيسية بقيت ذاتها • الا ان التغير الحادث في صادرات او استيرادات الدول سنويا ناجم بالدرجة الاولى عن الظروف الزراعية الخاصة التي تتعرض لها هذه الدول او المناطق • ففي سنة ١٩٦٣ مثلا عقد الاتحاد السوفيتي مع كندا أكبر صفقة عرفتها تجارة الحنطة في العالم • اذ تعهد بشراء ما قيمته ٦٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار مـــن الحنطة الكندية ، وذلك نظرا للنقص الكبير في محصول الموسم الزراعى الحالى ، بسبب الاضرار التي اصابت مزارع الحنطة في البلاد • ولهذا اصبح الاتحاد السوفيتى في هذه السنة من الدول المستوردة المهمة ، اذ تعهـــد باستيراد نحو من ٢٠٪ من مجموع صادرات العالم من الحنطة ، بعد ان كان من الدول المصدرة للحنطة في السنوات العديدة السابقة • ومثال اخر ، استورد العراق في السنوات ١٩٥٩ و ١٩٦٠ و ١٩٦١ نحو من ٣٠٪ من استهلاكه الداخلي من الحنطة في حين انه في عام ١٩٦٢ لم يستورد شيئا ، لا بل على العكس من ذلك ، فقد صدر ما يقرب من ٤٠،٠٠٠ طـــن • والتصدير والاستيراد يعتمدان كليا على جودة المواسم الزراعية ايضا •

والمهم ان نذكر ان تجارة الحنطة اصبحت على جانب كبير من الاهمية في العالم ، واثرها بالغ الخطورة بالنسبة لاقتصاديات الدول المنتجة لهاوالدول المستوردة على السواء • والاقتصاد الوطني يتأثر بانتاج وتصريف الحنطة وكذلك هو يتأثر بأسـعارها العالميـــة بصـورة مباشرة في الدول المصـــدرة والمستوردة • ويؤكد المطلعون ان الحنطـة تلعب دورا رئيسيا في الانتعاش الاقتصادى والمستوى المعاشي والحالة الصحية في كثير من دول العالم ، ان لم يكن فيها جميعا •

الملكية والتطوير الزراعي في العراق

الدكتور نوري خليل البرازي
استاذ مساعد في كلية الآداب

في هذه المقدمة سنبحث في احكام الملكية الزراعية والمراحل المتعاقبة التى مرت فيها حيازة الاراضى الزراعية فى العراق حتى يمكن على ضوئها أن نتفهم النظام الحالى للملكية والاحداث التى مرّ بها ومدى انعكاسها فى الحياة الزراعية . فى الواقع ان بعض احكام الملكية تعود الى الفقه الاسلامى الذي كان ساري المفعول والشريعة العامة في نظام الملكية حتى صدور مجموعات من القوانين التى عالجت هذا الموضوع . لقد مرّ نظام الملكية الزراعية فى العراق منذ الفتح الاسلامي حتى الوقت الحاضر في حلقات من التطور خلال فترة تقدر بحوالى ١٣٠٠ عاما كانت الملكية وحيازتها واستغلالها تحتل أهمية كبرى في الامور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ففى العهد الاسملاي كان تصنيفها يجرى على الوجه التالى :

(١) اراضى الوقف .

(٢) الاراضى المشاعة كالمراعى .

(٣) الاراضى المملوكة (ملكية خاصة) وهى الارض التى يتصرف بها المالك وله حق البيع والوقف والهبة ... لخ .

(٤) الاراضى الاميرية وتصنف الى :

(أ) اراضى بيت المال ويضاف اليها الاراضى التى انتقلت ملكيتها بعد وفاة المالك بدون وارث .

(ب) الاراضى الموات (الملكيات التى لم تستثمر) .

(جـ) الاراضى المحمية وتدعى حاليا بالاراضى المتروكة للمنافع العامة .

من هذا التصنيف يظهر أن معظم الاراضى الزراعية كانت بعد الفتح الاسلامى ملكاً للدولة اما السكان فقد بقى لهم حق الاستغلال والاستثمار

مقابل دفع ضريبة « العشر »[1] هذا في حالة من دخل الاسلام اما الذين ظلوا على دينهم فهم ملزمون بدفع « الخراج »[1] • بقي نظام الملكية معمولا به طيلة الحكم الاموى والعباسي ، ولكن يلاحظ انها في الحقبة الاخيرة من الحكم العباسي (العهد السلجوقي) قد تغيرت • في هذه الفترة الاخيرة ظهر نظام الاقطاع الذي اخذت الدولة بموجبه منح بعض قادتها وكبار رجال الدولة الملكيات الزراعية لقاء خدماتهم ولكن بالرغم من ذلك فأن الملكية لا زالت للدولة • لقد أستمر النظام الاقطاعي حتى ما بعد الاحتلال المغولي للعراق عام ٦٥٦هـ • وكانت الاقطاعيات تصنف الى ما يأتي :

(أ) اقطاعيات التمليك وهي ملكيات تامة وتكون وراثية •

(ب) اقطاعيات الاستغلال وهذه لا تورث ولا تمنح في العادة الا الى رجال الجيش •

(ج) اقطاعيات الخليفة وتشمل ملكيات الخليفة والامراء •

ان سبب ظهور نظام الاقطاع في هذه الفترة من الحكم العباسي يعود الى استهتار الخلفاء والامراء والخروج عن العدل في توزيع الملكية بغية ترضية طبقات معينة من الجند والامراء والحكام الموالين للسلطة • لقد كان لهذا النظام أثراً سلبياً ظهرت آثاره في استغلال الملكيات الزراعية ومعاملة طبقة الفلاحين وخاصة مجموعة الزنج الذين كانوا يتركزون في بساتين البصرة وحقولها • كانت هذه الجماعة من الفلاحين محرومة من حقوق الملكية بينما يقومون في كل الواجبات وعلاوة على ذلك ينتقلون مع ملكية الارض التي كانوا يشتغلون عليها الى المالك الجديد وبهذا النظام يصبحون جزءا من ملكية الارض • لقد حدث فيما بعد انعكاس لهذه

---

(١) أراضي العشر هي الملكيات التي يدفع أصحابها لخزينة الدولة عشر المحصول عيناً من انتاج الارض ، وتشمل الاراضي التي أسلم أهلها طوعاً وقهراً وكذلك الاراضي الموات التي احياها المسلمون واستغلوها ... اما أراضي الخراج فقد كانت تحت تصرف السكان الذين لم يعتنقوا الاسلام •

الاوضاع الاجتماعية تمثلت في حركات ثورية اتخذت طابعا سياسيا وكان من أهم تلك الحركات حركة الزنج وحركة القرامطة •

الملكية في العهد العثماني والاحتلال البريطاني :

لقد اعتبرت الحكومة العثمانية جميع الاراضي ملكا لها عدا اراضي الوقف وكانت السلطة تتصرف فيها تصرفا مطلقا كمنحها للمقربين منهم والموالين لهم ، وقد نتج عن هذا التوزيع الكيفي في تصرف الملكية وخاصة الاقطاعيات الممنوحة « باللزمة » الى رؤساء القبائل وضع مضطرب ظهرت آثاره في سوء العلاقات بين افراد المجتمع تمخض عنه خلق طبقتين متخاصمتين هي طبقة الفلاحين وطبقة الملاك المتمثلة برؤساء القبائل • استمرت حالة الملكية على هذا المنوال يتبعها تردي الظروف الزراعية التي لا تزال رواسبها موجودة في المجتمع حتى يومنا هذا •

مرّت فترة طويلة على الاراضي لم يكن التصرف بملكيتها ليستند الى انظمة وقوانين ثابتة حتى عام ١٨٥٧ ميلادية حيث وضعت قوانين صنفت الاراضي بموجبها الى ما يأتي :

(١) الاراضي المملوكة ولاصحابها كل الحقوق للتصرف بها •

(٢) الاراضي الموقوفة •

(٣) الاراضي الموات الخالية التي لم تكن تحت تصرف أحد •

(٤) الاراضي المتروكة وتعود ملكيتها للدولة ولكن يتمتع بها السكان كالمراعي •

(٥) الاراضي الاميرية وتعود ملكيتها للدولة وقد قامت السلطة بتفويضها او منحها باللزمة وفق شروط معينة[1] •

لم يكتب لهذا القانون أن يكون ساري المفعول الا بمقياس محدود جداً وذلك لعدم توفر الوسائل الكافية لتطبيقه ولسوء الادارة العثمانية

---

(١) مقتبس من « تمليك الارض في العراق » في كتاب حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة للدول العربية • حسن محمدعلي • ١٩٥٤ •

وبقيت الحال هكذا حتى جاء مدحت باشا حيث أخذ يعمل في عام **١٨٦٩** على حل مشكلة الاراضى وكانت أهم خطوة خطاها هى تفويض الاراضى الاميرية لقاء دفع اقساط قليلة وكذلك وضع اليد على الاراضى المملوكة التى تركها اصحابها بدون استثمار • لقد فشلت هذه السياسة التى اراد مدحت باشا تطبيقها أيضا لانها لم تسبق بعملية مسح الملكيات وتحديدها وتقسيمها وتسجيلها • اما بعد مدحت باشا فقد صدر الامر من السلطة العليا بمنع تفويض الاراضى اطلاقا وقد كان لهذا الخطوة خطرها وذلك لاقتصار التصرف بالارض على اصحاب القوة والنفوذ ، وظل الحال هكذا حتى مجيء الاحتلال البريطانى • لم تغير هذه السلطات الجديدة من نظام الملكية شيئا ما عدا اصدار بيانات تدعو الى تفويض الاراضي الاميرية التي نص عليها قانون **١٨٥٦** وبيعها وانتقال ملكيتها • بموجب هذه البيانات تمكن الشيوخ من التصرف بالارض التى منحت لهم باللزمة سابقا والتى سبق للعشائر التصرف بها ، وقد نتج عن ذلك تمركز الاقطاع وتثبيت دعائمه في العهد الوطنى الامر الذى ادى الى تدهور المستوى المعاشي للطبقة العاملة في الزراعة مما ترتب على هذا الوضع قيام صراع عنيف بين الملاك الكبار والفلاحين المعدمين •

الملكية في العهد الوطني :

لقد شعر المسؤولون بخطر هذا الجو الاجتماعى منذ بداية الحكم الوطنى وادركوا أن من حاجات العراق الرئيسة هو احياء اراضيه المهملة التى تمثل القاعدة الاساسية لتقدم العراق الاقتصادى • لقد بقيت الملكية واستثمارها موضع اهتمام ودراسة الحكومات المتوالية منذ بداية الحكم الوطني لانها كانت تدرك جيداً أن الرخاء الزراعى ورفع المستوى المعاشى وازدهار الاقتصاد القومي واستدامته يتوقف على حفظ حقوق الطبقة العاملة في الزراعة لانها القاعدة الفعلية المستغلة ، وبناءاً عليه كان من الضرورى مد يد المساعدة الى هذه الطبقة لانه لا يمكن للملكية الزراعية أن تنتعش

في اى بلد ما لم يكن التصرف بها منظما وقائما على العدالة الاجتماعيـــة وخاصة في بلد تشكل فيه طبقة الزراع نسبة لا تقل عن **٧٠٪** من مجموع سكانه •

لقد بدأت الحكومة الوطنية بعض الخطوات الايجابية حيث انهـــا استقدمت الخبير الانكليزي « أرنست داوسن » لدراسة نظام الملكية والتصرف بها وكان من اهم مقترحاته الاعتراف بحق التصرف الفعلي في الارض وتسجيلها رسميا وتزويد المتصرفين بالسندات في حق استثمارها وفعلا اخذت الحكومة بمقترحاته وشرّعت قانون تسوية حقوق الاراضى في عام **١٩٣٢** • وبموجب احكامه صنفت الاراضى الى الانواع الآتية :

(أ) الاراضى المملوكة •

(٢) الاراضى المتروكة •

(٣) اراضى الوقف •

(٤) الاراضى الاميرية وتصنف بدورها الى :

(أ) الاراضى المفوضة بالطابو وبيد اصحابها وثائق تثبت زراعتها لمدة لا تقل عن عشر سنوات مع شروط أخرى •

(ب) الاراضى الممنوحـة باللزمة وهـى الاراضى التى سـبق للمالك زرعها مدة لا تقل عن خمسة عشرة عاما وغيرها من الادلة التي تثبت هذا التصرف •

(ج) الاراضى الاميرية الصـرفة وهى الارض التى تعود ملكيتهـــا للدولة •

لقد طبق القانون الذى جاء به داوسن فى عام **١٩٣٣** وسار العمـل بموجبه حتى بلغت مجموع المساحات التى تمت تسويتها في نهاية عام **١٩٥٢** كما يأتى :ـ

في ١٩٥٢

نوع الملكية	المساحة بالدونم[1]
مملوكة	٢١٥ر٤١٠
متروكة	٢ر٤٩٨ر٠٧٨
موقوفة	٦٦٩ر٤١٧
اميرية مفوضة بالطابو	١٠ر٣٠٥ر٠٧٩
اميرية ممنوحة باللزمة	٩ر٤٩٤ر١٩٥
اميرية صرفة	٣٧ر٥٩٤ر١٩٥
المجموع	٦٠ر٧٧٦ر٣٨٤

نستنتج من هذه الاحصائية المبينة اعلاه ان الاراضي التي تمت تسويتها بلغت اكثر من (٦٠) مليون دونما اي اكثر من (١٥٠) الف كيلومتر مربع او ما يعادل ثلث مساحة ارض العراق الكلية • أما الاحصائية المبينة في الجدول الاتي فهي برهان آخر على استمرار تسوية الاراضي بصورة اكثر نشاطاً •

نوع الملكية	المساحة بالدونم[2] في ١٩٥٧
مملوكة	٢٤٢ر٥١٤
متروكة	٥ر٩٧٥ر٨٨٨
موقوفة	٨٦٤ر٤٦٢

(١) « تمليك الاراضي في العراق وأثره في التوسع الزراعي وتوطين القبائل والعشائر • الاستاذ حسن محمدعلي • ١٩٥٤ •

(٢) دراسات في « الاصلاح الزراعي » الدكتور عبدالصاحب علوان • ١٩٦١ ص • ١٤٥ •

اميرية مفوضة بالطابو	١٢ر٨٩٤ر١٣٠
اميرية ممنوحة باللزمة	١٢ر٢٩٨ر٨٨١
اميرية صرفة	٥١ر٣٠٦ر٩٣٩
المجمـــــوع	٨٣ر٥٨٢ر٨٦٨

من هذا الجدول تظهر زيادة ملحـوظة في تسوية الانـواع الثـلاث الاخيرة من الملكيات اذا ما قورنت بالملكيات الثلاث الاولى ، وهي زيادة تقدر بحوالى ثلث المساحة التي كانت عليها هذه الملكيات الثلاث في عـام ١٩٥٢ (انظر جدول رقم ١) • ومعنى هذا ان سياسة الحكومة الزراعية تركز اهتمامها على توزيع الاراضي الاميرية وخاصة النوع الاخير (الاميرية الصرفة) ، لانها في الواقع اكبر ملكية يمكن أن يعتمد عليها الاقتصـــاد الزراعي العراقي في المستقبل • اما الظواهر الاخرى التي تمخضت عن هذا التوزيع فيمكن تلخيصها بما يأتي :

(١) لقد حصل نوع من الاستقرار بين العشائر وحسم كثير من المشاكل الناتجة عن التصرف بالارض ، هذا بالاضافة الى انتعاش الحيـاة الزراعية ورغبة الفلاحين واقدامهم النسبي على الزراعة •

(٢) تمكنت الحكومة من معرفة مساحات الانـــواع المختلفه من الاراضي بدقة في العراق وأمر استثمارها •

(٣) اسكان قسما من القبائل والعشائر المتنقلة وغير المتنقلة بعد أن ثبتت حقوقهم بالتصرف ، وكذلك شجعت هـــذه العملية اصحاب رؤوس الاموال من المدن ورؤساء القبائل من أن يمتلكوا مساحات كبيرة انفردوا باستغلالها وبمنافعها الامر الذي حرم الفلاحين العاملين فعلا من الارض من الحصول على قسط كاف من الناتج لقاء عملهم • وتتركز أهم هـذه الملكيات الكبيرة في لواء العمارة • ان اراضي لواء العمارة في معظمها أميرية

صرفة وكان التصرف بها يجرى بطريقة الالتزام بالمزايدة العلنية بموجب عقد ايجار يبرم بين وزارة المالية والزارع الامر الذي لا يعتبره القانون الخاص بتسوية الاراضي مبررا لمنح اللزمة • ان نظام الالتزام بالمزايدة ادى الى حرمان المتصرفين الحقيقيين وهم المزارعين الصغار منه وانفراد الملتزمين وهم الشيوخ بملكيتها • وبقي الوضع هكذا حتى صدور قانون ١٩٥٢ والذى بموجبه تم توزيع هذه الاراضي الاميرية باللزمة وذلك باعطاء الشيوخ نصف الاراضي التي سبق وأن استحوذوا عليها بموجب عقد الايجار بينهم وبين الحكومة وتوزيع النصف الآخر على الفلاحين • ويظهر من هذا التوزيع ان القانون كان مجحفا بطبقة الفلاحين لان نصيب الفلاح من الارض ضئيلا نظراً لكثرة عددهم بينما نصيب الشيخ كبيراً • لقد نتج عن تلك الظاهرة غير العادلة هجرة الفلاحين من الريف الى المدن تلك الهجرة التي لا تزال مستمرة وتعد من امهات مشاكل الملكية الزراعية في العراق وسنأتي اليها في هذا البحث •

الملكية بعد عام ١٩٥٨ :

لقد ساد نظام الملكية الزراعية المعقد في العراق اكثر من الف سنة بدون أن تكون هناك قاعدة معينة تستغل بموجبها الارض وكان النظام الاقطاعي هو الطابع العام لها حتى عام ١٩٥٨ ذلك التاريخ الذى وضع فيه قانون الاصلاح الزراعي والذى بموجبه شرّعت انظمة جديدة تقضي بانهاء النظام العتيق الذى كان يعطى حق التصرف بالارض لطبقة محدودة من السكان والانتفاع بمواردها الزراعية بينما الطبقة العاملة فعليا في الارض والتي تشكل الاغلبية الساحقة في المجتمع محرومة من حاصل الارض وانتاجها ما عدا حصة ضئيلة لا تسد رمقهم ولا تفي بحاجاتهم المعاشية ، وان الجدول الآتي يعطى صورة واضحة عن توزيع الملكية الزراعية من حيث المساحة وعدد الملاك •

توزيع الملكيات الزراعية حسب مساحاتها (٣)

١٩٥٨

حجم الملكية الزراعية بالدونم	مجموع مساحة الملكيات بالدونم	نسبة المالكين في كل مجموعة بالنسبة للمجموع العام ٪	النسبة المئوية لمساحة الاراضي بالنسبة للمجموع العام ٪
ما بين ٤ـ١٠٠	٢ر٤٤٦ر٩٥٢	٨٦ر١٪	١٠ر٥٪
ما بين ١٠٠ـ١٠٠٠	٥ر٠٢٤ر٧٣٦	١١ر٩٪	٢١ر٥٪
ما بين ١٠٠٠ـ١٠٠ر٠٠٠	١٥ر٨٥٥ر٥٧٤	٢٪	٦٨٪
المجموع العام	٢٣ر٣٢٧ر٢٦٢	١٠٠٪	١٠٠٪

المصدر : دراسات في الاصلاح الزراعي • تأليف الدكتور عبدالصاحب علوان • ١٩٦١ ، ص (١٤٩) •

من الاحصائيات المبينة في هذا الجدول يتبين أن الملكيات التي يتراوح مساحاتها ما بين (٤ـ١٠٠) دونما قد اعتبرت الملكية الصغيرة وتقدر مجموع المساحات التي تشملها في القطر بحوالى (٢ر٤٤٦ر٩٥٢) دونما او ما يعادل (١٠ر٥٪) من المجموع العام لمساحة الملكيات الزراعية ، بينما يقدر عـدد المالكين لها بحوالى (٨٦ر١٪) من مجموع عدد السكان في العراق • اما ما يخص الملكيات المتوسطة فأن مساحاتها تتراوح ما بين (١٠٠ـ١٠٠٠) دونما وتبلغ مجموع مساحاتها (٥ر٠٢٤ر٧٣٦) او ما يعادل (٢١ر٥٪) من المجموع العام لمساحة الملكيات الزراعية في القطر بينما يقدر عدد اصحابها بحـوالى (١١ر٩٪) من المجموع العام للسكان • بقيت الملكيات الكبيرة والتي تتراوح مساحاتها ما بين (١٠٠٠ ـ ١٠٠ر٠٠٠) وتشتمل على مساحة تقدر بحوالى ١٥ر٨٥٥ر٥٧٤ دونمـا أو ما يعـادل ٦٨٪ من مجموع مساحة الملكيات اما عدد الملاك فيقدر بحوالى (٢٪) •

لقد تغير هذا النظام بعد عام ١٩٥٨ بموجب قانون الاصلاح الزراعي الذي اريد به احداث تغييرات جذرية في حقوق التصرف كتحديد الملكية الزراعية وتطوير اساليب انتاجها لاجل الحصول على انتاج زراعي اوفر كمية واحسن نوعا ، وحتى يتم توزيع الثروة والدخل الزراعي بين المشتغلين في هذا الحقل وفق ميزان العدالة الاجتماعية حتى تضمن لهذه الطبقة ظروف معاشية أحسن . ففي حالة توزيع الملكية وتسوية حقوق التصرف فيها وتنظيم الاستئجار ووضع نظام لتسوية العلاقة بين المالك والفلاح ووضع قواعد الضمان الاجتماعي للعمال الزراعيين مع وضع الحد الادنى للاجور وتوفير المؤسسات المالية للتسليف والارشاد والصحة وجعلها في متناول الزراع الصغار ، ونشر الجمعيات التعاونية الانتاجية التي تحقق الاهداف التي وضع من أجلها الاصلاح الزراعي يمكن عندئذ خلق مجتمع ريفي يعيش في ظروف صالحة تليق بحياة افراده كمواطنين .

هناك هدف آخر هو سيادة النظام الديمقراطي وهذا أمر متفق عليه ان الملكية الكبيرة في يد فئة من الناس معناه تحكمها في مصير الاغلبية الساحقة لان الارض في هذه الحالة هي التي تتحكم في الوجه الاقتصادي الذي ينعكس اثره في الوضع السياسي ، ولما كان نظام الاصلاح الزراعي يعمل على تفتيت الملكيات الكبيرة وتوزيعها على أغلبية الشعب معنى هذا تحرير الفلاح من يد مالك الارض الذي يسيره لتنمية مصالحه والمحافظة عليها . ان تحرير الفلاحين الذي يكونون حوالى ثلثي عدد السكان يمكنهم من التعبير عن رغباتهم ومعرفة مصالحهم وفي هذه الحالة يستطيعون من انتخاب حكومات تعبر عن ارادتهم وبذلك تراعي حقوق جميع الفئات على قدم المساواة .

لما أصبح الهدف من الاصلاح الزراعي واضحا فأنه يجدر بنا ان نتساءل عن مدى ما حققه العراق من هذه السياسة في خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٥٨ و ٨ شباط ١٩٦٣ . وللاجابة على هذا السؤال نستطيع ان نحكم بأن ما تحقق من هذا القانون يكاد لا يذكر في ميدان الملكية الزراعية

واستغلالها وذلك بسبب الانحراف الذى حصل في سياسة الدولة بعد عام **١٩٥٨** لان الانحراف في السياسة العليا للدولة سبب الانحراف في السياسة الزراعية وعليه لم يطبق فعليا الا توزيع بعض الملكيات التى تقدر مساحتها بحوالى ٢٫٣٠٥٫٩٧٢ دونما[١] • ان هذه المساحة الموزعة ضئيلة جداً اذا ما قورنت بالاراضى القابلة للزراعة والتى معظمها ينتظر التسوية والبالغة (٤٩٫١٧١٫٠٠٠)[٢] دونما يقع منها (٣٣٫٠٠٠٫٠٠٠) تحت النظام الاروائي و (١٦٫١٧١٫٠٠٠) تحت نظام الديم ، وبمعنى آخر ان الاراضى التى يمكن استثمارها تقدر بحوالى ثلث مساحة العراق البالغة ١٨١٫٠٠٠٫٠٠٠ دونما • اما نوع ونسبة الملكيات القابلة للزراعة (التى يمكن استثمارها) فأن الجدول الآتي يبين تفاصيلها :

نوع الملكية للاراضى القابلة للزراعة بالدونم	النسبة المئوية لكل نوع (٤) ٪
الاراضى المملوكة (ملكية خاصة)	٠٫٤٪
الاراضى المتروكة (تستعمل لمصالح عامة)	٠٫٢٪
اراضى الوقف	١٫٤٪
اراضى مفوضة بالطابو	٢٢٪
اراضى لزمة	٢١٪
اراضى اميرية صرفة	٥٥٪
المجموع	١٠٠٪

من هذا الجدول الاحصائي يمكن ان نلاحظ ان ٩٨٪ من الملكيات الزراعية في العراق تاتى تحت الاصناف الثلاث الاخيرة ولكن النوع الاخير

---

(١) اطلس احصائي خاص بتوزيع الملكيات • قسم التخطيط بوزارة التخطيط • ١٩٦٢ •

(٢) « أراضي العراق وأحوال التربة في العراق » الدكتور بيورنك • ١٩٦٠ •

(الاراضى الاميرية الصرفة) يحتل اكثر من نصف الملكيات القابلة للزراعة. يستنتج من هذه الارقام ان ٧٦٪ من هذه الملكيات الزراعية تدار من قبل الدولة مباشرة او غير مباشرة ومعنى هذا أن الاراضى الصالحة في معظمها غير مستغلة أو انها أرض موات وهذه نتيجة بديهية لان العمليات الزراعية اذا انيطت بادارة الدولة كان معناه التأخر والتقاعس في الاعمال الزراعية بعكس الحال عندما تكون الملكية الزراعية بيد الافراد وهذا ناتج عن عدم تحديد المسؤولية في الحالة الاولى وتحديدها في الحالة الثانية • ومما يبرهن على صحة هذه الظاهرة هو المساحات المزروعة سنويا فى العراق والتى لا تزيد عن ١١٫٢٧٠٫٠٠٠ مشارة[1] واليك الجدول الآتي :

جدول يبين توزيع المزروعات السنوية ومساحتها مقدرة بالدونم

المزروعات السنوية	المساحة لكل نوع (٥)
الزراعة المطرية (الديم)	٤٫٠٠٠٫٠٠٠
الزراعة الاروائية (الرى) وتشمل ما يأتى :ـ	
المزروعـات الشتوية	٥٫٠٠٠٫٠٠٠
المزروعات الصيفية	١٫٤٧٠٫٠٠٠
البســـاتين	٨٠٠٫٠٠٠
المجمـــــوع	١١٫٢٧٠٫٠٠٠

يستنتج من هذه الاحصائية الموجودة في هذا الجـدول ان الاراضى المزروعة سنويا تقدر بحوالى خمس الاراضى القابلة للزراعة وهذا يـدل دلالة واضحة على أن أربعة اخماس الارض تنتظر الاستغلال ومعنى هذا ان هناك نقص في الحاصلات الزراعية الامر الذى اضطر العراق الى استيراد كميات من الحبوب وغيرها من المحاصيل الزراعية الاخرى من خـــارج

(١) « أراضي العراق وأحوال التربة » الدكتور بيورنك ، ١٩٦٠ ص :

العراق لسد حاجته الاستهلاكية رغم هذه المساحة الكبيرة من الملكيات الزراعية الخصبة التي تنتظر الاستثمار •

لقد فكر المسؤولون كما أشرت اليه سابقا في اعمار الاراضي الاميرية الصرفة باعتبارها القاعدة الاساسية لتنمية الاقتصاد الزراعي في العراق وقد توصلوا الى وضع تشريعات جديدة لغرض تشجيع استثمار الملكية الصغيرة وتشغيل اكبر عدد ممكن من الايدى العاملة الزراعية لرفع مستواهم من حيث الانتاج والاساليب الزراعية وافساح المجال لاسكان القبائل وتحويلهم من الحياة المتنقلة الى الاستقرار وبالتالي تكوين مجتمع ريفي حديث يتمتع بكيان اقتصادي واجتماعي أفضل • لم يتحقق من هذه الاهداف الا القليل جدا والسبب يعود الي أنَّ الاراضي الاميرية التي وزعت كانت محدودة علاوة على عدم وضع سياسة شاملة تأخذ بيد اصحاب هـــذه الملكيات الصغيرة ومساندتهم بالوسائل الانتاجية النقدية منها والعينية حتى يتسنى لهم استثمار هذه الارض وكذلك الى عدم توفر الموارد المائية •

من هنا نلاحظ ان الملكيات الكبيرة (اراضي اللزمة) والاراضي الاميرية الصرفة كانت السبب المباشر في تأخر الاقتصـــاد الزراعي لان معظمها لا يزرع واما المستثمر منها فيكون استغلاله سيئا •

اما المصادر البشرية المشتغلة في الحقل الزراعي (الفلاحون) فلم يكن نصيبها من الاهمال وسوء الاستغلال بأقل مما اصاب الملكيات الزراعية لان مستوى انتاج الفلاح واطئا وحصته قليلة وهذا ينعكس في مستوى معاشه المنخفض وكوخه الحقير وملابسه الرثة وصحته المنهارة وجهله واميته • وبقيت الحال هكذا حتى مجيء الاصلاح الزراعي وكان المنتظر ان تزول هذه المساوىء ولكن لا تزال هذه الطبقة كما كانت لان قانون الاصـــلاح الزراعي نظري أكثر منه عملي • حدد هذا القانون الملكية الزراعية بحد اعلى هو (١٠٠٠) دونمـــا للاراضي الاروائية (٢٠٠٠) دونما في الاراضي المطرية وما يبقى منها يوزع على الفلاحين بحد ادنى قدره (٣٠) دونما في الاراضي الاروائية و (٦٠) دونما في المطرية • لقد طبق هذا على الاراضي الممنوحة باللزمة والمسيطر عليها من قبل الاقطاعيين اما الارض الاميريـــة

الصرفة (الموات) فقد وضعت تحت التوزيع انشئت على تربتها المشاريع الزراعية كما حدث قبل عام ١٩٥٨ وما بعده ولكن ما حققه قانون الاصلاح الزراعي كان محدودا حيث وجد أن ما وزع من الاراضي الزراعية ما بين ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ على شكل ملكيات صغيرة لا يزيد عن (٩٧٢ر٣٠٥ر٢)[1] دونما وهذه نسبة ضئيلة اذا ما قورنت بمساحة اراضي اللزمة والاميريـة الصرفة البالغة (٧٦) مليون دونما ٠

الملـكية والاقتصاد الزراعي :

يتناول هذا العنوان نقطتين أساسيتين الاولى تبحث الوضع الاقتصادي والاجتماعي الراهن لحياة الريف وعلاقتهما بنظام الملكية والتصرف بها ٠ اما النقطة الثانية فهي تعالج نظام استغلال الملكية الزراعية وفق الوسائـل المجدية للنهوض بمستوى الحياة الريفية وبناء مجتمع زراعي حديث تسوده العدالة الاجتماعية ٠

ففي حالة الملكية والوضع الاجتماعي والاقتصادي نجد ان أثر نظام الملكية والتصرف بها لم يقتصر على تدهور النشاط الاقتصادي وحسب انما تجاوزه الى تفكك الحالة الاجتماعية أيضا ٠ من المعروف ان نظام توزيـع حاصل الملكية الزراعية بين المشتغلين في هذا الحقل كان بعيدا عن العدالة الاجتماعية لانه يعطي معظم الحاصل للشخص الذي يتصرف بالارض وهو في نفس الوقت يبذل اقل جهد بينما الفلاح يقوم بجميع الاعمال ويبذل ما في وسعه من جهود غير أنه يحصل على اصغر نصيب من ناتج الملكية التي يعمل فيها وهو في العادة لا يزيد عن ربع الحاصل الذي تقدر قيمته بحوالي (٣٢)[2] دينارا سنويا مع العلم أنه يعيل نفرا من العائلة لا يقل عددهم عن السبعة ، بينما ثلاثة ارباع الحاصل يكون من نصيب المالك ٠ اما الظاهرة الاخرى فهي ادهى وأمر وتتلخص بأن صاحب الارض يحق له أن يبعد الفلاح عن الارض ويستبدله باخر وفي هذه الحالة يضطر الفلاح للعمل في

(١) أنظر المصدر في صفحة رقم ١٧٩ ٠

(٢) « الجغرافية الزراعية لحوض الفرات الاوسط » الجزء الثاني ، ١٩٦٠ ٠ ص ١٥٥ ٠ الدكتور نوري البرازي ٠

مقاطعة اخرى تحت مالك آخر • ان لهذه الظاهرة أثراً سيئاً على الانتاج الزراعي لان الفلاح يشعر في قرارة نفسه انه يعمل لشخص آخر هـذا بالاضافة الى حصته الصغيرة التي لا تساوى جهوده المبذولة ، وبكلمة اخرى ان دخله من الملكية لا يسد حاجاته الضرورية من طعام وملبس وعليه لا يبذل العناية الكافية في زراعة الارض الامر الذى ترتب عليه تدهور الانتاج وتأخر الاقتصاد الوطني لان اليد العاملة هي من اهم عوامل الانتاج ، اضف الى ذلك ان هذا النظام أدى الى تحديد حرية الفلاح وازاد من ديونه التي لا تسمح له بترك المقاطعة التي يعمل فيها حتى يؤدى للمالك ما في ذمته وهنا يظهر نظام العبودية الذى انحدر في الاصل من نظام التصرف بالارض • اما الظاهرة الاخيرة التي انبثقت عن هذه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية هي الهجرة من الريف الى المدن حتى اخذت تزداد كل يوم تخلصا من التعسف والجور الذين يلقاهما في الريف والامل في الحصول على حياة أفضل في الموطن الجديد (المدن) • لقد ترتب على هجرة الفلاحين أسوأ النتائج الزراعية بسبب نقص اليد العاملة الزراعية في كثير من المقاطعات الامر الذى ادى الى هبوط الناتج في السنوات الاخيرة وخاصة بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وذلك لازدياد الهجرة من الريف • فلو حللنا الاحصاءات المتعلقة بالهجرة الى بغداد مثلا لوجدنا ان ٨٠٪ من سكان الصرائف والاكواخ في بغداد هم من الريفيين الذين تركوا ارضهم واليك الاحصائية الاتية التي تبيّن نسبة المهاجرين من الالوية الى بغداد في عام ١٩٦٢ :

العمارة	٧٣ر٤٪ (1)
الكوت	١٠ر٤٪
الناصرية	٣ر٨ ٪
الديوانية	٣ر٨ ٪
الحلة	٣ر٦ ٪
المناطق الاخرى	٥ ٪

---

(١) امكن الحصول على هـذه الاحصائيات من وزارة الاسكان • ١٩٦٢ •

لقد قدرت الاعداد المهاجرة الى بغداد سنويا بأكثر من ٧٠٫٠٠٠ نسمة ومما يدعم صحة هذه الاحصائيات ان سكان بغداد في الوقت الحاضر يقارب المليون نسمة يعيش فيها ٤٣٤٫٠٠٠ شخصا من هذه الطبقة التي تسكن في ٧٤٫٠٠٠ كوخاً وصريفة أو ما يعادل ٤٣٪ من مجموع سكان بغداد • لقد كانت هذه الطبقة لا تزيد عن ٢٢٪ من مجموع سكان بغداد في عام ١٩٥٤ بينما في الايام الاخيرة نمت هذه وتضاعف عددها حتى اصبح حوالى ٤٤٪ من مجموع سكان المدينة •

يمكن ان نلخص كل ما مر بنا من بحث في النقاط التالية :ـ

(١) ان نظام التصرف بالملكية وطريقة استغلالها لا يحقق انتاجا وفيرا ولا نوعية جيدة ، كما ان تكاليف الانتاج غالبا ما تكون كبيرة لذلك باتت قيمة الحاصل لا تغطى النفقات لان عناصر الانتاج الزراعى غير متكافئة ، فلا يستثمر من الارض مساحات كبيرة وذلك لنقص او انعدام رأس المال المستخدم وبذلك تكون قدرة المزارع على ادارة الارض واستغلالها ضعيفا ، هذا بالاضافة الى عدم تناسب اليد العاملة المشتغلة في الارض مع ما تتطلبه العمليات الزراعية من عمل نتيجة لهجرة الريفيين •

(٢) ان الملكية الزراعية تحت نظام الاساليب الاستغلالية القديمة سيبقى اقتصادها الزراعى جامدا خاصة وأن الفلاح يجهل الطرق الزراعية الحديثة • أضف الى ذلك ان عوامل الانتاج الزراعى من ارض وعمل ورأسمال وادارة لم تكن تحت سيطرة مزارع خبير يستغلها بنفسه لذلك كثرت العقبات الزراعية التي تشل حركة الانتاج • ان أكثر عوامل الانتاج خارج نطاقه فأما ان تكون بيد المالك أو تحت ادارة الدولة •

ان هذه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتأخرة في الريف العراقى ستستمر الا اذا اتخذت خطوات ايجابية حاسمة تقضى على جميع العقبات وتتضمن كل متطلبات تنمية الملكيات الزراعية وأن من اهم هذه الخطوات ما يأتى :

(١) اتخاذ سياسة مائية حكيمة •

(٢) استخدام اساليب علمية وفنية حديثة لتحل محل الطرق العتيقه •

(٣) توفير المساعدات المالية الضرورية للعاملين في الحقل الزراعي •

(١) السياسة المائية :

ان توفير الماء هو العامل الاساسي في استغلال الملكيات الزراعية في مثل هذا الاقليم الجاف الذى تعتمد فيه الزراعة على نظام الرى الذى يقوم الانسان بتنظيمه والاشراف عليه وهذا ما حصل في جميع الادوار التاريخية التي توالت على تربة العراق • فالانسان يتدخل في استعمال مياه الانهار والسيطرة عليها في الشؤون الزراعية وذلك للتغلب على عقبات البيئة الطبيعية التي تحول بينه وبين تسخير هذه الموارد المائية التي يتم عن طريقها اعمار الارض واستثمارها • ان الملكيات الزراعية في العراق لم تزرع زراعة افقية او رأسية بالطرق السليمة الموجهة وهذا ناتج بالدرجة الاولى عن عدم تسخير الموارد المائية تسخيرا كافيا • ان هذه المنطقة تعتمد في معظمها على الطريقة الاروائية المستندة على مشاريع الرى المكونة من الخزانات والسدود والسداد وشبكات الجداول والقنوات والمنظمات المائية ومشاريع الصرف (المبازل) • ولما كانت المنطقة الاروائية في العراق تشكل اكثر من ثلثي الاراضى الزراعية فأنها في الواقع تحتاج الى مشاريع رى ضخمة ليتم استغلال هذه الملكيات الواسعة • ان مشاريع الرى الموجودة حاليا عاجزة من ان تمد الاراضى الزراعية بما تتطلبه من مياه والدليل واضح في حوادث المنازعات القائمة بين المزارعين في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق بسبب سوء توزيع المياه وقلتها •

فاذا ما اريد للعراق ان ينهض زراعيا وجب وضع سياسة مائية ثابتة تكفل انشاء المشاريع اللازمة لاحياء الاراضى الاميرية الصرفة (ارض الموات)

وملكيات اللزمة في المناطق الاروائية واعمارها اعماراً يتفق والاساليب الفنية المتبعة في الزراعة الحديثة في العالم •

في العراق مساحة واسعة من الاراضي القابلة للزراعة التي تقدر بأكثر من (٤٩) مليون دونما لا يزرع منها سنويا اكثر من (١٢) مليون وذلك لعدم توفر المورد المائي الكافي لاستثمارها • لقد انشئت حديثا بعض المشاريع ولكنها لا تزال في المراحل الاولى وعليه وجب وضع الخطط الضرورية لاقامة المشاريع الاروائية في عرض العراق وطولها حتى تتم السيطرة على مياه الانهار وتسخيرها للاغراض الزراعية •

(٢) الاساليب العلمية والفنية :

ان تطبيق الاساليب العلمية والفنية الحديثة تعتبر من مقومات استغلال الملكيات الزراعية الهامة • فالعراق يفتقر الى مثل هذه الاساليب لان ما لديه من اخصائيين وخبراء واداريين ومهندسين وعمال زراعيين ماهرين لايتناسب وحاجة الزراعة • ان الاعمال الزراعية تحتاج الى اعمال مختبرية كما هي الحال مثلا في التربة والى محطات زراعية وحيوانية تجريبية وبحوث أخرى مختلفة تقوم ببنـاء الريف وخاصة في بلد تكون فيه النهضة الزراعية في مراحلها الاولى • نجد في العادة ان الطرق العلمية والفنية المستخدمة تزيد من كمية الناتج الزراعي والحيواني • هذا بالاضافة الى ادخال زراعة انواع مختلفة من المحاصيل وادخال نظام الدورة الزراعية الحديثة التي تعتبر القاعدة الاساسية في الزراعة الكثيفة •

هناك الاساليب التي تزيد من طاقة اليد العاملة في الزراعة مثل استخدام الآلات الميكانيكية التي تؤدي الى توفير الزمن وتقليل الجهد المبذول وتحضير الارض للعمليات الزراعية على احسن وجه •

اما الفائدة الثانية من هذه الآلات هو استثمار الملكيات الزراعية على

نطاق واسع ، ويعرف هذا النوع من الزراعة « بنظام الزراعة الواسعة » التي لا يمكن لليد العاملة العادية من استثمارها ، ويتبع هذا النظام في سهول البرارى في الولايات المتحدة وفي كندا وفي سهول روسيا الزراعية وفي سهول البمباس في الارجنتين ويمكن أن نطبق هذا في العراق لوجود سهول فسيحة منبسطة يمكن لهذه الآلات الميكانيكية أن تقوم باحيائها واعمارها •

ومن الطرق العلمية التي ترفع من القوة الانتاجية هي استعمال المخصبات ومنها ما تحافظ على سلامة النبات والحيوان من الامراض والحشرات ومن الطرق الاخرى المحافظة على التربة من التعرية وكلها اساليب يظهر أثرها في زيادة الناتج وجودته •

بهذا الصدد نود ان نورد بعض الاحصائيات المتعلقة بالآلات الزراعية المختلفة التي تملكها وزارة الاصلاح الزراعي والتي يقدّر عددها في عام ١٩٥٨ بحوالى (٢٦٢) ولكن على[1] ما يظهر ان هذا الرقم قد ارتفع حتى وصل الى (٢١٨٥) في عام ١٩٦٣ • ان هذه الآلات موزعة على كافة ألوية العراق تديرها وحدات يبلغ عددها (١٩) وحدة يقوم المزارعون بتأجيرها من الدوائر الزراعية المسؤولة عن ادارتها ، الى جانب ما تملك وزارة الاصلاح الزراعي • وتوجد اعداد أخرى عند المزارعين وعددها بالطبع محدود • ان هذا العدد القليل من الآلات لا يتناسب ومساحة الملكيات الزراعية الواسعة التى تنتظر الاعمار • فاذا ما اريد استثمار هذه المساحات وجب مضاعفة الآلات الزراعية الى عشرات المرات حتى يكون بمقدور المزارع الصغير تأجيرها بسهولة وبكلفة قليلة •

(٣) توفير الناحية المالية :ـ

يلعب الجانب المالي دور كبيرا في الانعاش الزراعي لا في العراق وحسب

---

(١) اطلس احصائي خاص بتوزيع الملكيات • قسم التخطيط بوزارة التخطيط • ١٩٦٢ •

انما في جميع الاقطار النامية اقتصاديا ، لذلك بات وضع برنامج لتنظيم الحالة المالية ركنا اساسيا يجب مراعاته في تنمية الملكيات الزراعية .

ولاجل أن تتفهم الناحية المالية وجب أن نصنف المزارعين الى ما يأتي :

(أ) كبار الملاكين . ان المفروض في هذه الطبقة قد انتهى دورها بعد ظهور الاصلاح الزراعي وتوزيع الملكيات الاقطاعية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ولكن الواقع ان توزيعها كان محدودا حيث اقتصر على ما يقارب ٢٠٫٤٩٤ وحدة استثمارية يتراوح معدل مساحة هذه الوحدات ما بين ٣٥ ـ ٤٠ دونما هذا في حالة الاراضى التي استولت عليها الحكومة ثم وزعتها الى الفلاحين. اما الاراضى الاميرية الصرفة فهي لا تزال تنتظر الاعمار حيث لم يوزع منها الا ملكيات صغيرة تقع ضمن المشاريع الحكومية كما هي الحال في مشروع الدجيلة بالكوت ومشروع المسيب الكبير ومشروع اللطيفية وفي مشروع الحويجة .

(ب) صغار الملاكين وأصحاب الملكيات المتوسطة . لقد نمت هذه الطبقة بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي وذلك بسبب حصول قسم من الريفيين على ملكيات صغيرة بعد استيلاء الحكومة على الاقطاعيات الكبيرة وتوزيعها . ان هذه الملكيات لم تجد العون المالى الكافي قبل عام ١٩٥٨ ولا بعده بدليل هبوط الانتاج الزراعى وقلة دخل الفلاح . لقد تبلورت هذه الاحوال الزراعية المتردية من عدم تقديم المساعدات المالية للمزارعين وخاصة أصحاب الملكية الصغيرة . لقد كان ولا يزال المصدر المالي الذي يمد هؤلاء الفلاحين هم التجار المحليين الذين يأخذون ربحا عاليا من الفلاح لقاء ما يمنحونه من قروض مالية ، هذا بالاضافة الى بيع حاصله قبل نضوجه بثمن أقل (نظام الاخضر) حتى يستطيع أن يفي مدينه . اما المصدر الثاني والاول اهمية هو البنك الزراعى وهذا البيت المالى لا يستطيع أن يوفر القروض لجميع المزارعين وذلك لعدم توفر رأس المال الكافي حيث يبلغ رأس ماله ثلاثة ونصف مليون دينارا وهذا مبلغ عاجز أن يمد جميع

المزارعين في العراق والبالغة نسبتهم حوالى ٧٠٪ من مجموع عدد السكان •

نستنتج من هـذا ان المساعـدات المالية التى يحصل عليها الفلاحون بصوره عامة قليلة وان امكن الحصول عليها فأنهم يدفعون لقاءها ارباحا عالية مما يؤدي الى هبوط نسبة التوفير الامر الذي لا يدفع الفلاح ويشجعه على الاعتناء بملكيته الزراعية وتطوير انتاجها •

اما البيوت المالية التى تساهم بانعاش التنمية الزراعية فهى قليلة وكما قلنا ان البنك الزراعى هـو المؤسسة الحكومية الوحيدة التى تقوم بتسليف المزارعين على اختلاف طبقاتهم • من الملاحظ ان اموال البنك الزراعى في خلال فترة الحكم القاسمى لم تقم المؤسسة بواجبها لان امواله كان صرفها يجري بطريقة لا تهدف الى المصلحة الزراعية بالرغم ان ظاهرها يدعو الى ذلك ولـكن باطنها كان يهدف الى مصالح حزبية وسياسية وقد أدى هذا التصرف الى تدهور الاقتصاد الزراعي • ولحل المشكلة الزراعية على الوجه الاكمل وجب توفـير البيوت المـالية المختلفة وتزويدها برؤوس الامـوال اللازمة لتنمية الملكيات الزراعية واستثمار جميع الاراضى القابلة للاستغلال حتى يمكن تسليف المزارعين القدامى منهم والجدد والذين ستوزع لهم في المستقبل ليقوموا بتغطية جميع النفقات الزراعية ويستحسن ان تكون هذه المساعدات المالية على شكل سلف نقدية او ادوات زراعية او مخصبات او حيوانات ، والى جانب هذه يجب ان توضع مساعدات أخرى للفلاحين في حالة تعرض الناتج الى الكوارث الطبيعية كالفيضان والجراد والحشرات وفي نفس الوقت تقوم الدولة بتكوين رؤوس اموال لغرض تأسيس الجمعيات التعاونية وشركات التأمين كما هو متبع في الجمهورية العربية المتحدة •

ان الغرض من وضع سياسة معينة للملكية الزراعية هو تحسين حالة سكان الريف وخاصة اصحاب الملكيات الصغيرة ليتمكنو من القيام بواجباتهم الزراعية على الوجه المثمر وبذلك يتحقق للريف نهضـة اقتصادية يعيش أبناؤه في مستوى معاشى أفضل مما هم عليه الآن •

المصـــادر :

١ ـ (تمليك الارض في العراق) مقالة القيت في حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة للدول العربية · الاستاذ حسن محمدعلي · ١٩٥٤ ·

٢ ـ (دراسات في الاصلاح الزراعي) الدكتور عبدالصاحب علوان : ١٩٦١ ص : ١٤٥ ·

٣ ـ اطلس احصائي للملـكيات الزراعية · قسم التخطيط بوزارة التخطيط ١٩٦٢ ·

٤ ـ (أراضي العراق وأحوال التربة في العـراق) الدكتـور بيورنك · ١٩٦٢ ·

٥ ـ الجغرافية الزراعية لحوض الفرات الاوسط) الجزء الثاني الدكتور نوري البرازي · ١٩٦٠ ص : ١٥٥ ·

٦ ـ احصاءات لم تنشر من وزارة الاسكان لعام ١٩٦٢ (ما يتعلق بالهجرة الى بغداد) ·

الشعر العراقي

وحرب طرابلس

ابراهيم الوائلي

المدرس في قسم اللغة العربية

تأريخ وسياسة :

في سنة ٢٢هـ ٦٤٣م فتح المسلمون برقة وطرابلس ثم تتابعت فتوحاتهم في افريقيا ، وفي أواسط القرن الخامس الهجري (الحادي عشر للميلاد) اصطبغت ليبيا بالصبغة العربية بعد أن نزح بنو سليم من مصر واستقروا في برقة ونزح مثلهم بنو هلال واستقروا في طرابلس وتونس ، وفي أواسط القرن السادس عشر للميلاد خضعت برقة وطرابلس للدولة العثمانية وصارتا ايالة واحدة قاعدتها طرابلس ثم استولت اسرة (القرمنلي) الانكشارية على الأيالة في أوائل القرن الثامن عشر وأقرتها الدولة العثمانية على ذلك ، ولكن ليبيا كلها أعيدت الى الادارة العثمانية في سنة ١٨٣٥م[١] ، وفي هذه الفترة كانت الدولة العثمانية تحاول اجتياز مرحلة خطيرة من مراحلها السياسية فهي في حروب مستمرة مع اوروبا من جانب وفي البلاد العربية من جانب آخر ، وكانت اليقظة الاسلامية قد أخذت تزحف في صفوف المسلمين أمام الخطر الاوروبي وتنذر الدولة نفسها بسوء العاقبة ان لم تبادر الى الاصلاح ولكن هذه اليقظة ليست على مستوى شامل ينتظم كل رجال الدين في الدولة العثمانية وانما كان يرتفع الى حد كبير في بعض البلاد العربية كنجد والحجاز وليبيا ومصر في حين تجذبه الرجعية الى الوراء في بلاد الترك نفسها وفي بعض البلدان الاخرى . وحين ازداد خطر اوروبا على البلاد العثمانية في عصر السلطان عبدالحميد الثاني كان الاتجاه قد قوى لدعم الجامعة الاسلامية وقد

(١) برقة ـ للدكتور نقولا زيادة ص ٤٤ ـ ٥٣ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

عمل السلطان نفسه باهتمام كبير لتقوية هذه الجامعة[٢] على الرغم من حكمه الفردي المستبد ، وكانت هذه الجامعة تعتمد ـ فيما تعتمد عليه ـ على الطرق الدينية حديثة العهد وعلى رجال الفكر والاصلاح[٣] ، وكانت الطريقة السنوسية[٤] في برقة من أهم هذه الطرق التي عززت مركز الجامعة الاسلامية في ليبيا وغيرها • وفي أيام السيد المهدي كانت هذه الطريقة قد وصلت الى ذروة انتشارها وقوتها حتى أن السلطان عبدالحميد طلب العون من السنوسي في حربه مع روسيا سنة **١٨٧٦ ـ ١٨٧٨م**[٥] على الرغم من تردي العلاقات بين الطرفين فقد كان السيد السنوسي يرى أن تحرير المسلمين من الاجانب لا يكون الا بالدعوة الخلقية وتحسين حالة المعيشة والزراعة والتجارة[٦] في حين كان السلطان يتخذ من الجامعة الاسلامية سندا له من غير اصلاح في جهاز الحكم وفي الاحوال العامة في البلاد العثمانية وبعد وفاة السيد المهدي سنة **١٩٠٢م** كان خلفه السيد أحمد الشريف المتوفى سنة **١٩٣٣م** في خصام مستمر مع الفرنسيين الذين أغاروا على أواسط افريقيا وانشؤا السودان الفرنسي وكانت أعماله الدفاعية ضد الايطاليين من عام **١٩١٢** حتى عام **١٩١٨م** من الاعمال المشهورة ولم تكن برقة في عهد زعامته قد تأثرت بالثورة التركية وخلع السلطان عبدالحميد سنة **١٩٠٩م** فقد وقفت السنوسية في وجه الاتحاديين الذين لم يلقوا تأييدا في بني غازي وغيرها بسبب اتجاههم الى تتريك العرب •

---

(٢) عبدالحميد ظل الله على الارض • ص ١٧٢ ـ ١٧٥ ـ للدكتورة آلماوتنن ، ترجمة : راسم رشدي ، القاهرة •

(٣) حاضر العالم الاسلامي • ص ٢٩٤ ج ١ ط ٢ تأليف : لوثروب ستودارد • ترجمة عجاج نويهض ، القاهرة •

(٤) مؤسس هذه الطريقة السيد محمد بن علي السنوسي المتوفى سنة ١٢٧٦هـ ١٨٥٩م وكان قد أنشأ (الزاوية البيضاء) في الجبل الاخضر عام ١٨٤٣م ثم نقل مركزه الى (الجغبوب) عام ١٨٥٦م وأنشأ مدرسة ومكتبة كبيرة ، وبعد وفاته خلفه ابنه السيد المهدي الذي نقل مركزه الى (الكفره) سنة ١٨٩٥م وتوفى سنة ١٩٠٢م فخلفه ابن أخيه السيد أحمد الشريف •

(٥) برقة ص ٦٢ •

(٦) حاضر العالم الاسلامي ١ : ٢٩٥ •

بوادر الاحتلال الايطالي :

كان التنافس قد اشتد بين فرنسا وانكلترا على التوسع الاستعماري في البلاد الشرقية منذ أن احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠م وكانت ايطاليا تريد أن تشارك هاتين الدولتين في التوسع غير أنها لم تجد القدرة الكافية على استعمار البلاد البعيدة عن شواطيء البحر الابيض المتوسط بسبب استيلاء الانكليز على مصر والهند وقوة اسطولهم الذي يقف حاجزا دون أية دولة أخرى ، وكان استيلاء فرنسا على الجزائر ومطامعها في تونس ونفوذها في مراكش مانعا آخر يحول بين ايطاليا وبين استعمارها هذه الاقطار أو بعضها فلم يبق لها الا ليبيا وقد ازدادت رغبتها في ذلك حين احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١م فخشيت أن تمتد يدها الى ليبيا وتحرمها منها[٧] وصارت ايطاليا تعد ليبيا ملكا لها ولو أن الدولة العثمانية كانت لا تزال صاحبة الحق هناك .

وفي سنة ١٩٠٠م اتفقت فرنسا وايطاليا على اطلاق يد الثانية في شؤون ليبيا مقابل اطلاق يد فرنسا في المغرب وحصل بينهما اتفاق آخر بهذا الشأن سنة ١٩٠٢م وقد أقرت انكلترا والنمسا هذا الاتفاق[٨] ، وفي السنوات الاولى من القرن الحالي شرعت ايطاليا تحقق أهدافها ففتحت المدارس في طرابلس وبني غازي وارسلت الجماعات التبشيرية ثم فتحت فرعا لبنك (دي روما) في طرابلس سنة ١٩٠٥م واكتتب البابا بالثلثين من مجموع رأس ماله[٩] وأخذ هذا المصرف يقرض الاهلين أموالا كثيرة بشروط تبدو سهلة في الظاهر ولكنها قد تؤدي في الغالب الى تسجيل الارض المرهونة ملكا للمصرف حين يعجز المدين عن الدفع ، وكانت القنصلية الايطالية في كل

---

(٧) جهاد الابطال ص ١ تأليف : الطاهر أحمد الزواوي الطبعة الاولى ١٩٥٠م عيسى البابي ، القاهرة .

(٨) المصدر السابق ص ٢ .

(٩) المصدر نفسه ص ٧ والقضية العربية ٢ : ٣٥ تأليف أحمد عزت الاعظمي ـ مطبعة الشعب بغداد ١٩٣١م .

من طرابلس وبني غازي مركزا للنشاط السياسي والدعاية لايطاليا والتجسس على السكان[١٠] •

وهكذا استطاعت ايطاليا أن تثبت أقدامها في ليبيا وتهيء الجو المناسب للاستيلاء السياسي والاداري على هذا القطر ، وفي أيلول من سنة **١٩١١م** استولت الجيوش الايطالية على طرابلس وأضيف هذا القطر الى تاج الملك عمانوئيل •

موقف الدولة العثمانية :

اذا كان من الاسباب التي أدت الى استيلاء ايطاليا على طرابلس ما هو جغرافي يعود الى قرب طرابلس من سواحل ايطاليا وما هو تأريخي قديم يعود الى كون طرابلس من توابع روما قبل الفتح الاسلامي[١١] وما هو سياسي معاصر كموافقة الدول الاوربية على هذا الاستيلاء فان من الاسباب ما يعود الى الدولة العثمانية نفسها فقد كان اهمال الدولة العثمانية شؤون هذا القطر وانحراف بعض سياسيها مع ايطاليا من أهم الاسباب التي أدت الى وقوع الكارثة هناك ، ذلك أن طرابلس كانت خالية من جميع أسباب القوة والعمران وليس فيها من طرق المواصلات ووسائل النقل الا ما كان مألوفا منذ مئات السنين ، أما التعليم الحديث فما كانت تعرف منه شيئا ، ولم تكن مواردها سوى القليل مما يزرع في مواسم الامطار وسوى أشجار النخيل والزيتون ، وكانت وسائل الدفاع فيها ضعيفة فليس فيها ما يكفي من الجند أو الاسلحة الحديثة ان لم نقل انها كانت مفقودة • وحين استولى الاتحاديون على الحكم سنة **١٩٠٨م** لم يعنوا بليبيا فقد استمر الاهمال في كل ناحية حتى اتجه الزراع الى (بنك دي روما) الذي فتح أبوابه للاقتراض واستولى على كثير من الاراضي بهذه الوسيلة ، وقد انشيء هذا (البنك) بدون استصدار

---

(١٠) برقة ص ٧٨ •

(١١) تدخلت روما في شؤون ليبيا قبل الميلاد فقد أيدت البطالسة في برقة وكان آخر ملك مستقل منهم في هذا القطر بطليموس أبيون الذي أوصى بالقطر لروما بعد وفاته (٩٦ق٠م) برقة ص ٣٧ •

مرســوم من حكومة الاســتانة أو موافقة الحكومة المحليــة وكان مديره (براشياني) من أشد الناس تعصبا لجنسيته فأخذ يستميل الضعاف ويبذل المال ويتصل ببعض الوجهاء ويقربهم منه • وكان (حقي) سفير الدولة العثمانية في روما آنذاك قد استماله الايطاليون الى جانبهم وطلبوا منه اقناع الدولة في عدم معارضة (البنك) فكتب هذا السفير الى دولته يقول :

« ان ايطاليا تبذل جهدا كبيرا لمساعدة الدولة العثمانية خصوصا بعد الدستور ومن الواجب على الباب العالي أن يتسامح مع بنك دي روما تثبيتا لاواصر المودة بين الدولتين[١٢] » •

في حين كان الوالي المشير رجب باشا في طرابلس من أشد المعارضين لسياسة ايطاليا وأعمال (بنك دي روما) وكان يوعز الى المحاكم في طرابلس أن ترفض قضايا (البنك) لعدم توفر الشروط القانونية فيه ولـكن الدولة العثمانية كانت تقف الى جانب (البنك) ولم تكتف بذلك بل أذنت لايطاليا بانشاء مكتب للبريد وكان هذا المكتب منتدى يجمع سماسرة (البنك) لتدبير الحيل والتعجيل باحتلال طرابلس[١٣] • وعزل رجب باشا[١٤] بسبب مضايقته أعمال الايطاليين وجاء بعده ولاة لم يكونوا سوى دمى بيد السياسة الايطالية • ولم تنجح مساعي الوالي ابراهيم باشا (١٩٠٩) الذي وقف بحزم ضد سياسة الطليان فقد كانت حكومة الاستانة تطلب منه ألا يغضب الايطاليين ولـكن الحاح هؤلاء في عزله قد وجد سبيله الى رئيس الوزراء حقي باشا الذي كان سفيرا للدولة في روما فعزله في أيلول سنة ١٩١١م وكان هذا الوالي قد أرسل تقريرا قبل عزله بسبعة أشهر ينذر فيه بخطر استيلاء الطليان على طرابلس فلم تلتفت الدولة الى تقريره[١٥] • ولم يكتف حقي باشا بعزل الوالي ابراهيم استجابة لرغبة قنصل ايطاليا في طرابلس بل أمر

---

(١٢) جهاد الابطال ص ٧ والقضية العربية ٢ : ٣٥ •

(١٣) جهاد الابطال ص ٨ •

(١٤) كان رجب باشا مشيرا للفيلق السادس في بغداد سنة ١٨٩١م ١٣٠٨هـ وقد عين واليا على طرابلس سنة ١٩٠٤م •

(١٥) جهاد الابطال ص ٢٠ •

بنقل السلاح الموجود فيها بحجة اصلاح بعضه وابدال ما لا يصلح منه بسلاح جديد كما أمر بسحب الجنود بحجة الحاجة اليهم في حرب اليمن • وهكذا مهد حقي باشا لايطاليا في احتلال طرابلس استجابة لاصدقائه من الايطاليين الذين سعوا الى تعيينه صدرا أعظم سنة ١٩١١م(١٦) •

وفي يوم ٢٧ أيلول سنة ١٩١١م تسلم حقي باشا انذارا من ايطاليا باحتلال طرابلس محتجة بفساد النظام واهمال الحكومة مصالح ليبيا(١٧) وأجابت الدولة على هذا الانذار بكثير من التملق ووعدت ايطاليا بحماية مصالحها في طرابلس(١٨) ، وقد وقف نواب ليبيا موقفا حادا من سياسة حقي واتهموه بالخيانة وطالبوا بمحاكمته أمام الديوان العالي وانضم اليهم كثير من نواب العرب مشاركة في الشعور وقدم نائبا طرابلس(١٩) تقريرا الى البرلمان التركي أظهرا فيه أسباب الاهمال وسياسة حقي الممالئة لايطاليا(٢٠) ولكن حقي لم يمسسه شيء ولم يحاسب لان الاتحاديين كانوا يسندونه •

معارك ومعاهدة :

وفي يوم ٢٩ أيلول سنة ١٩١١ م أعلنت ايطاليا الحرب وظهرت طلائع الاسطول الايطالي أمام طرابلس وسدد مدافعه الى قلاعها وطلب قائد الاسطول من وكيل الوالى أن يسلم المدينة في الحال ويخليها من كل ما يعوق الجيش الايطالى غير أن وكيل الوالى ومعه (نشأت)(٢١) رئيس أركان

---

(١٦) المصدر السابق ص ٢١ ويذكر هذا المصدر ان السنيور ناثان اليهودي شيخ مدينة روما هو الذي طلب تعيينه صدرا أعظم فوافقت جمعية الاتحاد والترقي على ذلك •

(١٧) راجع نص الانذار في المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٧ • والقضية العربية ٢ : ٣٧ ـ ٣٩ •

(١٨) جهاد الابطال ص ٢٨ ـ ٢٩ • والقضية العربية ٢ : ٤٠ •

(١٩) هما صادق ومحمود ناجي •

(٢٠) انظر التقرير في : جهاد الابطال ص ٣٤ ـ ٤٢ • والقضية العربية ٢ : ٥٣ ـ ٦٣ •

(٢١) عين نشأت واليا في هذه الاثناء وخلفه في رياسة أركان الحرب فتحي الذي كان ملحقا بالسفارة التركية في باريس •

حرب الجيش العثماني رفضا هذا الانذار محتجين بأنهما لم يتلقيا أمرا من الباب العالى بالتسليم ، وفي اليوم الثالث من تشرين الاول أخذ الاسطول الايطالي يضرب المدينة ولم تكن قلاعها المهملة قد أبدت مقاومة تذكر وفي اليوم الخامس[٢٢] منه نزل الجنود الايطاليون في مدينة طرابلس وفي هذه الاثناء وزع القائد الايطالي (كارلوس كانيفا) منشورا على العرب يدعوهم فيه الى الخضوع والتسليم ويعدهم باحترام شعائرهم وصيانة حقوقهم وانقاذهم من الحكم التركي وبأن تبقى بلادهم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها (عمانوئيل الثالث)[٢٣] ولكن هذا المنشور لم يؤثر على غير المأجورين من سماسرة ايطاليا ، اما الوالي التركي والضباط الاتراك الذين كانوا معه فقد أبدوا في أول الامر عدم استعدادهم لمحاربة الجيش الايطالى وأشاروا على الطرابلسيين ألا يحاربوا أيضا غير ان الطرابلسيين رفضو الاستسلام وبدأت المعارك بين جيش يتجاوز الاربعين ألفا وبين العرب أنفسهم لان القوة العثمانية في القطر كله لم تكن آنذاك كافية للدفاع فهي لا تتجاوز أربعة آلاف جندي الا بقليل[٢٤] ولم يجد الوالي التركي والضباط الذين معه بدا من المشاركة في الحرب بعد الذى رأوه من حماسة العرب في الدفاع عن وطنهم •

وفي هذه الاثناء أرسلت تركيا ضباطا الى برقة لتسيير القتال وانشئت ثلاث معسكرات الاول في مرمريقة شرقي برقة بقيادة أدهم باشا والثاني جنوبى (درنه) ويتولى تنظيمه أنور القائد التركى يساعده مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) اما الثالث فقد كان يشرف عليه عزيز على المصرى وكان في (بنى غازى)[٢٥] • وأخذ الترك والعرب يقاتلون بروح الجامعة الاسلامية وكان للسيد أحمد السنوسي وعمر المختار شأن كبير في قيادة المحاربين

(٢٢) في هذا اليوم ألف سعيد باشا الوزارة بعد سقوط وزارة حقي •
(٢٣) انظر هذا المنشور في : جهاد الابطال ص ٥٠ ـ ٥٢ • والقضية العربية ٢ : ٤١ ـ ٤٥ •
(٢٤) برقة ص ٨٠ • وحاضر العالم الاسلامي ٢ : ١١٦ •
(٢٥) برقة ص ٨١ •

وحثهم على الجهـــاد ، واستمرت المعـارك في مختلف الميادين وقـد أبلى الطرابلسيون بلاء عظيما فيها وهزموا الطليان في كثير من المواقع ، وكانت المرأة العربية لا تقل عن الرجل في خوض المعارك(٢٦) . ولكن الطليان على الرغم من الهزائم الكثـيرة ومن المقـاومة الشـديدة التى قابلهـم بها الطرابلسيون كانوا يجمعون قواهم المنظمة الكثيرة والمعززة بالاسلحة الثقيلة ويتقدمون على الاشلاء والجماجم فاحتلوا طرابلس وطبـرق ودرنه وبنى غازى والخمس وغيرها من المدن والقرى واستصدروا أمرا ملكيا بتأريخ ٥ تشرين الثانى **١٩١١** م بالحاق طرابلس باملاك روما وحول هذا الامر في **٢٥** من شباط سنة **١٩١٢** م الى قانون واجب التنفيذ برقم **٨٣**(٢٧) .

وفي تشرين الاول من سنة **١٩١٢** م أعلنت حرب البلقان على الدولة العثمانية فاضطرت هذه الى عقد معاهدة صلح مع ايطاليا وقد نصت هـذه المعاهدة على وقف القتال وسحب الجنود الاتراك من ليبيا(٢٨) وانسحبت القوات العثمانية من طرابلس وظل جـزء منها في برقـة بقيادة عزيز على المصرى ثم انسحب عزيز على بعد أن رفض اعطاء السلاح الى العرب بحجة ان ذلك مخالف لشروط الصلح فثار العرب على الجيش العثماني انسحب وبقى الطرابلسيون يحاربون وحدهم وعلى رأسهم أحمد السنوسى وعمر المختار(٢٩) . وكان السيد السنوسى يعارض هذه المعاهدة لان معناها تسليم البلاد الى الطليان(٣٠) على الرغم من أن السلطان قد منح ليبيا استقلالا تاما في الشؤون الداخلية على أن يمثله فيها موظف بلقب نائب السلطان(٣١) وكان السيد السنوسى على حـق في استنكار المعاهدة فقـد كان الايطاليون ينتظرون خروج الجيش العثمانى ليستمروا في سياسة الاستعمار وهذا ما

---

(٢٦) جهاد الابطال ص ٧٩ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٦٨ و٨٣ .

(٢٨) انظر نص المعاهدة في المصدر السابق ص ٩٩ ــ ١٠٢ .

(٢٩) حاضر العالم الاسلامي ٢ : ١٢٥ .

(٣٠) برقة ص ٨٣ .

(٣١) جهاد الابطال ص ١٠٣ .

حدث فقد تجددت المعارك واستمرت وكان كفاح العرب فيها كفاحا مشرفا حتى سنة ١٩٣١ م حين أعدم المجاهد الكبير عمر المختار[٣٢] ، وجعلت البلاد جزء من المملكة الايطالية .

فظائع الطليان :

لم تكن الحرب التى اعلنها الطليان في طرابلس حربا شريفة وانما كانت حربا همجية رافقتها أعمال فظيعة من القتل المبيد والتخريب الوحشي ففي واقعة (المنشية) التى حدثت في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩١١ م كان الطليان يشدون النساء والرجال والاطفال بالحبال ويذبحونهم[٣٣] وقد أباح الطليان القتل في مدينة طرابلس بكل قسوة وشارك في هذه القسوة الضباط والجنود وجماعة الصليب الاحمر والقساوسة ، وصار اطلاق الرصاص على الابرياء شيئاً مألوفا لدى الطليان بل تسلية يتلهى بها الجنود الايطاليون[٣٥] ، وكانت سنة ١٩١١ م من أشد السنين هولا على ليبيا وقد تحدثت جرائد العالم عن الفظائع التى اقترفها الطليان وصرح (فرانسز ماكولا) الانكليزى وكان مرافقا للجيش الايطالى في طرابلس فقال :

« أبيت البقاء مع جيش لاهم له الا ارتكاب جرائم القتل وأن ما رأيته من المذابح وترك النساء المريضات وأطفالهن يعالجن سكرات الموت على قارعة الطريق جعلنى اكتب للجنرال (كانيفا) كتابا شديد اللهجة أقول فيه : انى أرفض البقاء مع جيش لا أعده جيشا بل عصابة من قطاع الطرق القتلة»[٣٦] .

---

(٣٢) انظر شكل المحاكمة التي اجريت له في : (السنوسية دين ودولة) ص ٣١٨ ـ ٣١٩ . للدكتور محمد فؤاد شكري . مصر ١٩٤٨م .

(٣٣) جهاد الابطال ص ٦٧ وجريدة (المؤيد) لسنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م .

(٣٤) جهاد الابطال ص ٦٨ .

(٣٥) برقة ص ٨١ .

(٣٦) حاضر العالم الاسلامي ٢ : ٧٢ ، ويشير هذا المصدر في ص ٧٧ الى كتاب اسمه (فظائع الطليان في طرابلس الغرب) طبع سنة ١٣٣٥هـ بالآستانة ، كما يشير الى رسالة عمر المختار الى شكيب ارسلان عن الفظائع .

موقف العراق :

لقد وقف العالم الاسلامي موقف الاستنكار لاعمال الطليان في ليبيا وتبرع غير قليل من المسلمين بالمال وتطوع آخرون للجهاد وحملت الصحافة العربية والاسلامية على ايطاليا وازداد العطف على ليبيا بعد اعلان المعاهدة التي كشفت عن هزيمة الحكومة التركية وازداد التبرع والتطوع وارتفعت أصوات الاحتجاج على ايطاليا حتى في الهند والصين(٣٧) . وألفت اللجان لجمع المال وأقيمت الحفلات بهذا الشأن وكان منها حفلة النادى العربى في الاستانة(٣٨) ، وكان من البديهى أن يقف العراق في طليعة الاقطار الاسلامية الى جانب القطر الليبى فقد حدث عند بداية الاحتلال الايطالى أن اذاع الوالي التركي في بغداد وهو أحمد جمال(٣٩) بيانا جاء فيه :

« ان دولة ايطاليا لم تزل منذ مدة غير قصيرة تربى في أحشائها آمالا استبدادية بحق ولاية طرابلس الغرب التى هى قسم مهم من أقسام الممالك العثمانية فلم تزل تطالب ببعض مطالب غير مشروعة ولما كانت مطالبها تضر بمنافع الدولة الجليلة العثمانية رفضت تلك المطالب ... وعليه فقد أعلنت دولة ايطاليا الحرب مع الحكومة العثمانية فحالة الدولة العثمانية في هذه الدقيقة هى حالة حربية ولا يخفى على كل أحد أن ولاية طرابلس الغرب هى مؤلفة من العناصر العثمانية المحترمة من العرب النجباء وأهل طرابلس الغرب الوطنيين ، والدم الذى يجرى في عروقهم هو عين ذاك الدم العثمانى الذى يجرى في عروق سكان خطة العراق . بناء عليه كان جميع أفراد الامة العثمانية لهم علاقة بالاشتراك في هذا الجهاد الملى الاكبر وهو أقدس واجبات اولاد العثمانيين عموما .

---

(٣٧) المصدر السابق ١ : ٣١٢ .

(٣٨) ألقى في هذه الحفلة السيد محمد حبيب العبيدي شاعر الموصل خطبة ثم قصيدة طويلة نشر قسم منها في (الادب العصري) ١ : ١٤٨ — ١٥٢ . وليس فيه ما يخص الحرب الطرابلسية .

(٣٩) هو أحمد جمال الملقب بالسفاح فيما بعد وقد عين واليا على العراق في آب سنة ١٩١١م .

ان الملة اليوم أصبحت في حاجة عظمى أكثر من غيرها الى الاتحاد والاتفاق ... فيجب ترك كل نوع من النفاق والاختلاف لرفع هذه النهلكة المشتركة وعلى عموم العثمانيين العراقيين أن يواظبوا بكمال الطاعة والخضوع لاوامر الحكومة التى تشير عليهم بها . ان الحكومة أمينة ومطمئنة تمام الاطمئنان من كافة الاهالى الساكنين فى الخطة العراقية والقصبات والقرى والعشائر والعربان الذين يجولون في البرارى أن يلبوا دعوتها لهم بكمال الغيرة والهمة ولو أفضى ذلك الى استنزاف آخر نقطة من دمائهم في المدافعة عن منافع الدولة العثمانية المقدسة ... وليعلموا أيضا أن الدولة العلية تحارب دولة ايطاليا فقط ... ولكنها مع سائر الدول الاجنبية في كمال المصافاة[٤٠] ... » .

وعلى أثر هذا البيان أخذ العراقيون يتبرعون بالاموال ويتطوعون للحرب وهم في ذلك انما يندفعون بروح الجامعة الاسلامية والعثمانية وشكلت لجان لجمع المال ومنها لجنة في البصرة برياسة السيد طالب النقيب وقد جمعت آلاف الليرات لمساعدة الدولة[٤١] كما تطوع الالوف من سكان العراق ولا سيما أتباع (الحزب الحر المعتدل) الذى يرأسه السيد طالب النقيب في البصرة ولكنهم لم يذهبوا[٤٢] . وأعلن الشيخ مبدر الفرعون رئيس عشائر آل فتلة في الفرات الاوسط عن استعداده للمشاركة في الحرب[٤٣] وتبرع – وهو في سجن الوالى أحمد جمال – بمبلغ قدره خمسمائة ليرة لمساعدة الدولة[٤٤] . وكتب ابراهيم حلمى العمر مقالا يشير فيه الى الاعتداء الايطالى على ليبيا[٤٥] وتظاهر الناس في كل مكان واجتمع حشد كبير في بغداد وقصدوا دار الحكومة واعلنوا عن سخطهم على

---

(٤٠) صدى بابل – العدد ١٠٢ س ٣ – ١ تشرين الاول ١٩١١م بغداد .
(٤١) المصدر السابق العدد ١٥٩ س٤ .
(٤٢) المصدر نفسه العدد ١١٥ س٣ .
(٤٣) المصدر نفسه العدد ١٢٠ س ٣ – ٤ شباط ١٩١٢م .
(٤٤) المصدر نفسه العدد ١٥٩ س٤ .
(٤٥) المصدر نفسه العدد ١٢٠ س٣ . والمقتبس ٢٣ كانون الاول ١٩١١م .

ايطاليا وخطب فيهم الوالى أحمد جمال وكذلك جميل صدقى الزهاوى فحث على الجهاد ، وتلقت الحكومة كثيرا من البرقيات التى ارسلها العراقيون وهم يستنكرون اعتداء الطليان على طرابلس(٤٦) .

وكان موقف رجال الدين في مقدمة المواقف التى برز فيها نشاط العراقيين لاعلان الجهاد ضد الدول الاجنبية ومنها ايطاليا ولا سيما أن اعتداء ايطاليا على طرابلس قد رافقه توثب في دول البلقان واعتداء روسى انكليزى على ايران ، وصدرت الفتاوى بالجهاد في بغداد والنجف وغيرهما وقد وقع فتاوى الجهاد كبار العلماء في النجف من أمثال الملا كاظم الخراساني والسيد محمد سعيد الحبوبى(٤٧) . وكان رجال الدين يرون في هذه الحرب التى شنت على البلاد الاسلامية ليست حربا استعمارية وانما هى دينية لانها وقعت في بلاد الاسلام فقط لذلك أسرعوا الى الجهاد من النجف وكربلاء والكاظمية(٤٨) . وقد شارك بعض العراقيين مشاركة فعلية في حرب طرابلس الى جانب اخوانهم من العرب .

الشعر في هذه الحرب :

كان من البديهى أن يستجيب الشعر للتعبير عن عواطف العراقيين وأن يندفع للتنديد بسياسة الطليان واستنكار ما حدث منهم في بلد عربى مسلم تابع للدولة العثمانية وكان من البديهى أن يكون شعراء العراق في طليعة الركب المعبر عن ثورة الشعور الاسلامى العربى شأنهم في ذلك شأن الشعراء الآخرين في البلاد العربية الاخرى ولا سيما أن الخلافة العثمانية كانت لا تزال ذات تأثير وأن الرابطة الاسلامية كانت هى الاخرى حافزا قويا يغذى

---

(٤٦) تأريخ العراق بين احتلالين ٨ : ٢١٩ ـ عباس العزاوي ـ بغداد ١٩٥٦ .

(٤٧) مجلة ـ العلم ـ النجفية الجزء ٦ من المجلد ٢ تشرين الثاني ١٩١١م .

(٤٨) مجلة ـ الحياة ـ البغدادية . العدد الاول من المجلد الاول صفر ١٣٣٠هـ ١٩١٢م .

الشعور ويدفعه الى العمل وأن رجال الدين في العراق ـ وهم المتنفذون روحيا ـ قد أعلنوا الجهاد وأصدروا الفتاوى بوجوبه ، والوعى العربى آنذاك قد تسرب في العراق يوقظ الى التوجيه الموحد لمحاربة الدول الاجنبية التى تريد اقتسام البلاد العربية والاستيلاء عليها كما حدث في الجزائر ومصر ومراكش •

وبمثل هذه العوامل هب معظم شعراء العراق يسجلون استجابتهم واندفاعهم ويعبرون عن الروح الاسلامية والعربية ويحثون على الجهاد المقدس ويصرخون في وجه الاستعمار الاجنبى الذى يتمثل باحتلال طرابلس •

والشعر الذى أوحته هذه المناسبة غير قليل في الكم كما أن الكثير منه يرتفع بموسيقاه ومعانيه الى مستوى المعركة التى خاضها الطرابلسيون وغيرهم من أتباع الدولة العثمانية • ولئن كان الموضوع الذى تناوله الشعراء واحدا والتجربة التى عانوها وعبروا عنها واحدة فان عمق تلك التجربة لم يكن على مستوى واحد في نفوسهم فقد كان بعضهم يعبر ببساطة موروثة لا تخلو من سطحية في التفكير وبعضهم كان يرى في هذه الحرب نوعا من الصليبية الحاقدة على الاسلام • وبعضهم كان يمزج بين النزعة الاسلامية وبين الشعور العربى الغاضب ، وبعضهم كان يصدر عن وعى وادراك وتأمل ويرى في هذه الحرب ما يصم عصر المدنية الصاعدة •

ومهما كانت الخطوط والاتجاهات التى سلكها الشعراء في التعبير عن هذه التجربة فان الالتقاء بينهم كان واضحا في معركة وقعت بين الغرب المستعمر وطرابلس العربية المسلمة ، وكان واضحا أيضا في التنديد بالطليان وتهديدهم بالقوة والمناجزة الرادعة وتذكيرهم بمواقف العرب في الحروب وتأريخهم الحافل بالانتصارات • وسنعرض من النماذج ما يكشف عن مختلف الاتجاهات والاساليب وان عرض النماذج هنا لا يعنى ان الهدف منها دراسة هذا الشعر من الناحية الفنية وبيان مواطن القوة والضعف في الاداء وفي الأخيلة والمعاني والعواطف والانفعالات وانما نريد قبل كل شيء دراسة هذا الشعر دراسة موضوعية وجمعه وتسجيله في بحث واحد وربطه

بموحياته وبواعثه ، اما ما يسوقنا اليه البحث من نقد أو تحليل وتلمس الاصالة والسطحية في التفكير وقوة الاداء وضعفه في استيحاء التجربة فانما هو استكمال لعناصر الموضوع والمام به وسنختار من النماذج ما وجدناه في الدواوين والمجاميع وما كان في متناول اليد مما عثرنا عليه فاذا أغفل شيء من ذلك ولم يشر اليه فلانه لم يتوفر لدينا حين كتابة البحث •

شعراء المعركة :

١ ــ الكاظمي :

كان الشيخ عبدالمحسن الكاظمي في مصر حين وقع الاعتداء الطلياني على طرابلس وكان هذا الشاعر قد تشبع بالروح الاسلامية السمحةوبالشعور العربي النبيل وبالنزعة الانسانية الهادئة[٤٩] وحين اعتدت ايطاليا على طرابلس انفعل أشد الانفعال فنظم قصيدة طويلة استوعبت معظم الصور التي رسمتها المعركة من اشتباك وقتل وتشريد وندد فيها بالسلم الملطخ بالدم وهدد الطليان وتفاخر بالعرب والاسلام وقد بدأ قصيدته بمطلع تقليدي فقال :

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهمم ... بالساعد الفتل يمضي الصارم الخذم

واستمر يصف القوة والسلاح وكونهما أساس المجد • ثم أطل على المعركة فقال :

يوم تظل له الآماق دامية ... وتلتظي عنده الاضلاع والحزم
من ذا يقر له جنب ومضطجع ... والبيت مضطرب الاركان والحرم ؟
ببرقة وبني غازي واختهما ... أعني طرابلس عاث الازلم الغشم

ودعا العرب الى نصرة اخوانهم وذكرهم بما يجري على أيدي الطليان ليبعث فيهم روح النخوة :

---

(٤٩) ذكرى شاعر العرب الكاظمي • مقال لكاتب البحث • جريدة (الحرية) ١/٥/١٩٥٥ ــ بغداد •

أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونىً   وليس يحمد بعد اليوم معتزم
هذي طرابلس تدعوكم لنجدتها   فشاطروها الاسى أو تفرج الازم
اخوانكم في العرا صرعى ونسوتهم   مروعات ولا مأوى ولا حرم

ثم يخاطب روما عاصمة الطليان وينبهها الى فعلتها الشنعاء ويهددها بسوء العقبى :

روما أفيقي فكم من سكرة جلبت   لاهلها من ضروب الخزي ما يصم
عرّتك عن كل فخر فعلة شنعت   وألبستك ثيابا كلها وصم
ستعلمين اذا ما كنت جاهلة   أي الفريقين يفنى عزمه السأم(٥٠)

ويختم القصيدة بمقطع غير قليل في استثارة الشرقين لدحر الغرب ومطامعه .

٢ ـ السيد عبدالمطلب الحلي(٥١) :

هذا الشاعر من غراس الفرات الاوسط وقد نشأ في مدينة الحلة وكان نسبه الهاشمي يشده شدا وثيقا الى التمسك بالروح الاسلامية والشعور العربي غير أن شعره من حيث الصياغة دون مستوى البارزين من شعراء هذه المعركة وقد تناول حرب طرابلس بقصيدة استعرض فيها الاحداث وفاخر بالعرب وندد بالطليان وحث المسلمين على الجهاد ضد أعدائهم من الغربيين وكان متفتح الذهن أمام تلك الاحداث ناقما على الصلح الذي عقدته الدولة العثمانية مع الطليان وقد بدأ قصيدته بقوله :

أيها الغرب منك ماذا لقينا   كل يوم تثير حرباً طحونا
تظهر السلم للأنام وتخفي   تحت طي الضلوع داء دفينا

ويقول مهددا :

كيف ترجو كلاب رومة منا   أن ترانا لحكمها خاضعينا

---

(٥٠) ديوان الكاظمي ـ ص ٩٩ ـ ١٠٩ من المجموعة الاولى ـ مطبعة ابن زيدون ـ دمشق .
(٥١) توفي سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م .

دون أن نفلق الجماجم والها م بضرب يأتي على الدارعينا
نبحونا مهولين فلما أن زأرنا عاد النباح أنينا

ويخاطب ملك ايطاليا مستنكرا الصلح محتجا عليه :

قل لعمانوئيل خلفك والصلح فقد آن للضبا أن تدينا
حكم الله في الكتاب علينا بقتال الذين منكم يلونا

ويستثير المسلمين لرفض الصلح :

يا رسولي للمسلمين تحمل صرخة تملأ الوجود رنينا
أبحق ترضون بالصلح قسرا للنصارى عن مجدكم نازلينا ؟

وينكر على السلطان العثماني قبوله الصلح :

كيف ترضى بالصلح والصلح عار ذاك يأباه سيد المرسلينا[٥٢] ؟

٣ ـ الرصافي :

لقد وقف معروف الرصافي موقفا مجليا في هذه المناسبة الدامية فسجل في ديوانه ثلاث قصائد في اثنين منها دفاع شديد عن العرب والاسلام واثارة صارخة للترك والعرب ، وقد استعرض الاحداث ووصف المعركة عن بعد وهدد الطليان وفاخر بالطرابلسيين وعلى رأسهم السيد السنوسي ، وندد بالغرب والعلم الذي يدعونه وبعصر التمدن الذي تزهق فيه الارواح وقد جاء في القصيدة الاولى :

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب
ولا تغترر ان قيل عصر تمدن فان الذي قالوه من أكذب الكذب
ألست تراهم بين مصر وتونس أباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب ؟
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب

---

(٥٢) انظر : شعراء الحلة ـ ٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٩٥٢م و (البابليات) للشيخ محمدعلي اليعقوبي ٣ : ٤٤ ـ ٤٥ القسم الثاني .

وفيها يقول :

يعـــز علينـــا أهل برقة أنكـــم ... تدور عليكم بالدمار رحى الحـرب
وأنا اذا ما تستغيثـــون لم نجـــد ... اليكم على بعـــد المسافة من درب

ويذكر السنوسي بالاعجاب :

ومن مبلـــغ عني السنوسي أنـــه ... يمد لهذا الصدع منه يد الرأب ؟
فانا لنرجـو أن يقـــود الى الوغى ... طلائع من خيـــل ومن ابل نجب
فيحمى بلاد المسلمين من العـــدى ... وينهض كشافا لهم غمة الخطب[53]

والقصيدة الثانية تبدأ بعدم الاكتراث بالطليان وجيشهم الذي يقوده (كانيفا) وتشيد بالمجاهدين وموقفهم من هذا الجيش فيقول فيها :

هو النصر معقود برايتنا الحمـــرا ... على أنه في الحرب آيتنا الكبرى
لئن ادبر الطليان عنـــد كفاحنـــا ... فإن لهم في بطش شجعاننا عـــذرا
فسل جيش (كانيفا) بنا كيف قومت ... شفار مواضينا خدودهم الصـــعرا

ويرثي قتلى طرابلس بأسلوب مؤثر فيقول :

لك الله يا قتلـــى طرابلس التي ... بها حكم الطليان أسيافهم غـــدرا
أداموا بهـــا قتـــل النفوس نكاية ... الى أن أصاروا كل بيت بها قبـــرا
وهل حسبوا قتـل النساء شجاعـــة ... وقد تركوا عند الرجال لهم ثأرا ؟!

ويذم عصر التمدن :

يقولون : ان العصر عصر تمـــدن ... فما باله أمسى عن الحق مـــزورا ؟
الى الله أشكو في الورى جاهليـــة ... يعدون فيها من تمدنهم عصـــرا
أتتنا بثوب العلـــم تمشي تبخترا ... الى الخير لكن قد تأبطت الشرا[54]

اما القصيدة الثالثة فقد نظمت بأسلوب يختلف عن أسلوب القصيدتين السالفتين اذ جنح فيها الشاعر الى الخيال القصصي يستعين به على تصوير

---

(٥٣) ديوان الرصافي ـ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٧ ـ بيروت ١٩٣١م .
(٥٤) المصدر السابق ص ٤٤٧ ـ ٤٥٠ .

كثير من الحقائق التي وقعت في طرابلس ، ولم يكتف بالخيال وحده بل صور الحوادث التي تخيلها على أنها رؤيا عرضت له في ليلة طويلة شاقة ، وخلاصة الرؤيا أن الشاعر سهر ليلته الطويلة متعبا مكدودا حتى نام من التعب فاذا به يرى نفسه واقفا على ربوة عند ساحل البحر والافق محمر الجوانب ، والاجساد مبعثرة هنا وهناك ، وبين القبور غادة جميلة كريمة لكنها جائعة مصفرة حاسرة الرأس باكية مقيدة بالسلاسل وقد احتوشتها الكلاب وفوقها الطير تحوم مبتعدة مقتربة بمناقيرها البيض وريشها الاخضر ، وكان الشاعر ينظر اليها بامعان وفي تلك اللحظة هتف به هاتف من السماء يقول له : انها طرابلس تبكي على أهلها

وهذه الطير حيث تبصرها   محمد والصحابة النجب

وينهي الرؤيا بقوله :

تلك رؤياي غير كاذبة   فهل تغيثون أيها العرب ؟

وفي نهاية القصيدة مقطع لم يكن من القصة أو الرؤيا على أصح تعبير وانما هو خطاب موجه الى ملك ايطاليا فيه تجريح وتعريض يقول فيه :

يا شيخ روما ومن لرايته   وتاجه ينتمي وينتسب
لست ولا قومك اللئام بمن   تعرف أم لمثلهم وأب
وانما انتم بنو زمن   اذا ذكرناه تخجل الحقب
بروما قبل ـ وهي مبولة ـ   بالكم الدهر وهو مقترب(٥٥)

٤ ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء :

ولد الشيخ محمد الحسين ليكون فقيها ومرجعا دينيا في النجف ولكنه الى جانب ذلك مارس النظم والنثر فكان من طلائع هذين الفنين في القرن العشرين ، وقد كان لاعتداء ايطاليا على طرابلس نصيب من شعره ولم ينس

---

(٥٥) المصدر نفسه ص ٤٥٨ ـ ٤٦٠ .

أن يشير الى حروب البلقان ضد الدولة العثمانية فجمع بين الحادثتين في قصيدة عنوانها (بعد حرب الطليان والبلقان) وبدأها بذم الحرب ووصف مآسيها وما تفعله بالبشر وأنكر أن تكون هذه الاعمال مما يشرف السلام والتمدن • واستعرض حالة المسلمين وقعودهم عن صد مكائد الغرب ودسائسه فقال :

سل لدى الحرب ألسن النيران عن صنيع الانسان بالانسان
أو سل الارض ما جرى فسيول الدم فيها هدارة بابيان
أو سل الشرق ما لقيت من الغرب وعدد غرائب العدوان

ويقول :

سل قذيف (المكسيم) كم من خراب سيم خسفا فيه على العمران
كم رؤوس اودى بها حمم القلع فسالت (غازا) على الجثمان
كم نساء أضحت أيامى تعاني من يتامى فقيدها ما تعاني

ويخاطب المسلمين بقوله :

أيها المسلمون هبوا فليس الموت الا حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التمادي وأتاكم سيل فماذا التواني ؟

* * *

أفيرجو الاسلام لقيان سلم (بعد حرب الطليان والبلقان) ؟

ويعبر عن وحدة المسلمين في المحنة التي أصابتهم فيقول :

يشتكي المراكشي اغتصابا وكشكواه يشتكي (العثماني)
واذا ولولت طرابلس في الغرب أتاها العويل من (ايران)[56]

٥ ـ أبو المحاسن :

ويشارك الشاعر الحاج محمد حسن أبو المحاسن مشاركة نابضة بالحس والانفعال في معركة طرابلس ولكن الاطار اللفظي والصياغة الفنية دون المستوى الحسي ، وقد كان هذا الشاعر معروفا بنزعته الاسلامية

(٥٦) الادب العصري ـ ٢ : ٨٧ ـ ٨٩ • المطبعة السلفية ١٩٢٣م القاهرة •

وبشعوره العربي في حين كان ميالا الى سياسة الاتحاديين الاتراك ، وفي قصيدته (الحرب العثمانية الايطالية) ـ وقد نظمها في رمضان سنة ١٣٣٠هـ استجابة غير قليلة للتعبير عما أصاب المسلمين والعرب من أطماع الدول الغربية وقد بدأ قصيدته بالفخر والحماسة والاعتزاز بأمجاد العرب في عصورهم السالفة وكان نصيب العرب من هذه الحماسة غير قليل فقد استنفد من الشاعر حوالي خمسين بيتا جعلها مقدمة للاحداث التي عاصرها في البلاد الاسلامية ولاسيما في طرابلس وفي ختام القصيدة استعرض معاهدة الصلح فندد بها وأعرب عن استيائه منها ، ومما جاء بعد المقدمة الطويلة قوله يخاطب العرب :

بكم بنى الدين حتى استقام ... وأصبح ركن هداه ركينا
وأخضعتم فيه كل الشعوب ... فرسا وروما وهندا وصينا
فعودوا لنصرته مثلما ... بدأتم بنصرته منجدينا
فأوطانكم بعد عز الحفاظ ... قد أصبحت نهزة الطامعينا
يسوم الصليب أعزاءها ... ـ ويا لهف نفسي ـ ذلا وهونا

ويستعرض الاقطار التي احتلها المستعمرون ومنها ايران التي توغل فيها الروس والانكليز ، ومراكش التي احتلها الفرنسيون ، ومصر التي احتلها الانكليز ، ولم ينس الهند ، ثم طرابلس التي أغارت عليها الجيوش الايطالية فيقول فيها :

وهذي طرابلس لا تزال ... تكابد بالجهد حربا طحونا

أما رأيه في الصلح فقد عبر عنه بقوله يخاطب ايطاليا :

ركنتم الى صلحنا والسيوف ... تأبى لنا الصلح والمسلمونا
فان طرابلس للمسلمين ... جميعا يحامونها أجمعينا
فلا صح بيننا أو يفوز ... أقوى الفريقين عزما ودينا[٥٧]

---

(٥٧) مجموعة أبي المحاسن المخطوطة ، مكتبة الشيخ محمدعلي اليعقوبي ـ النجف .

ولابي المحاسن قصيدة أخرى عنوانها (كأس العطب) وقد نظمها في رجب سنة ١٣٣١هـ ونشرتها جريدة (الرياض) البغدادية • وهذه القصيدة تختلف عن سابقتها في خلوها من أية مقدمة تقليدية فقد بدأ الشاعر فيها بوصف الحرب الطرابلسية مباشرة ثم مدح بها السيد السنوسي ولم ينس نزعته الاسلامية ، اما اختام القصيدة فهو دعوة للمشرق بأن ينتبه من نومه لانه صار مغنما مقسما بين دول الغرب ، وأولها :

شربت ايطاليا كأس العطب ... في طرابلس بأسياف العرب
حدثتها كذبا آمالها ... أنها تبلغ بالحرب الأرب
طربت للفتح لكن الوغى ... بدلت بالحزن ذياك الطرب

★ ★ ★

فكأني باساطيلهم ... أصبحت وهي أساطيل الهرب

ويشير الى موقف السنوسي من المعركة فيقول :

وقف الشيخ السنوسي بها ... حاميا وقفة مجد وحسب
هتف الاسلام في الكرب به ... فأتى يرفل فراج الكرب
أنهضت افريقيا دعوته ... نهضة من هولها الغرب اضطرب

ويخاطب المسلمين قائلا : ان هذا الذي حدث :

خطر ما مثله من خطر ... طرق الاسلام من كل حدب
انها حرب الصليب انبعثت ... فابعثوها وهي ترمي باللهب
ما وراء الدين ترجى غاية ... واذا لم ننصر الدين ذهب

ويردد ما ردده هو وغيره من مخاطبة الشرق آنذاك فيقول :

أيها الشرق انتبه من نومة ... ضجت الأعصر منها والحقب

★ ★ ★

ما أراك اليوم الا مغنما ... عاد مقسوما ونهبا ينتهب

فاضـــرب التقسيم بالسيف تكـــن حاسما فيـــه أماني من حسب[٥٨]

ولعل الضرب والتقسيم والحساب في البيت الاخير من تأثير الصناعة البديعية التى لم يسلم منها هذا الشاعر •

٦ ـ الشيخ محمد رضا الشبيبي :

للشيخ الشبيبي قصيدة في هذا الموضوع المؤثر ولكنــه لـم يزد على الشعراء الاخرين فقد سلك مسلكهم في التنديد بالغرب والتفاخر بالعرب واستصغار الغزاة المعتدين الذين قوبلوا بالقوة والسلاح غير أنه لم يتخذ من نزعته الاسلامية مبررا لحملته على الاستعمار كما فعل الشعراء الاخرون وان استنكر هذه الاعمال التي لا تقرها الشرائع السماوية ، اما نظرته الى هذا العصر الذى سموه عصر التقدم كذبا وزيفا فهى لا تختلف عن نظرة الكاظمى والرصافي • وعاطفة الشبيبى الهادئة في معظم المواقف قد أملت عليه هذه القصيدة كما أملت عليه غيرها فلم يندفع مع الكلمات والتعابـير المجلجلة الصاخبة من غير ايحاء ولا تأثير وانما كانت تعابيره متساوقة سمحة الموسيقى والايقاع • اما قصيدته فعنوانها (من الحرب الى الحرب) وقـد نظمها سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م وأولها :

بكرت عليك تريك هول الموعـــد حرب تروح بنـا وأخرى تغتـدى
ان الخطوب اذا رمتنـــا عن فـــم فالى فـــم او من يـــد فالى يـــد

ويقول فيها :

اوما أتــاك ببرقـــة نبــأ التي رمت البـــلاد بمبرق وبمرعـــد
أبنى المطـــامع قوبلت اعدادكـــم وقواكـــم بنظـــائر لـــم تعهـــد
فســـلاحكم من اذرع ورجالـكم من نسوة وجموعكم من مفـــرد

* * *

أغرقتـــم في المنكـــرات فاوجبت انكـــار كـــل مثلث وموحـــد

---

(٥٨) المصدر السابق •

وشرعتم في دينكم ما لم يكن … في شرع موسى والمسيح وأحمد
أشياء لان لها الحديد وأشرقت … عين الجماد ورق قلب الجلمد
انا دعونا العصر عصر تقهقر … فليدع عصر تقدم وتجدد[٥٩]

٧ ـ الشيخ باقر الشبيبي :

ويشارك الشيخ باقر الشبيبي بهذه المناسبة فيهدد ايطاليا ويذكرها بحروب الدولة العثمانية ويحذرها عقبى الاعتداء فيقول :

فيا ايطاليا اعتقدي بأنا … سننشرها بأجنحة الظليم
ونضرب بالسيوف لكم رقابا … ونحمي بالدفاع حمى الحريم
سننشئها بواخر طائرات … تسير بالبخار وبالسديم
سلوا ان شئتم اليونان عنا … وان شئتم سلوا حرب الصريم[٦٠]
نصول بكل هدار هزبر … اذا اشتد الوغى أسد الهجوم
نذب عن الحقيقة في حماها … ونحمي حوزة الوطن القديم[٦١]

٨ ـ الشيخ علي الشرقي :

لقد كان الشيخ على الشرقي من أبعد الناس عن المعارك الدامية فاذا اضطر الى شيء من ذلك فانما يحوم من بعيد لكي لا تعلق الدماء بحاشية ثوبه ولكنه يتأمل ويستوحي ويستوعب المواقف بادراك ثم يصور خلجات نفسه بقدر المشاركة التي أداها . هكذا كان شأنه في الحروب والثورات التي عاصرها والتقط صورها لذلك جاء معظم شعره في هذه المناسبات لونا من ألوان الرمز الذي تستوحي فيه الامثال والاشياء المادية وما في الطبيعة من

---

(٥٩) ديوان الشبيبي ص ١٩ ـ ٢٠ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠م .

(٦٠) كذا في المصدر ولعلها (القريم) اشارة الى حرب القرم سنة ١٨٥٥م .

(٦١) شعراء الغري ـ ١ : ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

صور وأشكال ليعبر بها عن موضوع سياسي أو اجتماعي وكان خياله المطاوع المواتي خير نصير له في رسم الصور التي يتحسسها هو في ذاته ونفسه ، وقصيدته (رفيف الارواح) المستوحاة من حرب طرابلس سنة ١٩١١ م صورة من صور الخيال الذي يحوم حول المعركة من بعيد ولا يريد أن يقع فيها أو يعلق شيء من دماء قتلاها في جناحيه سوى اللمسة الاخيرة التي مس بها (روما) وسوى التحويمة الهادئة على واحات برقة ونخيلها • وفي رأيي أن الشرقي كان ينظم للمتأملين المفكرين اكثر مما ينظم لاثارة العامة من الناس او لارضاء رجال السياسة والدين ومن سار في ركابهم • وأول قصيدته هذه :

كيف أصبحت أفصحي يا بلادي ... فيك ما يخرس الرطاب الفصاحا
أسكون كما هدأت مساء ... أم ضجيج كما انتبهت صباحا

وبعد أن يستمر الشاعر في الحديث عن بلاده وسكانها يشير الى ناحية انسانية تحسسها من خلال آلام البشر فيذم القوة التي تستخدم في الاعتداء والاستغلال :

ما أضل الانسان ينثر في الأر ... ض بذور الشقا ويرجو الفلاحا
عظمته قساوة وبلاء ... لقبوه شجاعة وسلاحا

★ ★ ★

تأمن الشاة في السراح وبين الـ ... ـناس لا يأمن الضعيف سراحا

ولعل هذه الابيات مقدمة لان يقول عن روما وعن أعمالها في ليبيا وزواياها الدينية :

ما لروما فلا استوى عرش روما ... قتلت ذيلها وعجت نباحا
جبنت عن نضال كل قوي ... فاغارت على (الزوايا) اكتساحا
نطحت (برقة) وبرقة واحا ... ت من النخل ما عرفن النطاحا[٦٢]

---

(٦٢) عواطف وعواصف ـ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ • بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٣م •

٩ ـ الشيخ عبدالعزيز الجواهري :

كان الجواهري هذا من شعراء النجف في بداية القرن العشرين وله في مجال السياسة آنذاك قصائد غير قليلة فيها لمحة من قوة ورصانة ، وقصيدته (خفق الهلال) من وحي الحرب الطرابلسية ولكنه في هذهالقصيدة لم يكن واضحا في تصوير الموضوع بما يتطلبه من أسماء وأماكن لولا كلمة (رومة) التي وردت في ثنايا القصيدة فهو أشبه ما يكون بالشيخ علي الشرقي في غموض المناسبة غير أنه لم يخرج عن الموضوع فقد عني بوصف الجيش الذي زحف لمحاربة الطليان وان كان الوصف يكاد ينطبق على كل جيش يزحف لمقابة عدوه . وأول القصيدة .

سد الثغور بعزمة الاسكندر ـ جيش يقاد من انهى في جوهر[٦٣]

اما الجنود الذين زحفوا لمحاربة الطليان فانهم :

خفق الهلال عليهم وتأمروا ـ في ظل ملك بالرشاد مظفر

والمقطع الذي يدل على موضوع القصيدة ومناسبتها هو :

فتيات (رومة) نظمي دون البكا ـ سمطا يزان بلؤلؤ متنثر
وضعي القلائد للرجال مدامعا ـ وذرى تمائمهم مكان الجوهر
ودعي الخدور لهم فقد نهبتهم ـ بيض السيوف بكل ليث مخدر
قد فاجأت غاب الليوث فأصبحت ـ مثل الفريسة تحت ناب غضنفر[٦٤]

١٠ ـ ابراهيم منيب الباچهچي :

لم يكن ابراهيم من الشعراء المجيدين بل هو وسط بينهم أو دون الوسط وقد أملت عليه عاطفته أن يسهم في حرب طرابلس فنظم بعض

---

(٦٣) يذكرنا هذا المطلع بقول الشيخ عبدالحسين محيالدين في مدح وادي الشفافح في القرن التاسع عشر :

سد الفرات بعزمة الاسكندر ـ واد يمد نداه مد الابحر

راجع (شعراء الغري) ٥ : ١١٢ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ١٩٥٤م .

(٦٤) الادب العصري ـ ٢ : ١٧١ ـ ١٧٢ .

القصائد التي لا تخلو من ركة في اللغة ومن الاستعانة بالمعاني العامة الشائعة ومنها قصيدة عنوانها (نهضة السنوسى) قال فيها :

مـــدّ السنوسي الغـــزاة بأسده فأبان للطليـــان جـــزر فرنـــده
من كل مقـــدام يهـــون لعزمه تـــرك الحيـــاة ولا مهـــانة رده
أتذلـــه الطليـــان يوم كريهـــة وهـــو الذي ما ذل قط لأســـده

ويوصى الدولة العثمانية به فيقول :

يا آل عثمـــان احفظوه مهنـــدا فالنصـــر والفتح المبـــين بحـــده
هـــذا الذي والاكـــم بخلوصه ورعـــى مقامكـــم بخـــالص وده

ويتمنى الشاعر لو أسهم في المعارك بنفسه ولكنه لم يستطع :

اني لمضـــطر القعـــود عن الوغى لـــكن قلبي هـــائم في وجـــده[٦٥]

وفي قصيدة أخرى وعنوانها (انكسار الطليان) يقول :

يا جيش ايطاليـــا لا زلت مثبورا وعـــن مرادك مطروداً ومدحـــورا
أمّلت فتحـــا مبينا اذ زحفت على طرابلس الغرب لكن رحت مأسورا
غرتك نفســـك حتى رحت منخذلا وطالما ذل من قد كان مغرورا[٦٦]

١١ ـ عبدالرحمن البناء :

ليس هذا اللقب الذى اشتهر به عبدالرحمن مجرد كلمة لا مدلول لها في حياته بل كان حقا عاملا من عمال البناء في بغداد ، أما الشعر فلعله كان عنده من وسائل التلهى في البداية لذلك لم يخرج عن حدود كلمة (النظم) ولكنه مع ذلك يستطيع أن يفاخر بأنه أسهم في الموضوعات التى تتصل بالحياة السياسية العامة في بداية القرن العشرين على ما في لغته من ضعف وما في اسلوبه من ركة • وكان لحرب طرابلس نصيب من شعره فقد نظم بهذه المناسبة اكثر من قصيدة واحدة من ذلك قصيدة أولها :

(٦٥) زبابق الحقل ص ٥٥ ـ ٥٦ • مطبعة النجاح بغداد ـ ١٣٥٧هـ •
(٦٦) المصدر نفسه ص ٥٩ ـ ٦٠ •

افلق بسيفك هاما غره[٦٧] الورم ... واطعن برمحاك قلبا حشوه النقم

وفيها يقول لملك ايطاليا :

(فكتور) ويلك لا تغتر في فرص ... فسوف تعلم حقا من هو العلم
اليك جاء بنو عثمان يتبعهم ... جنود نصر مع الاطواد تصطدم

ويقول للسلطان العثماني :

أنت (الرشاد) أمير المؤمنين ومن ... لأمره تخضع السادات والعظم (كذا)
يأيها العرب هذا اليوم يومكم ... أين الحماسة أين البأس والهمم[٦٨]!

وفي قصيدة أخرى يشير الى ما تعانيه البلاد الاسلامية آنذاك فيقول :

فايطاليا احتلت طرابُلساً لها ... وغارت على ايران بالحقد روسها[٦٩]

وفي ثالثة يقول :

لمن المواطن تلتظى شفراتها ... والذابلات تساقطت جمراتها
أكرم بها من أمة عربية ... سالت على حد الضبا مهجاتها
أو ما تراها من طرابلس لقد ... نشرت على حب الوفا راياتها[٧٠]

وفي قصيدة رابعة يمجد انتصار العرب في (بنى غازى) فيقول مبتدئا بمخاطبة السلطان ويندد بالصلح :

قرت عيونك أيها السلطان ... بالنصر أيد جندك الديان
لا تقبل الصلح المبطن منهم ... فلطالما نكثوا العهود وخانوا

ويذكر السنوسي بالاعجاب فيقول :

والفخر للشيخ السنوسي الذي ... شهدت لشدة بأسه الفرسان

---

(٦٧) الصحيح : غرها .
(٦٨) ديوان البناء ـ ص : ٩٨ ـ ١٠١ ـ مطبعة الرياض ـ بغداد
(٦٩) المصدر نفسه ص : ١٠٤ ـ ١٠٧ .
(٧٠) المصدر نفسه ص : ١٠٧ ـ ١٠٩ .

وافى الى الجلّى فكفكف غربهـا   وكذا الهلال به السماء تزان[71]

وفى قصيدة خامسة يهدد ملك ايطاليا ويمدح السنوسى والامة العربية فيقـول :

غدرت بنا (روما) فحان حمامها   وتوهمت فكبت بهـا أوهامهـا
نكصت على أعقابهـا لمـا رأت   ان العرينة حونهـا ضرغامهـا
(فكتور) ويلك في الدجى لك مقلة   قـد عافهـا ممـا عراك منامهـا

لله أمـة يعـرب من أمـة   ضربت على السبع الطباق خيامهـا
وامامهـا الشيخ السنوسـي الذي   هو يوم مشتجر الرماح همامها[72]

خاتمة البحث :

هذا الشعر لم يكن كل ما نظمه شعراء العـراق في هـذه الحـرب العدوانية ولـكنه غير قليل في رسم الاتجاه العراقي آنذاك بل هو كثير بالنسبة لقطر تخلف عن غيره من الاقطار العربية التي أطلت من نوافذ عدة على مرافق النهضة الحديثة واتصلت بمتابعة فيما وراء البحار كمصر وسوريا ولبنان ، فقد كان العراق في بداية القرن العشرين لا يزال مغمورا برواسب القرن التاسع عشر التى حرمته من مزايا كثيرة كان من الممكن أن تدفعه الى أبعد الاشواط لو قـدر له أن يستريح من وطـأة الاستعمار العثمانى الخانق ، ومع ذلك كان له النصيب الوافـر في دعم الحـركات العـربية والوقوف الى جانب العرب في كل أقطارهم ضد الاستعمار الاجنبى في بداية القرن العشرين وكان شعوره بأنه جزء من الامة العربية حافزا قويا لان يكون صوته من أقوى الاصوات في مجال الـكفاح العربي • ولعل هـذا الشعر الذى عرضناه في هذا البحث كاف للدلالة على نمو الشعور العراقى آنذاك وتطور الاتجاه في معالجة القضـايا العربية فاذا كان في بعض هـذا

(٧١) المصدر نفسه ص : ١٠٩ ـ ١١٣ .
(٧٢) المصدر السابق ص : ١٢١ ـ ١٢٢ .

الشعر ما يؤاخذ عليه الشعراء من ضعف في التعبير وركة في النسج فانما هو من خصائص الفن والشكل وهذه الخصائص ان هي الا انعكاس للثقافة الادبية بصورة عامة ولم يكن بعض شعراء هذا البحث ممن أوتوا النصيب الكافي من مقومات الشعر وخصائصه الفنية والموضوعية ، ومهما يكن من شيء فان هذا الشعر صوت من أصوات العراق في مكافحة الاستعمار الغربي وقد سجلنا هذا الصوت ليبقى متميزا عن غيره في غمرة الاصوات الكثيرة .

ابراهيم حرج الوائلي

مراجع البحث :

١ ـ الادب العصري : رفائيل بطي ـ المطبعة السلفية ١٩٢٣م القاهرة .
٢ ـ برقة : للدكتور نقولا زيادة . دار العلم للملايين . بيروت .
٣ ـ البابليات : للشيخ محمدعلي اليعقوبي ـ المطبعة العلمية ـ ١٩٥٥م النجف .
٤ ـ تأريخ العراق بين احتلالين : عباس العزاوي . شركة التجارة والطباعة المحدودة ـ ١٩٥٦ بغداد .
٥ ـ جهاد الابطال : للطاهر أحمد الزواوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٠م .
٦ ـ حاضر العالم الاسلامي : لوثروب ستودار ـ ترجمة : عجاج نويهض . مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٣٥٢هـ القاهرة .
٧ ـ ديوان البناء : عبدالرحمن ـ مطبعة الرياض ـ ١٩٣١م بغداد .
٨ ـ ديوان الرصافي : ١٩٣١ ـ بيروت .
٩ ـ ديوان الشبيبي : محمد رضا ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠م .
١٠ـ ديوان الكاظمي : عبدالمحسن . مطبعة ابن زيدون ـ دمشق .
١١ـ زنابق الحقل : ديوان ابراهيم منيب الباچه‌چي . مطبعة النجاح ـ ١٣٥٧هـ بغداد .
١٢ـ السنوسية دين ودولة : الدكتور محمد فؤاد شكري . ١٩٤٨ ـ القاهرة .
١٣ـ شعراء الحلة : علي الخاقاني ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٣م .
١٤ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر : ابراهيم الوائلي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦١م .
١٥ـ الشعر العراقي الحديث : الدكتور يوسف عزالدين . مطبعة أسعد ـ بغداد ١٩٦٠م .

١٦ـ شعراء الغري : علي الخاقاني ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٤م ٠
١٧ـ عبدالحميد ظل الله : الدكتورة آلما وتلن ٠ ترجمة : راسم رشدي ٠ دار الطباعة للنيل ٠
١٨ـ عواطف وعواصف : ديوان علي الشرقي ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٣م ٠
١٩ـ القضية العربية : أحمد عزت الاعظمي ٠ مطبعة الشعب ـ بغداد ١٩٣١م ٠
٢٠ـ مجموعة أبي المحاسن : مكتبة الشيخ محمدعلي اليعقوبي ـ النجف ٠ ومجموعة صغيرة في مكتبي ٠

المجلات والجرائد :

١ ـ مجلة (الحياة) بغداد ١٩١٢م ٠
٢ ـ مجلة (العلم) النجف ـ ١٩١١م ٠
٣ ـ جريدة (الحرية) بغداد ١/٥/١٩٥٥م ٠
٤ ـ جريدة (صدى بابل) بغداد سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م ٠
٥ ـ جريدة (المؤيد) ـ القاهرة سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م ٠

الدكتور أحمد مطلوب

القزويني والبلاغة الحديثة

١٣٨٣ ـ ١٩٦٤



القزويني والبلاغة الحديثة

الدكتور أحمد مطلوب
مدرس في قسم اللغة العربية

١

ظلت البلاغة العربية طوال العصور السابقة متوناً تقرأ وشروحاً تدرس حتى أطل فجر النهضة الحديثة على أمة العرب فأحس الناس انه لابد ان تتغير طرائق التدريس ، ولابد ان تتجدد مناهج البحث والتأليف فأخذ الدارسون يحيون تراثهم ويخرجون بحوثاً فيها طرافة وتجديد •
وكان للبعثات العلمية منذ عهد محمد علي أهمية كبيرة في اتصال العرب بالغرب والاطلاع على مناهج بحثه وطرق تأليفه ، وقد أشاع المبعوثون مفاهيم جديدة في البلاغة بعد أن رأوها في الغرب قد تخلصت من رواسب الماضي واتجهت اتجاها جديدا فيه نفع في تقييم الادب وأدمجت في « علم أوسع شأنا وأعظم خطرا هو علم الاسلوب الحديث وفيه اتسعت النظرة وعني بالوجوه الجمالية التي ساعدت على صدق الكاتب واصالته وشملت ميادين فسيحة جديدة لم تكن لتخطر للبلاغيين من قبل على بال »[١] وبقيت بلاغتنا كما كانت في عصور الشروح والحواشي ليس فيها نفع وفائدة في نقد الأدب وتقديره • وقد استفاد المؤلفون العرب مما رأوه عند الاوربيين واخذوا يخرجون كتبا فيها عمق الكتب العربية القديمة واصالتها وفيها طرافة البحوث الجديدة •

وكان الازهر الشريف أول من حمل لواء التجديد في البلاغة بعد الاصلاحات الكثيرة التي ادخلت في مناهجه وطرق تدريسها • لقد كانت في الازهر علوم لغوية مختلفة قبل نظام الازهر لسنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م ، وقد جاء بيانها في رسالة مقدمة من شيخ الازهر الى الخديوي في سنة

(١) المدخل الى النقد الحديث ص ٢٥٣ •

١٣١٠هـ - ١٨٩٢م ، واشتملت هذه الرسالة على الموضوعات الآتية : علم التوحيد والتصوف والتفسير والتجويد والقراءات والحديث ومصطلح الحديث وفقه المذاهب الاربعة وأصول الفقه واللغة والنحو والصرف . أما البلاغة فقد كانت تدرس في تلخيص القزويني بشرح التفتازاني ومفتاح العلوم للسكاكي بشرح السعد والسيد الجرجاني ، والجوهر المكنون للأخضري بشرح الدمنهوري وعقود الجمان وشرحه للسيوطي ومنظومة ابن شحنة والرسالة البيانية للصبان والسمرقندية[1] . ولما وضع قانون سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م ، كان يدرس من علوم البلاغة في السنة الثامنة الجوهر المكنون ، وفي التاسعة والعاشرة شرح السعد المطول بحاشية الدسوقي[2] . وعندما وضع نظام سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) نالت البلاغة بعض التطور والتجديد في تدريسها وكتبها ، فكان يدرس من علم البيان في السنة الثالثة رسالة الدردير أو السمرقندية وفي الثامنة القسم الثاني من السعد على التلخيص ، ويدرس من علم المعاني في السنة السابعة القسم الاول من السعد على التلخيص ، وكان القسم الثالث من السعد على التلخيص يدرس في السنة الثامنة ، ووضعت دراسة جديدة تسمى البلاغة التطبيقية يدرس منها في السنة التاسعة دلائل الاعجاز وفي العاشرة أسرار البلاغة أو كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري[3] . وكان هذا التطور بفضل الشيخ الامام المرحوم محمد عبده الذي أخذ يحيي كتب السلف النافعة وعلومهم ويقوّم ما اعوجّ من مناهج التأليف وطرائق التدريس . وقد انصرف الاستاذ الامام الى تدريس كتابي دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة لعبدالقاهر ففتّح أذهان الطلبة وقوّى مداركهم ومواهبهم ؛ لانهم وجدوا في تدريس الامام غير ما ألفوه ، وبذلك كان الجامع الازهر أول معهد من معاهد التعليم الاسلامي والعربي قرىء فيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة درسا لطلاب البلاغة ، ولاجله طبع الكتابان وانتشرا في معاهد التعليم . ولكن أساتذة الازهر احجموا بعد الامام عبده عن تدريسهما

---

(١) ينظر تأريخ الاصلاح في الازهر ص ٥٤ .
(٢) تأريخ الاصلاح في الازهر ص ٦٢ .
(٣) تأريخ الاصلاح في الازهر ص ٧٧ - ٧٨ .

مع انهما مقرران للتدريس رسميا وبذلك احتضرت الدراسات البلاغية بعده وكادت تموت .

وتخرج في الازهر الشريف في مطلع العصر الحديث جيل فيه عزم على البحث وفي روحه اندفاع الى التجديد ، وأنشأ الخديوي اسماعيل دار العلوم سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) باشارة من علي مبارك ناظر ديوان المدارس ، وكان الغرض من انشائها ان يتعمق الطلبة في الدراسات الاسلامية والعربية . وقد صانت هذه الدار اللغة العربية حتى ان الامام محمد عبده اعجب بها فكتب عنها في تقريره عن امتحانها النهائي الذي رأسه سنة ١٩٠٤م : « واني انتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هذه المدرسة في نفسي وما اعتقده من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية . ان الناس لا يزالون يذكرون اللغة العربية واهمال اهلها في تقويمها ، ويوجهون اللوم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها ، ولم اسمعهم قط ينصفون هذه المدرسة ولا يذكرونها من حسنات الحكومة . فان باحثا مدققا لو أراد ان يعرف اين تموت اللغة واين تحيى ، لوجدها تموت في كل مكان ووجدها تحيى في هذا المكان »[1] ، وكان بعض طلاب الازهر ممن تتلمذوا على الشيخ محمد عبده أساتذة في هذه الدار فبعثوا في البلاغة روحا جديدا .

ومن الكتب المؤلفة في فجر النهضة الحديثة وما قبلها بقليل كتاب « حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع » لجامعه الشيخ محمد البسيوني البيباني (١٣١٠هـ)[2] ، وقد وضعه استجابة لرغبة خيري باشا ناظر المعارف يومذاك ، ويعتبر هذا الكتاب حسنة من حسنات ذلك العصر الذي لم تكن للمؤلفين فيه وجهة سوى تأليف الحواشي والتقريرات مع عنايتهم بالبحوث اللفظيـة لا تسهيل العلوم وضبط مسائلها . والكتاب صورة من كتاب الايضاح للقزويني مع اختلاف بسيط في المنهج ، حيث غيّر قليلا في منهج مباحث علم المعاني ، ولم يوزع موضوعات الحذف والذكر والتقديم والتأخير

---

(١) ينظر نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ص ٥٢ ، ومستقبل الثقافة في مصر ص ٢٧٩ ، ٢٩٠ ، والتعليم في مصر ص ٦٥ ، ٨١ .

(٢) تنظر ترجمته في تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ٢١١ .

وغيرها على المسند اليه والمسند ، وانما جمع كل موضوع في فصل واحد فبحث تقديم المسند اليه والمسند في مبحث ، وحذف المسند والمسند اليه في مبحث آخر وهكذا في جميع المباحث ، وهذا عمل يحمد عليه المؤلف ، وبحث المجاز العقلي في علم البيان كما فعل السكاكي وبذلك خالف القزويني من هذه الناحية ، وكان البسيوني في علم البديع أوسع افقا من القزويني حيث بحث موضوعات خاتمة التلخيص والايضاح في البديع فتكلم في المحسنات المعنوية على براعة الاستهلال والتلميح والتضمين والاقتباس والعقد والحل • ونستطيع ان نعتبر هذا الكتاب بادرة طيبة من البسيوني واضرابه ؛ لانه نبه الناس الى التأليف في البلاغة والنقد وعدم التمسك بالشروح والحواشي والتقريرات أو التمسك بمنهج السكاكي والقزويني • ويمكن القول ان البسيوني لو استطاع ان يفلت من منهج القزويني وبلاغته لاتى بكل طريف رائع •

وكتب حفني ناصف (١٣٣٧ هـ)[١] قواعد اللغة العربية وهو مجموعة في النحو والصرف والبلاغة ، ويشبه القسم البلاغي منه كتاب البسيوني لان حفني ناصف وزملاءه خالفوا القزويني في مباحث علم المعاني في الامور التي خالفه فيها البسيوني ، وبقي الكتاب ردحاً من الزمن العمدة في تعليم اللغة العربية مع ما فيه من اختصار •

وعاد الشيخ أحمد الحملاوي (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م)[٢] في كتابه « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » الى منهج القزويني وقسم علم المعاني كما قسمه وذكر المجاز العقلي فيه وسار على خطاه في توزيع مباحث علم البيان ، الا انه خالفه مخالفة بسيطة في علم البديع ورتب فنونه كما رتبها أصحاب البديعيات واطال في ذكر أنواعها وامثلتها • وتبدو استفادته واضحة من كتاب عروس الافراح للسبكي وخزانة الادب للحموي ، وأضاف الى بعض فصول الكتاب تمرينات لا تخلو من فائدة • والكتاب حلقة جديدة في التأليف

(١) تنظر ترجمته في تأريخ علوم البلاغة ص ٢١٣ •
(٢) تنظر ترجمته في تأريخ علوم البلاغة ص ٢١٧ •

بعد الجمود الذي أصاب الدراسات البلاغية والنقدية ، ولا يزال يدرس في بعض المعاهد ويطبع كل حين .

وللاستاذ علي عبدالرازق « أمالي في علم البيان وتأريخه » ، والجديد في هذا الكتاب قسمه الاول الخاص بتأريخ علم البيان ، فقد استعرض المؤلف هذا العلم منذ نشأته حتى الفترة المظلمة ، وخصص القسم الثاني لدراسة موضوعات البيان وهي : التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وعرض الآراء المختلفة في كل موضوع ، ولكنه لم يخرج عما رسمه السكاكي والقزويني ، ولو تجاوز المؤلف بلاغة القزويني لاستطاع ان يأتي بكل طريف لانه كان ذا عقلية ناضجة واحساس مرهف ، وله بعض الالتفاتات القيمة في منهج السكاكي وتمحلات البلاغيين في تحديد مباحث علم البيان واستعانتهم بالدلالات العقلية ، وكان هذا الكتاب مدعاة للتفكير في اعادة النظر في مفاهيم البلاغة القديمة فاستفاد منه الاستاذ أحمد مصطفى المراغي في نقد منهج السكاكي وأوحى الى الدكتور بدوي طبانه كتاب « البيان العربي » الذي كان نسخة موسعة منه مع تجديد في العرض واضافة ملاحظات قد لا تكون جديدة في كثير من الاحيان . ومن المؤسف حقاً ان الدكتور الفاضل طبع كتابه ثلاث مرات ولم يشر الى أمالي عبدالرازق .

وللاستاذ أحمد الهاشمي كتاب « جواهر البلاغة » وقد نهج فيه نهجا قريبا من منهج القزويني الا انه اختلف عنه في بحث الانشاء وحقيقته حيث تحدث عنه بعد ان تكلم على الخبر ، ثم ذكر أحوال المسند اليه والمسند ومتعلقات الفعل والقصر والفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة . اما البيان والبديع فقد سار فيه على خطاه وأضاف اليه بحث التصحيف والموازنة وائتلاف اللفظ مع اللفظ والتسميط والانسجام والسهولة والاكتفاء والتطريز . وختم الكتاب بالبحث في السرقات وما يتبعها ، وأضاف اليه تمرينات ليستفيد منها الطلبة ويتمرنوا على الاساليب . وكتاب جواهر البلاغة من الكتب المدرسية الجيدة ، ولا يزال يدرس في المعاهد والثانويات ، ولا أدري لماذا اغفل الاستاذ المراغي ذكره في كتابه «تأريخ علوم البلاغة والتعريف

برجالها » مع ان الهاشمي لا يقل عن غيره ممن ذكرهم في الكتاب .

ووضع الاستاذ أحمد مصطفى المراغي[1] « علوم البلاغة » على غرار تلخيص القزويني وايضاحه مع ترتيب آخر لمباحث علم المعاني حيث قسمها الى الخبر والانشاء والذكر والحذف والتقديم والتعريف والتنكير والتقييد والخروج عن مقتضى الظاهر والقصر والفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة ، وبذلك رتب موضوعاته ولَمَّ شتاتها تحت باب واحد ، وسار على خطا القزويني في تقسيم علمي البيان والبديع ، وجمع في كتابه بين طريقة عبدالقاهر ومنهج السكاكي والقزويني واستفاد من أمثلة الاول وتعليلاته ، وأخذ من الآخرين المنهج والتقسيمات مع تغيير بسيط .

وأهم كتب البلاغة الحديثة « البلاغة الواضحة » للاستاذين علي الجارم ومصطفى أمين[2] ، وقد كان هذا الكتاب حلقة الانتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد وحفظ القوالب الى الاهتمام بالتحليل . وقد اتبع المؤلفان طريقة تربوية جديدة في التأليف ، فكانت الامثلة تأتي قبل الشرح والقواعد ثم تحلل ويشرح ما فيها من فنون بلاغية ، وينتقل المؤلفان بعدها الى تقنين القواعد ثم عرض التمرينات . وسارا فيه من علم البيان فالمعاني فالبديع ، ولم يدرسا من الاخير الا الجناس والاقتباس والسجع والتورية والطباق والمقابلة وحسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه وأسلوب الحكيم . ولعل أهم ما يمتاز به كتاب « البلاغة الواضحة » البحث في الاسلوب وهو « المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه »[3] ، وقسماه الى : الاسلوب العلمي والاسلوب الادبي والاسلوب الخطابي وبذلك كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي بحثت في الاسلوب في العصر الحاضر . وكانت هذه الكتب عماد دراسة البلاغة في مصر والاقاليم العربية

---

(١) تنظر ترجمته في تأريخ علوم البلاغة ص ٢١٩ .

(٢) تنظر ترجمتهما في تقويم دار العلوم العدد الماسي ص ١٦٢ . ٢٠٥ ، والبيان العربي (الطبعة الثالثة) هامش ص ٢٦٣ .

(٣) البلاغة الواضحة ص ١٢ .

المختلفة مع وجود غيرها ككتاب « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » للاستاذ جبر ضومط ، « والمبسط في علوم البلاغة » للاستاذ محمد طاهر اللاذقي وغير ذلك .

هذه أهم كتب البلاغة التي اتجه فيها أصحابها الى القزويني يأخذون منه منهجه وطريقة عرضه وامثلته ، وقد رأينا انها لم تقدم للبلاغة العربية الحديثة شيئا ذا نفع ولم تغير منهج البحث والتأليف .

ونبغ كثيرون من خريجي الازهر ودار العلوم وكانت لهم كتب فيها تجديد ونزعة أدبية . وكان الاستاذ مصطفى المراغي من خيرة أساتذة دار العلوم في بحث البلاغة حيث الف كتاب « علوم البلاغة » الذي اشرنا اليه ، و « تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها » وهو بحث موجز في تأريخ البلاغة العربية وترجمة لرجالها الاعلام ، وفيه آراء قيمة ونظرات صائبة في منهج السكاكي ، وللمراغي كتاب « بحوث وآراء في علوم البلاغة » وهي البحوث التي ذكرها فيما بعد مبوبة مهذبة في كتابه تأريخ علوم البلاغة وان اختلفت طريقة العرض والتأليف .

ولما انشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م قام أساتذتها يجددون في بحوثهم مستهدين بتراثهم القديم ومناهج الغربيين ، وكان للبلاغة نصيب ليس بالقليل من هذا التجديد وتطبيق المناهج الحديثة والاستفادة مما وصل اليه الاوربيون في العصر الحاضر . ولعل الاستاذ الدكتور طه حسين كان من أوائل الذين نادوا ببعث البلاغة العربية ، وببحثها بحثا يقوم على تفهم مرامي القدماء ومقاصدهم ، وعلى الموازنة ومقارنتها ببلاغة اليونان ، وذلك ببحثه القيم « البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر » الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين باللغة الفرنسية في ليدن ١١ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣١م ، ونشر مترجما بقلم الاستاذ عبدالحميد عبادي في مقدمة كتاب نقد النثر سنة ١٩٣٣م وقد قرر الدكتور طه حسين ان البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاحظ تتبين فيه ثلاثة عناصر مختلفة هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي ، والعنصر اليوناني وقد بلغ ذروته على يدي الشيخ عبدالقاهر ، ولم يتقدم

بعده بل أخذ على العكس من ذلك في التأخر والانحطاط . والشيء الجديد في هذا البحث ان الدكتور طه نبه الى أثر أرسطو في البلاغة العربية ، وقرر ان البيان العربي كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا وبالبيان اليوناني أخيرا ، ولم يكن ارسطو المعلم الاول للمسلمين والعرب في الفلسفة وحدها ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الاول في علم البيان .

وكان لهذا الرأي أثر كبير فأخذ الباحثون يتلمسون ما أوجزه الدكتور طه ويقارنون بين بلاغة العرب وبلاغة اليونان ، وألف الدكتور ابراهيم سلامة بحثا قيما هو « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » أثبت فيه ما ذكره طه حسين ، وتتبع البلاغة العربية منذ الجاحظ متلمسا أثر ارسطو ، موضحا فهم العرب لكتابي الخطابة والشعر ، وخرج بنتائج طيبة فكان كتابه بحق أهم بحث في هذا الميدان لولا وقوفه عند عبدالقاهر واهماله السكاكي والقزويني وابن حازم القرطاجني وشراح التلخيص وغيرهم ممن كان تأثير الفلسفة وعلم الكلام ومنطق ارسطو أوضح فيهم وأكثر ظهورا .

واشتغل الاستاذ أمين الخولي في البلاغة وكان له اثر في توجيه طلابه نحو البحث الحر بما ألقى من محاضرات وقدم من بحوث كبحث « البلاغة العربية واثر الفلسفة فيها » و « البلاغة وعلم النفس » و « مصر في تأريخ البلاغة » ومقالته عن البلاغة في دائرة المعارف الاسلامية وكتابه « فن القول » الذي رسم فيه مناهج بحث الفن الادبي والبلاغة ، وأخيرا كتابه « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب » الذي ضم مقالاته المنشورة قديماً .

وكتب الاستاذ أحمد الشايب في البلاغة والنقد واخرج كتاب « الاسلوب » الذي يعد دراسة بلاغية تحليلية لاصول الاساليب الادبية ، ووضع كتاب « أصول النقد الادبي » الذي كان محاولة موفقة للجمع بين التراثين العربي والغربي في النقد وتفهم مسائله .

وكانت نتيجة الجهود التي قدمها شيوخ الازهر وأساتذة دار العلوم والجامعة أن ظهرت دراسات جامعية في البلاغة لها اصالتها ولها أسلوبها

الجديد ككتاب « البلاغة العربية في دور نشأتها » للدكتور سيد نوفل وكتابي « أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » و « قدامة بن جعفر والنقد الادبي » للدكتور بدوي طبانة ، وكتابي « أثر القرآن في تطور النقد العربي الى أواخر القرن الرابع الهجري » و « ضياءالدين بن الاثير وجهوده في النقد » للدكتور محمد زغلول سلام ، وكتاب « ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة » للدكتور حفني محمد شرف و « البلاغة عند السكاكي » و « القزويني وشروح التلخيص » لكاتب المقال و « مشكلة السرقات في النقد العربي » للاستاذ محمد مصطفى هدارة • وألفت كتب أخرى منها « فن التشبيه » و « فن الجناس » و « البلاغة الفنية » للاستاذ علي الجندي و « البيان العربي » و « السرقات الادبية » للدكتور بدوي طبانة •

وظهر اتجاه نفسي في دراسة الادب ونقده في السنوات الاخيرة ، ومن البحوث المهمة في هذه الناحية مقالة « البلاغة وعلم النفس » للاستاذ أمين الخولي ، وكتاب « علم النفس الادبي » للاستاذ حامد عبدالقادر ، وكتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » للاستاذ محمد خلف‌الله • وهذه الكتب والبحوث وان لم تكن جديدة كل الجدة الا انها تعتبر خطوة هامة في هذا الاتجاه ؛ لان العرب وان اشاروا كثيرا الى أثر النفس في الانتاج الادبي ونقده غير انهم لم يستطيعوا ان يظهروا لنا هذا الاثر كما أظهره المحدثون بعد أن اطلعوا على دراسات علم النفس الحديثة وما كتب في هذا الميدان من دراسات نقدية وأدبية •

وقد حاول بعض المحدثين ان يضع مناهج بحث البلاغة الحديثة بعد ان وضعها القزويني وضعها الاخير ، منهم الاستاذ المرحوم طه ابراهيم الذي لم تطبع محاضراته في البلاغة والاستاذ أمين الخولي الذي يرى ان التقسيم القديم للبلاغة الى المعاني والبيان والبديع لا أساس له ولا غناء فيه لانه ينبغي ان يشمل البحث البلاغي الكلمة والجملة والفقرة والقطعة لا البحث في الجملة والجملتين وان ما حشدته طريقة العجم واهل الفلسفة في البلاغة من مقدمات منطقية واستطرادات فلسفية مختلفة ينبغي

ان تبعد وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لابد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه • وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس واثره في التعبير الادبي وبالوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفني وبالخيال والذاكرة والاحساس والذوق ، ثم نبدأ بعدها بدراسة البلاغة دراسة جديدة تقوم على منهج صحيح بشرط ان لا نفرط بتراثنا وبلاغتنا القديمة ، لان التجديد ليس معناه هدم القديم وانما هو البناء بعد الاستعانة به وبما وصلت اليه الحضارة في هذه الايام[1] • وتجمعت جهود الخولي في كتابه « فن القول » الذي كان توجيها منهجيا شاملا لبحث البلاغة وخلق مدرسة بلاغية جديدة ، فهو يرى ان بحوث «فن القول» ينبغي ان تقسم الى ثلاثة أبواب هي : المبادىء والمقدمات والبحوث • ندرس في الاول تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات ، وندرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعيننا كثيرا في فهم الادب وتذوقه والاحساس بما فيه من روعة وجمال ، اما البحوث فتضم البحث في الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي وما فيها من جمال وجرس موسيقى له أثر في التعبير ، وتضم البحث في الجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وايجاز واطناب ، وتضم البحث في الفقرة وما فيها من فصل ووصل وما تؤدي من صور ، وتضم البحث في صور التعبير كالتشبيه والاستعارة والكناية والرمز والايحاء والتورية ، وتضم القطعة الادبية وقد تكلم فيها على عناصر العمل الادبي وما بين اللفظ والمعنى من علاقة ، وندرس أخيرا الاساليب الفنية في الادب وأنواعها كالاسلوب الرمزي والفكاهي والتهكمي • وبهذا المنهج الواسع الذي يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة ، ويضم كثيرا من الفنون الحديثة نستطيع ان ندرس البلاغة دراسة جديدة تقوم على تفهم الفن الادبي ومقاييسه البلاغية والنقدية •

---

(١) ينظر فن القول ص ٢١٥ ــ ٢٢٣ ، ومقالة البلاغة العربية واثر الفلسفة فيها ص ١٧ ، ومقالة البلاغة وعلم النفس ص ١٤٨ ، ومادة بلاغة في دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٧٢ ، وكتاب مناهج تجديد ص ٢٦٤ ــ ٢٦٨ ، وص ٣٢٣ وما بعدها •

وكان كتاب « الاسلوب » للاستاذ أحمد الشايب ثمرة خبرة عميقة في درس البلاغة وتدريسها ، وقد وضع على ضوء هذه الخبرة والتجارب منهجه الجديد • ويرى ان ينحصر موضوع علم البلاغة في بابين أو كتابين هما : الاسلوب والفنون الادبية ، فتدرس في الاسلوب القواعد التي اذا اتبعت كان التعبير بليغا أي واضحا مؤثرا • وندرس الكلمة والصورة والجملة والعبارة ، والاسلوب من حيث أنواعه وعناصره وصفاته ومقوماته وموسيقاه • وفي هذا القسم نضع البلاغة العربية ، فعلم المعاني يدخل كله في بحث الجملة ، وعلم البيان وأغلب البديع يدخل في باب الصورة وتبقى المباحث الاخرى مهملة في هذه الكتب التي انتهت اليها الدراسة البلاغية • وفي الفنون الادبية ـ وقد تسمى قسم الابتكار ـ ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها وما يلائم كل فن من الفنون الادبية وقواعد هذه الفنون كالقصة والمقالة والوصف والرسالة والمناظرة والتأريخ •

وبالموازنة بين بحوث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الاخيرة وبين موضوعها كما يجب ان يكون ، انتهى الاستاذ الشايب الى ان نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية ، أكثره في قسم الفنون الادبية وباقيه في باب الاسلوب ، وان شطراً من الاسلوب قد درس تحت عنوان المعاني والبيان والبديع وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق ولا حاجة بنا الآن الى هذه الاسماء التي تسمى علوما خاصة لاجل فصول بلاغية يسيرة • وان البلاغة العربية في حاجة الى وضع علميّ جديد يشمل هذه الابواب والفنون ويصل بينها وبين الطبيعة الانسانية وملابساتها الزمانية والمكانية حتى يخدم الادب ، وان الادباء هم أولى الناس بدرس البلاغة حتى يخلصوها من أساليب الفلاسفة ومذاهبهم والغازهم ، فذلك هو الذي أفسد بلاغتنا وحولها بحوثا لفظية عقيمة أشبه بالرياضة والكيمياء[1] •

ويرى الاستاذ عبدالله العلايلي ان ننهج في دراسة البيان الجديد أحد وجهين :

---

(١) الاسلوب ص ٢٨ ـ ٣١ •

الاول : الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية فان ما بقي يرجع اليهما من أقرب الطرق اذا انصفنا التطبيق ولم نتحرج عليه بتمحل محض ، فهذه الاستعارة بالكناية يمكن ان ترد الى التشبيه الكنائي فيقال في مثل :

واذا المنية أنشبت اظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

شبهنا المنية بشيء له أظفار وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق ، وما وراء هذا من التخييل تخييل . أو بلا ملحظ التشبيه أصلا وانما من أول الامر يقال جعل للمنية اظفارا كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

والثاني : الى حقيقة ومجاز ، وكل منهما كناية وتجريد ، والكناية الحقيقية تشمل الكناية البسيطة والتشبيه والمجاز المرسل والمجاز المركب ، والكناية المجازية تشمل كل كناية انبنت على تشبيه ، والكناية المركبة .

اما علم المعاني فلما كان للغة بمثابة المنطق فيرى ان لا يدرس في كتب القواعد كعلم بل يدرس على نهجه في كتب الادب كما نجد عند عبدالقاهر في دلائل الاعجاز وعند الزمخشري في التفسير مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل في الذوق وأقرب مناطاً بالنفس . ويدرس علم البديع كما يدرس علم المعاني[1] .

وتكلم الاستاذ أدور مرقص في مقالته « نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها » على أنواع البديع المقترحة ، يقول : « وقد فكرت في ذلك ملياً وقلت ان هذا الفن أصبح معرضاً لناموس رد الفعل ، فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضَلَّة ومتاهة ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى أجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة أنواع »[2] .

وامهات الاجناس البديعية التي تنبه اليها : الموافقة ، والمخالفة ، والترتيب ، والمبالغة ، والاستدراج ، والتلميح ، وحسن التعليل ، والايهام ،

---

(١) مقدمة لدرس لغة العرب ص ٤٣ ـ ٤٥ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٩ ص ٤٨١ .

والتدقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع • اما الموافقة فتنطوي على أنواع الجناس ، والمراجعة ، والتوشيح ، وتشابه الاطراف ، والتفويف ، والتصدير ، ومراعاة النظير ، والتمثيل ، والتوجيه ، والترديد ، والتكرار ، والمناسبة ، والتشبيه ، والتفصيل ، والمشاكلة ، والجمع ، والتصريع ، وتشبيه شيئين بشيئين ، والاشتقاق ، والاتفاق ، والمماثلة ، والتسهيم ، والتطريز ، والترجيع ، والتفريع ، والسجع ، والتسميط ، والالتزام ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن ، وائتلاف المعنى مع المعنى ، والحذف ، والتدبيج • واما المخالفة فينطوي تحتها الطباق ، والمقابلة ، وايهام التضاد ، والمناقضة ، والعكس ، والتفريق ، والسلب والايجاب ، والرجوع ، والاستدراك • واما الترتيب فينطوي تحته : الترتيب ، والطي والنشر ، وايهام التناسب ، والاطراد ، والتقسيم ، والتفسير ، والايضاح ، وحسن النسق ، والتشطير ، والتعديد ، وجمع المؤتلف والمختلف ، والمزاوجة ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق • اما المبالغة فتشتمل على التبليغ ، والاغراق ، والغلو ، والقسم ، وتجاهل العارف ، والاستثناء ، وحصر الجزئي والحاقه بالكلي • واما الاستدراج فيشتمل على الافتنان ، والتذييل ، والاستتباع ، والادماج ، وحسن التخلص ، وعتاب المرء نفسه • وأما التلميح فيدخل في دائرته : التلميح ، والاشارة ، والاكتفاء ، والتوجيه ، والاقتباس ، والتضمين ، والابداع ، والالغاز ، وبراعة الطلب • وأما حسن التعليل ففيه حسن التعليل ، والالتفات ، والمذهب الكلامي ، والاتساع ، والمغايرة • واما الايهام ففروعه : الابهام ، والمدح في معرض الذم ، والذم في معرض المدح ، والتورية ، والاشتراك والاستخدام • واما التدقيق فأقسامه التشريع ، والايغال ، والاعتراض ، والاحتراس ، والفرائد ، والتنكيت ، والتكميل • واما التوليد ففروعه التوليد ، وسلامة الاختراع ، وحسن الاتباع • وأما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع ، وارسال المثل • واضاف جنس الكناية وهو ــ عنده ــ الكناية ، والتعريض ، والارداف ، والايضاح ، والقول بالموجب •

ويلاحظ ان هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لا تقتصر على

الانواع المختصة بفن البديع كما عرفه البلاغيون ، بل تتناول معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البلاغة الثلاثة ، وقد وسع الباحث مفهوم هذه الفنون ونظر اليها نظرة لغوية الى جانب كونها مصطلحات فنية ثابتة ، وبذلك استطاع ان يتصرف فيها هذا التصرف الحسن ، وينظر اليها هذه النظرة الواسعة .

ويرى الاستاذ أنيس المقدسي ان تبويب موضوعات البلاغة القديم لا يفيد فائدة تامة ، ولذلك وضع ترتيبا آخر يكون أقرب الى واقع اللغة ، يقول : « رأينا ان مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطا ولا توقيفا بل ترجع الى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة المعاني والبيان والبديع وافتن الشعراء والمنشئون في التأنق بصوزها على ان العلماء مع توفرهم على درسها وشرحها لم يعنوا بتبويبها تبويباً منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى أصولها »[1] . وقد بوبها تبويبا جديدا وحصرها في ستة أبواب هي :

باب التعادل ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزنا وتركيباً وقد يسمى الازدواج ويدخل فيه التوازن والمماثلة ، والسجع ، والتسميط ، والترصيع ، والتزاوج .

وباب التواطؤ اللفظي وهو ان تكون الالفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين وعلى ما فيها من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتآلفها ، ويدخل فيه الجناس ، والتورية ، والتصدير ، والعكس ، والجمع مع التفريق ، والمجاورة ، والطي والنشر .

وباب التواطؤ المعنوي ويتناول ما كان فيه مشابهة بين شيئين ومنه التشبيه والتمثيل والاستعارة ومراعاة النظير وتجاهل العارف .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٠ ص ٣٥ .

وباب المغايرة وهو عكس المشابهة ، ويراد بها الجمع بين المتضادات أو اشباهها ويدخل فيه المقابلة ، والمطابقة ، والطرد والعكس ، والتهكم ، والاستفهام البياني ، والتغاير ، والسلب والايجاب • وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة ، والاستدراك والاستثناء ، والمجاورة ، والترديد ، وغير ذلك من هذه المقابلات •

وباب الخروج عن المعتاد ويشمل المجاز المرسل ، والتجريد ، والالتفات ، وتقديم ما حقه التأخير وبالعكس ، وتأخير المتقدم ، والغلو والمبالغة •

وباب الايماء الى غرض ، ومما يدخل فيه الكناية ، والتوجيه ، **والاكتفاء ، والاتفاق ، والاشارات اللغوية والعلمية ، والادماج ، والتذييل ،** والتتميم •

واذا رجعنا الى هذه الاتجاهات في تجديد البلاغة رأينا ان منهج الخولي أقرب الى واقع البلاغة وواقع اللغة العربية لما امتاز به من جمع شتات البلاغة وتوزيعها توزيعا جديدا ، ويلاحظ انه استفاد من بلاغة السكاكي والقزويني في رسم منهجها ووضع أصولها • ولم يخرج رأي الاستاذ الشايب عن رأي الخولي في قسمه الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الآخر فلا نرى موجبا لادخاله في البلاغة وانما يكون موضعه دراسات خاصة تتعلق بالفنون الادبية المختلفة • أما رأي العلايلي فنرى فيه قضاء على كثير من صور التعبير وابتعادا عن البلاغة العربية قد يحرمنا ما في تراثنا من فائدة في بناء البلاغة التي نريدها ، والمجدد هو من قتل التراث القديم درسا وتحقيقا واطلع على مناهج البحث الحديثة ، فاخرج لنا جديدا له صلة عميقة بالتراث القديم وارتباط عظيم بالحاضر الذي نحياه • ونحن لن نقبل أية دعوة غير مبنية على أساس قوي تدعمها الحجج القوية وواقع اللغة العربية ، ولن نؤمن بأي مجدد يبني أصوله على الحديث فقط بحجة ان المحدثين أكثر اطلاعا

من القدماء وأوسع أفقا منهم . فكثيراً ما نرى الجديد لا يحتفظ دائما بصفة الجودة كما يزعم دعاته ، بل ان أصحابه الاصليين كثيرا ما يتشككون فيه ، وهذا ستانلي هايمان من أكبر النقاد الغربيين يرى ان النقد الادبي الذي كتب بالانكليزية في مدى الربع الماضي من هذا القرن مختلف من حيث النوع عن أي نقد سبقه ، وسواء سمي هذا نقدا جديدا أم نقدا علميا أم نقدا عاملا أم نقدا حديثا ، فان صلته الوحيدة بالنقد العظيم في العصور الماضية لا تعدو الصلة بين الخالف والسالف ، فليس القائمون به أشد ألمعية أو أكثر تنبهاً للادب من أسلافهم ، بل انهم في الحق لا يتطاولون في هاتين الناحيتين الى عمالقة مثل ارسطوطاليس وكولردج[1] . ومثل هذا يقال عما ذكره الاستاذان ادوار مرقص وأنيس المقدسي ، ويبدو انهما اطلقا هذين الرأيين من غير ملازمة طويلة للبلاغة والنقد ، وان وفقا بعض الشيء فيما ذكراه الا انهما لم يصلا الى ما ذكره الخولي الذي خبر كتب البلاغة وغاص في أعماقها وسبر أغوارها وعرف منهج البلاغة عند الغربيين الذي يصفه بانه « واضح المعالم متميز القسمات ، سليم الاساس ، لا يخشى ان تشوبه شوائب مغيرة ، أو تناله انحرافات مؤثرة »[2] .

هذه أهم اتجاهات البلاغة الحديثة وآراء الباحثين في دراستها وقد عرضنا لها لانها مبنية على ما تركه القزويني وشراح تلخيصه . ونحن هنا نقف لنسأل ما قيمة بلاغة القزويني وشروح التلخيص في هذا التجديد ؟ وما أهم الموضوعات التي يمكن الاستفادة منها ؟ وما الموضوعات التي يجب ان تجرد البلاغة منها لتكون صالحة في تقييم الادب ونقده واظهار ما فيه من روعة وجمال ؟

---

(١) ينظر النقد الادبي ومدارسه الحديثة ج ١ ص ٩ .

(٢) فن القول ص ١٠٦ .

٢

جاء القزويني[١] في عصر استقرت فيه علوم اللغة العربية ، وصور للباحثين انها أخذت شكلها الاخير ، ولم يبق أمامهم الا ان يعكفوا على القديم يدرسونه ويختصرونه أو يشرحونه ويفصلون القول فيه تفصيلا ، أو ان ينكبوا على العلوم ليجمعوا الاشباه والنظائر وينسقوا الموضوعات • وكان عصر القزويني عصر الموسوعات ففيه وضع أبو الفضل محمد بن علي الافريقي المصري جمال الدين المعروف بابن منظور (٧١١هـ) أضخم موسوعة لغوية هي « لسان العرب » ، ووضع أحمد بن عبد الوهاب المعروف بشهاب الدين النويري (٧٣٣ هـ) كتابه « نهاية الارب » ، وكتب أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٧٤٩هـ) « مسالك الابصار في ممالك الامصار » ، وتابعهم في هذا الاتجاه أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ) فوضع كتابه « صبح الاعشى في صناعة الانشا » • وهذه الكتب وان أكدت على نواح معينة غير انها ضمت معلومات شتى فيها الفائدة وفيها النفع العظيم •

وما كان للقزويني الذي نشأ في هـذا العصر أن يأتي بكل جديد طارف ، وما كان له ان يخرج على المألوف بعد ان رأى اتجاه قومه الى التراث القديم يخدمونه بتلخيصاتهم وشروحهم ، وقد نهز معهم بدلوه فاتجه الى مفتاح العلوم ولخص قسمه الثالث بعد ان رأى فيه حشوا وتطويلا وتعقيدا فأراد أن يختصره ويهذبه ويرتبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه ، ورأى ان هذا الكتاب كان مختصرا غير واف بالغرض فوضع شرحا عليه هو الايضاح الذي وقفت البلاغة عنده ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد •

لقد قسّم القزويني البلاغة الى مقدمة ومقاصد ، والمقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، ومن المقاصد ما يعرف به وجه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وهو علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو البيان ، ومنها تابع تعرف به وجود التحسين وهو البديع ، وبهذا التقسيم

---

(١) توفي الخطيب جلال الدين القزويني سنة ٧٣٩هـ بدمشق ، وله : تلخيص المفتاح والايضاح وقد طبعا عدة مرات •

وزع القزويني بحوث البلاغة وهو تقسيم لا نراه مجديا في دراسة البلاغة العربية . لقد إخرج بحث الفصاحة عن مقاصد البلاغة وجعلها مقدمة وجر هـذا الى نقاش واختلاف في معنـاها ، يقول السبكي : « فان اراد انهـا مقدمة الـكتاب فهي جزء منه وان اراد انها مقدمة العلوم فهي ذريعة اليها بدليل انه سيذكر هذه العلوم مستقلة ، ويجوز ان تكون جزءاً لـكل من الثلاثة فلذلك قدمها عليها ، فالراجح انها جزء على التقديرين خلافا لقول الخطيبي انها ذريعة »[1] . وجرت هذه المقدمة شراح التلخيص الى الخوض في معناها واشتقاقها وما الى ذلك من أمور لا تهم الدارس وجاءوا بكلام أبعد ما يكون عن فن البلاغة ودرسها ، وهذا أمر لا نوافق القزويني عليه ؛ لان الـكلمة المفردة هي العنصـر الاساسي في عمـل فني أداته الـكلمة وان البحث فيها ومعرفة خصائصها لمن أوائل ما يبدأ به الدارس في تفهم البلاغة ونقد الـكلام . ان البحث في فصاحة الـكلمة المفردة والـكلام المركب وفصاحة المتكلم لأمر ضروري في دراسة البلاغة ولا يمكن المضي في تحسس مواطن الجمال في الـكلام ما لم نولِ الـكلمة الاهتمام اللازم . وكان القدماء أحسن منهجا وأصح تفكيرا حينما درسوا الفصاحة دراسة عميقـة واسعة واهتموا بالـكلمة اهتماما كبيرا ، ولو مضينا نتصفح كتب البلاغـة والنقد منـذ القديم لوجدنا الـكلمة وفصاحتها تشغل النقـاد والمفكرين ، فالجاحظ وهو من اقدم الذين بحثوا في البلاغة أولاها اهتماما ظاهرا وتكلم على تنافر الحروف والـكلمات واستحسن ما حقه الاستحسان واستهجن ما بدت الهجنة فيه واضحة للعيان ، وعقد معظم البلاغيين فصولا فيها ، وادار ابن سنان الخفاجي كتابه « سر الفصاحة » على بحث اللفظة الواحدة والكلام في الالفاظ المؤلفة ووضع لها شروطا ، وقسم ابن الاثير « المثل السائر » الى مقالتين : في الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية وتكلم في الاولى على اللفظة المفـردة ومتى تحسن وتقبح ، وعلى الالفاظ المركبـة كالسجع والتصريع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة واختلاف صيغ الالفاظ

---

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٦٧ .

واتفاقها والمعاظلة اللفظية والمنافرة بين الالفاظ في السبك • لقد بحث هؤلاء الفصاحة بحثا مفصلا واداروا عليها كتبهم البلاغية ، ولم ينظروا اليها هذه النظرة الضيقة ، ولم يجعلوها مقدمة لعلم البلاغة ؛ لانها بحث هام من بحوثها وعنصر أصيل من عناصرها •

ولعل الذي دعا القزويني الى جعل الفصاحة مقدمة انه رأى السكاكي لم يهتم ببحثها وانما أشار الى انقسامها الى فصاحة لفظية وفصاحة معنوية بعد انتهائه من بحث البيان وبذلك قتل هذا الفن واحاله رميما • وقد لا يكون السكاكي ملوما في هذا لانه عاش في بيئة اعجمية لا تفقه أمر الفصاحة ولا تعرف لها قيمة ؛ ولانه كان يتتبع خطا عبدالقاهر الذي لم يجعل للفظة المفردة أهمية ومكانة في الكلام ، وانما اهميتها عندما تلتئم مع الكلمات مكونة جملة أو عبارة ، وقد دفعه الى هذا اعجابه بالنَظْم وارجاع كل ميزة للكلام اليه • وقد يكون السكاكي معذورا لهذه الاسباب ، اما القزويني الذي عاش في بيئة عربية وكان مطلعاً على ما كتب بلاغيو هذه البيئة ونقادها فلن نلتمس له العذر ما دام قد حاول ان يغير في بلاغة السكاكي بعض التغيير كما أشار اليه في مقدمة التلخيص والايضاح • وكان السبكي أحد شراح تلخيصه أسلم منهجا واصفى ذوقا عندما اهتم بهذه المقدمة ، وبحث الفصاحة بحثا يعتمد على كتب البلاغة المتقدمة كـ « سر الفصاحة » و « المثل السائر » و « الجامع الكبير » وغيرها من الكتب التي أعطت الموضوع حقه وفصلت فيه تفصيلا •

ان دراسة حسن اللفظة من حيث جرسها الصوتي ، ومن حيث أداؤها لمعناها ودلالتها اللغوية وغير ذلك مما يتعلق بدراسة الكلمة الضرورية في دراسة البلاغة ، وقد أولاها الغربيون في العصر الحديث أهمية بالغة فدرسوها دراسة عميقة • واستفاد المعاصرون مما كتب العرب فيها وما نمقه الغرب فأولوا هذا البحث أهمية وقرر الاستاذ الخولي ان أول ما ينبغي دراسته في بحوث البلاغة « الكلمة » ، وقد وضع منهج دراستها من حيث هي عنصر لغوي ومن حيث هي جزء الجملة[1] • واذا اردنا ان نبحث

---

(١) ينظر فن القول ص ٢١٧ •

الكلمة على منهج الخولي فلن يكلفنا عناء كبيرا لان العرب تكلموا عليها ، وليس لنا الا ان نعود الى الكتب القديمة نستخلص منها ما يخص الكلمة بأوضاعها المختلفة وننظر في الدراسات النقدية الحديثة لنضم القديم الى الجديد ونخرج منها دراسة نقدية تكون ذات قيمة في الدراسات الجديدة .

ولاهمية دراسة الفصاحة والكلمة لا نرى لعمل القزويني معنى في جعلها مقدمة واخراجها من مقاصد البلاغة ؛ لان الكلمة المفردة عنصر أساسي في عمل فني اداته الكلمة ، ولانها من مقاصد الفن البياني لا من مقدماته ، ولكننا مع ذلك نستطيع ان نستفيد مما كتبه عن الفصاحة وصفات الكلمة ونضمه الى ما كتب غيره من النقاد .

أما موضوعات البلاغة فقد قسمها الى ما يحترز به عن الخطأ وهو علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته وهو علم البديع . وقد عرف المعاني بقوله : « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال »[1] ، وسار على منهج السكاكي في تقسيم بحوثه مع اختلاف بسيط في بعض القضايا ، وحصره في ثمانية أبواب هي : أحوال الاسناد الخبري ، وأحوال المسند اليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة . ووجه الحصر ان الكلام اما خبر أو انشاء ؛ لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج . الاول الخبر والثاني الانشاء ، ثم الخبر لابد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، وأحوال هذه الاضرب الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو متصلا به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع . ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة اذا قرنت بأخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى أو غير

---

(١) الايضاح ص ١٢ .

معطوفة ، وهذا هو الباب السابع • ولفظ الكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن[1] •

بهذا الاسلوب حصر القزويني بحوث علم المعاني وهو حصر لا نرى فيه فائدة كبيرة ؛ لان الفن الادبي لا يحصر هذا الحصر ولا يحد بهذه الحدود العقلية ، وان تقسيمه الكلام الى خبر وانشاء لا نرى له فائدة في البلاغة لانه بحث فلسفي أخذه البلاغيون عن أصحاب المنطق ، وقد عرض ارسطو لاساليب الخبر والطلب في بحوثه المنطقية ، وذكر في كتاب «المقولات» ان الجمل الموجبة أو السالبة هي المحتملة للصدق والكذب ، وأما الالفاظ غير المؤلفة فليس شيء منها صادقا ولا كاذبا كأبيض ويحضر ويظفر ، وذكر في كتاب « العبارة » انه ليس كل كلام بجازم وانما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق أو الكذب وليس ذلك بموجود في الاقاويل كلها ، ومثال ذلك الادعاء فانه قول ما ، لكنه ليس بصادق ولا كاذب[2] •

وأخذ البلاغيون هذه القضايا مسلما بها مع ان ارسطو نفسه لا يرى في دراسة الامر والرجاء والاستفهام فائدة أو قيمة في فن الشعر وانما هي أمور تتعلق بالممثل والخطيب ، ولاجل هذا يرى انه لا قيمة حقيقية للنقد الذي يوجه الى الشاعر بانه يعرف أو يجهل هذه الامور ، يقول : « اذ كيف نسلم باللوم الذي وجهه فروتاغوراس الى هوميروس بانه ساق العبارة في صيغة الامر وهو يعتقد انه رجاء حين قال : « انشدي ايتها الربة في غضبة » • اذ قال فروتا غوراس : « ان القول بفعل كذا أو عدم فعله هو أمر ، ولهذا يجب علينا ان نطرح هذه المسألة جانبا لانها من شأن علم آخر وليست من شأن فن الشعر »[3] •

وأحس القدماء أنفسهم بهذا فقالوا بعد هذا الحصر تعليقا على كلمة القزويني ان الخبر لابد له من مسند اليه ومسند واسناد ، والمسند قد يكون

(١) ينظر الايضاح ص ١٣ •
(٢) منطق ارسطو ج ١ ص ٦ ، ٦٣ •
(٣) فن الشعر ص ٥٤ •

له متعلقات اذا كان فعلا أو في معناه ، وقالوا انه لا وجه لتخصيص هذا الكلام بالخبر لان الانشاء لابد له مما ذكر أيضا[1] • وحاول الدسوقي ان يصحح تعبير القزويني فقال : « فكان على المصنف ان يقول : وكل من الخبر والانشاء لابد له من مسند[2] » • ولن يفيد هذا التعليل في التخلص من اضطراب القزويني في هذا الحصر وتقسيم الكلام الى خبر وانشاء ؛ لان القدماء انفسهم لم يتفقوا عليه فيرى بعضهم ان الكلام أنواع كثيرة ، يقول السبكي : « وذكر المصنف حصر الكلام في الخبر والانشاء وهو كذلك ، الا ان منهم من يخص الانشاء بما لا طلب فيه ويقسم الكلام الى خبر وطلب وانشاء ، ومنهم من يجعله ثلاثة أقسام : خبر ، وانشاء وهو ما دل على الطلب دلالة أولية ، وتنبيه ويدخل فيه الاستفهام والتمني والترجي والقسم والنداء وهو اصطلاح الامام فخرالدين • قلت : ومنهم من يجعل الكلام خبرا وطلبا وهو ابن مالك في الكافية ، ومنهم من يربع الاقسام فيقول : خبر واستخبار ، وطلب وانشاء »[3] •

وتقسيم القزويني للكلام الى خبر وانشاء أقرب هذه الاقسام الى الدقة كما نرى ، ولكننا مع ذلك لانريد للمجددين أن يقسموه هذا التقسيم ؛ لان هذا عمل فلسفي لا يجدي نفعا وقد أخذه البلاغيون من أهل المنطق وعلى رأسهم أرسطو ، ونرى ان يلغى هذا التقسيم لان الانشاء فرع من الخبر والى ذلك أشار السبكي وهو يعلل تقديم الخبر عليه ، يقول : « وانما قدم الخبر لانه أكثر بحثا ولان كثيرا من الانشاء فرع عن الخبر كالجملة التي يدخل عليها ليت ولعل والاستفهام »[4] • وقد أشار عبدالقاهر الى ان ما يحصل للانشاء يكون للخبر ، يقول : « واعلم ان معك دستورا لك فيه ان تأملت غنى عن كل ما سواه ، وهو انه لا يجوز ان يكون لنظم الكلام وترتيب اجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر وذاك ان

---

(١) المختصر ج ١ ص ١٧٠ ، وحاشية الدسوقي ج ١ ص ١٧٠ •
(٢) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٧٠ •
(٣) عروس الافراح ج ١ ص ١٧٢ •
(٤) عروس الافراح ج ١ ص ١٧٢ •

الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك ، فاذا كان كذلك كان محالا ان يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت : «أزيد قام ؟» غيره اذا قلت : «أقام زيد ؟» ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ، ويكون قولك : « زيد قام » و « قام زيد » سواء »[1] .

ويقول في موضع آخر : « واذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه »[2] . وأحس القزويني نفسه بان هذا التقسيم غير مجد في بحث البلاغة ، لذلك تكلم على الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة بعد أن تكلم على الخبر والانشاء ؛ لانها لا تخص واحدا منهما ، وانما هي من صفاتهما معا ، ولكنه كان لابد ان يتحدث عن الخبر والانشاء أولا ، ثم يشرع في بحث ما يحدث لهما من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وتعريف وتنكير ، وقصر ، وفصل ووصل ، وايجاز واطناب ومساواة ، وغيرها من الموضوعات التى ادخلها في علم المعانى ، وبذلك يسلم منهجه من الاضطراب .

واختلف القدماء في انحصار الخبر في الصادق والكاذب فذهب معظمهم الى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، ولعل النظام استاذ الجاحظ كان من اوائل الذين تحدثوا عن الخبر والطلب ، وحددوا معناهما وضبطوهما بمقياس الصدق والكذب ، يقول : ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، فقول القائل « السماء تحتنا » معتقدا ذلك صدق ، وقوله « السماء فوقنا » غير معتقد كذب[3] . واحتج لهذا الرأي بوجهين :

أحدهما : ان من اعتقد أمراً فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال : ما كذب . ولكنه أخطأ ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فيمن شأنه كذلك : « ما كذب ولكنه وهم » .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٨ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠٩ .
(٣) المطول ص ٣٩ .

والثاني : قوله تعالى « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » كذبهم في قولهم « انك لرسول الله » وإنْ كان مطابقا للواقع لانهم لم يعتقدوه .

وأجاب القزويني عن هذا الكلام بوجوه :

أحدها : ان المعنى نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا ، كما يترجم عنه « ان » و « اللام » ، وكون الجملة اسمية في قولهم «انك لرسول الله» فالتكذيب في قولهم « نشهد » وادعائهم فيه المواطأة لا في قولهم « انك لرسول الله » .

وثانيها : ان التكذيب في تسميتهم اخبارهم شهادة ؛ لان الاخبار اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة .

وثالثها : ان المعنى لكاذبون في قولهم « انك لرسول الله » عند أنفسهم لاعتقادهم انه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه[1] .

وانكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين وزعم انه ثلاثة أقسام : صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب ، لان الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر او عدمه ، وأما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه . فالاول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث اى غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب ، والثاني والرابع أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد ، وكل منهما ليس بصادق ولا كاذب ، فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب مع عدم اعتقاده ، وغيرهما ضربان : مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع اعتقاده واحتج بقوله تعالى : « افترى على الله كذباً أم به جنة » فانهم حصروا دعوى النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة في الافتراء والاخبار حال الجنون بمعنى امتناع الخلو وليس اخباره حال الجنون كذباً ، لجعلهم الافتراء في مقابلته ولا صدقاً ؛ لانهم لم يعتقدوا صدقه فثبت ان من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب[2] .

ولم يَجُر القزويني الى هذا الحديث الا تقسيمه الكلام الى خبر

---

(١) الايضاح ص ١٤ .

(٢) الايضاح ص ١٤ ـ ١٥ .

وانشاء ، وانحصار الخبر في الصدق والكذب أو في غيرهما • وبالغاء هذا التقسيم نخلص من هذه الامور الغريبة في البلاغة ونخليها من كل ما يعيقها عن أداء مهمتها وهي نقد الكلام واظهار ما فيه من روعة وجمال ، أو اسفاف وابتذال ، وليس من الصحيح ان نعتمد في بحث المعانى على ركني الجملة لان هذا يؤدى الى توزيع موضوعاته في أبواب متفرقة ، فالتقديم مثلا بحثه في المسند اليه مرة وفي المسند تارة اخرى ، وكان عليه ان يلم شتات الموضوع الواحد فيبحث التقديم والتأخير في فصل واحد ، والحذف الذكر في فصل آخر ،والتعريف والتنكير في ثالث وهكذا • ولا تخص هذه الموضوعات الخبر وحده ، وان بحثها في الاسناد الخبرى غير صحيح مع انه اعترف بان ما في هذه الابواب ليس كله مختصا بالخبر بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر[1] • ويقول التفتازاني : « ان الاسناد الانشائي ايضا اما مؤكد أو مجرد عن التأكيد ، وكذا المسند اليه اما مذكور أو محذوف ، مقدم أو مؤخر ، معرف أو منكر ، الى غير ذلك ، وكذا المسند اسم أو فعل مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط أو بغيره ، والمتعلقات اما متقدمة أو متأخرة ، مذكورة أو محذوفة ، واسناده وتعلقه أيضا اما بقصر أو بغير قصر ، والاعتبارات المناسبة في ذلك مثل ما مر في الخبر ، ولا يخفى عليه اعتباره بعد الاحاطة بما سبق »[2] •

ولكن القزويني سحر بالسكاكي مع ما في منهجه من اضطراب ، وسار عليه من غير ان يحاول اصلاحه ، الا ما كان من ملاحظات لا تبعد البلاغة عن جوهر منهج السكاكي •

اما علم البيان فقد حصره بقوله : « هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »[3] • واستفاد من الدلالات العقلية في حصر مباحثه فقال بعد ان تكلم على دلالة اللفظ وانواعها : « ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية لان السامع

---

(١) الايضاح ص ١٤٧ •
(٢) المطول ص ٢٤٦ •
(٣) الايضاح ص ٢١٢ •

ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض والا لم يكن كل واحد منها دالاً وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض »[1] • وقسمه على هذا الاساس الى قسمين : المجاز والكناية ، وادخل التشبيه فيه وقدمه ، لان الاستعارة مبنية عليه ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل ، وبذلك ضيق القزويني مباحث البيان كما ضيقها السكاكي من قبل • وقد كان من الممكن ادخال صور بيانية اخرى تكلم عليها المتأخرون في البديع كالتجريد والقلب واسلوب الحكيم والمبالغة والتورية والاستخدام وغيرها من صور التعبير التي ذكرها الخولي في مباحث فن القول[2] • فتحديد فنون البيان على هذه الصورة لا يفيدنا في دراستنا الحديثة ؛ لان الفن أوسع من هذا التحديد وأبعد من هذه التمحلات العقلية •

وقسم كل فن من هذه الفنون الى أنواع كثيرة يتيه فيها الدارس ولا يخرج بنتيجة ، وأغلب هذه التقسيمات عقلية لا علاقة لها بالفن البلاغي حتى ان عصام الدين صاحب الشرح الاطول يرى ان تقسيم التشبيه للتمثيل وغيره من تقسيم الشيء الى نفسه والى غيره ؛ لان التمثيل يرادف التشبيه كما يشهد لذلك كلام صاحب الكشاف حيث يستعمله استعمال التشبيه[3] • وحاول الدسوقي ان يدافع عن القزويني فقال : « واجيب بان التمثيل مشترك بين مطلق التشبيه وبين ما هو أخص منه ، فما هو مقسم المعنى الاعم والقسم هو المعنى الاخص وحينئذ فلا اشكال »[4] •

ومما يؤاخذ عليه القزويني الى جانب هذه التقسيمات اخراجه المجاز العقلي من علم البيان وبحثه في المعاني على اعتبار ان الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي ، وهو رأي لا نوافقه عليه ، لان انواع المجاز الاخرى لا تخرج عن المسند والمسند اليه ، وكان لزاما عليه ان يبحثها في علم المعاني • ونرى ان نضم المجاز العقلي الى بحث المجاز اللغوي ليكون موضوعا

---

(١) الايضاح ص ٢١٢ •
(٢) فن القول ص ٢٢١ •
(٣) الاطول ج ٢ ص ٩٩ •
(٤) حاشية الدسوقي ج ٣ ص ٤٣٢ •

واحدا له اهدافه في التعبير ، ولن يجدى تعليل عصام الدين في عدوله عن ترتيب السكاكي حيث يقول : « وقد عدل المصنف عن ترتيب المفتاح حيث قدم المجاز العقلى لانه المقصود بالبيان في فن البلاغة المشار اليه بالبنان لان تقديم المجاز العقلى يوجب فصلا كثيرا بين الحقيقة والمجاز لكثرة ما يتعلق بـه »[١] ـ نقول لن يجديه هذا التعليل لان انواع المجاز الاخرى أهم من المجاز العقلى الذى نظمه السكاكي في سلك الاستعارة بالكناية ، ولكننا مع هذا كله نستطيع ان نستفيد من تقسيمات القزويني لمباحث علم البيان لانطباق كثير منها على الاساليب العربية ، وان كنا لا نؤمن بكثير من توجيهات القزوينى لامثلة التشبيه والاستعارة والكناية ، وبتعليقاته على هذه الفنون •

اما البديع فقد قال عنه انه « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[٢] • وقسمه الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ ، وتكلم على سبعة واربعين فنا من هذين الضربين • ومبلغ تجديد القزويني فيه انه جعله علما مستقلا عن المعانى والبيان ، وسار البلاغيون على خطاه ولم ينظروا اليه نظرة صادقة ؛ لانه يأتي بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وبعد ايراده بطرق مختلفة وبذلك يكون البديع تابعا للمعانى والبيان • ومع ان السبكى سار على خطا القزوينى في هذا التقسيم غير انه نقده قائلا : « والحق الذى لا ينازع فيه منصف ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة وان كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين • وأدل برهان على ذلك أنّك لا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام الاكثرين »[٣] •

---

(١) الاطول ج ١ ص ٧١ •
(٢) الايضاح ص ٣٣٤ •
(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٢٨٤ •

وبذلك يكون البديع فنا له أثره في التعبير وليس تابعا للفنون الاخرى .

وتقسيمه البديع الى محسنات لفظية ومعنوية غير دقيق ؛ لان أكثر هذه المحسنات متداخل وقد تنبه القدماء الى ذلك فقال المغربي وهو يشرح كلام القزويني ان المحسن المعنوى منسوب الى المعنى بالذات بمعنى ان ذلك التحسين قصد ان يكون تحسينا للمعنى وذلك بالقصد بكونه تحسينا للفظ فيكون ثانيا وبالعرض ، وانما قلنا هكذا لان هذه الاوجه قد يكون بعضها محسنا للفظ لكن القصد الاصلى منها انما هو الى كونها محسنة للمعنى كما في المشاكلة اذ هى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير كقوله :

قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طبخه   قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا

فقد عبر عن الخياطة بالطبخ لوقوعها في صحبته ، فاللفظ حسن لما فيه من ايهام المجانسة اللفظية ؛ لان المعنى مختلف واللفظ متفق ، لكن الغرض الاصلى جعل الخياطة كطبخ المطبوخ في اقتراحها لوقوعها في صحبته وان تعلق الغرض بتحسينه اللفظي المشار اليه فهو بالعرض على وجه المرجوحية. وقيل : ان الحسن فيه لفظي لان منشأه اللفظ ، وكما في العكس في قولهم : « عادات السادات سادات العادات » فان في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ففيه التحسين اللفظي والغرض الاصلى الاخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة . واللفظي تحسين للفظ بالذات وان يتبع ذلك تحسين المعنى لانه كلما عبر عن معنى بلفظ حسن استحسن معناه تبعا ، وان شئت قلت في التحسين المعنوي ايضا ان كونه بالذات معناه ان ذلك هو المقصود ويتبعه تحسين اللفظ دائما لانه كلما افيد باللفظ معنى حسن تبعه حسن اللفظ الدال عليه[1] .

فالمعنوي راجع الى تحسين المعنى أولا وبالذات ولكنه يفيد تحسين اللفظ كما في مثال المشاكلة المتقدم ، واللفظي راجع الى تحسين اللفظ أولا وبالذات ولكنه يفيد تحسين المعنى ايضا ، وما دام الامر كذلك فاية فائدة في هذا

---

(١) مواهب الفتاح ج ٤ ص ٢٨٥ .

التقسيم الثنائي للبديع أو التقسيم الثلاثي الذي ذكره بدرالدين بن مالك في المصباح . ان أى نوع من فنون البديع لا تكون له قيمة الا اذا كان المعنى يتطلبه ويستدعيه ، يقول عبدالقاهر : « انك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده تجنيسا مقبولا لا تبتغى به بدلا ولا تجد عنه حولا . ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه واعلاه واحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد المتكلم الى اجتلابه وتأهبه لطلبه أو ما هو لحسن ملاءمته وان كان مطلوبا بهذه المنزلة وفي هذه الصورة[1] » . ويقول القزويني : « وأصل الحسن في جميع ذلك ــ أعنى القسم اللفظى ــ كما قال الشيخ عبدالقاهر هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعانى فان المعانى اذا ارسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لانفسها الالفاظ ولم تكتس الا ما يليق بها فان كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

اذا لم تشاهدْ غيرَ حسن شياتها ... واعضائها فالحسنُ عنك مُغَيَّبُ

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء[2] » .

وهذه التفاتة طيبة منه ، ولكنه لم يطبق ما دعا اليه وظل يدور في فلك السكاكي وما رسمه للبلاغة ، وانا لنرفض هذا التقسيم وندعو الى ان تبحث موضوعات البديع كما تبحث فنون البلاغة الاخرى على ان تهمل الانواع التى ليس لها تأثير في التعبير ولا تبعث في الكلام رونقا وطلاوة وتضفى عليه جمالا وبهاء ، ويرتب ما يبقى منها ويهذب بحيث يكون مناسباً للاساليب العربية وكلام البلغاء . ولا ناتى بجديد اذا ما قررنا هذا ، فابن المعتز ــ مثلا ــ بحث فنون البديع الى جانب الاستعارة والتشبيه ، وأبو هلال

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٥ .
(٢) الايضاح ص ٤٠٠ .

وابن رشيق وابن سنان وابن الاثير بحثوا البديع كما بحثوا الاستعارة والكناية والتقديم والتاخير ، ولم يفرقوا بين محسن معنوى واخر لفظى فما كان له روعته أثبتوه وبحثوه وما كان مجردا عن ذلك كله تركوه ، ولذلك نرى ان يعاد النظر في فنون البديع التى ذكرها القزوينى وغيره من المتأخرين فيؤخذ منها ماله قيمة في التعبير ويترك ما كان لعبا بالالفاظ أو تعمية والغازاً يقول الدكتور أحمد أحمد بدوي : « ينبغي ان يؤسس البديع أولا وقبل كل شيء على الدراسة النفسية التي تهدي الى بيان السر في تأثير لون بديعى دون الدراسة الصورية وتلمس الاقسام العقلية التي لا تزيد ثروة الاحساس والشعور ، وان نؤمن بان المعنى هو الذى يقود العبارة الى صورتها ، وان كل محسّن بديعي لا يكون له نصيب من الجمال الا اذا كان المعنى هو الذى يتطلبه ويؤدى اليه ، أما التلاعب بالالفاظ وبذل الجهد للاغراب في الصناعة فمما لا يسعى اليه أديب فنان ولهذا نضرب صفحا عن كل مثال صنع مجتلبا ليصور لونا من ألوان البديع دون أن ينبض بالحياة ويزخر بالعاطفة ومن غير ان تكون هذه الصناعة قد جاءت ؛ لان المعنى وحده هو الذى تطلبها من ناحية انها تصور الاحساس النفسي[1] » .

ولما كانت صور البديع هامة في التعبير والاداء فليس من الصحيح تركه واهماله ، وان ما كتبه القزويني يمكن ان يعد نموذجا لدراسته مع التوسع في العرض والامثلة والتحليل ، أما الانواع الكثيرة التي ذكرها المتأخرون فنأخذ منها ما اتفق وذوق العربية ونترك ما كان عبثا ولغواً على شرط ان لا نقسمها كما قسمها السكاكي والقزوينى أو كما قسمها بدر الدين بن مالك ، ونبحث اما في موضوع اللفظ والمعنى فنثبت في صفات الالفاظ ما كان قريبا اليها أو شديد الصلة بها ونضع في صفات المعانى ما يخص المعنى بالدرجة الاولى ، وان تقسيم القزويني ليسهل لنا هذه المهمة ، فما كان من المحسنات اللفظية ادخل في بحث الالفاظ وما كان من صفات المعاني أدخل في بحث المعاني ،ولنا فيما كتبه قدامة بن جعفر اسوة حسنة

(١) مقدمة كتاب ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص : ز .

في هذا الميدان ، وبذلك نخلص البديع من تمحلات القدماء ونقاشهم في الحسن العرضي والذاتي ، أو ان نوزعه كما وزعه الاستاذ الخولي فنذكر الجناس والسجع والترصيع والتصريع ورد العجز على الصدر ولزوم ما لا يلزم في بحث تناسب الصوت والمعنى ، ونضع الطباق في بحث النظم أو تأليف الجمل وذلك حين تتقابل معانى اجزاء الجملة أو الجمل فيكون لذلك أثر في حسن الكلام ، ونضع القسم الآخر في صور التعبير وهي قسمان : صور الايضاح المعلن كالتشبيه والاستعارة والكناية والتجريد والقلب واسلوب الحكيم والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتدبيج والتهييج والالهاب والتهكم بجملة والفكاهة في جملة والتجاهل ، وصور التعبير المظللة كالرمز والايماء والالغاز والتورية والاستخدام والاتساع[1] .

وختم القزويني كتابه بفصلين في السرقات وما يتصل بها ، والقول في الابتداء والتخلص والانتهاء ، وقد حيَّرَ شراح التلخيص بهذه الخاتمة فذهب بعضهم الى انها خاتمة الكتاب كله فهى بذلك خارجة عن الفنون الثلاثة كالمقدمة ، وذهب آخرون الى انها خاتمة للفن الثالث معتمدين على قول القزوينى في الايضاح « هذا ما تيسر باذن الله تعالى جمعه وتحريره من اصول الفن الثالث وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين ، منها ما يتعين اهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ونحو ما لا أثر له في التحسين كما يسمى الترديد ، أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه ، كما سماه الايضاح فانه في الحقيقة راجع الى الاطناب أو خلط فيه كما سماه حسن البيان ، ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهو شيئان :

أحدهما : القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها .

والثاني : القول في الابتداء والتخلص والانتهاء .

---

(١) فن القول ص ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب »[1] .

وعلل المغربي جعلها خاتمة لا باباً في البديع بقوله : « وانما جمع هذه الاشياء في الخاتمة ولم يجعلها باباً من البديع أو يجعل كل واحد منها بابا على حدة لوجهين .

أحدهما : ان كلا منها ليس أمرا يعم كل كلام ويغلب مكان جريانه في كل موطن ، أما في السرقات فظاهر لخروج النثر وكذا فيما يتصل بها لاختصاصها بالاخذ عن الغير ، واما في الابتداء والانتهاء والتخلص فلخروج ما ليس في تلك المحال وهذا الوجه بعينه يمكن ان يجعل هو السر في جمعها لاشتراكها فيه .

والوجه الثاني : ان الحسن فيها دون الحسن في غيرها مع سهولة التناول فلم تجعل باباً لقلة الاهتمام بشأنها ويسرها باعتبار غيرها وان كان الناس يهتمون بامورها . اما في السرقات فلما علم من ان الابتداع أرفع واصعب من الاتباع وان كان فيه تغيير ما ، وكذا فيما يتصل بها ، واما في الابتداء وما والاه فلما علم من ان رعاية تمام الحسن في جميع اجزاء الكلام أعلى وأصعب ويمكن جعل هذا أيضا هو السر في جمعها[2] » .

ومهما يكن من شيء فلا نوافق القزويني في جعل السرقات خاتمة لعلم البديع أو للبلاغة كلها لانها فن واسع له أثره وقيمته في الدراسات النقدية وقد أولاها علماء البلاغة والنقد اهتماما عظيما قبل القزويني وأفردوا لها كتبا خاصة وعقدوا فصولا كبيرة في كتبهم ، وانه لمن المفيد ان يفرد لهذا الموضوع باب واسع في الدراسات البلاغية والنقدية وان يستعان بما ذكر القزويني ونقاد العرب ، ومثل هذا يقال في حسن الابتداء والتخلص والانتهاء فهي فنون قائمة بذاتها وقد أحسن الاقدمون كابن الاثير بحثها ونظروا اليها نظرتهم الى سائر الفنون البلاغية .

واذا ما اتضح هذا جليا فاننا لن نستفيد كثيرا من منهج القزويني في

(١) الايضاح ص ٤٠١ .

(٢) مواهب الفتاح ج ٤ ص ٤٧٥ .

البلاغة لاننا لا نؤمن بهذا التقسيم الثلاثي أو الثنائي لاضطرابه وتداخل الموضوعات • ويتضح هذا الاضطراب والتداخل في عدم استقرار بعض الموضوعات فهي من المعاني عند بعضهم ومن البيان أو البديع عند آخرين ، فالمجاز العقلي بحثه السكاكي في علم البيان وان انكره ، وتكلم عليه القزويني في علم المعاني وذكر ان الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي ، ورد على السكاكي ؛ لانه نظم المجاز العقلي في سلك الاستعارة بالكناية وعلل سبب ذكره في المعاني بقوله : « اننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف البيان[1] » •

ومنهج القزويني أسلم من منهج السكاكي لانه حاول ان يجمع الاشباه وينسق الموضوعات فتحدث عن الايغال والتتميم والتكميل والاعتراض والالتفات في علم المعاني ولم يعدها في علم البديع كما فعل السكاكي حيث ذكر الالتفات في المعاني مرة وفي البديع تارة اخرى ، ومع ذلك فقد جزأ موضوعات التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، وبحثها في اكثر من باب وكان من الدقة المنهجية ان يلم شتاتها ويجمعها في فصول متناسقة فيعقد لكل منها فصلا ، وانه الحسن من القدماء ان ينتبهوا الى انه لاحد بين المعاني والبيان وقد جعل السكاكي الثاني شعبة من الاول ، يقول : « ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل الا بزيادة اعتبارجرى منه مجرى المركب من المفرد ، لاجرم آثرنا تأخيره »[2] فالسكاكي يقرر ان البيان شعبة من المعاني ولا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار ولكنه لم يوضح هذه الزيادة • وعلى كل حال فهذا اعتراف منه بان لا حاجة الى فصل المعاني عن علم البيان ؛ لانهما مرتبطان أشد الارتباط ، متداخلان أعظم التداخل ، وقد أشار السبكي الى هذا التداخل فقال : « ان علم البيان باب من أبواب المعاني وفصل من فصوله وانما افرد كما يفرد علم الفرائض

(١) الايضاح ص ٣١ •
(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ •

عن الفقه »[١] ، وقال متحدثا عن اتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : « لعلك تقول غالب ما سبق أو كله من أنواع المجاز ومحله علم البيان كما سيأتي . فالجواب ان الامر كذلك ولكن جرت عادة اكثرهم بذكر هذه الانواع في هذا العلم فتبعناهم ، وتداخل علم البيان وعلم المعاني كثير[٢] » . ولن يفيدهم قولهم « ان البيان جرى من المعاني مجرى المركب من المفرد » ؛ لانهم اقروا بانهما متداخلان ، وان علم البيان شعبة من علم المعاني وقد صرح القزويني بهذا واعترف ان كثيرا من الناس يسمى المعاني والبيان والبديع « علم البيان » وبعضهم يسمى الاول « علم المعاني » والثاني والثالث « علم البيان » والثلاثة « علم البديع »[٣] . وهذه عودة الى منهج الاوائل الذين نظروا الى البلاغة نظرة واسعة واعتبروها فنا واحدا ، ولكن القزويني أبى الا ان يتابع السكاكي في التقسيم ويغرق معه في التمحل والتأويل .

هذا ما نراه في منهج القزويني ، اما مادة بلاغته فمنها ما ينبغي تركه ، ومنها ما يمكن الاستفادة منه في بناء صرح البلاغة العربية الجديدة . فما الذي ينبغي أن نطرحه وما الذي يجب ان نأخذه ونستفيد منه ؟



ولقد أثرت الفلسفة وعلم الكلام في كل جانب من جوانب الحياة الثقافية ولم يسلم منها علم من علوم العربية واستفاد المؤلفون منها في مناهج بحثهم وأخذوا مصطلحاتها وعباراتها وادخلوها في كتبهم وهذا أمر طبيعي بعد ان استقر العرب وبنوا دولتهم العظمى واتصلوا بغيرهم من الاقوام والامم ، وكان نصيب البلاغة فيها عظيما ، وبدأ الاتصال بين البلاغة والفلسفة منذ عهد مبكر وازداد هذا الاتصال بمرور الايام حتى أصبح ارتباطا وثيقا

---

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٢٦١ .
(٢) عروس الافراح ج ١ ص ٤٩٣ .
(٣) الايضاح ص ١٢ ، والتلخيص ص ٣٧ .

لا انفصام له على يد رجال البلاغة المتأخرين كالسكاكي والقزويني وشراح التلخيص ، وكان نتيجة هذا الاتصال والارتباط ان زخرت كتب البلاغة بمباحث الفلسفة والمنطق وعلم الكلام حتى ان الباحث ليستطيع ان يستخلص مادة فلسفية غزيرة من كتب البلاغة المتأخرة • ومع ان البلاغيين استفادوا من هذه العلوم في تحديد منهجهم ورسم مصطلحاتهم غير ان البلاغة لتأبى كل الاباء ان تكون خاضعة لعلوم غريبة عنها ، دخيلة عليها ؛ لانها فن من الفنون ، والفن حر يقبل التطور والتجديد وينطلق الى أبعد الغايات • وقد كان هذا شأن البلاغة والنقد قبل أن يسيطر عليها منهج السكاكي وقد زخرت الكتب بكل طريف عماده الذوق والتربية الفنية ، وذهب المؤلفون في بحوثهم مذاهب شتى وطوفوا في آفاق نقدية بعيدة المدى ، ولكن المتأخرين أسرفوا في اقتباس العقليات وأغربوا في استخدام مصطلحات المناطقة وأساليبهم فصارت البلاغة على يدي السكاكي والقزويني ومن لف لفهما ألغازا ومعميات يتسابق الدارسون الى حل مشكلة من مشاكلها ويعدون تفهمها عملا عظيما يجيزون به العلماء ويقدرون الخريجين حين يستطيعون أخذ معنى من عبارة ويبينون مرجع ضمير ومشارا اليه في اشارة او مضافا محذوفا • وما كان لهذه الكتب ان تبلغ هذا المبلغ لولا استخدام الاساليب الغريبة عن البلاغة واقحام مباحث بعيدة كل البعد عنها كتلك التي حشروها في بحث الخبر والانشاء ، والوصل والفصل ، وتقسيم مباحث علم البيان ، ولم يكن من السهل اليسير ان ينجو القزويني من هذه السيطرة وقد عاش في فترة جنحت فيها الحياة الفكرية الى الجمود واصبح المؤلف لا يعيش الا على فتات الآخرين • وقد كان مفتاح العلوم ومنهجه مسيطرا على التفكير البلاغي وقتئذ فاتجه القزويني يتلمس البلاغة على ضوئه ويسلك في بحثها مسلكا لا يكاد يختلف عن منهج السكاكي الا قليلا • ومع ان القزويني عاش في بيئة عربية هي بيئة مصر والشام التي يقول السبكي فيها وهو يتحدث عن شروح التلخيص : « اما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والأذهان التي هي

أرق من النسيم والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . اكسبهم النيل تلك الحلاوة ، وأشار اليهم باصبعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء ـ فضلا عن الاغمار ـ الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار[1] » نقول مع انه عاش في هذه البيئة غير انها لم تؤثر فيه ولم تكسبه هذه الطلاوة ، فعكف على ما كتبه السكاكي يهذبه ويبوبه لعله يقدم للدارسين ما فيه النفع وانارة السبيل .

ويجد الباحث في كتابي القزويني الفلسفة وأساليب المناطقة ومصطلحاتهم ماثلة امامه مما يعيق سبيل الانتفاع من بلاغته في صقل الاذواق وتربيتها ، وقد اعترف القزويني نفسه ان بعض مسائل البلاغة باصول الفلاسفة أشبه[2] . واذا ما اردنا ان نستفيد مما كتب القزويني وشراح تلخيصه فليس لنا الا ان نخليها مما لا فائدة فيه ، ومن ذلك حديثه عن المَلَكَة وهي « قسم من مقولة الكيف التى هى هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة ، وهو مختص بذوات الانفس راسخ في موضوعه[3] » . ولا تفسر الملكة هذا التفسير الغامض ، وأنى لطالب الفن الادبى أن يفهم هذا التعريف أو هذا الكلام ؟ وقد حاول شراح تلخيصه ان يفسروا هذا القول فاسرفوا في الاغراب وجاءوا بكل ما يأباه الذوق الادبي وتنفر عنه الطباع السليمة والنفوس الصافية ، وشرعوا في تفسير الكيف فقال عصام الدين : « وأحسن ما رسم به الكيف عرض لا يتوقف تصوره على تصور غيره ولا يقتضي القسمة واللاقسمة في محله اقتضاء أوليا[4] » . وأسرف الدسوقي في شرح هذا الكلام اسرافا عظيما ، يقول ان المتكلمين حصروا الموجودات الحادثة فى الجوهر والعرض وقسم الحكماء العرض على أقسام تسعة وهى الكم والكيف والاضافة والمتى والاين والوضع والملك والفعل والانفعال وسموا

---

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٥ .

(٢) الايضاح ص ١٠٠ .

(٣) الايضاح ص ٩ .

(٤) الأطول ج ١ ص ٢٨ ، وينظر المطول ص ٢٤ .

هذه التسعة مع الجوهر المقولات العشر أي المحمولات العشرة وقسموها الى نسبية وغير نسبية ، فغير النسبية الجوهر والكم والكيف وما عدا هذه الثلاثة فهو نسبة يتوقف تعقلها أي تصورها على تعقل الغير وتصوره[1] . ويمضي في شرح هذه المصطلحات ناسيا انه يبحث في البلاغة أو فن القول .

وادخل من الفلسفة الادبية الكلام على الصدق والكذب يقول : « اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب فذهب الجمهور الى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له . هذا هو المشهور وعليه التعويل[2] » . وعرض رأي النظام والجاحظ وناقشهما وكان هذا ميدانا رحبا لشراحه فصالوا وجالوا فيه وأفاضوا في شرح قوله : « ووجه الحصر ان الكلام اما خبر أو انشاء لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه أولا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الاول الخبر والثاني الانشاء » ، وحشروا مذهب الحكماء والفلاسفة فيه .

وخاض الدسوقي في بحث النسب وقسمها الى ثلاثة : كلامية وذهنية وخارجية ، فالاولى تعلق أحد الطرفين بالآخر المفهوم من الكلام ، وتصورها وحضورها في ذهن المتكلم هو النسبة الذهنية ، وتعلق أحد الطرفين بالاخر في الخارج خارجية . ومضى يضرب الامثلة على ذلك ويشرحها شرحا بعيدا عن البلاغة ونقد الكلام[3] .

وتدخل الفلسفة الالهية في بحث المجاز العقلي ، ويمضي القزويني وشراح تلخيصه في الكلام على الفاعل الحقيقي بالنسبة للمؤمن والدهري ، فيجعل للمؤمن كلاما وللكافر كلاما وللمعتزلي كلاما وللجاهل كلاما ، ويتضح هذا الاتجاه في قوله حينما يقسم الحقيقة الى أربعة أضرب هي : ما يطابق الواقع واعتقاده كقول المؤمن « أنبت الله البقل » و « شفى الله المريض » ، وما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها

---

(١) تنظر حاشية الدسوقي ج ١ ص ١١٨ .
(٢) الايضاح ص ١٣ .
(٣) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٦٤ .

منه « خالق الافعال كلها هو الله تعالى » ، وما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل « شفى الطبيب المريض » معتقدا شفاء المريض من الطبيب ، وما لا يطابق شيئاً منهما كالاقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب[1] . يقول الدكتور بدوي طبانة معلقا على هذا الكلام : « وكأنه نفذ الى العقول ووصل الى مكامن القلوب والشعور . وكل هذه العبارات كما ترى يقولها المؤمن كما يقولها غير المؤمن مدفوعا في قولها بهذه العلائق الظاهرة وتلك الملابسات التي لا تنفصم بين الاثر والمؤثر[2] » .

ويشتد النقاش حينما يعرضون لمثل قولهم « أنبت الربيع البقل » فان انبات البقل في الواقع لله تعالى وفي اعتقاد الجاهل للربيع ، ويعرضون لآراء المعتزلة مما يطول نقله[3] . ولم يدفعهم الى هذا الا النظرة الدينية ، والا ايمانهم ان لكل معلول علة وان لكل مسبب سببا ؟ ولذلك يصرح القزويني قائلا : « ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة[4] » . وقد يكون ظاهرا كما في قوله تعالى : « فما ربحت تجارتهم » أي : فما ربحوا في تجارتهم ، وقد يكون خفيا لا يظهر الا بعد نظر وتأمل كما في « سرتني رؤيتك » أي: سرني الله وقت رؤيتك ، وقول الشاعر :

وصيرني هواك وبي　　　لحيني يضرب المثل

أي : وصيرني الله لهواك وحالي هذه ، أي أهلكني الله ابتلاء بسبب هواك ، وكما في قول الآخر :

يزيدك وجهه حسناً　　　اذا ما زدته نظرا

أي : يزيدك الله حسنا في وجهه ، وهو في ذلك يتابع فخر الدين الرازي والسكاكي ، وكان عبدالقاهر قد وجه المجاز العقلي هذه الوجهة

---

(١) الايضاح ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) البيان العربي ص ٢٨٩ .

(٣) ينظر المطول ص ٥٤ وما بعدها ، والاطول ج ١ ص ٦٩ ، وشروح التلخيص ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٤) الايضاح ص ٢٩ .

الدينية وان لم يوجب ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا نقل الفعل اليه عاد الى الحقيقة[1] .

وتكلم القزويني في بحث الفصل والوصل على الجامع وانواعه ، وهو عقلي ووهمي وخيالي وشرع في شرحها فقال : « اما العقلي فهو ان يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد . أو تضايف كما بين العلة والمعلول والسبب والمسبب والسفل والعلو والاقل والاكثر ، فان العقل يأبى ان لا يجتمعا في الذهن . وأما الوهمي فهو ان يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون بياض ولون صفرة فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ‏ ‏ ‏ ‏ شمس الضحى وابو اسحق والقمر

أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة والخشونة وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانكار والايمان والكفر وكالمتصفات بذلك كالاسود والابيض والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد كالسماء والارض والسهل والجبل والاول والثاني ، فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك تجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد . والخيالي ان يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق، واسبابه مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا ووضوحا فكم صور تتعانق في خيال وهي في آخر لا تتراءى وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم[2] » . وينتهي القزويني الى ان لصاحب علم المعاني فضل احتياج الى التنبيه على أنواع الجامع ولا سيما الخيالي . ويمضي الشراح في هذا الاحتياج مستخدمين وسائلهم واساليبهم المعهودة فيقولون ان التماثل في اصطلاح الكلامي الاتحاد في النوع والتجانس

---

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
(٢) الايضاح ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

الاتحاد في الجنس ، والتشابه الاتحاد في العرض[1] ، وهذا كلام بعيد كل البعد عن مفهوم البلاغة وخارج عن كل فن أدبي • ويذهب ابن يعقوب المغربى الى مدى أبعد فيقدم لهذا البحث الفلسفي بمقدمة فلسفية في القوى الباطنية المدركة وهي عند الحكماء أربعة : القوة العاقلة ، والقوة الوهمية ، وقوة الحس المشترك ، والقوة المفكرة ، ويمضي في شرح القوى الاربع قائلا : « فاما القوة العاقلة فزعموا انها قائمة بالنفس او بالقلب تدرك الكليات والجزئيات المجردة عن عوارض المادة المعروضة للصور والابعاد كالطول والعرض والعمق لانها مجردة ولا يقوم بها الا المجرد وزعموا ان لها خزانة هي العقل الفياض المدبر لفلك القمر • وأما الوهمية فهي القوة المدركة لمعاني الجزئيات الموجودة في المحسوسات بشرط ان تكون تلك المدركات الجزئيات لا تتأدى الى مدركها من طرق الحواس وذلك كادراك الصداقة والعداوة وكادراك الشاة معنى هو الايذاء في الذئب مثلا ولذلك يقال ان البهائم لها وهم تدرك به كما ان لها حسا وتحكم تلك القوة باحكام كاذبة • ثم تلك القوة أعني الوهمية قائمة باول التجويف الاخر من الدماغ وذلك ان للدماغ تجاويف أي بطونا واحدها في مقدم الدماغ وآخر في مؤخره وآخر في وسطه فزعموا ان الوهم باول التجويف الآخر وله خزانة تسمى الذاكرة والحافظة قائمة بمؤخر تجويف الوهم • واما الحس المشترك وهو الذى تتأدى اليه الصور المحسوسة الجزئية من الحواس الظاهرة فهو قوة قائمة باول التجويف الاول من الدماغ وتحكم بين تلك الصورة المتأدية اليها كالحكم بان هذا الاصفر هو نفس هذا الحلو مثلا • ويعنون بالصورة ما يمكن ادراكه ببعض الحواس الظاهرة ولو كان مسموعا، ويعنون بالمعاني الجزئية المدركة للوهم ما لا يمكن ادراكه بها وخزانته الخيال وهو قوة قائمة باخر ذلك التجويف اعني تجويف الحس المشترك فتبقى فيه تلك الصور بعد غيبتها عن الحس المشترك • واما المفكرة فهي قوة

---

(١) المطول ص ٢٦٨ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٩٢ وما بعدها ، والاطول ج ٢ ص ٢٠ •

تتصرف في الصور الخيالية وفي المعاني الجزئية الوهمية وهي دائما لا تسكن يقظة ولا مناما • واذا حكمت بين تلك الصور وتلك المعاني فان كان حكمها بواسطة العقل كان صوابا وان كان بواسطة الوهم والخيال كان غالبا كاذبا كالحكم بان رأس الحمار ثابت على جثة الانسان والعكس ولا ينتظم تصرفها بل تتصرف بها النفس كيف اتفق وهي انما تسمى مفكرة في الحقيقة ان تصرفت بواسطة العقل وحده أو مع الوهم وان تصرفت بواسطة الوهم وحده أو بالخيال وحده أو بهما خصت باسم المتخيلة او المتوهمة ولم يذكروا لها خزانة بل خزائنها خزائن القوى الاخر • وقد تقرر بهذا ان هناك في الباطن سبعة أمور : القوة العاقلة ، وخزانتها ، والوهمية ، وخزانتها ، والحس المشترك ، وخزانته ، والمفكرة • وبها اعني هذه السبعة ينتظم أمر الادراك وقد صرح بعض الحذاق من المحققين بان النفس هي المدركة بواسطة هذه القوى وان نسبة الادراك اليها كنسبة القطع الى السكين في يد صاحبه ، وهذا كله عند الحكماء[1] » • لقد نقلنا هذا كله لنظهر خروجهم عن البلاغة ، والا فما علاقة هذا الكلام بها وكيف يستفيد منه الاديب أو المتذوق في نقد الادب واظهار جماله •

وادخلوا في علم البيان الدلالات وتكلموا عليها كلاما طويلا وقسموها الى ثلاثة أنواع : دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له وقد سميت بذلك لتطابق اللفظ والمعنى أي توافقهما أو لتطابق الفهم والوضع بمعنى ان ما فهم هو ما وضع له اللفظ ، ودلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماه مع دخوله فيه وقد سميت بذلك لان الجزء المفهوم من اللفظ هو في ضمن المعنى الكلي فيفهم عند فهمه ، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له ، وقد سميت بذلك لان المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له • وتسمى دلالة المطابقة عند علماء البيان دلالة وضعية لان السبب في حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى شيء آخر • أما دلالتا التضمن

---

(١) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٨١ •

والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ؛ لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الأولى ، ومن الملزوم الى اللازم في الثانية بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى غير أن العقل اقتضى ان الشيء لا يوجد بلا جزئه ولازمه[1] .

وقد بنى البلاغيون المتأخرون تقسيم البيان على هذه الدلالات فاخرجوا التشبيه ؛ لان دلالته وضعية والدلالة الوضعية لا يمكن بهـا ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، يقول القزويني : « ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتـأتى بالدلالات الوضعية ؛ لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلاّ لَمْ يكن كل واحد منها دالاً ، وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أصح لزوما من بعض[2] » . فانحصر علم البيان في المجاز والـكناية ، ولما كانت الاستعارة تبنى على التشبيه لذلك جعله قسما ثالثا للبيان ، يقول : « ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبتنى على التشبيه فتعين التعرض له ، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية ، وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الـكل[3] » . وأسرف شراح التلخيص في بحث الدلالات مع ان القزويني أشار اليها اشارة عابرة ، وكانت هذه البحوث ويلا وثبورا على البلاغة العربية ؛ لانها اخرجتها عن هدفها الفني .

وكان بحث التشبيه مجالا لتسابق القزويني والشراح في ادخال البحوث الفلسفية وقد تكلموا في الالوان والطعوم والروائح والحركات والمحسوسات والكيفيات النفسية والبحث في اللذة والالم والوهـم والخيـال والمفكـرة

---

(١) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٦ ، والطراز ج ١ ص ٣٤ ــ ٣٩ ، والايضاح ص ٢١٢ ، والمطول ص ٣٠٠ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦ وما بعـدها ، والاطول ج ٢ ص ٥٠ وما بعـدها ، وفن التشبيه ج ١ ص ١٨ ــ ١٩ .

(٢) الايضاح ص ٢١٢ .

(٣) الايضاح ص ٢١٣ .

والوجدان والماهية والكلام على حرارة الحروف وبرودتها ورطوبتها ويبوستها • وأسرف المغربي في الكلام على اللذة والالم والبصر واقوال حكماء التشريح والكلام على الاشكال والحركة واختلاف المتكلمين والحكماء فيها وتفسير السمع والذوق والطعوم والصلابة واللين والخفة والثقل ، وأسرف في الحديث عن الكيفيات النفسية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والغرائز[1] ، وهو في هذا كله يقارن بين أقوال المتكلمين وآراء الحكماء • ونجد التفتازاني عندما يتحدث عن وجه الشبه يقول : « مما يدرك بالبصر وهو قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تتلاقيان وتفترقان الى العينين ••• والحركات وهي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج وفي جعل المقادير والحركات من الكيفيات •••• أو بالسمع والسمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها الاصوات من الاصوات القوية والضعيفة والتي بين بين • والصوت يحصل من التموج المعلول للقرع الذى هو احساس عنيف ، والقلع الذى هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها • أو بالذوق وهو قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان من الطعوم كالحراقة والمرارة والملوحة والحموضة وغير ذلك ، أو بالشم وهي قوة رتبت في زائدتي مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدى من الروائح ، أو باللمس وهى قوة سارية في البدن يدرك بها الملموسات[2] » • ونجد الخلاف على أشده بين المذاهب في المسائل المقحمة ، فهذا المغربي يقول في بحث وصف المسند اليه متكلما على الجسم الطويل : « ثم ان تفسيره بما ذكر انما هو على المذهب الاعتزالي ، واما عند الحكماء فالجسم هو المركب من الهيولى أى الجواهر المفردة ومن الصورة ، وعند اهل السنة هو ما تركب من جوهرين فاكثر ، والفرق بين المذهب السني ومذهب الحكماء ان الصورة عند الحكماء لها دخل في التركيب وهى جزء

---

(1) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٣٢٠ وما بعدها •

(2) المختصر ج ٣ ص ٣٣٢ وما بعدها •

الجسم وعند أهل السنه ان التركيب للجواهر والصورة عرض اعتباري أو حقيقي ولا مدخل لها في جزئية الجسم[1] » .

وكان القدماء أنفسهم يشعرون بثقل هذه المادة على البلاغة وغرابتها ولكنهم جاروا المتقدمين وانقسموا فيها ، يقول المغربي بعد ان تحدث عن اللذة والالم والاشكال والسمع والذوق : « وقد اطنبت قليلا فيما يتعلق بهذه الكيفيات على حسب ما فسرها الشارح مما هو من تدقيقات الحكماء بعد تفسير بعضها بما هو أقرب الى الفهم قصد الايضاح وزيادة في الفائدة وان كان تفسيره كما قيل لا يناسب هذا الفن ولا يسهل على المتعلم بل يزيده حيرة . ولكن حيث ارتكب ذلك وجب مجاراته مع زيادة ما يوضح الغرض من بيان اصطلاحهم ازالة للحيرة عن المتعلم[2] » . ونجد عصام الدين يقول بعد ان تكلم على الحواس والكيفيات والحركات : « واعلم انه لم يف المصنف بما وعد في ديباجة الكتاب من حذف الحشو والتطويل والتعقيد ونسي عنه في هذا المقام ؛ لان هذه التقسيمات ما لا نفع له في هذا الفن بل يوجب تحير الافهام وايقاع المبتدئين في الظلام حتى ان الشارح قال كانه ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فهو من التطويلات المشكلة على المبتدىء فيجب حذفه لمن التزم تنقيح الكلام عن التطويل والتعقيد وكأنه منع المصنف حذفه لاتقائه من الاتهام بانه لم يتعرف على اصطلاحات المتكلمين فحذفه لعدم فهمه مقاصد المفتاح في هذا المقام لكونه عاريا عن معرفة مصطلحات الكلام[3] » ، وبذلك نرى ان القدماء انفسهم احسوا بما في هذه البحوث من ثقل على الدراسات البلاغية ولكنهم يذكرونها خوفا من ان يتهموا بعدم الاطلاع عليها . وقد دفعهم هذا الاحساس والشعور الى البحث فيها واقحامها في البلاغة واتخاذها دليلا على ثقافتهم الواسعة واطلاعهم على اساليب الفلاسفة والمتكلمين .

وكان لمصطلحات المنطق أثر في كتابي القزويني ، ففيهما التأسيس

---

(١) مواهب الفتاح ج ١ ص ٣٦١ .
(٢) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٣٤٣ .
(٣) الاطول ج ٢ ص ٧٧ .

والموجبة والمهملة والمعدولة والسالبة المهملة والسالبة الكلية والسالبةالجزئية والمسورة والتصور والتصديق وغيرها[١] ، ونجد في شروح التلخيص المصدوق والماصدق ومصطلحات الحكماء والاصوليين •

ولم يقف الامر عند هذا بل استفاد القزويني من أساليب الفلاسفة والمتكلمين في البحث والشرح والتعليل ، يقول في تعريف فصاحة المتكلم : « واما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح •••• وقيل « ملكة » ولم يقل « صفة » ليشعر بان الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحا الا اذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه • وقيل « يقتدر بها » ولم يقل « يعبر بها » ليشمل حالتي النطق وعدمه ، وقيل « بلفظ فصيح » ليعم المفرد والمركب[٢] » • وقال بعد ان عرف علم المعاني : « وقيل « يعرف » دون « يعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات كما قال صاحب القانون في تعريف الطب : الطب علم يعرف به أحوال بدن الانسان ، وكما قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله : التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم[٣] » •

وهذا الاسلوب وان كان معروفا عند المتقدمين الا انهم لم يسرفوا فيه هذا الاسراف ولم يستعملوه في ميدان البحث البلاغي ، وقد غلا شراح تلخيص المفتاح في هذا الاتجاه فقال عصام الدين شارحا معنى « علم » في تعريف البيان : « وهو علم أى مسائل معلومة عن الادلة أو تصديقات بها حاصلة عن الادلة ، أو ملكة هذه التصديقات اعني كيفية راسخة يتمكن بها من التصديق بمسألة مسألة تفصيلا من غير حاجة الى تجشم كسب جديد • وانما قيدنا معاني العلم بالحصول على الدليل وان أطلقها الناظرون في هذا

---

(١) الايضاح ص ٦٤ ـ ٦٥ ، والتلخيص ص ٨٤ •
(٢) الايضاح ص ٩ •
(٣) الايضاح ص ١٢ •

المقام لما حققت من ان من جمع مسائل العلم بالتقليد لا يسمى عالما وتصديقاتها انها لا يسمى علما واستعمال لفظ العلم في التعريف مخل[1] » ، ويمضي في هذا الكلام مسوّدا صفحات عديدة .

ويستعمل القزويني في اظهار الحسن البلاغي الاساليب الفقهية والفلسفية في التعليل ، فيقول بعد ان انتهى من بحث موضوعات البيان : « اطبق البلغاء على ان المجاز أبلغ من الحقيقة ، وان الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وان التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وان الكناية أبلغ من الافصاح بالذكر[2] » ، ولكن لماذا ؟ لم يذكر القزويني وغيره من المتأخرين سبب ذلك ووجهة النظر البلاغي وانما « السبب في ذلك ان الانتقال في الجميع من الملزوم الى اللازم فيكون اثبات المعنى به كدعوى الشيء ببينة ولا شك أن دعوى الشيء ببينة أبلغ من اثباته دعواه بلا بينة[3] » .

ولا يخرج تعليله في تأكيد المدح بما يشبه الذم عن هذا التعليل ، يقول « فالتأكيد فيه من وجهين :

احدهما : انه كدعوى الشيء ببينة .

والثاني : ان الاصل في الاستثناء ان يكون متصلاً ، فاذا نطق المتكلم بـ « الا » او نحوها توهم السامع قبل ان ينطق بما بعدها ان ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا ، وهذا ذم فاذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحا على مدح وان كان فيه نوع من الخلابة[4] » . لقد أحس القزويني ان في هذا نوعا من الخلابة ولكن ما هي ؟ لم يستطع ان يشرح لنا هذه الخلابة ويبين أهمية استعمال هذا الاسلوب وقيمته في التعبير الا ما كان من دعوى الشيء ببينة ، فالتعليلان

---

(١) الاطول ج ٢ ص ٥٠ .
(٢) الايضاح ص ٣٢٨ .
(٣) الايضاح ص ٣٢٩ .
(٤) الايضاح ص ٣٧٣ .

الفقهي والنحوي لا يجديان في اظهار جمال هذا الاسلوب ، وقد صرح المغربي ان في هذا التعليل تمحلا وان قال عن الثاني انه ابلغ وانه توجيه يتملح ويثلج به الصدر في افادة التأكيد حقيقة ، والاول انما افاد التأكيد بأمر تخييلي[1] • ويرى الاستاذ الخولي ان السر النفسي لجمال هـذا الاسلوب ما فيه من معنى المباغتة والمفاجأة التى تكسبه طرافة وتثير حوله تنبيها ، وسواء أكانت هذه الطرافة تقوم على اتصال الاستثناء أم يتحول معها منقطعا فان المباغتة هي الاصل لا ملاحظة الاستثناء وحالته[2] • ونحن لا نستطيع ان نأخذ هذه التعليلات دليلا على روعة الاساليب الادبية ؛ لانها لا تفيدنا كثيرا ولا تفتح الطريق أمامنا لتلمس مواطن الجمال وتحسس مـا تثيره في النفوس • وننتهي من هذا كله الى ان النزعة الفلسفية والجدلية تسيطر على بلاغة القزويني ، وهذا واضح في المنهج والتبويب وبيان المعاني البلاغية واستخدام المصطلحات والاساليب الكلامية والفلسفية والاصولية ، ومن هنا نرى ان لا فائدة في العكوف على بلاغة القزويني وانه لمن المفيد ان نجرد بلاغتنا الجديدة ممـا علق بها من غريب • وليس هـذا وحده ما ينبغي تخليته من البلاغة فهناك موضوعات اقحمت فيها اقحاما كالدراسات النحوية التي تظهر باجلى صورها في فصول علم المعاني الذى أحاله السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما الى ميدان للجدل في تقدير الفاعل او المفعول ، أو البحث في استعمال أدوات الشرط ، واحوال التعريف وتقسيم القصر باعتبار المقصور الى قصر موصوف على صفة وقصر صفة على موصوف ، وباعتبار حال المخاطب به الى قصر افراد أو قصر قلب وقصر تعيين ، أو البحث في ادوات الاستفهام والتمنى والنداء والامر والنهي والبحث في واو الحال وغيرها مما ذكره السبكي في شرحه الذى كان ميدانا لعرض الآراء النحوية ووجهات النظر المختلفة • ونرى ان نعيد هـذه المباحث الى النحو ونضمها الى فصوله لتعود اليه الحياة بعد أن سلبوه كل شيء وجعلوه يتعلق

---

(١) مواهب الفتاح ج ٤ ص ٣٨٩ •

(٢) ينظر مناهج تجديد ص ١٩٧ •

باواخر الكلمات من رفع ونصب أو بناء واعراب وقد أشار القدماء الى ان كثيرا من هذه الموضوعات ليست من علم المعاني ، يقول عصام الدين عن الامر : « ولا يخفى عليك ان مباحث الامر كالاستفهام ليس من فن المعاني وليس منه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر[1] » .

واننا اذ ندعو الى اخراج هذه الموضوعات من البلاغة نهدف الى أمرين :

الاول : تخليص البلاغة من كل غريب لا علاقة له بالفن الادبي ، وانما اقحم عليها اقحاما أفقدها قيمتها والغرض الذى من أجله درسها القدماء .

والثاني : تخليصها من هذا الاضطراب المنهجي والانتقال من اسلوب الى اسلوب ، فهم يتخذون تارة أساليب الفلاسفة وأهل المنطق عندما يناقشون ، ويتخذون أسلوب الفقهاء حينما يعللون ويظهرون روعة الاساليب تارة أخرى ، ويتخذون اسلوب النحاة حينما يعرضون لموضوعات النحو ويفصلون القول فيها ، وما أحوج البلاغة الى تجريدها من هذا كله لتبقى خالصة للفن وليبقى اسلوبها متسقا ليس فيه هذا الانتقال الذى تحتمه طبيعة كل نوع من هذه الموضوعات المختلفة في الهدف والاسلوب .

ونحن حينما ندعو الى اخراج الغريب من البلاغة كالنحو والمباحث اللغوية لا نعني بذلك انها عديمة الفائدة بل بالعكس نرى ان لها قيمة في فهم الادب وتذوقه ومعرفة ما فيه ، وهى ضرورية جدا ، ومن هنا نجد الاقدمين وعلى رأسهم البلاغي الناقد ابن الاثير يعتبرها من مكملات ثقافة الاديب والباحث في البلاغة ، وقد ذكر في أول المثل السائر والجامع الكبير ان الانسان ليحتاج اليها وانها المفتاح الذى يفتح أبواب البلاغة ولكن على شرط ان لا تمتزج بحوثها بفصول البلاغة بل تدرس على اساس انها علوم مستقلة تفيد الاديب في تنمية ثقافته اللغوية والنحوية وتقوى مداركه وتعينه في نقد الكلام وتمييز حسنه من رديئه .

---

(١) الاطول ج ١ ص ٢٤٨ .

٤

هذا ما ينبغي اخراجه من بلاغة القزويني ، اما ما يمكن الاستفادة منه في البلاغة الحديثة فهو غير ما ذكرنا ، واننا لواجدون عند القزويني كثيرا من البحوث الصالحة للبقاء ، من ذلك مصطلحات البلاغة التي نشأت في أول عهدها نشأة بسيطة ثم أخذت تتطور على مرور الايام حتى استقرت وتحددت معانيها ومفاهيمها على يد السكاكي والقزويني . واننا اذ ندعو الى الاخذ بمصطلحات القزويني البلاغية انما نريد التخلص من الفوضى التي دخلتها والاضطراب الذي أصابها ، ولو رجعنا الى أي مصطلح منها وتابعناه منذ أول نشأته حتى القزويني لوجدنا الاختلاف واضحا والتحديد غير متفق عليه ، وقد بدا هذا جليا في موضوعات البديع التي تسابق البلاغيون في تفريعها وأوصلوها الى اكثر من مائة ، وانه لمن اليسير ان يضم كثير منها الى أنواع معينة ولكن غرامهم بالبديع وتفاخرهم بالسبق دعاهم الى هذا مع ان السكاكي الذي عاش في عصر متأخر لم يذكر منه الا أنواعا قليلة ، ولكن أصحاب البديعيات كالحلي والموصلي والحموي أوصلوها الى ما وصلت الينا . وقد بدأ الولوع بهذا مبكرا حتى ان ابن الاثير يقول : « اعلم انه قد اختلف ارباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع لنوع واحد اسمين اعتقادا منه ان ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كما وقع له بل هما نوع واحد ، فممن فعل ذلك الغانمي فانه ذكر في كتابه بابا من أبواب علم البيان وسماه التبليغ ، وهو ان يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيما ذكر صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى في الجودة .... ثم انه ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال : هو ان يأتي الشاعر بالبيت معلقا بالقافية على آخر أجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك ان الشاعر اذا كان بارعا جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لأعاريضه ووزنه

فجعلها نعتا للمذكور .... هذا كلام الغانمي بعينه والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال من الاحوال[1] » . وقد جمع العسكري هذين النوعين في فن واحد اطلق عليه اسم الايغال وذكر امثلتهما وبذلك قلل المصطلحات[2]، وأيده ابن الأثير فقال : « وهذا أقرب أمرا من الغانمي ، لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغانمي ــ رحمه الله ــ وليس الاخذ على الغانمي في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة له على ان ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب التي ذكرها داخلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصبح[3] » .

وادّعى ابن أبي الاصبع المصري انه اخترع ثلاثين نوعا بديعيا ، والمتتبع لهذه الانواع يرى انها لم تسلم له كلها وانما كان بعضها مسبوقا اليها كالتخيير والتدبيج والاستقصاء والبسط والتشكيك والتهكم والتنذير والفرائد والالغاز والتعمية والنزاهة والمراجعة والسلب والايجاب والابهام والمقارنة والمناقضة وحسن الخاتمة . ولم يسلم له الا التخريج والهجاء في معرض المدح والعنوان والايضاح والحيدة والانتقال والشماتة والاسجال بعد المغالطة والتصرف والتسليم والافتنان والقول بالموجب وحصر الجزئي والحاقه بالكلي والابداع والانفصال[4] . ولم يدفعه الى هذا الا تفريعاته واطلاق المصطلحات الخاصة على فنون قد تكون نوعا واحدا ، فالبسط عنده ليس الا الاطناب الذي عرفه البلاغيون منذ أول عهدهم بالتأليف وهكذا الامر في بقية الفنون .

ولكي نظهر اختلاف البلاغيين في المصطلحات واطلاقهم الاسماء المختلفة على فن بلاغي واحد نذكر أمثلة ، منها تسميتهم التجنيس بالجناس

---

(١) الجامع الكبير ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٨ وما بعدها .
(٣) الجامع الكبير ص ٢٤١ ، والمثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠ ــ ٣٥١ .
(٤) تنظر هذه الفنون في بديع القرآن وينظر الفصل الرابع من كتاب ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة .

والمجانس ، وان بعض البغداديين يسمي تساوي اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى المتماثل[1] ، وتسميتهم التورية بالايهام والتوجيه والتخيير[2] ، ويرى ابن حجة ان التورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى ولانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره[3] ، وتسمية التشبيه المقلوب بغلبة الفروع على الاصول أو الطرد والعكس[4] ، وتسمية المنصف بالاستدراك لاستدراجه الخصم الى الاذعان والتسليم[5] ، والتوجيه بمحتمل الضدين[6] ، وتسمية الارصاد بالتسهيم والتوشيح • وقد نقد ابن الاثير أبا هلال فقال : « ورأيت أبا هلال العسكري قد سمى هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به ، وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان »[7] ، وتسمية لزوم ما لا يلزم بالالزام والتضمين والتشديد والاعنات والتضييق[8] والتشريع بالتوشيح وذي القافيتين[9] وتسمية التكميل بالاحتراس ، وعللوا هذه التسمية فقالوا : « ويسمى هذا النوع من الاطناب الاحتراس أيضا أي زيادة على تسميته بالتكميل • أما تسميته بالتكميل فلتكميله المعنى بدفع خلاف المقصود عنه • واما تسميته بالاحتراس فهو من حرس الشيء حفظه وهذا فيه حفظ المعنى ووقايته من توهم خلاف المقصود ؛ لان ما أتي به فيه يحترز به عن خلاف

---

(١) سر الفصاحة ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ •

(٢) التلخيص ص ٣٦٠ ، والايضاح ص ٣٥٣ ، والمطول ص ٤٢٥ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢٢ •

(٣) خزانة الادب ص ٢٣٩ •

(٤) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١ ، والجامع الكبير ص ٩٧ ، والفوائد ص ٥٧ ، ٥٩ ، والخصائص ج ١ ص ٣٠٠ •

(٥) المطول ص ١٦٥ •

(٦) المطول ص ٤٤٣ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٤٠٠ •

(٧) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠ ، وينظر التلخيص ص ٣٥٦ ، والايضاح ص ٣٤٧ ، والمطول ص ٤٢٢ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥ •

(٨) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٦٣ ، والمطول ص ٤٥٨ ، والفوائد ص ٢٣٤ •

(٩) المطول ص ٤٥٨ ، والمختصر ج ٤ ص ٤٦١ •

المقصود »[1] . ورد العجز على الصدر بالتصدير وكان العاني قد ذكر بابا باسم رد الاعجاز على الصدور خارجاً عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جمله[2] . وتسمية المطابقة بالطباق والتضاد والتطبيق والتكافؤ[3] ، والتشريع بالتوأم والتوشيح[4] ، وتجاهل العارف بسوق المعلوم مساق غيره وقد سماه السكاكي بالاسم الاخير يقول : « ولا أحب تسميته بالتجاهل »[5] ، وتسمية مراعاة النظير بالتناسب والتوفيق والائتلاف والتلفيق ، ويرى السبكي ان من الاحسن تسميته التأليف لموافقة التوفيق[6] ، والمذهب الكلامي بالاحتجاج النظري ، وقد أكثر أبو حيان النحوي الاندلسي من استعمال المصطلح الثاني في تفسيره للقرآن الكريم ولكن البلاغيين اطلقوا عليه الاسم الاول[7] .

هذه أمثلة لاختلافهم في المصطلحات وهي تدلنا دلالة واضحة على ان فنون البلاغة ومصطلحاتها بقيت تتطور على مدى العصور ومن هنا جاء هذا الاختلاف ، ولكنها بقيت ثابتة بعد أن وضع القزويني كتابيه التلخيص والايضاح ، ولو اردنا ان نستقصي تطور المصطلحات لطال بنا الكلام ولعل في العودة الى المثل السائر وبديع القرآن وخزانة الحموي ما يغني عن الكلام ؛ لان هذه الكتب قد جمعت الآراء المختلفة في كل موضوع وذكرت مصطلحات الفن الواحد .

---

(١) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٢٣١ .

(٢) الجامع الكبير ص ٢٥٨ ، والمثل السائر ج ١ ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ .

(٣) التلخيص ص ٣٤٨ ، والايضاح ص ٣٣٤ ، والمطول ص ٤١٧ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٦ ، والفوائد ص ١٤٥ ، والمثل السائر ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٤) التلخيص ص ٤٠٥ ، والبلاغة الغنية ص ١٦٢ .

(٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ ، والايضاح ص ٣٧٨ والتلخيص ص ٣٨٥ .

(٦) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠١ ، والتلخيص ص ٣٥٤ ، والايضاح ص ٣٤٣ ، والمطول ص ٤٢٠ .

(٧) ينظر البحر المحيط ج ٣ ص ٨٩ ، ٣٠٥ ، و ج ٤ ص ٢٩٢ و ج ٥ ص ٣٥٠ ، والتلخيص ص ٣٧٤ ، والايضاح ص ٣٦٦ ، والفوائد ص ١٣٦ ، وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦٩ .

ونحن في بلاغتنا الجديدة لا يمكن ان نبقى مضطربين في هذه المصطلحات ، وانما ينبغي ان ننسقها ونوحدها ونضم بعضها الى بعض ونستعمل منها ما هو أكثر دلالة على الفن البلاغي الذي نبحث فيه . ونرى ان نستفيد مما ذكره القزويني لانه جمع زبدتها في كتابيه ، وقد كان موفقا الى حد كبير في بحث البديع فادخل بعض فنونه في بعض وبذلك قلل المصطلحات وقلل أنواع البديع الذي أسرف المتأخرون في تنويعها . ولكن لن نقف عند القزويني في هذه الناحية وانما ينبغي ان نستفيد من غيره فنأخذ ما هو أجدى من مصطلحاته وأكثرها دلالة وأقرب الى الفهم والذوق السليم .

ومن الموضوعات التي ينبغي ان نستفيد منها مقدمته في الفصاحة وهي ليست مقدمة لدراسة البلاغة كما يزعم وانما هي من صميم الدراسات البلاغية وان كان عبدالقاهر لم ير لها مزية لانه شغل بالنظم الذي أراد ان يبرهن به على ان القرآن معجز لا بالالفاظ التي يتساوى فيها القرآن وغيره من كلام العرب ولانها لم تكتسب شيئا جديدا لم يكن لها قبل ان توضع في آيات الكتاب المبين . وقد اهتم بها القدماء كابن سنان وابن الاثير وغيرهما ورأوا ان الاديب يحتاج في تأليفه الى ثلاثة أشياء : اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلي المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم ، ونظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن موضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه باختها المشاكلة لها . والغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شنفاً في الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه . وينتهي ابن الاثير الى ان هذه الامور الثلاثة لابد للخطيب والشاعر من العناية بها وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر ، فالاول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة . وذهب الى ان

للالفاظ في الاذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار وصوتا منكرا كصوت حمار وان لها في الفم حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل ، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم[1] .

واهتم المعاصرون بالبحث في اللفظ الموحي واللفظ القوي واللفظ المؤنس والعذب في تآلفه مع الجملة وكيف يعبر عن الانفعال أو الفكرة وكيف يحدث صورة وان اختيار الكلمة الواجبة المؤثرة هي أول خطوة للبناء الفني ، وذهب بعض النقاد المحدثين الى ان اللفظ « عنصر على جانب كبير من الاهمية وقد يقوم به القصيد دون حاجة الى صورة خيالية أو موسيقى جياشة ، فان الالفاظ وصوتها ودلالتها وجوّها وتآلفها كافية لابداع القصيد البديع »[2] .

ومنها بحث الايجاز والاطناب والمساواة فقد جمع فيه القزويني جودة التقسيم مع روعة العرض والتحليل ، ولم يضطرب كما اضطرب المتأخرون فجعلوا بعض أقسامه من البديع كالتكميل والتتميم والايغال ، ويمكن ان نضم الى هذا البحث ما كتبه رجال المدرسة الادبية كابن رشيق وابن الأثير وبذلك تكون لنا مقاييس جيدة في نقد الكلام وتمييز الاساليب المختلفة ، ونرى ان هذا الفصل يكون بعد هذا كله من خيرة بحوث الاسلوب التي يهتم بها المعاصرون .

ولن نهمل من بلاغة القزويني بحوثه في التشبيه والاستعارة والكناية والبديع فهي من البحوث الجيدة التي تشهد له بسعة الاطلاع والتذوق ، ولكننا لن نأخذ تقسيماته الكثيرة وانما نقبل منها ما يفيدنا مع الاهتمام بتقليل الاقسام والابتعاد عن تعليلاته واعجابه بالتشبيهات الغريبة التي أكثر منها ابن المعتز وامثاله من الشعراء المترفين .

أما خاتمة كتابيه المتعلقة بالسرقات الشعرية وحسن الابتداء والتخلص

---

(١) ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٤٢ ، ١٥٠ .

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥٧ ، وينظر النقد الادبي من خلال تجاربي ص ٨٠ وما بعدها .

والانتهاء فهي ضرورية في دراسة البلاغة ، ونخص بالذكر منها السرقات التي تلعب دورا كبيرا في الاحكام النقدية الحديثة • وهي ليست خاتمة للبلاغة أو تابعة لاحد فنونها وانما هي فن له أهميته في الدراسات البلاغية ، ولهذا اعتنى العرب بها قديما وافردوا لها كتبا وعنى بها المحدثون واولوها اهتماما عظيما لانها تنير السبيل للناقد في دراسة ابداع الاديب أو اسفافه ومعرفة جديده ومقدار أخذه عن الآخرين •

وللقزويني التفاتات طيبة منها ايمانه بالتجديد فهو ينقل عن الجاحظ قوله : « وكلام كثير جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة ونمرة مرة فمن آخر ذلك قولهم : لم يدع الاول للآخر شيئاً • فلو ان علماء كل عصر منذ جرت هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلا »[1] •

وله التفاتات نقدية منبثة في بحوثه البلاغية الصرفة وتتجلى مظاهر النقد عنده فيما ورد في تضاعيف الايضاح من الدراسات والآراء التي عقب بها على النصوص الشعرية فأظهر محاسنها أو عيوبها ، أو في معرض الدفاع عن أصحابها والرد على من نقدهم ، أو في سبيل تقرير مبدأ يزول به الوهم عن أذهان المعترضين • ويتجه نقده في بعض الاحيان الى أسلوب الموازنة بين شعر وشعر ، أو بين رأي وآخر ، وقد تجلى هذا في بحث السرقات بصورة خاصة لان بحثها يقوم على الموازنة •

وتطغى الشكلية في كثير من الاحيان على نقده وتحليله ومقارناته ، وأوضح مثال لذلك مقارنته بين قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » وبين قول العرب : « القتل أنفى للقتل » • يقول وهو يتكلم على ايجاز القصر : « ايجاز القصر وهو ما ليس بحذف مقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » فانه لا حذف فيه مع ان معناه كثير يزيد على لفظه لان المراد به ان الانسان اذا علم انه متى قَتَل قُتل كان ذلك داعياً له قويا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان في

---

(١) الايضاح ص ١٦ •

ارتفاع القتل حياة لهم »[1] • وهذا تعليق حسن منه فيه توضيح لمعنى الآية الكريمة ولكنه يغرق في الشكلية عند المقارنة فيضع النقاط الواحدة بعد الاخرى فيقول : « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أنفى للقتل » من وجوه :

أحدها : ان عدة حروف ما يناظره منه وهو « في القصاص حياة » عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر •

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه ادعى الى الاقتصاص •

وثالثها : ما يفيد تنكير « حياة » من التعظيم أو النوعية •

ورابعها : اطراده بخلاف قولهم فان القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره •

وخامسها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم •

وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره : القتل أنفى للقتل من تركه •

وسابعها : ان القصاص ضد الحياة ، فالجمع بينهما طباق •

وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال « في » عليه • »[2]

ويمكن تطبيق ما تقدم على شروح التلخيص فنرفض منها ما رفضناه من بلاغة القزويني ونقبل ما أخذناه من التلخيص والايضاح ، وبذلك نبني بلاغتنا على أسس قديمة أبدع القدماء في ارسائها ، وعلى اسس حديثة تتطلبها حياتنا الجديدة ، ولن تكون البلاغة العربية صالحة في النقد الا اذا استفدنا من كتب البلاغة القديمة كلها ومن الدراسات الحديثة ، ومن أهمها الدراسات النفسية التي اهتم بها المحدثون اهتماما بالغا واستخدموها في النقد

---

(١) الايضاح ص ١٨٢ •

(٢) الايضاح ص ١٨٢ ـ ١٨٣ •

ودراسة الفنون الادبية • وكان العرب منذ أول عهدهم بالتأليف قد لمحوا الصلة بين النفس والادب وفي كتبنا نماذج تدل على هذه اللمحة كما في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الذي ذكر ان للشعر دواعي تحث البطيء وتبعث من المتكلف ، منها الشراب والطرب والطمع والغضب والشوق ووصف الاماكن والاوقات التي يسرع فيها أتيّ الشعر • وفي كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني اشارات كثيرة من هذا ، ومما فطن له الجرجاني رجوع القاريء الى نفسه عند انشاء الشعر الرقيق وتفقد ما يتداخلها من الارتياح ويستخفها من الطرب ويتصور تلقاء ناظرها من سابق ذكرياتها اذا سمعت هذا الشعر[1] • واهتم عبدالقاهر بهذه الناحية حينما بحث صور الخيال من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية ولكن اهتمامه بالتقسيم والجدل المنطقي غطى عليها وطمس كثيرا من ملامحها •

ويمكن ان نتلمس الاثر النفسي في بلاغة القزويني فهو عندما يتكلم على بلاغة الكلام يقول : « واما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته »[2] ، ومقتضى الحال مختلف ، فخطاب الذكي يباين خطاب الغبي • ونلمح هذا الاثر في تعريفه لبلاغة المتكلم حيث يقول : « واما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ »[3] ، وهذا تعريف نفسي محض • ونلمح الاثر النفسي في حديثه عن اضرب الخبر ، فان كان المخاطب خالي الذهن في الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم ، وان كان متصور الطرفين مترددا في اسناد أحدهما الى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكد ، وان كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الانكار • وقد سموا النوع الاول من الخبر ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث انكاريا •

وتحدث عن الامزجة الانسانية في الفضائل البشرية المختلفة واثرها

---

(١) ينظر من الوجهة النفسية ص ١٩ وما بعدها •
(٢) الايضاح ص ٩ •
(٣) الايضاح ص ١١ •

في صوغ العبارات وفرق بين المولدين والعرب ، ورأى ان بناء الكلام للمزاج الاعرابي يخالف بناءه للمزاج الدخيل المستعرب ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في قصة بشار المشهورة ، فقد روي عن الاصمعي انه قال : كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الاحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان ، فأتياه يوما فقالا : ما هذه القصيدة التي احدثتها في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما . قالا : بلغنا انك اكثرت فيها من الغريب . قال : نعم ، ان ابن قتيبة يتباصر بالغريب فاحببت ان اورد عليه ما لا يعرف . قالا : فانشدناه يا أبا معاذ ، فانشدهما :

بكرا صاحبي قبل الهجيرِ ان ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « ان ذاك النجاح » « بكرا فالنجاح » كان أحسن فقال بشار : انما بنيتها أعرابية وحشية فقلت : « ان ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت : « بكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبل بين عينيه . وختم القزويني هذه القصة بقوله : « فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو وهم من فحولة هذا الفن الا للطف المعنى في ذلك وخفائه »[1] .

واعترف القزويني بان للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، يقول وهو يتكلم على أسباب جمال التشبيه والتمثيل : « ومن الدليل على ان للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره انك اذا كنت انت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر وانت تريد ان تقرر له انه لا يحصل من سعيه على طائل فادخلت يدك في الماء ثم قلت له : انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكيف انت في أمرك ؟ كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على العقل

---

(١) الايضاح ص ٢٠ ، وينظر الاغاني ج ٣ ص ١٩٠ ، ودلائل الاعجاز ص ٢١٠ ومفتاح العلوم ص ٨٢ ، والبلاغة وعلم النفس ص ١٣٩ .

المجرد »[1] • لقد أحس القزويني ان النفس تتأثر وتحركها الهواجس أو الحواس ولـكنه لم يوضح هذا التأثير في النفس وتمكينه في القلب لانشغاله بالبحث في التقسيم والتحديد والقضايا الفلسفية والمنطقية • وسار على هذه السبيل شراح تلخيصه فملأوا كتبهم بالتصديقات والمقولات والدلالات العقلية والوضعية ، وكان الاولى بهم ان ينصرفوا عنها الى درس علاقة النفس بالانتاج الادبي وتقديره ونقده •

ولما أطل فجر النهضة الحديثة اتجه النقاد الى الاستفادة من علم النفس في النقد والدراسات البلاغية • وقد بدأ النقد الحديث المعتمد على التحليل النفسي في الادب حين نشر فرويد كتابه « تفسير الاحلام » سنة ١٩٠٠م وكتب ثلاث دراسات طويلة هي : ليوناردو دافنشي وهي دراسة نفسية جنسية لذكريات طفولية ، ومقالة عن دوستويفسكي وجريمة قتل الاب ودراسة لقصة ألمانية مغمورة عنوانها غراديفا ومؤلفها فلهلم ينسن ، وبهذه الدراسات الثلاث أقام فرويد منهجين من التحليل :

الاول : الباثوغرافيا أو دراسة المريض عصبيا أو الشخص المريض نفسيا مع اتخاذ آثاره الفنية دليلا هاديا في هذه الدراسة •

والثاني : نقد أدبي متصل حقا بالتحليل النفسي أو دراسة الاثر الادبي مع استعمال الآليات التي تستعمل في التحليل النفسي مفاتيح لهذه الدراسة[2] •

وسرت هذه النفحة الى العالم العربي فكتب الاستاذ الخولي بحثا طريفا عن « البلاغة وعلم النفس » ورأى ان تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية هي أمس به والزم له مما اقتبس من بحوث أصولية أو منطقية أو فلسفية طبيعية مما اقحم فيه وحفلت به كتبه ، ويرى ان تدرس في هذه المقدمة القوى الانسانية بعامة وما له منها أثر فني بخاصة فنعرف غير قليل

(١) الايضاح ص ٢١٧ •

(٢) ينظر النقد الادبي ومدارسه الحديثة ج ١ ص ٢٦١ ، والمذاهب النقدية ص ١٤١ •

من الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الاخرى من ناحية عمله الفني ، ونعرف مثل ذلك عن الخيال والذاكرة والاحساس وعن الذوق ، كما يجب ان تعرف الكثير عن امهات الخوالج الانسانية من حب وبغض وحزن وفرح وغيرة وانتقام وما الى ذلك مما هو مادة المعاني الادبية الكبرى في الآداب الانسانية كلها ، وعلى الخبرة بحركات النفس فيه واتجاهاتها يقوم النقد الفني ذو الاساس ، بل ان البصر بذلك هو مادة النبوغ الفذ وسبيل خلود الآثار الادبية للمنشئين والناقدين[1] .

وكان هذا مدعاة الى صدور كتب في هذا الاتجاه منها كتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده » للاستاذ محمد خلف‌الله أحمد وقد أوضح فيه انتفاع الناقد الحديث بنتائج الدراسات النفسية بعد ان انتفع القدماء منها ، ومنها « الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور الذي كان ميدانا رحبا لتطبيق وجهة نظره في تحليل النصوص مستعينا بالدراسات النفسية والذوق الادبي السليم .

واستفاد النقاد الآخرون من علم النفس في فهم كثير من القضايا الادبية كالدكتور طه حسين في كتابه « مع المتنبي » والدكتور شوقي ضيف في دراسته لعمر بن أبي ربيعة[2] ، والعقاد في دراسته لابي نواس ، وكتب الدكتور مصطفى سويف كتابا في الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة ، وهي دراسة موفقة الى حد كبير .

ولا تزال هذه الخطوة في أولها مع اهتمام النقاد بالدراسات النفسية حديثا وحثهم على الالمام بعلم النفس والتحليل النفسي ليمدا الناقد بتفسير لماهية الشاعر أو الاديب ويساعدانه على تذوق عملهما الادبي . والذي نخشاه ان يستبد علم النفس بالبلاغة والنقد فيحيلهما الى ميدان رحب لتطبيق افكاره وآرائه وادخال مصطلحاته وبذلك يضيع النقد وتذهب البلاغة كما ذهبت يوم غزتها بحوث المنطق والفلسفة وعلم الكلام فاخرجتها عن هدفها

---

(١) ينظر البلاغة وعلم النفس ص ١٤٧ ، ومناهج تجديد ص ١٩٣ .

(٢) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموي ص ١٨٦ وما بعدها .

الذي درست لاجله • وانا حين ندعو الى الاستعانة بعلم النفس في الدراسات النقدية انما نريد ان يكون تناولنا له مساً رقيقاً ، نأخذ منه ما يعيننا على تحليل النصوص الادبية وتذوقها لا أن نأخذ منه مصطلحاته وافكاره التي يتيه فيها علماء النفس انفسهم فضلا عن الناقد الاديب •

ونضيف الى هذا كله الذوق الادبي السليم ، وبغيره لا يمكن دراسة الادب ونقده ، وقد أولى القدماء الذوق اهتماما وارجعوا اليه تلك الروعة التي يحسونها في الآثار الادبية • وكان النقد العربي في أول نشأته يعتمد على الذوق ، يسمع الرجل بيتاً أو قصيدة فيهتز طرباً وتأخذه نشوة عظيمة واذا ما سئل عن سر اعجابه لم يستطع ان يجد له تعليلا وانما هي النفس يستخفها الطرب فتنفعل وتظهر اعجابها وسرورها • وبقي النقاد يؤكدون عليه حتى في عهد سيطرة القواعد البلاغية والاهتمام بالتحديد والتقسيم • وقد عقد عبدالقاهر فصلا في الذوق ختم به كتابه « **دلائل الاعجاز** » وذهب الى ان العمدة في ادراك البلاغة الذوق والاحساس الروحاني مع ذكاء لماح يدرك الفروق الدقيقة بين العبارات والمعاني ، وهذا يتفق مع أحدث اتجاهات النقد الادبي فقد سأل أحدهم الشاعر « ت• س• اليوت » عن المنهج النقدي الذي يسير عليه الناقد فأجاب : بان المنهج الوحيد هو أن تكون ذكيا جدا[١] • وذهب السكاكي الى أبعد من هذا فرأى ان شأن اعجاز القرآن عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، يقول : « ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس الا ، وطريق اكتساب الذوق خدمة هذين العلمين »[٢] أي المعاني والبيان • وتابع القزويني عبدالقاهر والسكاكي في انه لابد من الطبع والذوق في البلاغة والنقد وردد ما قاله السكاكي من انه ليس من الواجب في صناعة ان يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها فلا على الدخيل في صناعة البلاغة ان يقلد صاحبه في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل

---

(١) ينظر النقد الادبي من خلال تجاربي ص ١٥٣ •
(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ •

موجبات ذلك الذوق ، ولخص كلام عبدالقاهر في ان دارس البلاغة لا يمكن ان يفهمها ويستفيد منها حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يومىء اليه من الحسن أصلا فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الاريحية تارة ويعرى منها اخرى ، واذا عجبته تعجب واذا نبهته لموضع المزية انتبه ، فاما من كانت الحالات عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة والا اعرابا ظاهرا فليكن عندك بمنزلة من عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ويميز به مزاحفه من سالمه[1] . وبذلك لا يغفل القزويني أثر الذوق الذي عليه العمدة في بلاغتنا الجديدة التي ينبغي ان نتخذ في دراستها المنهج الادبي الذي ليس فيه اضطراب القدماء وفلسفتهم وبعدهم عن روح البلاغة ومقاييس النقد الصحيح ، وان تكون أحكامها فنية خالصة ؛ لانها كما يقول الاستاذ الخولي « فن من الفنون ، وانها شقيقة الموسيقى ، وقسم من الفنون الصوتية فالحكم الذي يصدر في مثل هذه الدراسة هو الحكم الفني الذي يثبت الحسن والجمال ، أو يثبت القبح والدمامة »[2] .

(١) ينظر الايضاح ص ١٥ ــ ١٦ .
(٢) فن القول ص ٨١ .

مصادر البحث ومراجعه[1]

١ ـ المدخل الى النقد الحديث ـ الدكتور محمد غنيمي هلال · القاهرة ١٩٥٨ ·

٢ ـ تأريخ الاصلاح في الازهر وصفحات من الجهاد في الاصلاح ـ عبدالمتعال الصعيدي · الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٣م ·

٣ ـ نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ـ عزالدين الامين · القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ·

٤ ـ مستقبل الثقافة في مصر ـ الدكتور طه حسين · دار المعارف بالقاهرة ١٩٤٤ ·

٥ ـ التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤ و١٩١٥ ـ أمين سامي · مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩١٧م ·

٦ ـ تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ـ أحمد مصطفى المراغي · الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ·

٧ ـ البلاغة الواضحة ـ علي الجارم ومصطفى أمين · الطبعة العاشرة بالقاهرة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ·

٨ ـ فن القول ـ أمين الخولي · القاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م ·

٩ ـ البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ـ أمين الخولي · بحث نشر في صحيفة الجامعة المصرية العدد الخامس مايو ١٩٣١م ·

١٠ـ مادة بلاغة ـ أمين الخولي (دائرة المعارف الاسلامية ـ الطبعة العربية) ·

١١ـ البلاغة وعلم النفس ـ أمين الخولي · بحث نشر في مجلة كلية الآداب

---

(١) رتبت حسب ورودها في البحث ·

بجامعة القاهرة . المجلد الرابع ج ٢ سنة ١٩٣٦م .

١٢ـ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب ـ أمين الخولي . القاهرة ١٩٦١م .

١٣ـ الاسلوب ـ أحمد الشايب . الطبعة الثالثة بالقاهرة ١٩٥٢م .

١٤ـ مقدمة لدرس لغة العرب ـ عبدالله العلايلي . المطبعة العصرية بالقاهرة .

١٥ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . مجلد ١٩ ، ٣٠ .

١٦ـ النقد الادبي ومدارسه الحديثة ـ ستانلي هايمان . ترجمة الدكتورين احسان عباس ومحمد يوسف نجم . بيروت ١٩٥٨ .

١٧ـ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ـ بهاءالدين السبكي . طبع مع شروح التلخيص في القاهرة سنة ١٩٣٧م .

١٨ـ الايضاح في علم المعاني والبيان ـ جلال‌الدين القزويني . مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة . تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد .

١٩ـ منطق أرسطو ـ تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي . دار الكتب بالقاهرة ١٩٤٨ .

٢٠ـ فن الشعر ـ أرسطو . ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي . القاهرة ١٩٥٣م .

٢١ـ الشرح المختصر ـ سعدالدين التفتازاني . مطبوع مع شروح التلخيص في القاهرة ١٩٣٧م .

٢٢ـ حاشية الدسوقي على شرح السعد ـ مطبوع مع شروح التلخيص في القاهرة ١٩٣٧م .

٢٣ـ دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني . الطبعة الخامسة بالقاهرة ١٣٧٢هـ .

٢٤ـ الشرح المطول ـ سعدالدين التفتازاني . تركيا ١٣٣٠هـ .

٢٥ـ الشرح الاطول ـ ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني . تركيا ١٢٨٤هـ .

٢٦ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ـ ابن يعقوب المغربي . مطبوع مع شروح التلخيص في القاهرة سنة ١٩٣٧م .

٢٧ـ أسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني . القاهرة ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨م .

٢٨ـ ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ـ الدكتور حفني محمد

شرف . القاهرة ١٩٦٢م .

٢٩ـ مفتاح العلوم ـ السكاكي . القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧ .

٣٠ـ البيان العربي ـ الدكتور بدوي طبانه . الطبعة الثانية بالقاهرة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م ، والطبعة الثالثة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م .

٣١ـ شروح التلخيص . القاهرة ١٩٣٧م .

٣٢ـ فن التشبيه ـ علي الجندي . القاهرة ١٩٥٢م .

٣٣ـ تلخيص المفتاح ـ جلال الدين القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م .

٣٤ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ضياءالدين بن الاثير . تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد . بغداد ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

٣٥ـ كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكري . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

٣٦ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياءالدين بن الاثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م .

٣٧ـ بديع القرآن ـ ابن أبي الاصبع المصري . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م .

٣٨ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي ـ تحقيق عبدالمتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م .

٣٩ـ خزانة الادب وغاية الارب ـ تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٠٤هـ .

٤٠ـ كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ـ ابن قيم الجوزية . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٧هـ .

٤١ـ الخصائص ـ ابن جني . تحقيق محمدعلي النجار . دار الكتب بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

٤٢ـ البلاغة الغنية ـ علي الجندي ـ القاهرة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

٤٣ـ البحر المحيط ـ أبو حيان الاندلسي الغرناطي . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٨هـ .

٤٤ـ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ـ مصطفى عبداللطيف

السحرتي • القاهرة ١٩٤٨م •

٤٥ـ النقد الادبي من خلال تجاربي ـ مصطفى عبداللطيف السحرتي • القاهرة ١٩٦٢م •

٤٦ـ من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ـ الدكتور محمد خلف‌الله • القاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م •

٤٧ـ الاغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني ـ طبعة دار الكتب بالقاهرة •

٤٨ـ المذاهب النقدية ـ الدكتور ماهر حسن فهمي ـ القاهرة ١٩٦٢م •

٤٩ـ التطور والتجديد في الشعر الاموي ـ الدكتور شوقي ضيف • القاهرة ١٩٥٢م •



فيوردات النرويج وأثرها على حياة السكان

الدكتور أحمد نجم الدين
مدرس في كلية الآداب

عندما نسمع باسم بلاد النرويج ، نذكر الفيوردات وعندما نسمع باسم الفيوردات نذكر النرويج • فالفيوردات ظاهرة طبيعية فريدة من نوعها ، فهي نوع من الخلجان تمتاز بالضيق حيث لا يزيد عرض بعضها على الثلاث أو اربع كيلومترات وربما أقل من ذلك ، كما تمتد في اليابس لمسافات طويلة قد تبلغ أكثر من مئة كيلومتر فمثلا : فيورد سوكن يبلغ طوله ما عدا فروعه ، ١٨٠ كم وعرضه لا يتجاوز في المعدل ٤ كيلومترات • وتمتاز الفيوردات أيضا بعمق مياهها وخاصة في المناطق الوسطى ، حيث تبلغ في فيورد سوكن أكثر من ١٢٠٠ مترا ، كما تطل الجبال على حافات الفيورد من ارتفاع يزيد في بعض الاحيان على الالف متر • ولبعضها حافات راسية أو شديدة الانحدار •

وبالرغم من وجود هذه الظاهرة في مناطق أخرى من العالم ، مثل غرب اسكتلنده وسواحل ايسلند وكرينلند والساحل الغربي لامريكا الشمالية في كولومبيا البريطانية والاسكا والساحل الجنوبي الغربي لامريكا الجنوبية (في المناطق التي تعرضت للغطاءات الجليدية) ، بالرغم من وجودها وانتشارها في هذه المناطق ، فان فيوردات النرويج لها ميزاتها الخاصة • فهي أولا تنتشر على ساحل يبلغ طوله أكثر من ١٥٠٠ كيلومترا (وهو طول سواحل النرويج) • وهي تكاد تكون متلاصقة أو متقاربة • فهذه الفيوردات مع أذرعها العديدة تكون سواحل النرويج الحقيقية التي يبلغ طولها مع سواحل الجزر المقابلة لها ، طول سواحل افريقيا كلها • هذا وان مياه جميع هذه الفيوردات ، حتى التي تقع داخل المنطقة القطبية الشمالية ، هي دافئة ولا تتجمد مطلقا ، بسبب تيار الخليج الدافيء • وكما تمتاز بمياهها الهادئة طوال

السنة وذلك بسبب الحواجز العظيمة من الجزر الواقعة والمنتشرة بكثرة امام فتحات هذه الفيوردات فالملاحـة مأمونة حتى للزوارق الصغيرة التي يستعملها الفلاحون والصيادون في الصيد والتنقل • ولهذه الفيوردات أهمية تاريخية ، فهي موطن جماعة الفايكنك ، (Viking) وهم البحارة الماهرين والمحاربين الابطال الذين وقفوا بوجه عواصف المحيط الاطلسي بسفنهم الشراعية الصغيرة باحثين عن أراض جديدة لغرض التجارة والمبادلة ، وهم الذين وصلوا الى امريكا قبل كريستوف كولومبس بمئات السنين ، أي في سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد •

اما بالنسبة لـكيفية تكوين هذه الفيوردات والزمن الذي تكونت فيه : فالمعروف ان الاقسام الغربية للنرويج تتكون من سلاسل جبلية عالية تنحدر انحدارا شديدا جهة الغرب وتدريجيا جهة الشرق ، وهذه الجبال تكونت في نهاية العصر السيلوري وبداية العصر الديفوني وهما العصر الثالث والرابع من الزمن الباليوزي أو الزمن الاول والذي يسمى أيضا زمن الحياة القديمة والذي انتهى منذ ٢٥٠ مليون سنة ، ففي تلك الفترة حصل ضغط شديد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وباتجاه الـكتلة البلطية الصلبة فحصل هـذا الالتواء العظيم مكونا جبال اسكندنافيا • وحركة الالتواء هـذه تدعى بالحركة الـكالدونية نسبة الى منطقة كالدونيا في شمال غرب اسكتلنده ، والتي تحوى على مرتفعات تكونت في تلك الفترة ولنفس الاسباب • وكانت الاخيرة متصلة بالاولى وانفصلتا عندما حصل هبوط في الارض مكونا بحر الشمال في العصر البليوستوسين وهو العصر الاول من الزمن الرابع الذي يعرف بزمن الحياة الحديثة والذي بدأ قبل ٥٠ الف سنة •

وبعد ان تم تكوين تلك الجبال أخذت عوامل التعرية بأنواعها الميكانيكية والـكيمائية ، تعمل عملها في تغيير معالمها • فتكونت الوديان التي تنحدر انحدارا شديدا باتجاه المحيط الاطلسي وأخذت الانهار السريعة الجريان تنحت هذه الوديان نحتا راسيا نتيجة لسرعة المياه وجرفها للصخور الـكبيرة الناحته • والذي ساعد على سهولة النحت ، الصخور اللينية المتكونة منها هذه

الجبال الالتوائية فهي اما جيرية أو رملية أو طينية • وبعد هذه المرحلة وهي مرحلة تكوين الوديان ، جاءت الفترات الجليدية الاربع والتي بدأت منذ مليون سنة ، خلال عصر البليوستوسين وهو العصر الاول من الزمن الرابع ، وكان لهذه الفترات الجليدية وخاصة اطولها وهي الاخيرة اثر كبير على مستوى الارض اليابسة وذلك استجابة لقاعدة التوازن المعروفة فكلما زاد ثقل التكوينات الجليدية هبط مستوى الارض ، وعند ذوبان الجليد يعود المستوى ويرتفع (بالنسبة لسطح البحر) ونتيجة لهذا الارتفاع والهبوط ولعوامل طبيعية أخرى ، حصلت الانكسارات في جبال اسكندنافيا وأكثرها حصلت في مناطق تلك الوديان ، ومعظم هذه الانكسارات تكونت باتجاه عمودي لساحل المحيط الاطلسي • وبعد ذلك استمرت مياه الانهار واعقبتها الانهار الجليدية للفترة الاخيرة وهي فترة (فرم) بتعميق تلك الوديان وخاصة القسم الاوسط منها ، وبعد انحسار الجليد للفترة الاخيرة والذي بدأ منذ ٩ آلاف سنة أخذت هذه الوديان شكلها النهائي وهي على شكل حرف **U** واعقب كل هذا هبوط الارض المجاورة لنهاية الاودية فدخلت مياه البحر وغمرت الاودية فتكون ما يعرف في الوقت الحاضر بالفيوردات •

ويمكن تقسيم فيوردات النرويج بالنسبة الى شكلها وشكل المناطق المجاورة لها الى عدة أنواع ، فمنها المستقيم ذو الحافات الرأسية والتي تشرف عليه من علو شاهق ومنها المتعرج ذو الاذرع الكثيرة وله حافات رأسية أيضا ، وبالنسبة لشكل السطوح المجاورة للفيوردات فهناك بعض الفيوردات تشرف عليها مناطق مرتفعة تعتبر حافة لهضبة عالية ومنها تجاورها مناطق سهلة أو متموجة قليلة الارتفاع ، اما من جانب واحد أو من جميع الجوانب • ولهذه الاشكال أهميتها في توزيع السكان وتحديد الحرف التي يقومون بها وبالتالي تؤثر على اقتصاديات البلد بصورة كبيرة •

اما عن العوامل التي جعلت هذه الفيوردات تتنوع في أشكالها ومميزاتها فهي شكل الانكسارات التي حدثت ومقدار تقاربها وتباعدها وكذلك نوع الصخور التي حدثت فيها هذه الانكسارات وبالتالي اتجاه هذه الكسور

بالنسبة للزحف الجليدي • فالمعروف عن الجليد بانه يحتك بشدة في الجوانب والحافات المواجهة للناحية التي يأتي منها فتشتد التعرية فتساعد على ازالة أجزاء كثيرة منها ، والعكس بالنسبة للجهات الاخرى المقابلة للاولى فعامل التعرية ليس شديدا فتبقى عظيمة الانحدار • وهذا واضح جدا بالنسبة لفيورد تروندهايم فالحافات الشمالية له والتي واجهت الجليد قليلة الانحدار وتحوى على مناطق سهلة واسعة بعكس الحافات الجنوبية فهي شديدة الانحدار وسهولها ضيقة وحيث تقع مدينة تروندهايم ومدينة ليفانكر ، وكذلك نفس الحالة في فيورد سالتن وفيورد فولد وفيورد ليس • اما الفيوردات التي تكون فيها كلتا الحافتين موازيتين لاتجاه زحف الجليد ، فنجد ان المناطق التي تحيط بالحافتين متشابهة في الارتفاع • والخطوط الكنتورية لمنطقة السهول الساحلية ذات شكل واحد • ومن أمثلة ذلك فيورد بورسانكر وفيورد لاكس وفيورد تانا وكلها في أقصى الشمال • وهناك حقيقة أخرى وهي في حالة تكون انكسار رئيسي وتكون انكسارات أخرى بجانبه وموازية له فنجد ان الكتل التي تفصل هذه الانكسارات تتعرض للتعرية فتتهدم وتنكشف الارض حول الانكسار الرئيسي وتكون حافة قليلة الانحدار • أو تبقى اودية عميقة معلقة على حافات الانكسار الرئيسي •

وأحيانا نجد ان انكسارا شديدا يحدث في منطقة واسعة ذات صخور صلبة نوعا ما فلا تؤثر التعرية الجليدية بحافاته فهي ربما تزيل النتوءات البارزة في اعلى الحافة فقط ، فيبقى الانكسار ذو حافات شديدة الانحدار في كلا الجانبين ولا وجود للسهول الساحلية ومن أمثلة ذلك فيورد سوكن الشهير • ونلاحظ على هذه الفيوردات ان حافاتها تتكون من صخور ملساء مصقولة أو مخدشة والسبب في ذلك يرجع الى عامل التعرية الجليدية ، فالجليد عندما يزحف في واديه يعمل على نحت الصخور الناتئة في بطن الوادي وجوانبه ويعمل على صقلها أو خدشها فتظهر الخدوش متوازية لبعضها ، والعامل المهم الذي يساعد على النحت والصقل والتخديش ليس الجليد بحد ذاته بل ما يتعلق به من كتل صخرية وجلاميد يدفعها معه كأسنان قوية للنحت •



منطقة من سواحل النرويج الغربية • ويظهر (فيورد سوكن) فيها

وهناك عامل اخر يجعل جهة واحدة فقط من الفيورد او الانكسار القديم حافاتها غير حادة هذا العامل هو التعرية الجليدية الجانبية وتحدث في حالة التواء وتعرج الوادي بذلك تكون مناطق مواجهة للزحف واخرى معاكسة له •

تعتبر مناطق الفيوردات في النرويج منطقة مهمة جدا فلو استثنينا من مجموع مساحة النرويج المنطقة الجنوبية الشرقية والتي تتكون من هضبة معتدلة الارتفـاع ومقطعة بعـدة وديـان خصبة منهـا هيلنكدال ونومدال وكوديرندال والتي تعتبر اى هذه المنطقة مخزنا لحبوب النرويج واشـد ازدحاما بالسكان من غيرها ، اذا استثنينا هذه وكذلك المنطقة الجبلية الفقيرة التي تكون $\frac{3}{4}$ مساحة النرويج والتي تحوى على عدة سلاسل جبلية وعرة وهضاب مرتفعة كونتها الثلاجات بعامل النحت في العصر الجليدى والتي تحوى على كثير من البحيرات الثلجية وكذلك قم الجبال المستديرة الملساء القليلة الارتفاع • اذا استثنينا هذه المنطقة ايضا تبقى لدينا المنطقة الساحلية

وهى مناطق الفيوردات والجزر المقابلة لها •

وعلى الرغم من ضئالة مساحة السهول الساحلية التي تحيط بهـذه الفيوردات وقلة عدد سكانها ، فان لهذه المنطقة اهميتها في تاريخ النرويج وتطور اقتصادياته • ان سكان هذه المنطقة ينتمون الى عنصرين او سلالتين ، الشماليون واكثرهم من العنصر النوردى اما سكان الوسط والجنوب وخاصة منطقة بركن فهم من سلالة قصيرة القـامة نسبيا والشعر الاسود والبشرة الداكنة فهم ينتمون على الاكثر الى السلالة الكلتية وهي سلالة فرعية من سلالات البحر المتوسط ، وربما هم من اثار الفنيقيين الذين هجروا ساحل فنيقيا في لبنان الى جنوب غرب انكلترة قبل ٤ آلاف سنة بحثا عن القصدير ولكنهم طوردوا بعد ذلك فنـزح قسم منهـم الى المرتفعـات ، كمرتفعات اسكتلندة وويلز وكورنول والى المناطق المنعزلة والتي فيها الفيوردات • وقد اشتهر سكان هذه المنطقة بحب المخاطرة والشجاعة والتوغل بعيدا في البحار• ومن هؤلاء جماعة الفايكنك (Viking) فمنهـم صانعـوا السفن والبحارة المهرة والمحاربين الابطـال وبيئة الفيوردات هـذه هى التي ميزتهـم بتلك الصفات وجعلتهم ينظرون الى البحر والبحر فقط ، فالحواجز الجبليـة المنيعة في الشرق منعتهم من الاختلاط الكلى بسكان النرويج الاخرين ولو ان لغة الاثنين قد توحدت على مر الاجيال ولكن الطباع والعادات لا تزال مختلفة فالرجل في بيركن مثلا لا يزال سريع الانفعال بينما في المناطـق الاخرى فهو هادىء الطبع بطيء التفكير • ويرجع لسكان الفيوردات الفضل الاول في ارتياد الاصقاع الغير معروفة في ذا كالوقت ، وقاموا بذلك طلبـا للتجارة والمبادلة • وهم الذين وصلوا الى امريكا قبل كريستوف كولومبس بمئات السنين وذلك في سنة ١٠٠٠ ميلادية •

وتمتاز مياه الفيوردات بانها هادئة لا اثر للامواج العالية فيها بسبب بعدها عن مياه المحيط ووجود الحواجز المنيعة من الجزر المنتشرة امام مداخلها فلا وجود لاثار الاعاصير المحيطية ، هذا العامل جعل من سكان المنطقة يشتغلون بصناعة السفن والزوارق ويعتمدون عليها في التنقل فهى

الوسيلة الوحيدة للاتصال وخاصة في الفيوردات ذات الحافات الراسية والسهول الساحلية الضيقة او المنعدمة •

وان ضيق المساحة الصالحة للزراعة والسكن جعل سكان المنطقة يعيشون منعزلين وحتى القرى فهي قليلة ومنهم من ينحت داره في صخور الحافة الراسية فيترك زورقه في الاسفل ويتسلق حتى يصل مسكنه ويستعمل احيانا السلم الخشبي ، فهو بذلك بعيد عن الانظار آمن مطمئن ، حتى جامع الضرائب لا يصله • فهذه المساكن والقرى لا ترى من السفينة • وحتى في الاماكن التى تتسع فيها السهول الساحلية ويمكن قيام الزراعة فالفلاحون يعيشون منعزلين أيضا وذلك لصغر المساحة المزروعة فهو بجوار حقله الصغير وماشيته وزورقه ، والكل هنا من فلاحين وغيرهم يتركون منازلهم ويذهبون للصيد وخاصة في المواسم المعينة فى شهرى شباط ومارت حيث يذهبون على الاكثر الى جزر لوفوتن الصخرية ويبنون اكواخهم فوق الصخور المنحدرة على الساحل • وزوارق الصيد التي يستعملونها من النوع الصغير والتى تتسع من ٦ الى ٨ افراد فقط ، فهم يستعملون ايديهم وسواعدهم ولا يرضون باستعمال او العمل في السفن الكبيرة التى يملكها الاغنياء فهم يقولون « خير لك ان تكون فقيرا وانت سيد نفسك من ان تعيش على ما يدفعه لك الغير » • وهذا من اثر البيئة الجغرافية المحيطة بهم • ولهؤلاء طاقة لا تنفذ من النشاط المستمر فباضافة الى كونهم صيادين وبحارة مهرة وفي نفس الوقت فلاحين يربون المواشي فهم يعملون فى قطع الاخشاب وخاصة في فصل الشتاء القارص حيث يبنون اكواخا من الخشب وسط الغابة ويمكثون هناك عدة اشهر • ومنهم من يذهب الى ابعد من ذلك ففي الفيوردات الشمالية يحل الظلام في أواخر الخريف ويستمر حتى اوائل الربيع ففى هذه الفترة يهجرون موطنهم ويذهبون للعمل في البواخر كبحارة ممتازين يجوبون انحاء العالم ثم عند طلوع الشمس يعودون الى مواطنهم للعمل ثانية بالصيد والزراعة البسيطة وتبادل السلع وخاصة مع أفراد قبائل اللاب وكذلك خدمة السواح الذين يفدون في فصل الصيف • فهم جديون الى حد لا

يطاق ، فقلما تشاهد بمرورك بالمدن والقرى ملاهى او محلات عامة وان وجدت وخاصة في العاصمة اوسلو فهى للاجانب والسواح فقط •

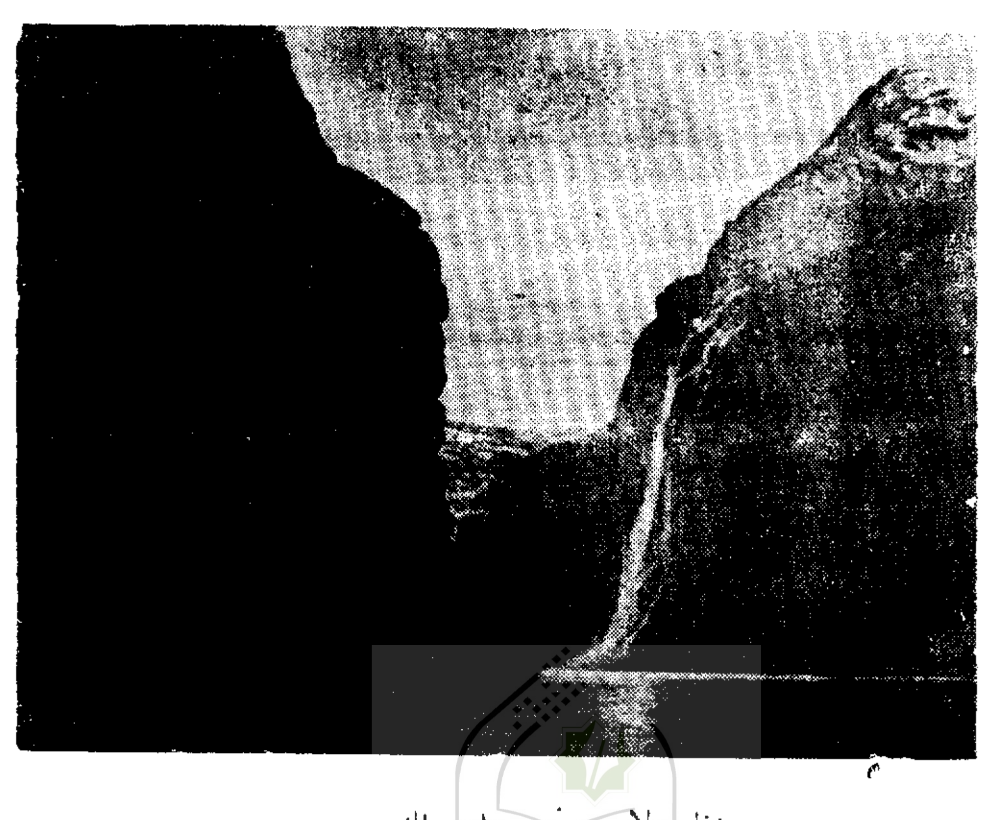
وبالرغم من عزلتهم فهم يحتاجون لمعاونة بعضهم البعض ، فاذا اراد احدهم ان يبنى بيتا جديدا هب جيرانه لمساعدته ، واذا ارادت قرية فقيرة بناء مصنع للخشب او غيره هب سكان القرى المجاورة لمساعدتهم فسكان الفيورد الواحد يعتبرون افراد عائلة واحدة ، وفي احد العصور كان لكل فيورد حكومته ورئيسه • وتراهم ايضا يقيمون الحفلات الترفيهية في البيوت للرقص والغناء • فالحياة ، وخاصة في الشتاء مملة جدا ، ولهذا نجدهم يكثرون من مطالعة الكتب فكل قرية فيها مكتبة • وفي المدن الكبيرة تجد في زاوية كل شارع مكتبة لبيع الكتب • ونجد ان سكان الشمال اى شمال الدائرة القطبية يصابون في الشتاء بمرض الظلام وهو مرض عصبى ، وعندما تشرق الشمس في الربيع فعندهم ذلك اليوم عيد سعيد ، يخرجون من بيوتهم ويزور بعضهم البعض لشرب قهوة النور • وفى هذه المنطقة يبنون بيوتهم من الاخشاب ، فهى مادة رخيصة والعمل سريع وتجدهم يهتمون بتنظيم وتزيين البيوت من الداخل مستعملين النقوش الخشبية والالوان الزاهية ، اما الجدران الخارجية فمعظمها يطلى باللون الاحمر الداكن والسبب ان هذا اللون يصنع من مركبات الحديد والنحاس الرخيصة وفي نفس الوقت مقاومته لعوامل المناخ كبيرة ، وكثيرا ما تقع الحرائق الهائلة فى القرى والمدن لان جميع المبانى حتى ذات الطوابق مصنوعة من الخشب ولذلك اخترعوا طريقة حديثة لتجنب اخطار الحرائق وهى تغليف الجدران من الخارج بالواح الاسبتس الغير قابلة للاشتعال •

بالاضافة الى البيوت المنعزلة والقرى الصغيرة المبعثرة على سواحل الفيوردات فهناك مراكز كبيرة للتجارة وتجميع البضائع على اختلاف انواعها ، وفيها المصانع الكبيرة للاخشاب والورق وصهر المعادن وتعليب الاسماك والصناعات الخفيفة الاخرى وجميع هذه المصانع تدار بالطاقة الكهربائية المولدة من المساقط المائية • وترى سكان هذه المناطق يعملون بكل قواهم

على زيادة الانتاج ورفع المستوى المعيشي لهم وتحسين المدن والطرق هذا علاوة على المساعدات التي تأتيهم من المناطق الغنية في الجنوب الشرقي • لقد ابتكروا طريقة جديدة لتصدير الاخشاب التي تكون مصدرا هاما لثروة المنطقة ، فاخذوا يصدرونها نصف مصنوعة على هيئة شبابيك وابواب وغيرها بشتى الاحجام والاشكال المطلوبة في البلاد المصدرة اليها ، فهم بذلك يزيدون من عدد العمال المشتغلين كما يزداد ربحهم كثيرا • ومن هذه المراكز التجارية والصناعية والثقافية ، العاصمة اوسلو التي تقع عند نهاية فيورد اوسلو وهي مركز تجاري للمنطقة الجنوبية الشرقية الغنية من البلاد وكذلك مركز تجاري لمناطق الفيوردات الجنوبية ومدنها الساحلية تتصل بهذه المناطق بواسطة الطرق البحرية والسكك الحديد بالاضافة الى طرق السيارات • اما في منطقة الفيوردات الغربية فهناك عدة مراكز اهمها ستافنكر التي تتصل بالعاصمة اوسلو بسكة حديد ثم بيركن الواقعة في نهاية شبه جزيرة تحيطها اذرع الفيوردات وهي ثاني مدينة بعد اوسلو العاصمة وحركة التجارة فيها نشطة جدا وعلى الاخص مع انكلترا • ويبلغ عدد سكانها اكثر من ١٥٠ الف نسمة اى بقدر اوسلو العاصمة • وهذا المركز التجارى يقع في نقطة وسط بين فيوردين عظيمين في الشمال فيورد سوكن وفي الجنوب فيورد ستافنكر ، وتتصل بالعاصمة اوسلو بسكة حديد مباشرة • ثم ياتى تروندهايم وتتصل هذه المدينة بالعاصمة اوسلو بخطين حديدين يعبران المنطقة الجنوبية الوعرة • ولهذه المدينة اهميتها الكبيرة فبالاضافة الى كونها مركزا تجاريا فقد كانت عاصمة البلاد في وقت ما ولا يزال ملوك النرويج يتوجون في كنيستها الحجرية الضخمة ، هذه المراكز جميعها تقع جنوب الدائرةالقطبية ، اما المراكز شمال الدائرة القطبية فاهمها نارفك الواقعة عند نهاية فيورد اوفوتن وهى مركز تجارى مهم تشتهر بمينائها الذى يعتمد على تصدير حديد السويد الخام ، فهناك خط حديدى يربط هذا المركز بمنطقة حديد كيرونا في السويد ، فان نصف كمية حديد السويد المصدر يصدر عن طريق هذا الميناء والسبب في ذلك يرجع الى انجماد مياه موانىء السويد على بحر البلطيق لفترة من السنة • وتحمل السفن من ميناء

نارفك الى الموانيء الاوربية وخاصة الى انكلترا ما كميته ١٢ مليون طن سنويا من هذا الخام ، ويمكن شحن ما كميته ٦ آلاف طن في الساعة • والى الشمال من نارفك هناك عدة مراكز واهمها همرفست في اقصى الشمال وهى ابعد مدينة فى العالم بالنسبة لخط الاستواء ، وهى سوق ومركز لمنطقة واسعة من الساحل الشمالي للنرويج وكذلك للجزر الشمالية وفيها مصنع كبير لتعليب الاسماك •

وجدير بالذكر ان المراكز التجارية الواقعة شمال الدائرة القطبية لا تخدم سكان الفيوردات فقط بل تخدم ايضا سكان الهضاب والصحارى القطبية الا وهم قبائل اللاب • فهؤلاء يأتون صيفا مع غزال الرنة وخيامهم التى تشبه خيام الهنود الحمر في امريكا ، يأتون صيفا الى المراكز التجارية في مناطق الفيوردات الشمالية لتبادل السلع ، فهم يبيعون جلد الغزال ولحمه وكذلك بعض الصناعات اليدوية من انسجة الى ادوات مصنوعة من عظام وقرون غزال الرنة ، ويشترون بدلها المنسوجات والسكر والقهوة والتبغ والتى هى كل ما يحتاجونه طوال فصل الشتاء عندما يعودون الى الهضبة المكسوة بالجليد لتعيش غزلانهم على الطحالب الخضراء التي تنمو على الصخور ولكى تنبش الجليد بقرونها لتخرج بعض النباتات • وهؤلاء القوم من اصل مغولي ولم يغيروا اسلوب حياتهم البدائية بالرغم من مجاورتهم لارقى شعوب العالم في السويد والنرويج ، فهم أسياد انفسهم ولو انهم من الناحية النظرية يتبعون لادارة النرويج والسويد وفنلندة ، فلهم انظمتهم الخاصة ولا يدفعون الضرائب • وقد تركتهم تلك الحكومات يعيشون احرارا في هذه الاصقاع النائية المقفرة ، وقد بدأت النرويج تعتنى باطفالهم ، فهناك مدرسة داخلية في (كاوتودانيو) تظم اطفال اللاب لمدة ١٨ اسبوعا في الشتاء ثم يعودون الى المدرسة الحقيقية وهى المراعى مع الغزلان فيتعلمون كيفية العناية بها وصيدها وذبحها ويقدر عددهم في دول اسكندنافية بـ ٣٠ الف نسمة معظمهم في منطقة (فنمارك) •



منظر لاحد فيوردات النرويج

اما بالنسبة لطرق لمواصلات التى تخدم منطقة الفيوردات فهى فريدة ايضا ، فالاعتماد الأول في نقل الركاب والبضاعة على الطرق البحرية فهناك السفن الكبيرة التى تقوم مقام سيارات وقطارات الحمل وهناك السفن الصغيرة والزوارق تعمل على نقل الركاب من منطقة الى أخرى ، فكما عرفنا بان بعض حافات الفيوردات لا يمكن انشاء طرق برية فيها لانحدار الحافة مباشرة نحو البحر ، من أمثلة ذلك الاقسام الجنوبية من فيوردات سوكن ونورد وهادنكر وغيرها من الفيوردات • فالوسيلة الوحيدة للاتصال بين قرى ومدن هذه الفيوردات وبينها وبين العالم الخارجى ، هو الطريق البحرى • فهناك سفن صغيرة وكبيرة نظامية تقوم بالخدمات طول ايام السنة وحتى في فصل الشتاء المظلم القارص فالمياه لا تتجمد حتى في فيوردات اقصى

الشمال وذلك بسبب مياه تيار الخليج الدافء • كما يمتاز الساحل المواجه للفيوردات بكثرة الجزر فالوسيلة الوحيدة للارتباط بها هي النقل البحرى • ولقد دأب اهل الفيوردات بناء هذه السفن بانفسهم وخاصة في منطقة بركن• وهناك خطوط بحرية مباشرة تربط بين المراكز المهمة مثل اسلو وستافنكر وبركن وتروندهايم ونارفك تربطها مباشرة مع انكلترة وشمال اوربا ،وتنقل مختلف البضائع وخاصة الاسماك الطازجة والمعلبة • اما الاتصال بالداخل فهو صعب ومحدود واذا وجدت طرق صالحة لسير وسائل النقل تستعمل لمدة محدودة من السنة قد لا تزيد على الثلاثة اشهر ، وذلك بسبب تساقط الثلوج المبكر ، ففى اوائل الصيف تبدأ كاسحات الثلوج عملها لتفتح الطريق لوسائل النقل ، لانه اذا ما تركت هذه الثلوج فلا تذوب الا فى منتصف الصيف ، وكثيرا ما تجد بعض الطرق حافاتها الجانبية تبقى الثلوج عليها طول السنة ، وهناك بعض الانفاق يشقونها في الوقت الحاضر داخل الثلوج المتراكمة وذلك لسمكها الهائل الذى قد يبلغ خمسون مترا ، وهناك صعوبة كبيرة في التعرف على اساس الطريق لكى تجرف الثلوج من فوقه ، اذ ان المنطقة الواسعة المحيطة بالطريق تكسوها الثلوج جميعها • فلهذا نجدهم يثبتون الاوتاد الخشبية التي ترتفع احيانا الى ثلاثة او اربعة امتار يثبتونها على جوانب الطريق ، لكى يتعرفوا عليه عند البـــدء بعملية كسح الثلوج المتراكمة على سطحه ومن اشهر وأهم الطرق الموازية للساحل والتى تمر بنهايات الفيوردات والصالحة لسير السيارات ، وهو طريق رقم ٥٠ والذى يبدأ من اوسلو وينتهى عند الحدود الروسية في مدينة (كركنس) ، والذى يبلغ طوله حوالى ١٢٠٠كم ، وهناك فروع محدودة لهذا الطريق وخاصة في القسم الجنوبى ، تتفرع منه الى اهم فيوردات القسم الجنوبى وهى فيورد هاردنجر وفيورد سوكن وفيورد رومسدول وفيورد فورد • وطرق النرويج الداخلية كلها غير معبدة عدا الطرق التى تتفرع من العاصمة اوسلو لمسافات ليست طويلة والسبب في عدم تعبيدهـا بالاسفلت هو الثلـوج الكثيفة التي تغطى الطرق فى الشتاء فتخربها وتزيل معالمها • ومعظم هذه الطرق ضيقة لا تسمح الا لمرور سيارة واحدة وخاصة في المناطق المرتفعة اذ ان تكاليف

بنائها باهضة والنرويج بلد ليس بالغنى جدا لان موارده محدودة بالاضافة الى اهمية هذه الطرق فهى كما قلنا لا تستعمل الا لفترة قصيرة من السنة • والطريق الوحيد الذى اهتمت به الحكومة هو الطريق الذى يربط العاصمة اوسلو بميناء تروندهايم الواقع على خليج تروندهايم ، فهو واسع ولو ان معظمه غير معبد ، وقد وضعوا الحواجز الخشبية على ناحية الطريق لكى تمنع الثلوج التى تحركها الرياح من جهة معينة تمنعها من التراكم على سطح الطريق • ولهذا الطريق اهمية اقتصادية كبيرة ، فهو يصل ما بين سواحل وسط النرويج والعاصمة كما يخدم المنطقة الزراعية الغنية جنوب شرق النرويج •

وقد اخذت الحكومة النرويجية تهتم بالطرق البرية اهتماما كبيرا فتوسعها وتحفر الانفاق لتقصير المسافات وتبنى الجسور المعلقة عبر الفيوردات حيث تستعمل في الوقت الحاضر السفن في نقل السيارات عبر هذه الفيوردات • وسبب هذا الاهتمام بالدرجة الاولى هو لتشجيع السياحة، فكثير من الناس وخاصة من دول اوربا يودون السفر بسياراتهم لمشاهدة الفيوردات الجميلة والتمتع برؤية شمس وسط الليل ، ولكن الطرق الصعبة الخطرة تمنعهم في الوقت الحاضر ، وتعتبر السياحة في العصر الحاضر مصدرا مهما لثروة البلاد ، فاذا ما علمنا بان عدد السواح الذين يدخلون ايطاليا يزيدون على العشرين مليون سائح سنويا لفهمنا السبب في عناية ايطاليا بطرقها عناية فائقة • وبالاضافة الى عامل السياحة فتحسين الطرق يخدم الحركة التجارية الداخلية •

وهناك خطوط حديدية محدودة في النرويج يبلغ طولها (٥٧٩١كم) وقد كلف بناء هذه الخطوط مبالغ طائلة بسبب وعورة الارض وكثرة الانفاق ، ففي بعض المناطق بلغت تكاليف الياردة الواحدة حوالى ٧٠ دينارا•

اهم الخطوط الحديدية التي تبدأ وتنتهى عند الفيوردات هى : خطان يبدأن من اوسلو عند نهاية الفيورد وينتهيان عند فيورد تروندهايم ، الاول خلال وادى كندبراندال (Gundbransdal) والثانى خلال وادى اوستر (Osterdal) ، وهناك خط رئيسي يبدأ من اوسلو وينتهى على الساحل

الغربي عنـد ميناء بركن الشهير • اما الخط الاخير فيبدأ من تروندهايم ويتجه شمالا مارا بنهايات اذرع فيورد تروندهايم ونهـاية فيـورد فيفسن (Vefsn) وفيورد (فنسايد) وبعدها يعبر الدائرة القطبية حتى يصل نهاية فيورد سالت ويستمر موازيا لحافته الشمالية ليصل الى ميناء (بودو) • امـا المنطقة الشمالية فليس لها خطوط حديدية مطلقا ، سوى الخط الحديدى الذي يربط ميناء نارفك على فيورد اوفوت ومنطقة كيرونا في السويد وهو خاص لنقل خام الحديد • فان اعتماد المنطقة الشمالية ينحصر بالنقل البحري فقط ، لا سيما وان هذه المنطقة اذا ما بعدنا عن الساحل ببضع كيلومترات ، تنعدم الحياة الاقتصادية فهي عبارة عن صحارى باردة •



محمد بن جيا الحلي

جواد أحمد علوش
مدرس في كلية التربية

اسمه ومولده ونشأته :

هو شرف الكتاب جمال الدين أبو الفرج محمد بن أحمد بن حمزة ابن جيا الحلي • فاسمه محمد بن أحمد • وكنيته أبو الفرج[1] • وقد لقب بشرف الكتاب عن جدارة واستحقاق لما كان يتمتع به من موهبة أدبية وقدرة في الكتابة ، واطلاع على علوم العربية ، فكان هذا اللقب موازيا للقبه الاول (جمال الدين) في الاشتهار • ينسب الى آل جيا ، وهم أهل علم وأدب وفضل في قرى النيل[2] ثم في الحلة فيما بعد ، وقد رُوِيَ على أشكال : جَيا أو جِيا ، بفتح الجيم أو بكسرها ، وجيّا أو جيا ، بتشديد الياء أو تخفيفها ؛ وجيا أو جياء بالقصر أو المد • ويرى القفطي في كتابه (المحمدون) ان المقصور أشهر • وفي مدينة الحلة ، اليوم ، حي في محلة المهدية يطلق عليه اسم (الجيا) بكسر الجيم وتشديد الياء وتخفيف الالف المقصورة وا لظاهر أن هذه التسمية ترجع اليه أو الى آبائه أو أولاده ، وقد تكون هذه الارض من املاكه يوم كانت له املاك ، كما يوجد في هذا الحي ضريح عليه قبة لعله قبر أحدهم • أما نسبته الى الحلة فنسبة نشأة وطول اقامة ، فهي ليست مسقط رأسه ، وانما انتقل اليها فيما بعد ، فأقام فيها وتلقى شيئا من تعليمه ، وعرف واشتهر ، فلما غادرها الى بغداد نسب الى البلد الذى جاء منه ، فقيل (الحلي) • ونسبه جلال الدين

---

(١) كناه ياقوت الحموي في (معجم البلدان) عند الكلام عن (الغامرية) بأبي الفتح • وهذا خطأ واضح اذا كان يعنيه اذ قال : « الغامرية : قرية في أرض بابل قرب حلة بني مزيد ••• منها كان أبو الفتح بن جيا الكاتب الشاعر •

(٢) قرى على نهر النيل ، وهو نهر يتفرع من الفرات قرب الكوفة أنشأه الحجاج الثقفي وسماه باسم نيل مصر ، ونشأت عليه مئات القرى •

السيوطي الى (حلب) فقال[1] : « الحلبي » ولاشك أن ذلك من خطأ الطبع للتشابه الكبير في الخط ، بين (الحلي) و (الحلبي) أو من أوهام السيوطي ، اذ أن ابن جيا لم يعرف عنه أنه أقام في حلب أو زارها فينسب اليها ، كما حدث في اسم راجح الحلي[2] الذي أطال الاقامة في حلب فجاز للدارسين أن ينسبوه اليها ٠

ولد ابن جيا في (مطير آباد)[3] وهي من قرى النيل التابعة لبني مزيد[4] ٠ ولم يذكر أحد تاريخ مولده ، ولكننا نستطيع أن نقربه تقريبا ، فقد ذكر أكثر المؤرخين وكتاب السيرة أنه توفي عام **(تسعة وسبعين وخمسمائة للهجرة) (٥٧٩هـ)**[5] ولما كان قد نيف على الثمانين فمولده في أواخر القرن الخامس الهجري ، أو في أواسط العشرة الاخيرة من هذا القرن ٠٠ وعلى ذلك نحتمل أن مولده كان في أثناء تأسيس مدينة الحلة على يد الامير سيف الدولة **صدقة بن منصور المزيدي** الاسدي ، اذ أن العمل بتأسيسها بدأ سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة **(٤٩٣ هـ)** وقد تم سنة خمس وتسعين وأربعمائة **(٤٩٥ هـ)** وان كان استاذنا الدكتور مصطفى جواد يذهب الى أن مولده كان قبل تأسيس الحلة اذ قال : « ولد بمطير آباد ثم

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٩ ٠

(٢) هو شرف الدين أبو الوفاء راجح بن ابي القاسم اسماعيل الاسدي الحلي ٠ ولد بالحلة المزيدية سنة (٥٧٠هـ) وبها نشأ وتعلم وتأدب ورحل الى بغداد وطاف البلاد ، وعاش مع ملوك بني أيوب وصار شاعرهم المفضل توفي سنة (٦٢٧هـ) ٠

(٣) تتركب (مطير آباد) من (مطير) وهي تصغير مطر و (آباد) ومعناها عمارة وتروى (آباذ) المعجمة كما تروى (أباد) بالهمز (و (آباد) بالمد ٠

(٤) هم من بطون بني أسد بن خزيمة كانوا في القرن الرابع الهجري يقطنون بين البصرة وواسط والاهواز وحصلت خلافات بينهم اضطر بنو مزيد بعدها الى الانتقال الى نهر النيل قرب الكوفة وجعلوا (النيل) حاضرة لهم سنة ٤٠٥هـ وكان أميرهم (أبا الحسن علي بن مزيد) ثم بنوا الحلة وانتقلوا اليها ٠

(٥) الوافي بالوفيات للصفدي ج ٢ ص ١١٢ ــ ارشاد الاريب لياقوت الحموي ج ٦ ص ٣٦٢ ــ بغية الوعاة ص ٩ ٠

انتقل الى الحلة بعد تمصيرها »[1] فمما لاشك فيه أن هذا النص يدل على أن مولده سبق تأسيس الحلة بفترة ما من السنين عاشها ابن جيا في مسقط رأسه ، فلما انشئت الحلة واشتهرت انتقل اليها ••• ومما يؤيد ما ذهبنا اليه استعمال (ثم) التي تفيد التراخي •• كما يقول النحاة •

ويلوح لي أنه ولد في (مطير آباد) ونشأ فيها فلما كبر وشب عن الطوق ، ورغب في تعلم العلوم والآداب ، تلفت حوله باحثا عن بلد قريب ينال فيه ما يحب ، ويحصل على ما يشتهى ، فلم يجد خيرا من الحلة التى حاول مؤسسوها المزيديون أن يرتقوا بها وأن يجعلوها في مصاف أكبر المدن علما وأدبا ، وأكثرها شهرة •• فشجعوا العلم والادب ، ورعوا العلماء والادباء ، وبذلوا لهم الاموال الكثيرة وأكثروا لهم الهدايا الثمينة ، فصارت قبلة طالبي المال والشهرة ، وكعبة طلاب العلم والادب • وكان ابن جيا من اولئك الذين قصدوها وانتقلوا اليها ، ولا عجب فهي قريبة من موطنه ، فقد أسرع اليها يرتوي من معين آدابها كل عذب مستساغ ، ويرتشف من علومها كل نافع مفيد • الا أننا لا نعرف أكثر من هذا عن سيرته ، فهي غامضة غموض سير جميع عباد الله الفقراء ، اذ ليس هناك من يلتفت اليهم يوم يولدون ، ويرقبهم حين ينشأون ، ويحس بهم عندما يتعلمون ، ليكشف لنا شيئا من جوانب حياتهم ، وليلقي الضوء على المظلم من سيرتهم ••• لكن ابن جيا لم يستقر في الحلة ولم يبق فيها طويلا ، اذ انتقل الى بغداد ، رغبة في تحصيل العلم والاستزادة منه ، وللملازمة أساطين الادب والشعر وعلوم العربية هناك • واستطاع أن يتلقى النحو على أكبر علمائه يومذاك ، وهو (هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة أبو السعادات المعروف بابن الشجري) المتوفى سنة (اثنتين وأربعين وخمسمائة للهجرة) (٥٤٢هـ) وانقطع اليه زمانا طويلا وقد كان أعظم أهل زمانه في علم النحو ، فأفاد منه كثيرا • ثم درسه على (أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب) المتوفى سنة

---

(١) مجلة الغري ـ السنة السابعة • العدد الثامن ص ٣ ادباء العراق في القرن السادس •

(سبع وستين وخمسمائة للهجرة) (٤٦٧هـ) وقد برع فيه حتى عُدّ من النحاة • وقد سمع الحديث من (أبي جعفر عبدالواحد بن أحمد الثقفي) الحنفي ، قاضي قضاة الدولة العباسية على أول عهد الخليفة (المستنجد بالله)[1] ولكنه لم يشتهر به لانشغاله بالادب وعلوم العربية ، وقد برع في الشعر فكان من الشعراء المشهورين ، وأبدع في الكتابة فكان من الكتاب المترسلين• وقد اتصل ، في بغداد ، بالوزير (أبي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة) المتوفى سنة (ستين وخمسمائة للهجرة ٥٦٠ هـ) وقد كان عالما فاضلا وأديبا فطنا ووزيرا محبا للعلم ذا معرفة بعلوم العربية على اختلافها من نحو ولغة وعروض ، مشجعا للعلماء والادباء ، يقربهم اليه ويدنيهم من مجلسه ، يغدق عليهم المال ، ويكثر لهم العطاء ، ويقدر المبرزين منهم حق قدرهم ، ويعلي مراكزهم بين اخوانهم • وقد كان ابن جيا واحدا من اولئك الذين اعجب بهم ابن هبيرة وبأدبهم وعلمهم • وقربهم اليه وأدناهم من مجلسه ، فلازمه مدة طويلة ، وأفاد منه كثيرا معنويا وماديا • لان ابن هبيرة « كان يعقد في داره للعلماء مجلسا للمناظرة يبحثون فيه ويناظرون عنده •• »[2] ولا جدال في أن ابن جيا كان واحدا من الذين يديرون دفة الحديث ، ويوجهون المناقشات ، فيفيدون ويستفيدون ، ينفعون ويبدعون ، ومع هـذا كله فانه لم يُثر ولم يصبح من ذوى المال والغنى ، فقد قال فيه صلاح الدين الصفدي : « •• لكنه ناقص الحظ ، له ملك يتبلغ منه الى أن مات ••• »[3] وقد نستنتج من هذا أنه كان عزيز النفس أبيا لا يحب أن يستغل نفوذه أو ظروفه ، ولا يطمع في الحصول على الاموال من الوزراء والهبات من الرؤساء بدون جزاء ، ولمجرد مدحهم ومجالستهم • وكان يفضل على ذلك أن يعمل كاتبا يعد المسودات لكتاب العمال بحسب ما يقترحون عليه من الموضوعات المختلفة مقابل أجر زهيد مناسب ، كما كان يقوم بكتابة ما يسمى

---

(١) هو أبو المظفر يوسف بن أبي عبدالله محمد المقتفي بأمر الله • ولي الامر سنة (٥٥٠هـ) وتوفي سنة (٥٦٦هـ) •

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٢٥٠ •

(٣) الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١١٢ •

اليوم بـ (العرائض) مفضلا الرزق الحلال الضئيل الذى يحصل عليه من عرق جبينه وكده وعمله ، على المال ، الوفير الذي يناله ـ وقد يتكدس لديه ـ بالاساليب الاخرى ، وان كان معاصره (عمادالدين الاصفهاني) صاحب (الخريدة) يرى أنه في هذا العمل « يسلك مسلك الخمول » ويعتبره مصاباً بحرفة ذوى الفضائل التي جاءته بالعوز والحرمان • ولكن ابن جيا مع ذلك ظل ينهج النهج الذى رسمه لنفسه ويتحلى بالفضائل التي يرتضيها ويرضي بها الله والرسول فعاش محبوبا محترما ، مقدرا مكرما • يثق به الجميع ، ولا يشك به الوزير والكبير في شؤون الدولة وأسرار الامور ، ومن أطرف ما حدث له في هذا الباب حادثة مع (ابن هبيرة) ، رواها الاديب المحدث المشهور أبو الحسن محمد بن اسماعيل القيلوي[1] ، فقد كان يوما في مجلس من مجالس الوزير ابن هبيرة ، وجاء رسول من دار الخلافة ، وتحدث الى الوزير بحديث سري كان يجب أن يكتمه ولا يتحدث به أمام أحد ، ولكن ابن جيا سمعه لقرب مجلسه من الوزير •• ولم يكد رسول دار الخلافة يخرج حتى تجمع في مجلس الوزير كثير من أصدقائه ورواد مجلسه من علماء وأدباء ، وأعيان وكبراء ، فانشغل بهم الوزير ••• وبعد حين خرج ابن جيا ولكنه لم يكد يصل باب العامة[2] ، حتى جاءه مَن رده قائلا : « ان الوزير يطلبك » فرجع ابن جيا على عجل ، وقد فهم ما يريد الوزير وعرف ما يقصد ، ولما وقف ابن جيا بين يديه قال : « أحسن الله الى مولانا الوزير وأدام أيامه ، بيت الحماسة » • ففهم الوزير ما يعنى ابن جيا ، فانبسطت أساريره ، وارتاحت نفسه ، وقال له : « نعم •• امض بارك الله فيك ، كذا الظن بمثلك » فخرج ابن جيا ولم يفهم أحد ما دار

---

(١) القيلوي : نسبة الى قيلوية ، وقد ضبطها ياقوت الحموي في معجمه « بكسر أوله وسكون ثانيه ولام مضمومة وواو ساكنة • قرية من نواحي مطير آباد قرب النيل » (ج ٧ ص ١٩٨) •

(٢) باب العامة من أبواب دار الخلافة العباسية ببغداد • ويرى استاذنا الدكتور مصطفى جواد أنه كان عند جامع (الخاصه‌كي) قرب شارع الرشيد •

بينهما • وكان الوزير يريد من ابن جيا أن يكتم ما سمعه من حديث دار بينه وبين رسول دار الخلافة • وكان ابن جيا يقصد ببيت الحماسة قول الشاعر :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير اني جماعها

فهذه الحادثة الطريفة ترينا الى جانب الثقة التي كان يتمتع بها ابن جيا لدى الوزير ابن هبيرة •• حسن ظنه به ، وتبين لنا بجلاء ووضوح فطنة ابن جيا وذكاءه وحسن توسمه ، وسلامة تصرفه ، والى ذلك كله فانها تكشف عن سعة اطلاعه وكثرة حفظه لاشعار العرب ، فهو يختار مما يحفظ ما يتلاءم وموقفه •

وقد ظل ابن جيا في بغداد ، فقد قال عماد الدين الاصفهاني : انه ما زال يقيم ببغداد سنة أحدى وسبعين وخمسمائة (٥٧١ هـ) أي قبل وفاته بثماني سنوات ، وقد كان يتمتع بصحة موفورة ، وفكر نابه ، وفطنه مستقيمة وهمة ونشاط ، وقد توفي ابن جيا ببغداد سنة تسع وسبعين وخمسمائة للهجرة (٥٧٩ هـ) رحمه الله وأدخله فسيح جناته •

شعره :

ان الذي يؤسف له أشد الاسف أن يضيع شعر ابن جيا فلا يصل الينا منه غير قصيدة طويلة واحدة وبضع مقطعات قصار ، وهو الذي أنشد الكثير من الشعر طول حياته التي نيفت على الثمانين من السنين • فقد انشد شعره في الحلة ، وأرسل قصائده في بغداد ، شدا بها في النوادى الادبية ، عند ابن هبيرة وغيره ، ورواها في بيوت بعض أصدقائه من الأدباء والمؤرخين ، فحفظوها ونقلوها الى غيرهم معجبين ، فهذا ابو الثناء محمد بن عبدالله بن المفرج يقول : « انشدني شرف الكتاب ابو الفرج بن جيا ببغداد بمنزلنا لنفسه[1] » وقد دون بعض هؤلاء المعجبين بشعره كثيرا منه ، فقد

(١) المحمدون من الشعراء وأشعارهم مخطوطة باريس برقم (٣٣٣٥ عربية) ورقة ١٢أ •

قال ياقوت الحموي : « وشعره ورسائله مدونة .. »[٢] ولكن أحدا لم يشر الى وجود ديوان يضم شعره ، أو ما يشبه الديوان من مجموعات الشعر . والظاهر أنه لم يهتم بجمع شعره كغيره من الشعراء ، الذين أولوا ذلك عناية خاصة فدونوا دواوينهم ، واهتموا بتنظيمها ، وتأنقوا في تنسيقها. فقد دونت قصائده وأشعاره على صفحات أوراق المعجبين ، وتفرقت هنا وهناك ، وتشتتت عند هذا وذاك ، وفقد الكثير منها فلم يصل الينا منها غير النزر اليسير . ولم يكن شعر ابن جيا شعرا ضعيفا ركيكا ، لا يستحق التدوين أو الحفظ ، بل كان شعرا جيدا جميلا رقيقا . فقد أثنى القاضي (علي بن يوسف القفطي) على جودة شعره في كتابه (المحمدون) كما مدحه الاديب (صلاح الدين الصفدى) اذ قال : « لم يكن مثله في العراق في الترسل والادب والنظم الحسن »[٣] وجاء في (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي) : « له شعر جيد »[٤] هذه نظرة القدامى الى شعر ابن جيا . أما المحدثون ، فان استاذنا العلامة الدكتور مصطفى جواد يقول في وصفه : « عذب على المسامع رائق للنفوس واضح الكلم »[٥] والحق انه لكذلك فهو شعر يمتاز بالعذوبة ويتصف بالجمال ، ولا عجب فهو من مجيدي الشعراء ومقدميهم ، ولا ريب أن حضوره المجالس الادبية وسماعه القصائد الشعرية ، واستماعه الى المناقشات اللغوية المختلفة ، والآراء النقدية افاده كثيرا ، فكان يتأثر بما يقتنع به ، ويتحسس ما يرضى به ذوقه ، فيستوعب نظمه وقواعده واصوله ، ويحاول أن يخلص شعره من عيوبه ، ويدخل في قصيده محاسنه ، ولا شك أن تلك المجالس اكثرت شعره وشحذت شاعريته وزادت براعته ، وعملت عملها في تطوره وتقدمه .

واسلوب شعره جميل رقيق ، سهل ناصع ، فيه جزالة وفيه رقة ،

---

(٢) ارشاد الاريب ج ٦ ص ٣٦١ .

(٣) الوافي بالوفيات في ٢ ص ١١٢ .

(٤) المختصر المحتاج اليه . نشر الدكتور مصطفى جواد ص ١٣ .

(٥) مجلة الغري ، السنة الثامنة ـ العدد ١١ ـ شعراء العراق في القرن السادس .

فيه قوة وفيه عذوبة .. كل ميزة تتيسر في الموضوع الذى يتطلبها ويعتمد عليها . ألا ترى سهولة اسلوب هذه الابيات :

فاشرب كؤوسا كالنجوم تديرها أيدي البدور
من كل أهيف فاتر الالحاظ كالظبي الغرير
يحكى الظلام بشعره والصبح بالوجه المنير

ويمتاز شعره بجمال اللفظ ، فهو يختار الالفاظ ذات الجرس الموسيقي والنغم الحلو ، ليؤثر في نفوس السامعين . ولكنه قد يستعمل المفردات الغريبة ، الا أنها ليست نابية جافية ، بل تكسب البيت جمالا في بعض الاحيان ، كقوله :

وأشعث مثل السيف قد منه السرى وقطع القيافي مهرقاً بعد مهرقَ
من القوم معلوم يميل برأسه شغفات اعجاز انعاس المرنق

وتنحصر أغراض شعره الذى وصل الينا في الغزل والمديح والمراسلات الاخوانية . وهناك قليل في الهجاء .

أما غزله فبعضه على شكل مقطعات مستقلة ، وبعضه مقدمات لقصائد المديح كقوله متغزلا في مطلع قصيدة يمدح بها الامير أبا الهيج عبدالله بن وزام الكردي الجاواني :

سرى موهناً طيف الخيال المؤرق فهاج الهوى من مغرم القلب شيق
. . . .

وهو يظهر نفسه في هذا الغزل محبا مدلها دام حبه وطال عناؤه ، لانه يتنقل في حبه من ميدان الى ميدان :

حتامَ أجري في ميادين الهوى لا سابق أبداً ولا مسبوق
ما هزني طرب الى رمل الحمى الا تعرض أجرع وعقيق

وهو غير سعيد في هذا الحب كما يبدو في غزله ، فحزنه باد ومدامعه جارية في أكثر هذا الغزل كقوله :

ومدامع كفلت بعارض مزنة لمعت لها بين الضلوع بروق

فكأن جفني بالدموع موكل   وكأن قلبي للجوى مخلوق
لأنبهن على الغرام بزفرتي   ولتطربن بما أبث النوق

وقد كان ، في حبه ، يقنع بزورة الطيف ، ويكتفي برؤية خيال الحبيبة ، يفرح به ويتغنى له ، ويصف جمالها ويتشبب بحسنها بالرغم مما يصيبه من نبال عينيها وسهام بريق اسنانها ، من ذلك قوله :

أما والعيون النجل تصمي نبالها   ولمع الثنايا كالبروق تخالها
ومنعطف الوادي تأرج نشره   وقد زار في جنح الظلام خيالها

ولعل السبب في هذا أن حبيبه قال ٍ ميال للهجران مغال ٍ فيه لا يستفيق ولا يصحو :

قد كان في الهجران ما يزع الهوى   لو يستفيق من الغرام مشوق

ولكنه قد يتعالى على الحبيب ، ويدعى أن شوقه لم يعد منبعثا من القلب صادرا عن الاعماق ، بل صار عادة من العادات ، فعلى الحبيب ألا يستمر في دلاله :

قدم الزمان وصار شوقي عادة   فليتركن دلاله المعشوق

أما مديحه فلا يختلف عن مديح شعراء العرب في أغلب مظاهره ؛ فهو يبدأ بالغزل ، ثم ينتقل منه الى المديح ، فيصف ممدوحه بالكرم والشجاعة والحزم والعزم ، ويسبغ عليه كل خلق كريم ، ولا ينسى أن يذكر أهله وقومه • وقد يبالغ في ذلك مبالغة بينة كقوله :

أيا ابن الأُلى جادوا وقد بخل الحيا   وقادوا المذاكي والدماء نعالها
ذُدِ الدهر عني من رضاك بعزمة   معوّدة ألا يغل رعالها

هذه المبالغة من لوازم مديح عصره ، بل من لوازم الشعر بمختلف أغراضه ، وهو مسوق اليها بالرغم من أن مديحه لم يكن طلبا للمال أو الجاه ، اذ كان يتمتع بمنزلة عالية عند الكبراء والوزراء ، ورتبة سامية بين العلماء والادباء • ولو كان من الذين يجرون وراء المال لما اكتفى بما تدره عليه أملاكه القليلة من رزق ضئيل يتبلغ به ، ولما اكتفى بأن يكون كاتبا

بسيطا يشبه كتاب العرائض في العصر الحاضر ، وقد بين ذلك الدكتور مصطفى جواد بقوله : « لانه لم يكن كثير الالحاف في شعره ـ كما هو ظاهر في مدحه أبا الهيج عبدالله بن ورام الكردي الجاواني »[1] ولا عجب فهو الذى يقول في المديح :

فما مدحكم مما أعاب بقوله ... اذا أفسد الأقوال بعض التملق
ولكن بقول الحق أغريت فيكم ... ومن يتوخ الحق بالحق ينطق
فان نلت ما أملته من ولائكم ... ومدحكم يا ابن الكرام فاخلق
وما دون ما أبغي حجاب يصدني ... برد ولا باب عن الخير مغلق
اذا أنا أحرزت المودة منكم ... فحسبي بها اذ كنت عين الموفق

فهو لا يريد مالا ولا يطلب جاها ، ولا يبغي غير المودة وهي حسبه.. وهذا بين في صدقه ومعلوم لدى معاصريه ... فقد عرفوا أن الكبراء والامراء والوزراء لم يغلقوا بابا دونه ، ولم يدعوا حاجبا يرده .. كما يعلمون حق العلم أنه صادق في قوله ، صادق في عمله ، صادق في عاطفته نحوهم . وقد بين ذلك في شعره اذ قال : « ولكن بقول الحق أغريت فيكم » ثم يطلق القول كالحكمة والمثل السائر بين الناس : « ومن يتوخ الحق بالحق ينطق » وهو مغرى بالحكمة على هذه الصورة ، يقول :

. . . . « وما خلق الانسان مثل التخلق »

أو يقول أيضا :

. . . . « ولكن شديد في الطباع انتقالها »

أما مراسلاته واخوانياته فمقطعات شعرها عذب رقيق ، سهل مستساغ. كتب الى سعد الدين المنشيء سنة سبع وأربعين وخمسمائة للهجرة (٥٤٧ هـ) يقول :

هنئت في اليوم المطير ... بالراح والعيش النضير
ومنحت بالعز الذي ... يعدى على صرف الدهور

(١) مجلة الغري العدد ١١ السنة ٧ ص ٥ شعراء العراق في القرن السادس .

فاشرب كؤوساً كالنجو م تديرها أيدي البدور

. . . .

فانعم به مستيقنا احمـاد عاقبة الامور

فكبير عفو الرب موقوف على الذنب الكبير

واسلم على مر الزما ن لكل ذي أمل قصير

تفني زمانك كله بالعزم منك وبالسرور

ما بين حفظ للثغو ر وبين رشف للثغور

فهو يبدأ شعره بالدعاء له بالهناء والراحة والسعادة ، ويرجو له اقامة محمودة ، ويتمنى له الغفران والعفو من الله العزيز القدير •

وقد يشكر أصحابه على ما يولونه من فضل ، ويطلب منهم ألا يولوه عارفة اخرى حتى يرد ما سلف لهم من يد ويقوم بالشكر •

أنت امرؤ أوليتني مننا أوهت قوى شكري فقد ضعفا

فاليك بعد اليوم معذرتي لاقاك بالتصريح منكشفا

لا تسدين الي عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

وكم كنا نتمنى أن تصل الينا أشعاره الاخوانية كاملة لنعرف منها أسماء الذين كانت تربطه بهم علاقات وطيدة غير من ذكرنا ، فمن الغريب أننا لم نجد أية صلة بينة وبين أديب حلي آخر عاصره زمنا غير قصير وعاش في بغداد منذ سنة (٥٠١ هـ) حتى سنة (٥٣٥ هـ) وذلك هو الشاعر الكاتب علي بن أفلح العبسي •

ولم يصل الينا من هجائه غير مقطوعة واحدة يذم بها الزمان مضطرا ، لانه يصرح فيها بأنه ليس من طبعه ذم الزمان • وقد عرض فيها بأحد العيارين الشطار ، ذكر أنه (ابن شكران) ولكن استاذنا الدكتور مصطفى جواد يرى أنه (ابن بكران) الذي قتل في سنة (٥٣٢ هـ) فيقول ابن حيا في ذلك :

قل لحادي عشر البروج أبا العاشر منها رب القرون الثاني

يا ابن (شكران) ضلة لزمان صرت فيه تعدُّ في الأعيان

ليس طبي ذم الزمام ولكن أنت أغريتني بذم الزمان

فابن جيا يذم الزمان ، وان لم يكن مما يهمه ذلك ، يذمه اذ صار فيه هذا الشاطر العيار والمجرم الخطر من أعيان الناس • وقد ذكر (ابن الاثير) أن ابن بكران هذا قد عظم أمره في العراق كله ، وصار يركب ظاهرا في حشد من أتباعه المفسدين ، يسلب وينهب ويقتل ويؤذي ، لا يخاف أحدا ولا يهاب سلطة ••• وقد كان ورفيقه (ابن البزاز) يريدان أن يضربا باسميهما (سكة) في الانبار ، غير أن ابن أخي (أبي الكرم ـ والي بغداد) ، استطاع أن يحتال عليه ويقتله ويخلص الناس من شره[1] • فابن جيا الذي يقول انه ليس من شأنه ذم الزمان يجد نفسه مضطرا الى ذمه وهجائه حين يجد نفسه وقد استوعب علوم اللغة والادب وأبدع في الشعر والنثر لا يجد من المال الا ما يتبلغ به ، بينما يثري هذا الشاطر العيار المجرم ، الذي لا يعرف عن العلوم شيئا ، ويحاول أن يصدر (سكة) ليضاعف غناه ويضخم ثراءه •

واذا كان شعر ابن جيا قد ضاع ، فقد وصلتنا قصيدة طويلة من قصائده الحسان ، يمكن ان تعتبر خير نموذج لشعره ، تلك التي مدح بها الامير ابا الهيجاء بن ورام الكردي الجاواني • وهي قصيدة في ثلاثة وأربعين بيتا من بحر (الطويل) يبدأها بالغزل فيقول :

سرى موهناً طيف الخيال المؤرق فهاج الهوى من مغرم القلب شيق

تخطى الينا من بعيد وبيننا مهامه موماة من الارض سملق

يجوب (خداريا) كأن نجومه ذبال يذكى في زجاج معلق

اتى مضجعي والركب دوني كأنهم سكارى تساقوا من سلاف معتق

فخيل لي طيف البخيلة انها ألمت برحلي في الظلام المؤرق

فأرقني المامها بي ولم يكن سوى حلم من هائم القلب موثق

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٨ ص ٣٦٢ ط • الاستقامة •

ويستمر في غزله الرقيق هذا فيبلغ ستة عشر بيتا ، يصف فيها خيال حبيبته الذي سرى اليه من بعيد قاطعا المهامه والقفار ، فذكره بحبه وهيج قلبه ، وأرقه واقض مضجعه .. ويصف بعد هذا حالته مشبها نفسه بالاسير الذي تعرقت الصبابة لحمه وحبست انفاسه ، مما جعله يكابد ما لم يكابد مثله أحد من العشاق من قبل :

أسـير صبابات تعرقن لحمـه ... وأمسكن من أنفاسـه بالمخنـق
اذا ما شكا العشاق وجداً مبرحـا ... فكل الذي يشـكونه بعض ما لقي

ولكن أمله في زيارة (سعدى) أو عودتها اليه والقرب منها هو الذي خلصه من موت محقق ، فقد نظر ، ونظره بعيد المدى ، الى حبيبته فملأ الشوق قلبه ، وظل واقفا وكأنه أحد شعراء الجاهلية الذين يقفون على الاطلال ، وقد بكى كما كانوا يبكون :

على انـه لولا الرجـاء لأوبـة ... تقربني من وصل (سعداء) ما بقي
نظرت ولي انسـان عـين غزيرة ... متى يمرهـا برح الصبابة يغـرق
الى علم من دار (سعدى) فشاقني ... ومـن ير آثار المحبـة يشـتق
فظلت كأني واقف عنـد رسمهـا ... طعـين بمذروب الشـباة مـذلق
وقد كنت من قبل التفرق باكيـا ... لعلمي بمـا لاقيت بعـد التفرق

ولكنه بعد أن يثوب اليه رشده ، يعود فيحاسب نفسه ويذكر لها أن الدمع المنسكب من مقلته لا يقرب حبيبه البعيد .

وهل نافعي ، والبعد بيني وبينها ، ... اجـالة دمـع المقلـة المترقرق ؟

ثم ينتقل الى وصف حصانه النحيف الرشيق كالسيف ، ويبين ما أصابه من وعثاء السفر وما قد خيم عليه من نعاس لطول سيره ، فقد قطع الفيافي واحدة بعد اخرى :

وأشعث مثل السيف قد منه السرى ... وقطـع الفيافي مهرقاً بعـد مهرق
من القوم معلوم يميـل برأسـه ... شغـافات اعجاز النعـاس المرفق

ومنه ينتقل انتقالا حسنا الى ذكر ممدوحه اذ يقول :

طردت الكرى عنه بمدح اخي العلا   أبي الهيج ذي المجد التليد المعرق

ويستمر في مدحه بنحو من عشرين بيتا ، في تسعة أبيات منها ، يلبسه أثواب المجد ويسبغ عليه نعم الاخلاق الكريمة جميعها ؛ فهو شجاع جريء ، سمح كريم ، فتى نجدة شريف ، ذو عزم جبار ، يفرج الكرب ويفتح كل مغلق من الامور :

حسام الجيوش عز دولة هاشم   حليف السماح واندى المتدفق
فتى نجدة ينمى به خير والد   الى شرف فوق السماء محلق
على وجهه نور الهدى وبكفه   مفاتيح باب المبهم المتغلق
اذا انفرجت أبوابه خلت أنها   تفرج عن وجه من البدر مشرق
وان ضاق أمر بالرجال توجهت   عزائمه فاستوسعت كل ضيق
ترى ماله نهب العفاة وعرضه   يطاعن عنه بالقنا كل فيلق
جموع لا شتات المحامد كاسب   لها أبداً من شمل مال مفرق
سعى[1] وهو في حد الحداثة جده   له في مساعي جده سعي مشفق
تلوح على أعطافه سمة العلا   كبرق الحيا في عارض متألق

فهو يذكر كل ما يتمتع به وان أطال وأسهب . ثم ينتقل الى مدح آله وقومه وأصحابه ، ويتغنى بفخرهم ويعدد مناقبهم :

من النفر الغر الأُلى عمت الورى   صنائعهم في كل غرب ومشرق
اذا فخروا لم يفخروا باشابة   ولا نسب في صالح القوم ملصق

الا أنه سرعان ما يعود الى ممدوحه . ويذكره باسمه (عبدالله) دون كنية او اى لفظ من الفاظ التعظيم مما يدل على صلته به ومنزلته عنده ،

---

(١) في المختصر المحتاج اليه (سما) .

ويبين عجزه عن وصفه وذكره ، ولا ينسى أن يذكر ايمانه وخلقه الاصيل الذى ليس فيه تصنع :

اذا ما هضاب المجد سدت طلوعها ... ولم يرقها من سائر الناس مرتق
توقل (عبدالله) فيها ولم يكن ... يزاحمه فيها امرؤ غير أحمق
صفا لك يا ابن الحارث القيل في العلا ... مشارب ورد صفوها لم يرنق
متى رمت في استغراق وصفك حده ... أبى العجز الا ان يقول لي ارفق
فلست وان أسهبت في القول بالغاً ... مداه بنعت أو بتحرير منطق
ألا ان أثواب المكارم فيكم ... بواقٍ على أجسامكم لم تخرق
يجددها ايمانكم ويزيدها ... مضاكم على تجديدها فضل رونق
لك الخلق المحمود من غير كلفة ... وما خلق الانسان مثل التخلق
اذا ما نداك الغمر ناب عن الحيا ... غنينا به عن ساكب الغيث مغدق

ويختتم القصيدة بخمسة أبيات يبين فيها أسباب مديحه ، فهو مديح خالص بدون غرض وبلا ثمن . وما يرجو منه غير اداء الواجب والنطق بالحق ، ولا يطمع بمال أو جاه ، وان كان ذلك في متناول يده غير عسير عليه ، الا أنه لا يطمع بغير المودة والرضى وحسبه منه ذلك :

فما مدحكم مما أعاب بقوله ... اذا أفسد الأقوال بعض التملق
ولكن بقول الحق أغريتُ فيكم ... ومن يتوخ الحق بالحق ينطق
فان نلتُ ما أملته من ولائكم ... ومدحكمُ يا ابن الكرام فأخلق
وما دون ما ابغي حجاب يصدني ... برد ولا باب عن الخير مغلق
اذا انا احرزت المودة منكمُ ... فحسبي بها اذ كنت عين الموفق

هذه خريدة فريدة لابن جيا ، لم يصل الينا غيرها من قصائده الكثار ، ولو وصلتنا قصائد أخرى لكان له شأن بين شعراء عصره أي شأن !

نثره :

لقد كتب ابن جيار رسائل كثيرة ؛ فقد كانت بينه وبين أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريرى صاحب المقامات مراسلات • كما كانت بينه وبين الحكيم الطبيب والشاعر الاديب (هبة الله بن صاعد بن التلميذ المتوفى سنة (٥٦٠ هـ) مراسلات أيضا • والى جانب هذا كله كان يكتب مسودات الكتب والرسائل للعمال في مختلف الموضوعات فكانت له في هذا الباب مراسلات حسنة ، ومبتكرات مستملحة ، فبرع براعة عظيمة في ذلك حتى استحق أن يقول فيه عماد الدين الاصفهاني : « مجمع بالعراق على بلاغته مبدع للاعناق أطواق براعته ، قد اتفق أهل العراق أنه ليس له نظير في الترسل ، فان روضه نضير في الفضل ، صافي المنهل ، يستعان به في الانشاء ويستبان فيه اسلوب البلغاء »[1] فمما لا شك فيه أن هذا الدأب والاستمرار في الكتابة ينمى ملكته ويجلي موهبته ، غير أن الذى يؤسف له أن رسائله الكثيرة هذه قد ضاعت ، ولم يصل الينا منها غير رسالة واحدة، يقول ياقوت الرومي انه كتبها لسديد الدولة (محمد بن عبدالكريم الانبارى) الكاتب ، ليبعث بها كجواب لاحدى رسائل القاسم بن علي الحريرى • واذا ثبت ان هذه الرسالة كتبت الى الحريرى ، الذى توفي سنة ست عشرة وخمسمائة للهجرة (٥١٦ هـ) يكون ابن جيا قد نبغ في الكتابة واشتهر ولم يزد عمره عن عشرين سنة •• ولكن استاذنا الدكتور مصطفى جواد يشك في أن تكون هذه الرسالة قد كتبت الى الحريرى اذ لا صلة بين الموضوعات التي تناولها وما تناوله رسالة الحريرى التي رووا ان هذه الرسالة كتبت جوابا لها من موضوعات • ويرى انها كتبت جوابا لرسالة بعث بها الى هبة الله بن صاعد بن التلميذ لانه ذكر فيها (ملحة الاعراب) وتأليفا آخر هو (درة الغواص في أوهام الخواص) •

---

(١) مجلة الغري ــ السنة ٧ العدد ٨ ــ الدكتور مصطفى جواد ــ (عن أصول الادب والتاريخ ج ١٣ ص ١٤٣ عن الخريدة) •

يقول بعض الرواة : ان الحريري كتب رسالة بعث بها الى سديد الدولة يقول فيها : كتب الخادم وعنده من تباريح الاشواق الى الخدمة ما يصدع الاطواد فكيف الفؤاد ؟ ويوهي الجبال فكيف البال ؟ ولكنه يستدفع الخوف بسوف ، ويبرد حر الاسى بعسى ، وهو على جمعهم اذ يشاء قدير :

ألا ليت شعري والتمني خرافة وان كان فيه راحة لأخي الكرب

... هذه على عاهتها بنت ساعتها فان حظيت منه بالقبول المأمول ، فيابشرى للحامل والمحمول ، وان لمحت لمحة المستقبل ، فياخيبة المرسل والمرسل ، والسلام » .

فرد عليه ابن جيا يقول :

« سيدنا الشيخ الامام في توالي مباره والقصور مني عن تأدية حقه وايفائه كمن يقرض غريما مع عسرته ، ويتكثر بمن أفرده الزمان عن أهله واسرته ، فهلا اقتصر بي من دينه على ما تقادم عهده ، ولم يشفعه بطول ما حفت قوس شكري وكان مستحكما عقده :

أنت امرؤ اوليتني مننا أوهت قوى شكري فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم معذرتي لاقتك بالتقدير منكشفا
لا تسدين الي عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

فاما ما يعزوه الي من البراعة وحسن الصناعة ، ويقرره من احسان كان الطي أولى به من الاذاعة ، فتلك حال ان ثبتت فيها الدعاوى واتفق على صحة نقلها المخالف والموالي فانها جريت اليها بجيادهن التوالي لسوابقه الصوادي الى مناهل حقائقه . واين الرذايا بعد ذلك من السابقات ، والمتصرة من اللاحقات ، والمقرفة من كريمات المناسب والمكرية مطالبها من نجيحات المكاسب :

سبقت الى الآداب أبناء دهرنا فوّت بعادي على الدهر أقدم

وليست كما ابقت ضليعة اضجم ... وليست كما سادت قبائل جرهم
ولكن طوداً لم يحلحل رسيه ... وقارعة تعساء لم تتسنم
اذا ما بناء شاده الفضل والتقى ... تهدمت الدنيا ولم يتهدم

فالله تعالى يحرس عليه ما خوله من هذه الخصائص النفيسة والمنح الشريفة . ولا تعدم القلوب الراحة بمحاضرته كما لم يخله من النصر اذا اشرع رماح الجدل يوم مناظرته ، بمنه وجوده ، فاما اعتذاره عن انفاذ ذلك التأليف وانكاره للفراغ منه بعد التعريف ، فما يخفى ما وراء ذلك من المغالطة وما يقصده في كل وقت من قطع حبال المباسطة ، لولا ان المعاتبة اذا حقت قلما يسلم معها وداد ويجود في مطاويها من الصفاء عهاد :

لأرسلتها مقطوعة العقل تغتدي ... شواء وقد بالغن في الجولان
قوارص تبقى ما رأى الشمس عارض ... وما سمعت من سامع اذنان

لكن المقصود ما عاد باجمام خاطره وصفاء مشاربه ، والا اكون عليه عونا للدهر ونوائبه ، لا سيما وقد رأيت الصبر على فعاله ، أيسر من الصبر على ترك وصاله ، فأما الملحة[1] فانني وجدتها عند الوصول كما سماها غريبة في لفظها ومعناها ، عارية عن لبسة التكلف ، بعيدة عن التصنع تقتاد القلوب بازمتها وما كان اولاد لو قرنها الى ذلك العقد المكنون والدر[2] المصون فكانت النعمى تكمل والمسرة تشمل ، وها أنا ارتقب لذلك السمط ان تؤلف فرائده ، وتجمع بدائده ، وانتظر لوصوله يوما تقل همومه وتكثر حواسده ، فما ذلك بمتعذر عليه متى رامه ، ولا بمعوز ان سرح سوام الفكر وشامه ، ولرأيه في ذلك ومعرفته وانجاز الوعد جريا على كريم عادته ، مزيد من علاء لا يطرأ الا فول على أهلته ، ان شاء الله تعالى وحده »[3] .

---

(١) يقصد كتاب (ملحة الاعراب) .
(٢) يقصد (درة الغواص في أوهام الخواص) .
(٣) ارشاد الاريب لياقوت الحموي ج ٦ ص ٣٦١ .

واذا انعمنا النظر في هذه الرسالة وأطلنا التأمل ، وجدنا أن اسلوبها سهل ليس فيه أي تعقيد ، يخلو من الغريب ، وهو سليم من الغثاثة . ولكنه - كعادة كتاب عصره وما شاع عندهم - اسلوب مسجوع غير انه سجع لا تكلف فيه ولا تعسف مما نحس معه بغرابة أو نبوة . كما لا تخلو الرسالة من شعر كقوله :

لارسلتها مقطوعة العقل تفتدي   شواء وقد بالغن في الجولان

قوارص تبقي ما رأى الشمس عارض   وما سمعت من سامع اذنان

ويمتاز اسلوبه في هذه الرسالة باستعمال المحسنات البديعية والأساليب البلاغية ، من جناس وطباق وكنايات واستعارات ، فتكاد الرسالة تكون ملأى بذلك مما لا يخفى على القارىء الفطن الاديب .

واذا كان باستطاعتنا أن نحتمل أن اسلوب رسائل ابن جيا عامة يكاد يكون على هذا النمط ، فاننا لا يمكن أن نقول ان معانيه في رسائله جميعها تمتاز بالسطحية والبساطة التي تمتاز بها معانيه في رسالته هذه . ولعل العذر الذي أوجده لذلك الدكتور مصطفى جواد على حق ، اذ انه قال : « على أن معانيه من المعتادة التي لم يتعب الكاتب نفسه في اختيارها ، ولعل موضوع الرسالة هو الذي جعلها كذلك . ولا نستطيع أن نجعل هذا القول عاما لرسائل ابن جيا كلها »[١] أجل فالموضوع الذي يتناوله الكاتب في رسالته يؤثر في الاسلوب ويؤثر في المعاني ، وهو في هذه الرسالة موضوع بسيط معتاد يدور حول ارسال مؤلفات ووصولها ، والى هذا فان الكاتب لا يعبر في رسالته هذه عن أفكاره أو أحاسيسه ، وانما يكتب رسالة لغيره طلب منه

---

(١) مجلة الغري - العدد ٨ السنة ٧ - شعراء العراق في القرن السادس .

ذلك ، فهي رسالة مصنوعة أو أقرب الى ذلك ، ولو أننا عثرنا على رسائله الاخرى التي قال عنها اكثر الكتاب « انها مدونة » لاستطعنا أن نعطيها حقها من التقدير كما نوليها ما تستحق من العناية والدرس ، لنعرف بحق السبب الذي من أجله « اتفق اهل العراق انه ليس له نظير في الترسل » كما قال العماد الاصفهاني في خريدته • والله تعالى يرحم المحسنين ويجزي العاملين •

جواد أحمد علوش



نظرية جوتلوب فريجه المنطقية

الدكتور ياسين خليل
مدرس المنطق والفلسفة

المنطق واللغة

مقــدمة :

نظرا لعدم وجود دراسة تحليلية لمنطق جوتلوب فريجه وافتقار المكتبة العربية لهذا الضرب من المعرفة العلمية التي تعود بالفائدة الجمة للعاملين في الحقل الرياضي والفلسفي واللغوي ، وجدت انه من الضروري ان تكون هناك بداية علمية لتعريف الباحث العربي على ما قدمه هذا المنطقي الذائع الصيت للعلم وللمعرفة ، وذلك بان ننشر منطقه على هيئة ابحاث متتالية مترابطة مستهدفين بذلك الاحاطة التامة بما قدمه فريجه للمنطق والرياضيات من دراسات جليلة لا تزال تمد الباحثين بخبرات علمية وفلسفية •

لقد تناول بعض الفلاسفة أو كتاب الفلسفة من العرب بعض ما قدمه فريجه للمنطق ، ولكن هذه الدراسات لم تكن تبحث منطق فريجه ولم تستمد معلوماتها مما قدمه هذا المنطقي ، بل انها اعتمدت على بعض الدراسات الخاطفة التي ظهرت في الكتب الانكليزية خاصة ، فجاءت معلوماتهم ناقصة مشوهة كما اعتمد كثير من الكتاب على كتاب « أصول الرياضيات Principia Mathematica لبرتراند رسل والفريد نورث هوايتهد ، معتقدين بذلك ان هذا الكتاب يغني عن مطالعة ما كتبه وقدمه فريجه للمنطق ، لان منطق رسل يعتمد على منطق فريجه في كثير من أصوله ، كما ان هناك قاعدة مشتركة بين المنطقتين هي البحث في أصول الرياضيات وارجاعها الى المنطق • ولكن الحقيقة غير ذلك ، لان في منطق فريجة أشياء كثيرة منطقية

مهمة اعتبرها بعض المناطقة المحدثين نقطة انطلاق لدراسات منطقية جديدة[1] •

وهناك معضلة أخرى تجعل المناطقة والفلاسفة يبتعدون عن دراسة منطق فريجه ويفضلون معرفته عن طريق ما كتبه رسل ، وهي ان اللغة الرمزية التي استحدثها فريجه للتعبير عن القضايا والبراهين غريبة عن تلك التي اعتادها المناطقة ، لانها ليست جبرية ، بل هندسية • ولما كانت بحوث فريجه منشورة باللغة الالمانية ، ولعدم استطاعة الطالب أو الباحث العربي مراجعتها بنفسه ، وجدت من كل هذه الاسباب ان ابدأ البحث بدراسة علاقة المنطق باللغة عند فريجه على أساس انه يمثل القسم الاول من نظرية فريجه المنطقية • وسوف تتابع نشر الاقسام الاخرى من نظريته المنطقية تباعا ان شاء الله •



١
جوتلوب فريجه

حياته ومؤلفاته(٢) :

وبالرغم من أهمية البحوث المنطقية التي قدمها فريجه للعلم والمعرفة ، الا انها بقيت غير معروفة في الاوساط الفلسفية والرياضية • وبقيت شخصية فريجه غير معروفة بالرغم من اصالة بحوثه وأهميتها • ومن الجدير بالذكر هنا ان فريجه عاش في عصر ظهر فيه عباقرة الرياضيات امثال ريشارد ديدكند Richard Dedekend وجورج كانتور Georg Cantor وكرونكر Kronecker ، ولكن مؤلفاته لم تثر انتباه علماء عصره وفلاسفتهم ، ولقد

(١) من الدراسات المنطقية المهمة التي اثرت حديثا ، وكانت تستمد بحوثها مما كتبه جوتلوب فريجه ، دراسة رودلف كارناب في بحثه « المعنى والضرورة » (Meaning and Necessity) ، وهذا يعني ان اثر جوتلوب فريجه في المنطق السيمانطيقي لا يقل أهمية عن اثره في المنطق الشكلي •

(٢) انظر قائمة مؤلفات فريجه المهمة في آخر هذه المقالة •

ترك هذا الاهمال ألما شديدا في نفس فريجه .

ولد جوتلوب فريجه في ٨-١١-١٨٤٨ في فيزمر Wismer ، وتوفي في ٢٦-٧-١٩٢٥ في باد كلاينن Bad Kleinen عن ٧٧ عاما . درس الرياضيات في جامعة ينا Jena وجوتنجن Göttingen ، وأصبح مدرسا خاصا Privatdozent في سنة ١٨٧١ في جامعة ينا ، ثم عين استاذ شرف Honorar professor في سنة ١٨٩٦ - ١٩١٧ واعتزل التدريس حتى وفاته .

يعد فريجه بدون شك من عمالقة الفكر الاوروبي لما قدمه من أبحاث أصيلة ومبتكرة وطرق جديدة في الدراسات الرياضية والفلسفية ، فهو مفكر من طبقة ليبنتز ، ولكنه يفوق ليبنتز أهمية ، لانه أول من استطاع ان يحقق اشتقاق الرياضيات من المنطق . فهو بالنسبة للمنطق الرياضي المعاصر المؤسس الاول ، ومثله كمثل ارسطو بالنسبة للمنطق القديم . واننا في الحقيقة لا نجد شخصية كتبت في المنطق [وكان لها التأثير البالغ بعد ذلك في الدراسات المنطقية والفلسفية] منذ ارسطو الا جوتلوب فريجه .

ولربما يتسائل المرء عن السبب الذي جعلنا نعتبر فريجه بهذه المنزلة العلمية وعن الاشياء التي حققها وسعى الى تحقيقها فجعلته في هذا المصاف من العبقرية وذياع الصيت . وللاجابة عن هذه الاسئلة يجدر بنا ان نتذكر محاولات الفلاسفة[٣] في جعل الفلسفة علما مضبوطا قائما على اسس برهانية أو رياضية ، وكذلك محاولات الرياضيين لبناء الرياضيات على اسس رمزية متعدين بذلك عن غموض لغة التداول ، ومستهدفين بناء لغة رمزية منطقية . كما نجد في بداية العصر الحديث من يحاول بوضوح جعل الفلسفة عبارة عن رياضيات بعيدة عن الجدل الميتافيزيقي والسوفسطائية الكلامية . كان ليبنتز رائد هذه الحركة العلمية في الفلسفة ، لانه أراد ان تكون الفلسفة

---

(٣) بدأت المحاولات الفلسفية في بناء الفلسفة على أصول علمية في العهد اليوناني ، فاتخذت عند فيثاغوراس وافلاطون شكلا رياضيا دقيقا ، واستمر هذا التيار في الفكر الفلسفي ، فنجده واضحا أكثر عند كل من ديكارت وليبنتز وكانت وبولتزانو وجوتلوب فريجه وبرتراندرسل وغيرهم .

رياضية ، لـكي ينتقي الجدل العقيم وتصبح الافكار مطبوعة على هيئة رياضية أو حسابية • وكانت محاولاته الجدية في بناء المنطق على اسس رياضية تستهدف بناء حساب منطقي Logical Calculus على غرار ما هو معروف في الرياضيات ، فوضع برنامجه المنطقي الذي أصبح بعدئذ هدفا من أهداف المنطق والفلسفة في التأريخ المعاصر •

وعلى هذا النسق وتحقيقا لبرنامج ليبنتز نجد جوتلوب فريجه يقوم ببناء لغـة شكلية ورمزية على هيئة حساب في بحثه المعروف لغـة الافكار Begriffsschrift المنشور سنة ١٨٧٩ ، حيث وضع فيه لاول مرة في تاريخ المنطق بديهيات تخص منطق القضايا والدالات على هيئة رياضية دقيقة •

ويعترف فريجـه(٤) بأهمية مخطط ليبنتز في بنـاء حسـاب فلسفي Calculus Philosophicus على أساس انه يؤلف بناءً جبارا تستفيد منه جميع ضروب المعرفة والعلم • وبالرغم من ان ليبنتز لم يحقق حلمه في بناء هذا الحساب ، فان ذلك لا يعني بتاتا استحالة تحقيقه ، كما انه ليس من الضروري ان يكون تحقيقه على دفعة واحدة ، بل ان فريجه يذكر ان هذا الهدف يمكن تحقيقه بخطوات ، وذلك بان تكون هناك خطوة تمثل البداية فتتلوها خطوات أخرى تسعى نحو تطوير الخطوات التي سبقتها • وما بحث فريجه Begriffsschrift الا الخطوة الأولى في بناء لغة رمزية منطقية قائمة على البرهان والاستنتاج •

وتمكن فريجه بالفعل من بناء لغة منطقية دقيقة قادرة على التعبير المنطقي والرياضي الدقيق ، بحيث يكون بالامكان التعبير عن جميع القضايا المنطقية • ويجب ان نعترف هنا ان بناء مثل هذه اللغة الدقيقة ليس بالامر الهين ، خاصة واننا نعرف ان لغة التداول لا تصلح لان تكون أداة للتعبير الدقيق أو لغة من هذا النوع • فكان على فريجه ان يقوم ببناء لغة رمزية تستوفي الشروط التي سبق ان الزمها ليبنتز لمثل هذه اللغة ، شريطة ان تضم جميع قضايا المنطق • ولـكي يكون لهذه اللغة القابلية على الاشتقاق بغية الحصول على

---

(4) Frege, G., Begriffsschrift انظر مقدمة فريجه

قضايا جديدة من مقدمات معلومة ، فمن الضروري ان يضع فريجه لهذه اللغة قوانين استنتاجية ليستطيع بواسطتها ان يحصل على قضايا ضرورية مشتقة من بديهيات أو من قضايا سبق ان برهن على صحتها . وهكذا تمكن فريجه ان يحقق حلما من أحلام ليبنتز في بناء لغة رياضية للمنطق لها خاصية استدلالية أو استنتاجية .

ولقد أدرك فريجه ببصيرة ثاقبة العلاقة بين الرياضيات والمنطق ، وتبين له ان نظرية الاعداد الطبيعية Theory of natural numbers التي تؤلف القاعدة الاساسية لعلم الحساب ما هي الا امتداد للمنطق ، بل ان اشتقاق الرياضيات من المنطق أمر طبيعي اذا عرفنا القوانين المنطقية التي يقوم عليها الاستنتاج والبرهان وادركنا ان الافكار الرياضية يمكن تعريفها بالافكار المنطقية : وهذا يعني ان الرياضيات تفترض المنطق بالضرورة سواء كان ذلك في العمليات البرهانية أم في بناء الافكار وفهم معانيها .

وعلى هدى هذه البصيرة بدأ فريجه بحثه في اشتقاق الرياضيات من المنطق في كتابه المعروف « اسس علم الحساب Grundlagen der Arithmetik »[٥] المنشور في سنة ١٨٨٤ ، حيث ناقش فيه السؤال الذي لم يحاول علماء الرياضيات طرحه وهو : ما العدد ؟ ، لاعتقادهم ان مثل هذا السؤال يقودنا الى معرفة خارجة عن حدود المعرفة الرياضية ، ويجعلنا نبحث الاجابة عنه ضمن حدود المعرفة الفلسفية ، فهو بذلك من اختصاص الفلسفة وليس له صلة بالرياضيات اللهم الا الوجه الخارجي ، لان مدار السؤال يتعلق بالعدد الذي هو من صلب المعرفة الرياضية . ولكن فريجه أخذ يفلسف الافكار السابقة لمفهوم العدد والتي قال بها بعض علماء الرياضيات والفلسفة محاولا الوصول الى نتيجة حاسمة تفترض المعرفة المنطقية في تعريف العدد .

---

(٥) ناقش فريجه في هذا المبحث مواضيع مهمة لها قيمة فلسفية مثال ذلك دراسته لطبيعة القضايا الرياضية والمنطقية على ضوء ما قدمه الفلاسفة في هذا المبحث ، ليعطي بعد ذلك رأيه . كما نجده يفحص آراء الكتاب عن فكرة العدد ، فيناقش رأي كانتور وشرودر ومل وغيرهم . ويحاول بعدئذ ان يحل المشكلة ، وذلك بتعريف العدد مستعينا بالافكار المنطقية فقط .

وهذا يعني : ان تعريف العدد ينبغي الا يستمد أفكاره من المعرفة الميتافيزيقية أو المعرفة التجريبية ، بل ان هذا التعريف يفترض بعض الافكار المنطقية ، وان هذه الافكار هي الاصول الرياضية في التعريف • وبالاضافة الى ما تقدم نجد فريجه يفلسف الافكار الرياضية ويحللها منطقيا بغية الوقوف على المفاهيم التي تصلح لان تكون نواةً صالحةً لنظريته المنطقية ، وهذا هو ما يميز فريجه عن علماء الرياضيات في عصره • بل ان دراساته الفلسفية لها أهمية كبيرة كذلك في التحليل المنطقي والفلسفة التحليلية المعاصرة • ومن الابحاث التي لا تزال غنية بأفكارها الفلسفية والتي هي الآن موضع مناقشة الفلاسفة المقالات التي نشرها بين ظهور كتابه الثاني« اسس علم الحساب » وكتابه الاخير « القوانين الاساسية لعلم الحساب » Grundgesetze der Arithmetik الذي ظهر الجزء الاول منه في سنة **١٨٩٣** والجزء الثاني سنة **١٩٠٣** والذي احتوى على مجهودات فريجه المنطقية والفلسفية والرياضية • فهو بذلك يمثل نضجه الفكري في هذا الحقل من المعرفة العلمية •

وهذه المقالات هي :ـ

١) الدالة والفكرة(٦) *Funktion und Begriff* **سنة ١٨٩١ :**

ناقش فريجه في هذه المقالة مفهوم الدالة في الدراسات الرياضية وأعطى أخيرا مفهومه الاساسي للدالة والذي يمثل تطورا في تفكيره المنطقي ، لانه سبق ان ناقش مفهوم الدالة في بحثه الاول "Begriffsschrift" وتبين له من خلال المناقشة ان مفهوم « الدالة » في الرياضيات لا يختلف عن مفهوم « الفكرة » في المنطق • وبهذه الطريقة يحاول فريجه ان يبرهن

(٦) يستعمل فريجه لفظ "Begriff" بشكل يختلف تماما عن استعمال علماء النفس وحتى المناطقة • ولقد ترجمنا هذه اللفظة بالكلمة « فكرة » التي في الحقيقة لا تعني تماما ما تعنيه الكلمة الالمانية ، ولكننا وجدنا انفسنا مضطرين لذلك • ومن الضروري ان نؤكد هنا ان استعمالنا للكلمة « فكرة » منطقيا فقط وليس نفسيا •

ان بين الرياضة والمنطق علاقة متينة ، وان الرياضيات ليست الا منطقا متطورا .

وفي هذه الحالة بالذات يقدم لنا فريجه تعبيرا منطقيا جديدا وهو « قيمة الصدق "Wahrheitswert" » الذي يعتبر عصبا ضروريا في الدراسات المنطقية المعاصرة ، وأوضح كذلك الفرق بين الدالات والافكار ، اذ من الضروري ان لا تخلط بين دالة من الدرجة الاولى Funktion erster Stufe مع دالة أخرى من الدرجة الثانية Funktion zweiter Stufe . وكذلك الامر بالنسبة للافكار التي تعتبر دالات لها حد واحد وبين الافكار التي تعتبر دالات لها حدين أو أكثر .

ولهذه المقالة أهمية منطقية جديدة تتلخص في :ـ

أ) انها اضافت الى التحليل المنطقي أفكارا جديدة تتميز بالوضوح والدقة .

ب) انها بينت الصلة بين الرياضيات والمنطق في حقل الافكار .

حـ) انها تبين التطور الفكري لفريجه في المنطق الذي سيكون حجر الزاوية في قمة انتاجه المنطقي في بحثه « القوانين الاساسية لعلم الحساب » .

٢) حول المعنى والدلالة *über Sinn und Bedeutung* سنة ١٨٩٢ :

يحاول فريجه في هذه المقالة بكل وضوح ان يميز بين العبارة باعتبارها متوالية مؤلفة من أشياء منطوقة أو اشارات مكتوبة وبين المعنى الذي يرتبط بالعبارة والذي يختلف تمام الاختلاف عن الشيء الذي تشير اليه العبارة . ولقد ادرك فريجه ان الفلاسفة وعلماء اللغة يخلطون بين المعنى والدلالة مع العلم ان لهذا التمييز أهمية كبيرة في الدراسات المنطقية واللغوية ، كما ان عدم التمييز بينهما قد يقودنا الى الوقوع في متناقضات لا تنفع العلم والمعرفة . ولو دققنا النظر في بحوث فريجه السابقة ، فاننا لن نجد

هذا التمييز في بحثه الاول Begriffsschrift [٧] مثلا ، كما اننا ندرك ان السنوات التي تبعت بحثه الاول لم تذهب هباءً ، بل انها انضجت فكر فريجه المنطقي وأتت بثمار استعان بها في بحثه الاساسي •

٣) **حول الفكرة والشيء** *über Begriff und Gegenstand* **سنة ١٨٩٢ :**

تمثل هذه المقالة اضافة منطقية جديدة • وكما اعتاد فريجه عند البحث في انتزاع أفكاره من مناقشة أفكار غيره تجده يناقش مقالات كيري B. Kerry التي نشرها حول بحوث فريجه والتي كما يظهر لم تكن موفقة في فهم المفاهيم المنطقية التي أضافها فريجه وأعطاها معاني تختلف عن المعاني التي يفترضها كيري لنفس المفاهيم • اما الغاية من بحث فريجه هذا فهو التمييز الواضح بين الفكـرة والشيء الذي يقع تحت الفكرة • والفكـرة عنـده هي معنى لمحمـول ، اما الشيء فيمكن ان يكـون معنى لموضوع[٨] •

يظهر لنا من هذه المقالة ان هناك ترابطاً ومشابهة بين « المعنى والفكرة » و « الدالة والشيء » ؛ وهذا يعني ان المعنى هو الفكرة التي نعبر عنها بلغة ، وانها تختلف عن الشيء الذي يقع تحتها أو عن الدلالة التي يشير اليها المعنى • ولهذا التميز أهمية كبيرة في الدراسات المنطقية والفلسفية ، خاصة وانه أصبح الآن أساساً في التميز بين القضايا والافكار العلمية والفلسفية ؛ كما انه مفيد في التحليل المنطقي لمعرفة فيما اذا كانت عبارة ما فارغة أو لها معنى أو دلالة • اما بحثه الاخير والذي يمثل قمة انتاجه في فلسفة الرياضيات فهو « القوانين الاساسية لعلم الحساب » ، وقد تضمن جميع دراساته السابقة بشكلها الناضج والمتكامل ، واستطاع به ان يربط المنطق بالرياضيات بشكل

---

(٧) تعني هـذه العبارة الالمانية بالضبط لغة رمزية دقيقة وشكلية تحتوي على رموز لافكار • وكلما كانت اللغة المنطقية جميعها رمزية كلما كانت قريبة من معنى هذا التعبير الالماني الذي استحدثه فريجه والذي يشبه لحد كبير اللغة الرمزية التي أرادها لينبتز للفلسفة والرياضيات •

(8) Frege, G.. "Furktion, Begriff, Bedeutung" p: 70.

وثيق ، وذلك ببرهانه بان علم الحساب مشتق من المنطق وصادر عنه • وبالرغم من أهمية هذا البحث الا انه لم يلق ما يستحقه من تقدير علمي وبقي غير معروف في الاوساط العلمية العامة حتى اكتشفه برتراند رسل سنة ١٩٠٣ ، وبيّن الاهمية العلمية المتضمنة في بحوث فريجه المنطقية • وأعطى رسل في نهاية بحثه المعروف « مبادىء الرياضيات »[٩] The principles of mathematics المنشور سنة ١٩٠٣ ملحقا لخص فيه نظريات فريجه المنطقية • ولقد اظهر رسل من ناحية أخرى ان في نظرية فريجه المنطقية تناقض ، وحاول فريجه ان يخرج من الازمة باعطاء بعض الحلول لهذا التناقض ، ولكن بدون جدوى • فكان ذلك فاتحة لظهور نظرية الانماط المنطقية Theory of Logical types لحل المتناقضات المعروفة في المنطق والرياضيات •

تناول فريجه في الجزء الأول من بحثه « القوانين الاساسية لعلم الحساب » الاصول المنطقية التي يقوم عليها بناء اللغة الرمزية ، فناقش الدالة والفكرة والعلاقة ، وقدم بوضوح طريقة قراءة صيغ ومعاني اللغة الرمزية • ثم انتقل بعد هذا العرض لبدايات لغته المنطقية الى القوانين أو الطرق الاستنتاجية والقواعد الخاصة في تطبيق الصيغ وتحويلها • وبهذه الخطوات المنطقية التي أصبحت الآن من العمليات الجوهرية في بناء الانظمة المنطقية المختلفة ينتقل فريجه الى الجزء المهم من اللغة الرمزية وهو تعيين القوانين الاساسية أو البديهيات والقوانين ، ومن ثم اشتقاق بعض القضايا من هذه القوانين •

---

(٩) ناقش برتراند رسل في هذا الكتاب نظرية فريجه في المعنى والدلالة ونظريته في الدالة والفكرة ، ونظريته في الفكرة والشيء ، وكان يناقش ما توصل اليه فريجه من نتائج بما قدمه هو من أبحاث في هذا الصدد ، وناقش رسل نظرية فريجه المنطقية في الحساب وتعريفه للعدد الذي يشبه تعريف العدد عنده • وتظهر أهمية هذا الملحق في المقارنات التي يعقدها رسل بين ما توصل اليه وما توصل اليه فريجه من نتائج • كما نجد انتقادات منطقية هامة لبعض الافكار التي يستعملها فريجه في منطقه •

اما الخطوة الثانية بعد بناء اللغة المنطقية ، فهي بلاشك تهتم بالعـدد وتقديم البراهين الـكافية للقضايا التي تخص الاعداد مثال ذلك برهان بعض القضايا التي تخص العدد صفر والعدد واحد •

اما الجزء الثاني من البحث [القوانين الاساسية لعلم الحساب] فانه يتناول نقدا للنظريات الخاصة بالاعداد Irrational zahlen كما نجد في هـذا البحث بالذات نظرية فريجه في التعريف والقواعـد التي يجب ان يستوفيها التعريف • وبالاضافة الى ذلك نجـد فريجه يبحث في نظـرية العلاقات والفئات ويعطي بعض القوانين أو القضايا المهمة في هذا المضمار •

واضافة الى كل ما تقدم من الابحاث الاساسية نشر فريجه كذلك مقالات كثـيرة تناولت مواضيع فلسفية ورياضية شتى ، ناقش فيهـا اسس الهندسة كما في مقالته حول اسس الهندسة über die Grundlagen der Geometrie المنشـور سنة ١٩٠٣ ومقالات أخرى تناولت الفكـرة والنفي من الجانب المنطقي • وهنالك مقالات أخرى فيها انتقادات ومناقشات لبعض الرياضيين والمفكرين في عصره • هذا وسوف نعطي قائمة تامة بمؤلفات فريجه •

تطور أفكاره المنطقية :

كانت محاولات فريجه تتسم منذ البداية بدقة التفكير والتعبير والتأمل العميق في العمليات الاستنتاجية التي يحتاجها البرهان الرياضي والقـوانين الضرورية التي تقترن بالعمليات البرهانية • ولـكن أبحاثه الاولى لم تكن مستهدفة بناء الفلسفة الرياضية فحسب ، بل انه ادرك كذلك منذ أول وهلة ان عملا كهذا يستدعي دراسة دقيقة للقوانين المنطقية التي يستخدمها الرياضي في حل المعضلات الرياضية والبراهين ، كما ان مثل هذا العمل لا يمكن ان يعبر عنه بلغة التداول ، لان هذه اللغة بحد ذاتها غير منطقية وان قواعدها لا تصلح لان تكون قوانين في العمليات الاستدلالية ، لذا من الضروري أولا

وقبل كل شيء ان يبدأ فريجه ببناء لغة صورية على هيئة لغة علم الحساب(١٠) محاكياً اياها في استعمال الرموز والحروف ومستهدفاً الكشف عن القوانين المنطقية الضرورية التي كثيرا ما يستخدمها عالم الرياضيات دون ان يشير اليها عندما يريد البرهان على القضايا الرياضية في فروع الرياضة المختلفة • وهذا يعني ان فريجه يسعى لتكوين لغة رمزية للافكار المنطقية تشبه اللغة الرمزية المتعارف عليها في الرياضيات ، بحيث تكون هذه اللغة الهيكل العام للمنطق الرياضي الذي يريد فريجه بناؤه •

ونحن نعرف من دراستنا المنطقية ان مثل هذه الدراسات في اطارها العام سبق أنْ قام بها ارسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ق٠م) في القديم وجوتفريد فلهلم ليبنتز (١٦٤٦ – ١٧١٦) في العصر الحديث • وبالرغم من ان فريجه لم يتأثر بمناطقة عصره الا قليلا ، الا ان برنامجه المنطقي هو ذلك الذي اقترحه ليبنتز لجعل الفلسفة علماً استدلالياً دقيقاً ، ولتكوين لغة عامة نستطيع ان نعبر بواسطتها عن جميع الحقائق • وبالطبع فان هذه اللغة الرمزية الاستدلالية تختلف عن اللغة التي تستخدمها العلوم الانسانية • ويجب ان يتوفر في اللغة المنطقية شرط أساسي مهم هو انه يجب ان يكون بين قضاياها علاقة تابع واستنتاج منطقي • وبمعنى آخر : من الضروري ان تكون لدينا أوليات أو فرضيات أو بديهيات هي القضايا الاساسية أو الاولية لهذه اللغة • وبواسطة قوانين استنتاجية معينة نستطيع ان نشتق قضايا أخرى ، وذلك بتطبيق هذه القوانين وبخطوات برهانية محدودة •

واذا كان بناء اللغة هدف عالم المنطق ، فيجب ان نلاحظ هنا الى ان

---

(١٠) نقصد هنا بلغة علم الحساب البناء الرياضي لهذا العلم الذي يتألف من أفكار أو رموز أولية هي الاعداد والعلاقات أو الروابط ومن القضايا الاساسية التي تؤلف البديهيات لهذا العلم ومن القضايا المشتقة التي نحصل عليها من البديهيات • وقد نستخدم كلمات في العمليات البرهانية وقد تنقص اللغة الصورية لعلم الحساب تعابير رمزية للروابط المنطقية ، وهذا ما يجعل فريجه يقول ان هذه اللغة لا تستحق اسم « اللغة الرمزية أو لغة الافكار »

Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung (über die wissenschaftliche Berechtigung einer Begriffsschrift) p: 94.

اللغات المنطقية تختلف عن بعضها البعض في الافكار الاولية التي تعتبر ألفباء اللغة والقضايا الاولية أو البديهيات والقوانين الاستنتاجية • ولكن الذي يهمنا في هذه المقالة هو ان نعرف التطور الفكري لفريجه الذي رافق أفكاره الاساسية ، والذي يعتبر ضرورة حتمية لتعمق فريجه في الرياضة والمنطق لمعرفة الصلة التي تربط بينهما •

وضع فريجه لغته المنطقية الاولى في بحثه "Begriffsschrift"(١١) ، وهي لغة فنية صورية بعيدة عن الخبرة الحسية ، اما الافكار الاساسية التي تكون ألفباء هذه اللغة والتي ناقشها فريجه في مستهل بحثه فيمكن اجمالها كما يأتي :ـ

أ) التمييز بين ما هو ثابت وما هو متغير في الرياضيات والمنطق •

ب) الحكم Das Urteil أو القضية •

ح) الشرطية Die Bedingtheit أو الالزام •

د) النفي Die Verneinung •

هـ) الذاتية (المساواة) Die Inhaltsgleichheit •

و) الدالة Die Funktion •

ز) الكلية Die Allgemeinheit •

ولا اريد هنا ان احدد معاني هذه الافكار بالتفصيل ، لان ذلك بحث

---

(١١) تتميز هذه اللغة الرمزية انها صورية وان قضاياها المنطقية قبلية apriori وغاية فريجه من بناء هذه اللغة تتجلى في امداد لغة الرياضيات الصورية برموز للعلاقات المنطقية ، بحيث يكون بالامكان القول ان للرياضيات لغة رمزية تامة خالية من الكلمات • كما يكون باستطاعة هذه اللغة ان تعطينا حقائق منطقية مهمة للرياضيات ، دون الحاجة الى التعبير عن هذه الحقائق بالاصوات • اما الحاجة الى بناء مثل هذه اللغة فيتجلى في ربط العمليات الاستنتاجية دون ان تكون قفزات (انظر
(Frege, G., Begriffsschrift IV

سنأتي عليه في دراساتنا القادمة • ولكن المهم هنا ان نعرف التغيير الذي طرأ على بعض الافكار ولو بصورة موجزة لنعطي صورة عامة عن تطور الافكار المنطقية عند فريجه •

ويمكننا اجمال هذا التطور بالخطوات الآتية :ـ

١) لم يطرأ تغيير كبير على الطريقة الرمزية التي استعملها فريجه لاول مرة في بحثه ''Begriffsschrift'' وبحثه الرئيس « القوانين الاساسية لعلم الحساب » الا في شيء واحد هو ان فريجه رمز للمساواة ثلاثة خطوط افقية متوازية « ≡ » في بحثه الاول ، ولكنه استعاض عن هذا الرمز بخطين افقين متوازيين « = » وذلك لقناعته ان لرمز المساواة نفس المعنى في الرياضيات والمنطق • وهنالك اضافة جديدة وهي رمز Spiritus Lenis لتعاقب القيم ''Wertverläufe'' •

٢) طور فريجه نظرية منطقية جديدة واعطاها أهمية كبيرة في بحثه المنطقي الرئيسي وهي نظرية تعاقب القيم ، وذلك لانه وجد من دراساته المنطقية ان تعريف العدد يستلزم مفهوم مجال الفكرة Begriffsumfang [١٢] ، أي ان العدد ليس الا مجالاً فكرياً ، وان المجال الفكري حسب مفهوم فريجه ما هو الا تعاقب قيم •

ويمكن وضع هذه الحجة كما يأتي :

العدد هو مجال فكري Die Anzahl ist ein Begriffsumfang

المجال الفكري هو تعاقب قيم Der Begriffsumfang ist ein Wertverlauf

---

(12) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik p: 79

ومن الضروري هنا ان نشير الى ان هذا التعبير المنطقي Begriffsumfang يقصد منه ما صدق الفكرة ، وهذا يعني ان لدينا الآن فئة Class فيها صفة هي الفكرة أو المفهوم intension وما صدق extension وهو المجال •

وعلى ما يظهر يعتبر فريجه مفهوم تعاقب القيم من المفاهيم المنطقية ، وان تعريف العدد اذن يتم بواسطة مفهوم « مجال الفكرة » الذي هو بحد ذاته ما هو الا تعاقب قيم •

٣) ينتقل فريجه من بناء اللغة الفنية للمنطق والتي يتم بموجبها الاستنتاج الرياضي الى مناقشة بعض المفاهيم الضرورية في الرياضيات ، ويبدأ بحثه « اسس علم الحساب » بمناقشة فلسفية ومنطقية بالتفصيل لمفهوم العدد • وهذا التطور ان دل على شيء فانه يدل على ان فريجه ادرك ان المنطق يؤلف القاعدة الضرورية للرياضيات اذا استطاع ان يحقق الانجاز العلمي في حقلين هما :ــ

أ) في النظرية الاستدلالية القائمة على المنطق •
ب) في تعريف المفاهيم الرياضية وذلك بالاستعانة بمفاهيم منطقية فقط •

٤) وفي أثناء مناقشة فريجه الاصول المنطقية لنظريته نجده يميز في القضية شيئين هما (أ) معرفة الصدق (ب) المحتوى الذي يكون صادقا • ولكنه في مقالته « حول المعنى والدلالة » يرى رأياً آخر وهو اننا نميز في القضية معناها أو الفكرة Der Gedanke التي نفهمها بمجرد سماع القضية دون ان نعرف فيما اذا كانت القضية صادقة أو كاذبة • اما الدلالة فهي بالنسبة لتفكير فريجه في مقالته صدق أو كذب القضية • وهذا يعني بوضوح ان دلالة القضية هو قيمة الصدق[١٣] Wahrheitswert التي تكون اما صادقة أو كاذبة • ولكن هذه القيمة تكون صادقة دائما في حالة قضايا المنطق •

---

(13) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [über Sinn und Bedeutung] p: 46.

٥) واذا ميزنا بين معنى الرمز ودلالته ، فان ذلك معناه ان هناك فرقا بين الفكرة والشيء الذي يقع تحتها ، وذلك لان الفكرة غير الشيء ، كما انه ليس من الضروري ان يكون لكل فكرة شيء يقع تحتها . ونحن نعرف من جهة أخرى منطقية بحته ان الشيء هو ما ليس بفكرة . واذا كان الشيء محسوسا مدركا بالاعضاء الحسية ، فان الفكرة غير محسوسة حسيا ، ولكنها تصف الاشياء المدركة بالحس وتحمل عليها .

ويجب ان نشير هنا كما فعل فريجه في مقالته « الفكرة والشيء » الى ان الكلمة « فكرة » تستعمل على طرق مختلفة منها نفسية وأخرى منطقية وفي بعض الاحيان يخلط المرء بين الطريقتين[١٤] . اما بالنسبة لفريجه فان « الفكرة » لها استعمال منطقي فقط ولها معنى حملي[١٥] Prädikativ وهذا ما يميزها عن الاسم الموضوع للشيء والذي على العكس لا يمكن استعماله كمحمول لانه اسم علم . واسم العلم في منطق فريجه كل رمز يستعمل للاشياء[١٦] .

٦) وفي مقالته عن « الدالة والفكرة » نجد ان ثمة تطوراً كبيراً طرأ على تفكير فريجه ، فلقد ميز في بحثه الاول "Begriffsschrift" بين الدالة والشيء ، واعطى للدالة معنى بسيطا واعتبرها الجزء الثابت في القضية أو الصيغة المنطقية ، في حين اعتبر الجزء المتغير حدود هذه الدالة . وبذلك ميز بين الدالة ذات الحد الواحد

(14) Ibid [Begriff und Gegenstand] p: 64.

(15) Ibid., [Begriff und Gegenstand] p. 65.

(انظر الحاشية)

(16) Ibid., [Begriff und Gegenstand] p. 69.

والدالة ذات الحدين أو أكثر • اما في مقالته « الدالة والفكرة » فانه يناقش الدالة كما يفهمها علماء الرياضة على أساس انها تعبير حسابي Rechnungsausdruck ، وينتقد هــذا التحديد ليصل الى القول بان الدالة ناقصة unvollständig (١٧) • امــا غايتــه من هــذا البحث فيتجلى في ربط الدالة المستعملة في الرياضيات بالفكرة المستعملة في المنطق ، وليخرج نتيجة هامة هي ان الفكرة صنف من أصناف الدالات • وهذا التحديد الذي يأخذ به فريجه عنــد ارجاع الرياضيات الى المنطق في كتــابه « القوانين الاساسية لعلم الحساب » •

٧) يظهر لنا من هذا العرض السريع لتطور الافكار المنطقية عند فريجه ان غايته كانت منصبة في الاجابة على السؤال الآتي : هل نستطيع اشتقاق حساب الاعداد الطبيعية من المنطق أو لا ؟ وبالطبع ان هذا السؤال يمثل جزءً من سؤال عام حول امكانية اشتقاق الرياضيات من المنطق (١٨) •

اذن كان هدف فريجه من البحث هو ايجــاد الطريق الصحيح الذي نستطيع بواسطته ان نوصل الرياضيات بالمنطق ونرجع الاول الى الثاني • ولــكن رغم عمق محاولاته واهميتها الا انها للاسف لم تثر انتباه الرياضيين من علماء عصره ممــا جعل فريجه يسجل في مقدمة بحثه الرئيس انطباعاته المؤلمــة وخيبة امله (١٩) ، ولــكنه كان مدركا تمام الادراك ان دراسته المتكرة تفتح آفاقاً علمية جديدة في حقل الرياضيات والمنطق والفلسفة •

---

(17) Ibid., [Funktion und Begriff] p: 19-20.

(18) Scholz, H., Mathesis Universalis p: 271.

(19) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetitk p: XI.

٢
مفهوم اللغة الرمزية

اعتاد الناس وبعض المفكرين من فلاسفة وكتاب على تسمية الاعمال أو الاقوال التي ترتبط فيما بينها بروابط تدل على انها منسجمة مع ذاتها أو مع الواقع انها منطقية • وقد يوصف شخص بانه منطقي التفكير اذا تبين ان طريقة معالجته للاشياء والنتائج التي يتوصل اليها تدل على حكمة وعقل • وقد يقال لشخص انه منطقي ويراد من ذلك وصفه بقوة الحجة والبرهان ونفاذ البصيرة بحيث يصل الى نتائج صحيحة من مقدمات •

ولكن هذا المفهوم المتعارف عليه في الحياة اليومية يختلف فنياً عن مفهوم المنطق عند المناطقة والرياضيين ، كما انه يختلف تبعاً لغاية الشخص من البحث ومادة بحثه • فنجد مثلاً في تأريخ الفكر الانساني أشياء كثيرة ارتبطت بالمنطق مع العلم انها لا تمت له بصلة مثال ذلك التعبير « منطق التاريخ » أو « منطق الشعر » •

وبالاضافة الى كل ذلك نجد في تاريخ المنطق والفلسفة بالذات مناطقة اعتبروا المنطق مختصا بالعقل وقوانينه ، وبذلك ربطوا بين المنطق وعلم النفس • وكان الحافز الى هذا الاتجاه هو ان العلم توصل الى صياغة أو كشف القوانين الطبيعية التي تسير بموجبها الكواكب والاجزاء الطبيعية ؛ واذا كان العالم المادي يسير تبعا لهذه القوانين ، فان العالم النفسي أو العقل لابد ان يسير كذلك بموجب قوانين تخص طبيعته ، وهذه القوانين في اعتقاد هؤلاء المفكرين هي القوانين المنطقية •

اصطدم فريجه في كتاباته المنطقية وخاصة في بحثه « اسس علم الحساب » و « القوانين الاساسية لعلم الحساب » بهذا المفهوم السيكولوجي للمنطق ، لان مثل هذا المفهوم يجعل المنطق جزءً من علم النفس(٢١) •

---

(21) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik p: XVI.

وكانت مهمته تجريد المنطق كليا من كل اثر من آثار علم النفس • وتجدر الاشارة هنا الى اننا من الضروري ان نميز بين مفهومين مختلفين في استعمال عبارة « قوانين الفكر "Denkgesetze" •

أ) في حالة اعتبارنا قوانين الفكر ضرورية وتفرض نفسها في حالة الاستنتاج ، فهي بذلك ملزمة للعمليات الفكرية ، لان التفكير الاستدلالي لا يتم بدونها •

ب) في حالة اعتقادنا ان قوانين الفكر هي القوانين التي تتحكم في العقل وانها قوانين العالم العقلي ، كما تتحكم القوانين الطبيعية على اساس انها قوانين العالم المادي •

بالنسبة للمفهوم الاول تصبح قوانين الفكر مجرد صيغ يتبعها الفكر في حالة التحليل أو الاستنتاج الصحيح ، فهي بذلك لا تمت بصلة لعلم النفس ، وانها تتميز بالكلية ، كما ان تطبيقها ضروري في العمليات الفكرية• فهي بذلك لا تختلف عن القوانين الطبيعية أو الرياضية من حيث افتقارها الى الفكر ، وان الفكر يجب ان يتبعها للوصول الى الحقائق •

اما بالنسبة للمفهوم الثاني والذي يعتبر القوانين الفكرية متحكمة في العمليات العقلية ، فانه يقربنا الى علم النفس ، لان من اختصاص علم النفس ان يبحث الفكر وما يتصل به ، خاصة وان التفكير عملية نفسية بحته • والفرق الآن بين المفهومين واضح ، فبينما تكون القوانين في الاستعمال الاول مفروضة على الفكر في حالة تحريه للوصول الى الحقائق المنطقية تماما كما تفرض القوانين الطبيعية على الفكر في حالة تحريه للوصول الى الحقائق الطبيعية ، نجد القوانين العقلية في الاستعمال الثاني من صلب الفكر وتنتمي اليه ، فهي بذلك قوانين نفسية وليس لها صلة بالمنطق •

اما فريجه فيفهم تحت تعبير « القوانين المنطقية » ليس القوانين السيكولوجية ، بل قوانين ما هو حقيقة بالفعل[٢١] : وهذا يعني ان ما هو

(21) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik p: XVI.

حقيقة لا يعتمد على ما يحكم به الفرد ، بل انها قوانين ثابتة لا تتغير بتغير حكم الافراد • واذا كانت هذه القوانين مهمة في الوصول الى الحقيقة ، فانها كذلك ضرورية لهداية الفكر لكشف هذه الحقيقة •

وقد يثير المرء سؤالا حول كيفية معرفة حقيقة القوانين المنطقية بان يقول : كيف نستطيع التثبت من ان القانون المنطقي م مثلا حقيقة أو صادق ؟ وللاجابة عن هذا السؤال من الضروري ان يكون لدينا معرفة تامة في الطريقة المنطقية في صياغة القوانين المنطقية أو اشتقاقها ، لان القانون م هو اما بديهية أو قانون أساسي أو مبرهنة • وللتثبت من صحة ذلك أو صدق القانون فيما اذا كان بديهية نلتمس طريقا واحدا وهو الايمان بصدقه ، وذلك لكونه بسيطا كما هو الحال في قانون الذاتية مثلا الذي يفرض نفسه على الفكر بانه صادق • اما اذا كان القانون مبرهنة ، فان البرهان ضروري للتثبت من صحته ، ويتم البرهان بارجاعه الى قوانين منطقية أخرى سبق ان تثبتنا من صحتها • ونحن نسلم بصحة البديهيات ولا نستطيع ان نبرهن عليها بواسطة قوانين منطقية ، لانها بسيطة وواضحة وان نقيضها غير ممكن ، كما ان النظام المنطقي لا يمكن ان يستمر في ارجاع القضايا المنطقية الى قوانين أخرى ، وهذه القوانين الى قوانين ثانية وهكذا الى ما لا نهاية ، لانه من الضروري ان يكون لدينا نقطة نهاية للارجاع المنطقي ونقطة بداية للبرهان ، وكل هذا يتم باختيار بعض القضايا كبديهيات بواسطتها يبرهن على جميع القضايا المنطقية التي تنتمي الى النظام •

واذا كان مفهوم المنطق يرزح تحت تأثير الخلط السيكولوجي ، فان افكاره كذلك تشكو من التفكير السيكولوجي ، وخلطها بما اعتاد عليه علماء النفس من تحديد لمفاهيم يستخدمها المناطقة كذلك • فكثيرا ما نواجه في مستهل بعض الكتب المنطقية التي تأثر كاتبوها بعلم النفس مبحثا في التصورات (Vorstellungen) ، يتناولون فيه طبيعة هذه التصورات النفسية وكيفية الحصول عليها وارتباطاتها تبعا لقوانين ارتباطية معينة مكونة بذلك

القوانين المنطقية[٢٢] •

يتناول فريجه هذا الاتجاه بالنقد والتجريح ، ويتخذ من احد المناطقة السيكولوجين وهو اردمان B. Erdmann مثلاً ، لان التصورات في رأي فريجه أشياء نفسية وتختلف باختلاف الاشخاص كما انها ترتبط بزمان ومكان • والقوانين التي ترتبط بموجبها التصورات قد تختلف من شعب الى شعب آخر • واذا اختلفت على سبيل الفرض ، فان المناطقة السيكولوجيين سوف يقولون ان هذه القوانين تخص هذا الشعب ، وهذه القوانين تخص الشعب الآخر • ان مثل هذا الموقف ربما يكون صحيحا بالنسبة للقوانين الفكرية أو النفسية ، ولكنه لا يمكن ان يكون بأي حال من الاحوال صحيحا بالنسبة للقوانين المنطقية ، لان القوانين المنطقية مستقلة عن تصورات الافراد والشعوب وهي عامة وحقيقية دائمة •

ومن الضروري ان نميز هنا بين التصورات كمواضيع من صلب علم النفس ، والافكار Begriffe التي هي من صلب البحث المنطقي ، لان الخلط بينهما يقودنا الى ادخال المنطق في مباحث علم النفس • وهناك خلط آخر بين بعض الافكار المنطقية والميتافيزيقا أو الفلسفة بمعناها المدرسي ، فمن المعروف في الفلسفة ان هناك نوعين من الاشياء :-

أ) الاشياء الموضوعية وهي مستقلة عن حواس الفرد •

ب) الاشياء الذاتية وتشمل التصورات والذكريات والانطباعات ، وهي معتمدة على نفسية الفرد • فالاشياء المادية مثلا تدرك عن طريق الحس وهي لا تتغير اذا ما تغير تصور الفرد لها • اما الاشياء الذاتية ، فان قيمتها وصحتها تعتمد على الشخص الذي يتصورها • وبين هذين العالمين تحاول

---

(٢٢) يتحامل فريجه على الاتجاهات السيكولوجية في المنطق والرياضيات وخاصة في تصوير العدد على أساس انه ذاتي أو نفسي ، فبالنسبة له يكون العدد خاضعا للبحث العلمي الموضوعي ، وان العدد ليس شيئا سيكولوجيا أو نتيجة لعملية عقلية

Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik p: 34.

الفلسفة ان تجيب عن طبيعة الاعداد « ١ ، ٢ ، ٣ ، ... الخ » فهل هي مادية مدركة بالحس أم انها ذاتية نفسية . فبالنسبة لجون ستيوارت مل مثلا ان جميع المعرفة تجريبية وكذلك المعرفة الرياضية[٢٣] . اما بالنسبة للمناطقة السيكولوجيين فان الاعداد تصورات رياضية ، لا تختلف من حيث الجوهر عن بقية التصورات . اما فريجه فان له رأياً آخر وهو ان الاعداد أفكار منطقية لا غير ، فهي ليست عقلية وليست تجريبية . ولقد خصص فريجه مناقشة طويلة لطبيعة الرياضيات والمنطق في بحثه « اسس علم الحساب » .

من كل ما تقدم يظهر لنا بوضوح ان غاية فريجه الاولى هي ان يخلص المنطق مما علق به من الآثار السيكولوجية والميتافيزيقية ، وان يعتبر المنطق قاعدة وأساسا لصياغة لغة رمزية صورية يعتمد عليها في اشتقاق قضايا علم الحساب والبرهان عليها . ويتجلى هذا الهدف في النتيجة التي توصل اليها فريجه من مناقشته لافكار متنوعة تتصل بطبيعة العدد وتعريفه فيقول ان علم الحساب تبعا لذلك ليس الا منطقا متطورا ، وان كل قضية حسابية هي قانون منطقي اشتقت منه[٢٤] . فالمنطق عنده لا يهتم بالتصورات أو بالمحتوى الذي تحمله القضية أو الشيء الذي يمكن ان تدل عليه القضية في العالم الخارجي ، لان المنطق في رأي فريجه لا يهتم الا بالاشكال أو بالرموز وارتباطاتها في صيغ شكلية .

وانه لمما لاشك فيه ان فريجه رياضي من الدرجة الاولى ، فهو يملك القابلية الرياضية في الاستنتاج ومعرفة تامة في كيفية بناء الانظمة الرياضية وما تحتاج اليه القضايا أثناء العمليات البرهانية ، ولكنه لم يقف عند هذا الحد الذي يقف عنده علماء الرياضيات ، بل انه أخذ يسعى لمعرفة الاصول أو الافكار الاساسية في الرياضة وتحديد معانيها ومفاهيمها مستعينا بالافكار المنطقية . ولقد لاحظ فريجه كذلك ان العمليات الرياضية خالية في بعض

(23) Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik p: 9.

(24) Ibid., p: 99.

انظر كذلك Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik p: VII.

الاحيان من القواعد أو القوانين المنطقية الضرورية في الاستنتاج والاشتقاق والبرهان ، وذلك لان عالم الرياضيات يعتبرها جزءً من خبرته ، وان ذكرها في اعتقاده ليس ضروري ما دام التسليم بها في أثناء العمل البرهاني أمر لا مجال للشك فيه • ويصدق هذا التحليل كذلك بالنسبة للبراهين المعروفة في هندسة اقليدس التي تستخدم بعض القوانين المنطقية دون ان يذكرها اقليدس مع قوانين الهندسة الاساسية أو المسلمات أو المصادرات (Postulates) • فكانت مهمة فريجه هي ان يجعل الرياضيات أو العمليات الرياضية منطقية ، وبمعنى آخر : ان ينتقل من قضية الى أخرى تلزم عنها أو مشتقة منها دون ان يكون في العملية البرهانية فجوة • وبهذه الروح الرياضية ادرك فريجه ان المنطق ليس جزءً من علم النفس كما انه ليس جزءً من الميتافيزيقا ، بل انه يؤلف القاعدة الاساسية للرياضيات البحته • وعلى هدى هذه الطبيعة الرياضية للمنطق بدأ فريجه يصوغ لغة رمزية فنية مستعينا بالافكار والقوانين المنطقية فقط • وجاء كتابه الاول ''Begriffsschrift'' بأول نظرية منطقية للقضايا قائمة على بديهيات وقوانين استنتاجية ، فوضع بذلك الحساب المنطقي للقضايا[٢٥] ''Calculus of propositions'' ، لكي يظهر للعيان الطريقة المنطقية أو النظرية الاستدلالية التي يستعين عالم الرياضيات بقوانينها في حالة الاستنتاج والبرهان ، ولكن فريجه ذهب أبعد من ذلك بوضعه نظاما متكاملا للقضايا ، وباخضاعه جميع القضايا المنطقية الى عدد قليل من القضايا هي اوليات النظرية الاستدلالية ، وباخضاعه الروابط المنطقية الى أقل عدد ممكن • وادرك فريجه وهو عالم الرياضة ان قضايا علم الحساب تحتوي

---

(٢٥) استطاع فريجه في هذا المبحث المنطقي ان يقدم لنا ستة بديهيات تخص القضايا وبديهيتين تخص الذاتية واخرى تخص منطق الدالات • وبذلك يكون عدد البديهيات التي اقترحها في بحثه Begriffsschrift تسع • اضف الى ذلك انه عين قانون Modus Ponens ليكون من قوانين الاستنتاج • وتتميز البديهيات التي قدمها فريجه لحساب القضايا انها تفترض الالزام والنفي رموزا أولية غير معرفة ، كما ان البديهيات الست تحتوي على الالزام والنفي دون الروابط المنطقية الاخرى ، لان فريجه يعرف هذه الروابط المتبقية بالنفي والالزام •

على مجاهيل ومتغيرات ودالات ، فمن الضروري ان يكون في المنطق جزء يختص بهذا النوع من الصيغ • وبهذا بدأ فريجه بعد صياغته لنظرية القضايا في بناء نظريته المنطقية في الدالات المعروفة حديثا بالحساب المنطقي لدالات القضـايا Calculus of propositional Functions ، لتكون الخطوة الثانية في البناء المنطقي •

ولربما يتساءل المرء عن معنى العبارة ''Begriffsschrift'' التي استحدثها في بحثه المنطقي الاول ، وعما يفهم فريجه تحتها بالضبط •

يهتم فريجه أولا وقبل كل شيء بالصيغ المنطقية والرياضية أو باللغة الصورية التي تتألف من الصيغ Formelsprache والتي لا تأخذ بنظر الاعتبار صفات وخواص الاشياء • ومما لاشك فيه ان المنطق في رأي فريجه ليس الا هذه اللغة الصورية ، وهذا أمر واضح بينه فريجه في عنوان بحثه حيث استخدم عبارة اللغة الرمزية للتفكير البحت ''Formelsprache des reinen Denkens'' وهو يعني بذلك لغة المنطق ذاته الذي أتم بناءه فريجه متأثرا بالطريقة الاستدلالية القائمة على البديهيات في علم الحساب • ومن الضروري ان نشير هنا الى ان عبارة « التفكير البحت » لا تعني مطلقا شيئا سيكولوجيا كما يظهر للقارىء من أول وهلة ، بل ان هذه العبارة تعني التفكير البعيد عن صفات الاشياء وعن الخبرة الحسية ، وان اللغة الرمزية للتفكير البحت لا تعني الا مجموعة من قوانين وقواعد استنتاجية لها صفة شكلية وارتباطية ، وان شكلية القوانين وارتباطيها هو الاساس أو القاعدة الاساسية التي يتألف منها التفكير البحت •

من هذا نستنتج ان معنى العبارة ''Begriffsschrift'' هو اللغة الرمزية التي تتألف من أفكار ارتبطت بطريقة معينة ، وبرموز واشارات خاصة ، فأصبحت بذلك لغة منطقية لها قواعدها الخاصة • وعلى هذا الاساس تكون لهذه اللغـة أفكار أولية يختـار لها فريجه رموزاً مناسبة ، وصيغا منطقية تتألف من رموز مترابطة ، وان من بين هذه الصيغ ما هو اولي لا نستطيع البرهان عليه في اللغة ذاتها ، ومنه ما هو ثانوي نستطيع البرهان عليه بواسطة

الصيغ البديهية أو البديهيات • كما يجب ان يتوفر في هذه اللغة الاستنتاج المنطقي الصحيح بحيث نحصل دائما على قضايا صحيحة بواسطة الاوليات •

ويذهب فريجه في مؤلفاته المنطقية في بيان معنى العبارة "Begriffsschrift" الى أبعد من ذلك فيتكلم مثلا على علم الحساب باعتباره لغة رمزية ، كما يميز فريجه بوضوح بين اللغة المنطوقة وهذه اللغة الرمزية لعلم الحساب ، وذلك لان اللغة الرمزية لعلم الحساب تستطيع ان تعبر عن المقصود مباشرة دون استخدام الاصوات(٢٦) • وبهذا المعنى نفسه يتحدث فريجه عن معنى هذه العبارة في بحثه الرئيس « القوانين الاساسية لعلم الحساب » حيث تشمل هذه العبارة Begriffsschrift جميع اللغة التي وضع اسسها في اشتقاق الرياضيات ، وهذا يعني ان هذه العبارة تعني منطق فريجه باجمعه وهو المنطق الرمزي ، وان هذه اللغة تبعا لذلك تشمل قضايا علم المنطق والرياضيات معا •

وعلى هذا الاساس يمكننا الآن ان نقارن بين هذه اللغة الرمزية التي قام ببنائها جوتلوب فريجه وبين اللغة العامة Characteristica Universalis أو الحساب الفلسفي الذي أراده ليبنتز ليكون لغة الفلسفة العلمية والمناقشات المنطقية • واننا لنجد في هذه اللغة المنطقية تحقيقا لبرنامج ليبنتز في بناء لغة منطقية وثيقة نستطيع ان نعبر بواسطتها عن جميع الحقائق •

واذا أردنا معرفة طبيعة اللغة المنطقية أو هذا المنطق ، فمن الجدير بنا ان نعرف أولا الخطوات الضرورية في تركيبها • وبعبارة أخرى : من الضروري ان نعرف التركيب العام لهذه اللغة :

تتألف لغة المنطق عند فريجه من :ـ

١) الافكار الاساسية التي يمكن تصنيفها الى :ـ

أ) الافكار المنطقية وتشمل المتغيرات والثوابت والدالات والصدق •

ب) الروابط المنطقية وتشمل النفي والالزام كروابط أولية

---

(26) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung (über die wissenschaftliche Berechtigung einer Begriffsschrift) p: 94.

نعرف بواسطتها بقية الروابط الاخرى •

ح) الكلية التي بواسطتها وبالنفي نعرف الجزئية •

د) المساواة أو الذاتية •

هـ) التعريفات •

٢) القضايا الاولية أو البديهيات •

٣) القوانين الاستنتاجية •

٤) البراهين •

وبناء على ذلك تكون طبيعة هذا المنطق رمزية ـ صورية أو رياضية واستنتاجية برهانية • اما قضاياه فتتميز بانها قبلية[٢٧] apriori وصادقة دائما ولا يمكن ان نحصل على قضية كاذبة من مقدمات صادقة • وهذا يعني ان هذا المنطق الزامي ، لاننا نشتق من البديهيات قضايا أو مبرهنات ، وان هذا الاشتقاق لابد ان يتوفر فيه عنصر الالزام المنطقي •

ولربما يعتبر احدنا هذا السؤال : ما الهدف الاساسي الذي كان يبغيه فريجه من بناء هذا المنطق ؟ • فنجيب عنه :

كانت هناك حوافز كثيرة اثارت فريجه لبناء هذا المنطق ، ولكن أهمها هو انه وجد ان هناك اتفاقا يكاد يكون عاما بين علماء الرياضيات ، بان علم الحساب قائم على المنطق ، ولكن ما من احد منهم سعى الى تحقيق هذا القول • فيقول ديدكند[٢٨] في مقدمة بحثه « ما الاعداد وماذا تكون ؟ » ان علم الحساب (الجبر والتحليل) جزء من المنطق • وبالرغم من ان ديدكند تمكن من بناء علم الحساب من قضايا قليلة جدا الا انه لم يذكر بوضوح القاعدة المنطقية التي يستعين بها في البرهان • وبالاضافة الى ذلك نجد ان البراهين التي يسوقها ديدكند غير كاملة • وهذا يعني ان البرهان

---

(٢٧) انظر مناقشة فريجه لطبيعة القضايا المنطقية في بحثه اسس علم الحساب ، الذي يتناول السؤال فيما اذا كانت قوانين علم الحساب بعدية ـ قبليه synthetisch - apriori أم تحليلية analytisch

Frege, G., Die Grundlagen der Arithmetik p: 17-24.

(28) Dedekind, R., Was sind und was sollen die Zahlen?

لا يسير بخطوات منطقية متتالية حتى النتيجة ، لاننا كثيرا ما نجد ديدكند يشير الى ان برهان القضية كذا يتبع أو ينتج من القضية كذا وكذا دون ان يذكر العملية الاستنتاجية تفصيلا • اما بالنسبة لفريجه فانه يشترط ان يكون البرهان كاملا وخاليا من كل فجوة مهما كانت بسيطة ، لانه اذا كان من الضروري ان يكون العلم دقيقا فيجب ان لا يترك أي شيء في البرهان ولو ظهر تافها[٢٩] •

من هذا يظهر لنا ان هدف فريجه يتلخص باديء الامر في اظهار القوانين المنطقية التي يستخدمها عالم الرياضيات ، والتي كثيرا ما يتركها فلا يذكر لها شأناً في البرهان • وذهب فريجه الى ابعد من ذلك ، فاخضع هذه القوانين الى مجموعة قليلة من القضايا بحيث استطاع ان يشتق منها بقية القوانين تبعا لعملية استدلالية يتوفر فيها كل الشروط المنطقية •

هذه اللغة التي أقام بناءها فريجه تمثل القاعدة الاساسية في الاستنتاج ، بل انها تكون النظرية الاستدلالية في المنطق • وعلى هذا الاساس يكون **هدف فريجه الاول هو تكوين النظرية الاستدلالية التي يستعمل علماء** الرياضة قوانينها ضمنيا عند البرهان ، وهي تكون بلاشك القاعدة الاساسية في كل برهان رياضي ، وان كل برهان بدونها مستحيل •

ووجد فريجه كذلك ان علماء الرياضة يستخدمون الافكار الرياضية بتعريفات بسيطة دون ان يتعمقوا في دراسة طبيعتها وجذورها ، كما انه وجد ان بعض الفلاسفة أثاروا بعض التأملات حول طبيعة هذه الافكار • وجاءت تأملاتهم مجرد كلام نابع من اتجاه فلسفي معين • فكانت مهمة فريجه هي ان يحلل هذه الافكار لمعرفة استعمالاتها المختلفة ، ومن ثم تعريفها تعريفا دقيقا يخدم العلم ويقضي على الابهام الناتج من الاستعمالات المختلفة • ومن الامثلة على ذلك مفهوم الدالة والعدد والنظام (System) وغير ذلك • ونتيجة لهذا التحليل توصل فريجه الى نتيجة هامة هي ان علم الحساب ما هو الا منطق متطور • وبعبارة أخرى : ان علم الحساب ما هو الا جزء من

(29) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik. p: VIII.

المنطق • ولكن هذه النتيجة تختلف عن تلك التي قال بها ديدكند ، لان فريجه برهن عليها برهانا رياضيا ، وذلك بان أقام أولا بناء النظرية الاستدلالية وعرف المفاهيم الرياضية بمفاهيم منطقية ، واشتق قضايا علم الحساب من المنطق •

من ذلك يتضح الآن ان الغاية الثانية من منطق فريجه هو بناء فلسفة رياضية يكون فيهـا اشتقاق الرياضيات من المنطق أمر ممكن وبرهـاني • وعندئذ نستطيع ان نطمأن الى استعمال الافكار الرياضية لاننا استطعنا تحديد معانيها منطقيا ، وان نطمأن الى سلامة العملية البرهانية ، لاننا نستخدم قوانين منطقية هي اما بديهيات أو مبرهنات •

ولـكن هذه اللغة التي قام فريجه ببنائها لا تخدم الرياضة فقط ، بل انها في الحقيقة أداة مفيدة في الدراسات الفلسفية ، لان فريجه قدم لنا نموذجا هاما في التحليل المنطقي وكيفية جعل الافكار الفلسفية تأخذ مجرى الافكار الرياضية ، وان تكون الفلسفة علما ، وليس مجرد أقوال يتفوه بها الفلاسفة دون تحديد وتعيين لمعانيها • وهذا ان دل على شيء فانه يدل كذلك على ان هدف فريجه المهم من بناء هذا المنطق يتجلى في بناء لغة عامة نستطيع بواسطتها ان نحصل على جميع الحقائق ، وان نعبر برموزها وأفكارها عن جميع القضايا الصادقة • وهذا هو جوهر العمل الفلسفي والمنطقي الذي أراد ليبنتز تحقيقه للعلوم المختلفة •

٣
لغة التداول والمنطق

اللغة والفكر :

تمثل الاشارات والرموز الادوات التي يستعملها الفكر في التعبير عن ذاته ونقل محتوياته الفكرية من أفكار وأحكام وغيرها الى الآخرين • والاشارات ضرورية جدا بالنسبة للتفاهم ، كما انها ضرورية كذلك في الدراسات العلمية والرقي الفني ، اذ بدونها يستحيل ان يكون هناك تقدم فكري أو علمي في المجالات المختلفة • والانسان ككائن مفكر يختلف عن بقية الحيوانات بانه يملك جهازا صوتيا خاصا يستطيع بواسطته ان يخرج الاصوات ذات الدلالات والمعاني عند الحاجة والضرورة في ابداء ما يريد ان ينقله الى الآخرين • واللغة في الحقيقة تخدم الفكر ، وبدونها يستحيل ان يكون للتفكير أهمية تذكر • ولغة التداول هي ذلك النظام الصوتي الذي تقترن بعباراته معان ودلالات لتعبر عما يريده الفكر • من هذا يتضح لنا الآن قول فريجه اننا من الصعوبة ان نقوم بالتفكير المجرد بدون الاشارات(٣٠) •

والاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه الصوتي ليست عشوائية ، بل ان الانسان وضع لهذه الاصوات رموزا واشارات كتابية معينة ، بحيث أصبح من الممكن نقل الافكار كتابيا كتعويض غير مباشر عن الاصوات ، كما نجده يضع القواعد التي يجب ان تتوفر في الكلام عند النطق والكتابة ، ليستطيع بذلك ان يحفظ للغة قابليتها على التعبير وعلى أداء وظيفتها الاجتماعية كواسطة للنقل الفكري والعاطفي بين أفراد المجتمع • وتتميز هذه الرموز الكتابية بانها ثابتة ومرئية وخالية من الاثر السيكولوجي الذي يحدثه الصوت في أثناء التكلم •

(30) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [über die wissenschaftliche Berechtigung einer Begriffsschrift) p: 90.

ولكن هذه اللغة المنطوقة أو المكتوبة لا تستطيع ان تعصم الفكر الانساني من الوقوع في أخطاء ، وذلك لسبب بسيط هو ان المعنى المرتبط بالعبارات رغم عموميته عند أفراد المجتمع الواحد ، الا انه قد يختلف من وضعية الى وضعية اجتماعية أخرى ، ومن فرد الى فرد آخر ، كما ان القواعد المتوفرة في هذه اللغة ليست منطقية ، لكي يكون التفكير بموجبها منطقيا • وهذا هو السبب الرئيس الذي جعل المناطقة يبتعدون عن لغة التداول مبتغين بناء لغة رمزية منطقية خالية من الاخطاء وثابتة من نواحيها القانونية • ويميز فريجه بشكل واضح بين لغة التداول واللغة المنطقية ، ويعتبر لغة التداول اشارات Zeichen أو رموزاً تشير الى أفكار أو أشياء ، وهي لغة ضرورية في الحياة اليومية ، كما انها مهمة لحد ما في اللغات العلمية • واذا كان الانسان يتميز بانه مفكر ، فان هذا الفكر وعملية التفكير يرتبطان بلا شك باللغة التي بواسطتها نعبر عن الجوانب المختلفة لهذا الفكر • ولا يمكن للفكر الانساني ان يتقدم في مجالات المعرفة الا اذا استعان بلغة توصله الى غاياته ، كما ان التفكير يبدو مستحيلاً بدون لغة • ونقصد هنا باللغة لغة التداول واللغات العلمية كذلك • ولكن لغة التداول رغم أهميتها لا يمكن الاعتماد عليها في الدراسات العلمية الدقيقة • فالكلمة الواحدة مثلا يمكن ان تعني اشياء كثيرة ، كما انها تشير في كثير من الاحيان الى الفكرة والى الشيء الذي يقع تحت الفكرة من دون ان يكون بين الحالتين تمييز واضح[٣١] • وبالاضافة الى ذلك نجد لغة التداول مفتقرة الى قوانين منطقية في الاستنتاج ، كما ان قواعدها لا تمت بصلة بقواعد اللغات المنطقية • وهذا يعني بطبيعة الحال ان هذه اللغة لا تصلح لان تكون أداة للتعبير المنطقي الدقيق • ولكن ذلك لا يعني ان اللغة خالية تماما من القوانين المنطقية ، بل اننا نجد انفسنا مضطرين في بعض الاحيان الى استعمال قوانين المنطق من دون ان نشعر بها ، لاننا

---

(٣١) ان هذا التمييز ضروري في فلسفة فريجه المنطقية ، ولقد تناول هذا المبحث في كتابه « اسس علم الحساب » ومقالته المشهورة « الفكرة والشيء » التي جائت ردا على ما كتبه كيري في هذا الصدد •

اما نعتبرها أشياء بديهية أو لاننا لا نجدها بصورة شكلية ومستقلة في لغة التداول • وهناك سبب آخر مهم هو ان اللغة وجدت لتكون أداة للفكر فقط ، فهي اخبارية وان عباراتها تخبر الآخرين عن أشياء فتزيد في معرفتهم ، كما انها ترتبط بالفكر والعالم الخارجي معا • أما اللغة المنطقية فان عباراتها وقضاياها لا تزيد في خبرتنا شيء ، لانها لا تأخذ بنظر الاعتبار صفات الاشياء ، فهي مستقلة عن عالم التجربة والمشاهدة • وهذا يعني انها لا تصلح لان تكون أداة للتفاهم بين الناس • ولكن من الممكن ان نستخدم بعض القوانين المنطقية في الكلام بعد ان نضيف عليها عنصر الخبرة ، فتكون بمثابة الجسم من الهيكل العظمي •

وكيفما يكون الامر فان لغة التداول لا تصلح لان تكون لغة منطقية ، ولكننا من الممكن ان نستفيد من هذه اللغة في بناء اللغة الرمزية ـ المنطقية • وهذا هو بالفعل جوهر العمل المنطقي ، اذ يبدأ فريجه وغيره من المناطقة في تحليل عبارات لغة التداول ، محاولين بذلك تمييز استعمالاتها ومعانيها للوصول الى نتيجة تخدم المنطق والعلم على حد سواء • ومن الامثلة الواضحة على ذلك تحليل فريجه للاسماء والقضايا من ناحية المعنى والدلالة والاستعمال • ولقد احتوت مؤلفاته ومقالاته الشيء الكثير عن هذا التحليل •

الاسم والقضية :

اذا حللنا لغة التداول الى عناصرها التي لها فائدة منطقية ، فاننا سنحصل أول الامر على القضايا التي بدورها تنحل الى حدود أو أسماء ، ويمكن ان تنحل الاسماء في حالة كونها مركبة الى أجزاء أصغر منها لها دلالة أو الى أسماء بسيطة ، اما اذا كان الاسم بسيطاً فان تجزءته الى أصغر منه غير ممكنة • والاسماء والقضايا ضرورية في الدراسات المنطقية ، لذا نجد فريجه يتناول هذه المكونات اللغوية في مقالته « حول المعنى والدلالة » ليدرسها من ناحية منطقية هامة هي ارتباط المكونات بمعنى ذهني أو بأشياء خارجة عن المستوى اللغوي •

يبدأ فريجه بحثه في المعنى والدلالة بتحليل للذاتية والسؤال فيما اذا كانت الذاتية علاقة قائمة بين الاسماء أو بين الاشياء أو الرموز التي تشير الى الاشياء • ولكننا قبل ان نحلل الذاتية نود ان نعرف موقف فريجه وفهمه المنطقي للاسماء والقضايا بصورة عامة •

يستعمل فريجه عبارة « اسم » لتشمل حتى القضايا ، وهذا معناه ان القضايا عند فريجه أسماء(٣٢) • ولكننا لو تفحصنا موقف فريجه بشكل جلي ، فاننا نجده يميز بوضوح بين ثلاثة مستويات لغوية مهمة هي :ـ

١) الاسماء أو ما تدعى في المنطق عادة أسماء الاعلام Eigennamen

٢) العبارات Ausdrücke التي تتميز بكونها تتألف من مكونات لغوية لا تجعلها في مصاف القضايا •

٣) القضايا Sätze وهي تراكيب لغوية تتميز عن العبارات بكونها تحتمل الصدق أو الكذب •

وعلى صعيد الاسماء نجد فريجه يميز بين الاسم والشيء الذي يسميه ومعناه • ولتوضيح ذلك نأخذ بعض الامثلة اللغوية فنقول مثلا « سقراط ، نجم الصباح » • فالاسم سقراط فيه مستوى لغوي أي انه من الناحية اللغوية اسم ، ولكنه في الوقت نفسه يشير الى شخص معين عاش في العصر اليوناني • اما الاسم « نجم الصباح » فيتميز أولا انه اسم وانه يشير الى جرم أو شيء سماوي معين ، كما انه يتضمن معنى أو فكرة • وهذا يعني اننا نميز في الاسماء بعد هذا التحليل المنطقي ثلاثة مستويات مهمة هي :ـ

أ) الاسماء باعتبارها اشارات أو رموزاً ، وهي مجرد متوالية لغوية مؤلفة من حروف •

ب) المعنى الذي يعبر عنه الفرد باستعمال الرموز وهو الفكرة التي ترتبط بالرمز •

---

(32) Wittgenstein, L., Notes on Logic [The Journal of philosophy vol. HV, No. 9: 1957) p: 232.

ح) الدلالة وهي الشيء الذي تشير اليه الرموز والذي يمكن ان يكون مطابقاً أو منافياً للمعنى •

ومن الجدير بالذكر هنا هو ان ليس من الضروري ان تكون هذه المستويات متوفرة في جميع الاسماء ، لاننا قد نصادف أسماءً لها معنى فقط دون ان تكون لها دلالة كالاسم « ڤينوس » مثلا الذي يعني عند الاغريق آلهة الجمال ، وهذا الاسم في الحقيقة لا يدل على شيء في الواقع •

ولكي تظهر هذه المستويات بشكل واضح نجد فريجه يستعين بالذاتية التي يمكن ان تكون على صيغتين :

١) أ = أ

٢) أ = ب

واذا كانت الذاتية علاقة بين الاسماء ، فانها في الاولى قضية تحليلية صادقة بالضرورة ، وتتميز بانها لا تضيف الى خبرتنا شيئاً جديداً • وتختلف هذه القضية عن القضية الثانية « أ = ب » من ناحية مهمة هي ان صدقها لا يتم الا اذا كانت أ تدل على الشيء الذي تدل عليه ب ، وهذا معناه ان هذه القضية تضيف الى معرفتنا شيئا جديدا ، كما ان القضية أ = أ تتميز فيها الحدود بتشابه المعنى والدلالة معا ، في حين نجد حدود القضية « أ = ب » مختلفة في المعنى متشابهة في الدلالة فقط • وهذا التمييز يقودنا كذلك الى تمييز فريجه بين الاسمين « نجم الصباح ونجم المساء » • فنحن نستطيع ان نقول معبرين عن الذاتية بشكلها الاول ان نجم الصباح هو نجم الصباح ، كما يمكننا ان نعبر عن الذاتية بشكلها الثاني ان نجم الصباح هو نجم المساء • وبذلك نكون قد حصلنا على وجهين مختلفين لعلاقة الذاتية بين الاسماء •

والاختلاف بين القضيتين ظاهر وواضح للعيان ، فبالنسبة للشخص الذي لا يعرف نجم الصباح أو نجم المساء تبقى القضايا « نجم الصباح هو نجم الصباح » و « نجم المساء هو نجم المساء » صادقة ، في حين يحتاج الشخص الى معرفة فلكية لاثبات ان نجم الصباح هو نجم المساء ، وهذا يعني انه لكي نتثبت من صدق هذه القضية يجب علينا ان نعرف فيما اذا كان المعنى

مطابقا للواقع أم لا • وهذا يعني ان القضية تكون صادقة اذا كان الشيء الذي يدل عليه الاسم « نجم الصباح » هو الشيء الذي يشير اليه الاسم « نجم المساء » نفسه •

والرمز والاسم عند فريجه في هذا التحليل المنطقي هو اسم العلم الذي تكون دلالته شيئا معينا(٣٣) ، وهو بذلك ليس فكرة أو علاقة • كما ان الشيء يمكن ان يشير اليه أكثر من اسم كما ظهر لنا في المثال السابق •

ويجب هنا ان نلاحظ ان المتوالية التي تتألف من رموز ليس من الضروري ان يكون لها معنى أو دلالة ، لاننا من الممكن ان نأتي بمتوالية غريبة عن اللغة التي نتكلم بها وغير خاضعة لقوانين تلك اللغة ، فلا يكون لها معنى أو دلالة ، بل هي مجرد متوالية خالية من المعنى • ولكننا على العموم نعرف ان الرموز والاسماء التي نستعملها في لغة ما تعبر عن معنى معين ، وان هذا المعنى مدرك من قبل كل شخص يعرف هذه اللغة • ولكن معرفتنا للمعنى لا تعني كذلك معرفتنا للشيء الذي يعبر عنه الاسم ، لانه من الممكن ان نفهم معنى قضية أو اسم ما ، من دون ان نعرف فيما اذا كانت هذه القضية صادقة أو كاذبة • ولكننا على العموم وفي الحالات الطبيعية نعرف ان بين الرموز والمعنى والدلالة علاقة • فالرمز له معنى معين ، وان هذا المعنى يطابق دلالة (شيئا) معينة • ومن الضروري ان نعرف ان هذه العلاقة ليست عامة دائما ، لاننا قد نصادف بعض التعابير التي يكون لها معنى دون ان تكون هناك دلالة أو شيء مطابق لهذا المعنى • ورب شخص يثير سؤالا فلسفيا طالما تعرض له الفلاسفة والمناطقة هو هل لاسم العلم معنى ؟ وللاجابة عن ذلك نأخذ بعض الامثلة من الحياة العامة • فاذا تفوه احدنا باسم « خالد بن الوليد » مثلا فاننا نفهم من هذا التعبير أشياء كثيرة مثال ذلك « بطل مقاتل من أبطال الدعوة الاسلامية » أو « بطل اليرموك » أو « بطل حرب الردة » وهكذا • كل هذه الاشياء أو بعضها يمكن ان تثار

(33) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung [über Sinn und Bedeutung] p: 31.

في ذهن السامع عند سماعه اسم « خالد بن الوليد » • وبالرغم من تفاوت هذه المعاني اذا أخذ كل واحد منفصلا عن الآخر ، فان ذلك لا يغير من شخصية خالد بن الوليد • وهذا يعني ان هذه المعاني تطابق الشيء الذي تصفه ، وان الدلالة واحدة في جميع هذه الاحوال • وعلى هذا الاساس **يمكننا اعتبار الصفات التي تقترن بالشخص الذي يشير اليه الرمز معاني •**

ونعود الآن الى الاسماء والتعابير التي يكون لها معنى دون ان يكون هناك شيء موضوعي يطابق المعنى كقولنا « المربع الدائري » و « ملك فرنسا الحالي اصلع » • فبالنسبة لنا نقرن بالاسم « المربع الدائري » معنى وهو اننا نفهم ما نقصد بهذا الاسم ، ولكن المسألة تبدو مختلفة عندما نسأل فيما اذا كان هناك شيء معين نطلق عليه هذا الاسم ، لان هذا الاسم لا يشير الى شيء موضوعي ، بل لا يوجد شكل هندسي اسمه « المربع الدائري » • وبتعبير دقيق نقول ان لهذا الاسم معنى ولكنه خال من الدلالة • وكذلك الامر بالنسبة للقضية « ملك فرنسا الحالي اصلع » فهي مفهومة ، لاننا نعرف ماذا نعني عند استخدام الاسم ملك فرنسا الحالي ونصفه بالصلع • وهي مفهومة **كذلك للشخص الذي يسمع القضية لاول مرة ولا يعرف** فيما اذا كانت هذه القضية صادقة أو كاذبة • ولكن هذا الفهم غير كاف لمعرفة صدق أو كذب هذه القضية • ولكي نتثبت من ذلك يجب علينا ان نبرهن على ذلك بالتجربة ، وان نعرف ان كان هناك ملك في فرنسا حاليا وانه اصلع • وعندئذ يتضح لنا ان ليس هناك ملك في فرنسا حاليا ، وانه تبعا لذلك لا نستطيع القول فيما اذا كان هذا الشخص أصلع أم لا ، لان هذا الاسم ليس له دلالة أو شيء ينطبق عليه المعنى • وبتعبير مختصر نقول ان لهذه القضية معنى دون ان يكون لها دلالة أو شيء يشير اليه أو يطابق المعنى (٣٤) •

---

(٣٤) لهذا التمييز بين الرموز والمعنى والدلالة أهمية كبيرة في الدراسات الفلسفية ، فنجد فتجنشتاين مثلا في بحثه « رسالة منطقية — فلسفية » يتأثر بهذا التمييز ويجعله محورا في نظريته عن الشكل المنطقي والحقيقة • كما ان فلاسفة التحليل يهتمون بتحليل القضايا والاسماء لمعرفة فيما اذا كانت هذه القضايا والاسماء فارغة لا معنى لها ام انها مفيدة • ولهذه الدراسة أهمية كبيرة في التمييز بين قضايا الحساب والمنطق وقضايا العلوم وقضايا الميتافيزيقا •

واذا حللنا لغة التداول على أساس انها مؤلفة من كلمات وعبارات وقضايا وجمل ، فاننا لن نجد مستوىً لغوياً واحداً ، بل سنقف في بعض الاحيان عند عبارات لا تتكلم على الاشياء مباشرة ، لانها تتخذ من العبارات اللغوية مادة كلامية لها • وعلى هذا الاساس يمكننا تحليل لغة التداول الى مستويين :ـ

أ ـ المستوى الشيئي الذي تكون فيه العبارات رموزاً للتعبير عن معانٍ أو أشياء •

ب ـ المستوى اللغوي الذي تكون فيه العبارات رموزاً تستخدم للتعبير أو للتكلم على رموز لغوية أخرى •

وبناء على ذلك يميز فريجه بين الاقوال الاعتيادية التي يطلق عليها عبارة أقوال مستقيمة "gerade Reden" وبين الاقوال التي يدعوها أقوالا غير مستقيمة "ungerade Reden" ، حيث تضم الاولى الاقوال أو العبارات في المستوى الشيئي ، بينما تضم الثانية العبارات في المستوى اللغوي • وبناء على ذلك يجب ان تكون هناك حدود فاصلة واضحة بين الاشياء التي تدل عليها الاقوال المستقيمة والاشياء التي تدل عليها الاقوال غير المستقيمة ؛ وكذلك بين معاني الاقوال الاولى ومعاني الاقوال الثانية(٣٥) •

ومن الضروري ان نميز بين معاني الرموز والتصورات التي تقترن بها ، لان التصورات ما هي الا انطباعات ذاتية تتركها الاشياء في نفس الافراد • وتختلف هذه الانطباعات الحسية أو التصورات عن الاشياء ، بان الاشياء يمكن ادراكها بالحواس ، لانها من مواد العالم الخارجي ، بينما لا يمكن ادراك التصورات حسيا ، لانها ذاتية(٣٦) ، ولا يمكن ادراكها الا بانعكاس الفرد على نفسه ، فهي تتصل اذن وتتعلق بالشخص فقط • وهذا يعني انها لا تصلح لان تكون موضوعا للبحث العلمي ، لانها حالة من حالات النفس أولا وفردية

---

(35) Frege, G., Funktion, Begriff, Bedeutung (über Sinn und Bedeutung) p: 41.

(36) Ibid., p: 42.

ثانياً ، أي : انها تعتمد على الفرد وحده دون ان يكون بين الافراد اتفاق مشترك عام في معرفتها •

وعلى هذا الاساس يمكننا تمييز التصورات أو الانطباعات والدلالات أو الاشياء ، فاذا كانت دلالة الرمز شيئا يمكن ادراكه بالحس ، فان التصور ما هو الا تلك الانطباعات الحسية التي يتركها الشيء في فكر الفرد • اما المعنى فانه الفكرة ، وهو يختلف عن التصور بانه عام ، ولكننا لا يمكن اعتباره شيئاً ، فهو والحالة هذه وسط بين الشيء والتصور(٣٧) • واذا كان التصور في رأي فريجه لا يصلح أَنْ يكون موضوعاً للبحث المنطقي ، فمن الضروري ان نتابع البحث في المعنى والشيء لنعرف اهميتهما بالنسبة للمنطق وبالنسبة للكلمات والعبارات والقضايا • فاسم العلم [وهو في رأي فريجه يكون اما كلمة أو رمزا أو مجموعة رموز مترابطة أو عبارة] ينطق معناه ويدل أو يشير الى دلالته ، خاصة وان دلالة اسم العلم هو الشيء ذاته الذي يختلف عن المعنى بكونه خارج عن نطاق المستوى اللغوي • فنحن نعبر بواسطة الرمز معناه ونشير الى دلالته(٣٨) •

وربما يتساءل احدنا عن موقف فريجه من القضية : ما هي ، وما هو المعنى والدلالة التي تشير اليها ؟ • فنقول اننا نجد في مقالته « حول المعنى والدلالة » جوابا واضحا لهذا السؤال ، وهو ان القضية باعتبارها تركيب لغوي تحتوي على معنى ، وهذا المعنى هو الفكرة التي تعبر عنها القضية • وللتمييز بين المعنى والدلالة للقضية نتصور أولا قضية مؤلفة من عدد معين من الكلمات ولتكن « رسل فيلسوف انكليزي » ؟ فهذه القضية تتغير من ناحية المعنى اذا استعضنا عن الاسم « رسل » بالعبارة « مؤلف كتاب أصول الرياضيات » ، ونحصل تبعا لذلك على القضية : « مؤلف كتاب أصول الرياضيات فيلسوف انكليزي » • فالقضية الاولى تختلف من ناحية المعنى عن القضية الثانية ، وذلك لان الفكرة في القضيتين مختلفة • فبالنسبة للشخص

---

(37) Ibid., p: 42.
(38) Ibid., p: 44.

الذي يعرف رسل تكون القضية الاولى صادقة ، وهذا يعني ان الفكـرة مطابقة للدلالة أو للشيء • اما بالنسبة للشخص الذي يعرف رسل ولـكنه لا يعرف انه مؤلف كتاب أصول الرياضيات ، فان الامر مختلف وعنده ان القضية تحتمل الصدق أو الـكذب • وبعبارة أخرى : ان الفكرة في القضية الاولى تختلف عن الفكرة في القضية الثانية ، وهذا ما جعل الفرد يتردد في معرفة فيما اذا كانت القضية الثانية صادقة أو كاذبة بالرغم من ان القضية الثانية لها الدلالة التي للقضية الاولى •

ولـكننا ربما نصادف عبارة على هيئة قضية دون ان يكون لها دلالة مثال ذلك قولنا « حورية البحر مخلوق جميل » • فهذه العبارة لها معنى بالرغم من ان « حورية البحر » لا وجود لها الا في الخيال ، لاننا نعرف معنى الـكلمات التي تتألف منها العبارة • ونعرف ما تعنى هذه العبارة ككل • وبعبارة أخرى : اننا نفهم ماذا تعني العبارة المذكورة ولو كان الموضـوع خيالياً • ولـكن الامر يبدو مختلفا اذا سألنا عن الشيء الذي تشير اليه العبارة • فلـكي نعرف صدق هذه العبارة أو كذبها نضطر الى البحث عن شيء موضوعي ، وفي هذه الحالة لا يوجد شيء هو « حورية البحر » ، وهذا معناه ان أي صفة أو محمول تضاف أو تحمل على هذا الاسم لا تغير من كون الحكم الناتج لا يدل على شيء •

ومن الضروري ان نذكر ان المنطق يبحث عن دلالة القضية ليستفاد من وراء ذلك في الابحاث المنطقية التي تلي هذا التحديد • واذا بحثنا عن أجزاء القضية لمعرفة الاشياء التي تشير اليها ، فان الغاية في الحقيقة هي ان نتثبت فيما اذا كانت القضية صادقة أو كاذبة • وهذا ان دل على شيء فانه يدل على ان البحث المنطقي يهتم بقيمة الصدق Wahrheitswert للقضية • وبتعبير منطقي أدق اننا نجد انفسنا مجبرين منطقيا على اعتبار قيمة الصدق دلالة القضية وعلى أساس ان قيمة الصدق هذه تشمل الصدق والـكذب معا • ويعتبر فريجه الصدق والـكذب أشياء تدل عليها القضايا • وهذا هو جوهر موقف فريجه عندما يقول « انني افهم تحت تعبير قيمة الصدق » للقضية

ذلك بانها اما صادقة أو كاذبة[٣٩] •

الذاتية ومبدأ الاستعاضة :

يبدأ فريجه بحثه في المعنى والدلالة بتحليل بسيط لعلاقة الذاتية بين الاسماء ويطرح السؤال الآتي : هل الذاتية علاقة قائمة بين الاسماء أم علاقة بين الاشياء أم علاقة بين الرموز التي تشير الى الاشياء ؟ • فاذا كانت لدينا عبارتان مثل أ = أ ، أ = ب ، فهل تختلف الاولى عن الثانية أم لا ، وان اختلفت ، فاين يكمن موطن الاختلاف •

أولا : ان الذاتية في رأي فريجه[٤٠] علاقة قائمة بين الرموز التي تدل على أشياء • وهذا هو بالفعل الموقف الذي اتخذه في أثناء تحليل الذاتية في بحثه المنطقي "Begriffsschrift" ، لان علاقة الذاتية لا يمكن ان تكون بين رموز ليس لها محتوى أو معنى ، وذلك لان الرمز أ ان لم يدل على شيء ، فاننا لا نستطيع ان نعبر به وبالرمز ب علاقة الذاتية • ففي القضية أ = ب مثلا لا نستطيع ان نقول انها صادقة الا اذا عرفنا الاشياء التي تدل عليها الرموز أ و ب • وكذلك لا يمكن وصف القضية انها كاذبة ، الا اذا عرفنا ان المحتوى للرمز أ هو غير المحتوى للرمز ب • كما لا يمكن القول ان علاقة الذاتية قائمة بين الاشياء ، لاننا نتكلم في المستوى اللغوي عن الاشياء ونستخدم بذلك رموزا معينة للتعبير عن صفات الاشياء أو الاشياء ذاتها • وهذا يعني ان علاقة الذاتية قائمة بين الاسماء التي تدل على أشياء ، وذلك للاسباب الآتية :ـ

١) ان الاسماء ما هي الا رموز ، وان هذه الرموز تدل على أشياء •
٢) ان العلاقة بين الاسماء لا يعني انها مجرد علاقة بين أسماء فقط ، بل انها في الحقيقة علاقة بين أسماء الاشياء • فالذاتية بناء على ما تقدم من تحليل علاقة بين أسماء لاشياء •

---

(39) Frege, G. Funktion, Begriff, Bedeutung [über Sinn und Bedeutung] p: 46.

(40) Ibid, p: 38.

واذا كانت بين الاسماء علاقة ذاتية ، فمن الممكن ان نستعيض عن اسم باسم آخر دون ان يحدث تغيير في الدلالة . وعلى هذا الاساس نرى بحث الاستعاضة بين الاسماء على مستويين : -

أ - الاسماء

ب - القضايا

ومن الجدير بالذكر هنا ان فريجه يعتبر الاسم رمزاً يدل على شيء ، وبهذا المعنى أو التحديد تكون القضية عنده اسماً وذلك للاسباب الآتية :-

١) ان القضية تركيب لغوي يحتمل الصدق أو الكذب .

٢) ان الصدق أو الكذب في رأي فريجه أشياء .

٣) ان الاشياء كمقولة تضم دلالة الاسماء والقضايا معاً .

وهذا هو ما توصل اليه فريجه بأن كل قضية يمكن ان تفهم على أساس انها اسم علم Eigenname (٤١) .

فمن المعروف ان نجم الصباح له الدلالة التي هي للاسم « نجم المساء » نفسها .

وهذا يعني ان بين الاسمين علاقة « أ = ب » الذاتية . ولكننا نستطيع ان نقول ان بين الاسم ذاته علاقة ذاتية كذلك أ = أ ، ب = ب ، ولكن من الضروري ان نبين ان « أ = ب » تختلف عن أ = أ أو ب = ب . لان علاقة الذاتية بين أ وذاتها هي في المعنى والدلالة معا ، في حين تكون علاقة الذاتية بين أ و ب في الدلالة فقط . فالاسم نجم الصباح يختلف عن الاسم « نجم المساء » من حيث المعنى ولكنه له نفس الدلالة . وهذا يعني اننا نستطيع ان نستعيض عن نجم الصباح بنجم المساء وبالعكس في جميع

---

(14) Frege, G. Funktion, Begriff, Bedeutung [über Sinn und Bedeutung] p: 46.

(٤١) ولكن القضايا في رأي رسل ليست اسماءً لوقائع ، لان لكل واقعة توجد قضيتان ، واحدة تكون صادقة ، والاخرى كاذبة ؛ بينما لا توجد للاسم الا علاقة واحدة هي دلالته للشيء ، والذي لا يجعل الاسم صادقا أو كاذبا (انظر (Russell, B., Logic and Knowledge p: 187

العبارات التي يظهر فيها احد الاسمين من دون ان يكون هنـاك خلل في الدلالة .

اما في مجال القضايا فنحن نعرف من تحليل فريجه السابق ان قيمة الصدق عنده شيء تدل عليه القضية ، وان بقاء قيمة الصدق أو تغيرها معناه بقاء الدلالة أو تغيرها . فاذا كانت لدينا القضية م التي يظهر فيها الاسم أ ، فاننا نستعيض عن أ بطريقتين دون ان نغير الدلالة .

١) ان نستعيض عن أ بالاسم أ تبعا للقانون أ = أ .

٢) ان نستعيض عن أ بالاسم ب تبعا للقانون أ = ب .

نحصل في الاولى على قضية لا تختلف عن القضية م من حيث المعنى والدلالة . وبعبارة أخرى ان الاستعاضة في الحالة الاولى لا تغير من قيمة صدق القضية م . اما في الحالة الثانية ، فاننا نحصل على قضية تختلف عن القضية م من حيث المعنى ، ولـكنها لا تختلف عنها من حيث الدلالة . وبعبـارة أخرى ان الاستعاضة في الحالة الثانية لا تغير من قيمة صـدق القضية م(٤٢) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان هذا التمييز بين معنى الاسم ودلالته له صلة وثيقة بالتمييز المنطقي المعروف بالمفهوم Connotation والما صدق Denotation ، حيث نعرف المفهوم بانه المحمول أو الصفة التي تحمل على افراد الفئة . اما الما صدق فهو الفئة التي تضم الافراد والتي يحمل عليها المحمول . وهذا معناه ان المعنى في مفهوم فريجه يشبه المفهوم في عرف المنطق القديم ، كما ان الدلالة عند فريجه تشبه كذلك ما صدق اللفظ .

---

(٤٢) تكون بين الاسماء التي لها نفس المعنى بالنسبة لتحليل رودلف كارنات علاقة تبادل منطقية L-interchangeable ، وبمعنى آخر اننا نستعيض عن اسم باسم آخر اذا كان لهما نفس المعنى . اما اذا كان للاسماء نفس الدلالة فقط ، فان العلاقة بينهما هي علاقة تبادل interchangeable ، وهذا هو التمييز الذي يقترحه كارناب [انظر
[Carnap, R. Meaning and Necessity p: 47

واستطاع كارناب ان يأخذ بتحليل الاسماء الى معنى ودلالة أو مفهوم وما صدق ليضع لنا نظرية في المنطق السيمانطيقي ، تكون فيه الافكار المنطقية مختلفة تبعا لعلاقتها بالمعنى أو بالدلالة • فتكون الافكار المتعلقة بالمعنى منطقية ويرمز لها دائما في مقدمتها بالحرف « L » أو ان تتعلق بالدلالة وعندئذ يستغني عن هذا الحرف • وبهذه الطريقة الجديدة يعرف كارناب الكثير من الافكار السيمانطيقية المهمة كالصدق والذاتية والمساواة والالزام وغير ذلك من الافكار • وتمكن بعد ذلك ان يوحد هذه الاتجاهات الحديثة والقديمة في اطار نظرية جديدة في السيمانطيقية تكون فيها لغة فوقية محايدة Neutral Metalanguage للمفهوم والما صدق[٤٣] •

الشيء والفكرة والعلاقة :

ليس من الضروري ان نعرف كل شيء تعريفا رياضيا أو منطقيا دقيقا ، لاننا في المنطق نضطر في كثير من الاحيان الى التسليم بأشياء باعتبارها بسيطة لا تحتاج الى تعريف ، ولكننا رغم ذلك نحاول ان لم يكن لها تعريف دقيق ان نصفها أو نوضح ما نعني بها • وهذا يعني ان « الشيء » لا نستطيع تعريفه ، ولكننا في الوقت نفسه نستطيع ان نقول بانه ليس فكرة أو دالة أو علاقة ، وانه ما يحمل عليه • اما الفكرة فان فريجه يستعملها بمعنى حملي • وهذا التميز يقودنا تقريبا الى النظرية القديمة في الموضوع والمحمول ، فالموضوع هو الشيء الذي نتكلم عليه أو نحمل عليه ، اما المحمول فهو الصفة التي نتكلم بواسطتها على الموضوع أو هي الصفة التي تحمل على الموضوع • فاذا قلنا « عاصمة الجمهورية العراقية » فاننا نعني بذلك شيئا واحدا هو بغداد ، فالاسم « عاصمة الجمهورية العراقية » له أولا معنى وان هذا المعنى يصلح لان يكون محمولا للموضوع بغداد • وبتعبير أدق نستطيع القول ان معنى هذا الاسم هو الفكرة التي تمثل فئة لها عضو واحد هو بغداد • ويرتبط هذا التحليل للشيء والفكرة بنظرية فريجه في الدالات

---

(43) Carnap, R., Meaning and Necessity p: 153. انظر

التي وضع اسسها في بحثه « الدالة والفكرة » • ولتوضيح هذا القول نستعين بالامثلة الآتية :ـ

١) عاصمة الجمهورية العراقية •

٢) القاهرة أكبر من بغداد •

فبالنسبة لفريجه يكون المثل الاول اسم علم ويعني شيئا واحدا هو بغداد • اما الآن فنسمح لانفسنا ان نجزء المثل الاول الى عاصمة والجمهورية العراقية ونضع بدل الجمهورية العراقية حرف أ فيكون لدينا :ـ

« عاصمة أ » حيث نعتبر أ حدا وعاصمة دالة له •

ويصدق الشيء نفسه بالنسبة للمثال الثاني حيث نجزئه الى القاهرة وأكبر من وبغداد • ونعتبر كل من القاهرة وبغداد حدودا للدالة « اكبر من » وهذا يعني اننا نحصل على التعبير « أ اكبر من ب » والذي تتميز به هذه الدالة عن الدالة السابقة هي ان الاولى لها حد واحد بينما يكون للدالة الثانية حدان • وهنا نقترب بمفهوم الفكرة Begriff في المنطق من مفهوم الدالة في الرياضيات • واذا قارنا بين ما يعنيه فريجه بالفكرة وبين نظرية رسل في دالات القضايا ، فاننا سنجد اتفاقا بين النظريتين ، لان الفكرة كما يقول رسل في الملحق الذي ذيله في كتابه[44] تعني تقريبا دالة القضية • اما عندما يكون للفكرة أو للدالة حدين ، فاننا نعتبر هذه الدالة أو الفكرة علاقة • وعلى هذا الاساس تكون الفكرة أكثر عمومية وشمولاً من العلاقة • فالعلاقات على هذا الاساس ما هي الا فئة محدودة من الافكار • بل ان الافكار والعلاقة ما هي الا دالات بالمعنى الواسع الذي يعطيه فريجه للدالة[45] •

ان جوهر الدالة في رأي فريجه يكمن في اجزاء العبارة ، وان العبارة لدالة حسب تحديد فريجه ناقصة وتحتاج الى تكملة[46] ، فاذا قلنا « أ انسان » ادركنا على الفور ان هذه العبارة للدالة ناقصة وتحتاج الى تكملة ،

---

(44) Russell, B., The principles of mathematics p: 507.

(45) Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik p: X.

(46) Ibid., p: 5 - 6.

كما ان الحرف أ يبين لنا الموضع فقط الذي يصلح ان يحل محله اسم أو كلمة والذي يكمل لنا هذه العبارة • وعلى هذا الاساس من التحليل المنطقي نجد فريجه يرفض كثيرا من الآراء المتعلقة بالدالة • فلا يأخذ مثلا بقول بعض الرياضيين في تحديد الدالة لـ أ ، بانه تعبير حسابي يحتوي على أ • ولا نريد هنا ان ندخل في التفاصيل لان ذلك من اختصاص بحث آخر • ولكن الذي يهمنا هنا هو ان الدالات عند فريجه مهمة جدا ، خاصة وان هذه الاهمية تزداد عندما نجد التقارب بين تحليله للدالة في الرياضيات وتحديده للفكرة في المنطق ، وهذا جوهري بالنسبة لارجاع الرياضيات أو علم الحساب الى المنطق • ومن الضروري ان نميز بين الافكار والدالات حسب درجاتها ، لكي لا نقع في الخطأ الذي يؤدي بنا الى تناقض اذا اهملنا هذا التمييز واعتبرنا الدالة من الدرجة الاولى دالة من درجة ثانية وبالعكس • ويصدق هذا القول كذلك بالنسبة للافكار التي يميز بينها فريجه تبعاً لدرجتها • فهناك افكار من درجة اولى واخرى من ثانية ، وعلاقات متشابهة ومختلفة الدرجة •

قائمة بأهم كتب جوتلوب فريجه ومقالاته

1) Begriffsschrift, eine der arithmetischen nachgebildete Formelsprache des reinen Denkens. (Halle 1879).

2) Anwendungen der Begriffsschrift. (Jenaische Zeitschr. f. Naturwissenschaft. 13 (1879), Suppl. - Heft II, 29 - 33.

3) über den Zweck der Begriffsschrift. Jenaische Zeitschr. f. Naturwiss. 16 (1882), Suppl. - Heft I, 1 - 10.

4) über die wissenschaftliche Berechtigung einer Begriffsschrift. Zeitschr. f. Philos. u. philos. Kritik, N.F. 81 (1882), 48 - 56.

5) Die Grundlagen der Arithmetik. Eine logisch-mathematische Untersuchung über den Begriff der Zahl. (Breslau 1884).

6) über formale Theorien der Arithmetik. Sitz.-Berichte der Jenaischen Gesellschaft. f. Medizin u. Naturwiss. (Suppl. z. Zeitschr. f. Naturwiss. Bd. 19). (1885), 94 - 104.

7) über das Trägheitsgesetz. Zeitschr. f. Philos. u. philos. Kritik. N. F. 98 (1891), 145 - 161.

8) Function und Begriff. Jena 1891, II, 31 S.

9) über Sinn und Bedeutung. Zeitschr. f. Philos. u. philos. Kritik N. F. 100 (1892), 25 - 50.

10) über Begriff und Gegenstand. Vierteljahrsschr. f. wiss. Philossphie 16 (1892), 192 - 205.

11) Kritische Beleuchtung einiger Punkte in E. Schröders Vorlesungen über die Algebra der Logik. Arch. f. syst. Philosophie 1 (1895), 433 - 456.

12) über die Begriffsschrift des Herrn Peano und meine eigene Ber. d. Vhdl. d. Kgl. Sächs. Ges. d. Wiss. zu Leipzig. Math. - Phys. Classe 48 (1897), 361 - 378.

13) über die Zahlen des Herrn H. Schubert. Jena 1899. VI, 32 S.

14) Grundgesetze der Arithmetik, begriffsschriftlich abgeleitet Bd. I: XXII, 254 S. Jena 1893. Bd. II: 265 S. Jena 1903.

15) Was ist eine Funktion? Festschr. L. Boltzmann gew. z. 60 Geburtstag (1904), 656 - 666.

16) über die Grundlagen der Geometrie. I.-III. Jahresber. d. dt. Math.-Ver. I: 12 (1903), 319 - 324; II: ebd. 368 - 375; III/1: 15 (1906), 293 - 309; III/2: ebd. 377 - 403; III/3: ebd. 423 - 430.
17) Antwort auf die Ferienplauderei des Hern Thomae. Jahresber. d. dt. Math.-Ver. 15 (1906), 586-590.
18) Die Unmöglichkeit der Thomaeschen formalen Aritmetik aufs Neue nachgewiesen. Jahresber. d. dt. Math.-Ver. 17 (1908), 52 - 55.
19) Der Dedanke. Eine logische Untersuchung (=Log. Unt. I). Beitr. z. Philos. d. Dt. Idealism. 1 (1918/19), 58 - 77.
20) Die Verneinung. Eine logische Untersuchung (=Log. Unt. II). Beitr. z. Philos. d. Dt. Idealism. 1 (1918/19), 143 - 157.

مراجع هذا البحث

Carnap, R.,

Meaning and Necessity (Chicago, 1956).

Dedekind, R.,

Was sind und was sollen die Zahlen? Neunte unveränderte Auflage (Braunschweig 1961).

Frege, G.,

Begriffsschrift (Halle, 1879).

———

The Foundations of Arithmetics (Die Grundlagen der Arithmetik) Oxford, 1953.

———

Grundgesetze der Arithmetik (Zweite unveränderte Auflage (Darmstadt, 1962).

———

Funktion, Begriff, Bedeutung (ed. G. Patzig; Göttingen, 1962).

ويشمل هذا الكتاب على خمس مقالات منطقية هي :

1) Funktion und Begriff.
2) Sinn und Bedeutung.
3) Begriff und Gegenstand.
4) Was ist eine Funktion.
5) über die wissenschaftliche Berechtigung einer Begriffsschrift.

Russell. B.,

The Principles of Mathematics, appendix A (London, 1956).

———

Logic and Knowledge (ed. R. C. Marsh, London, 1956)

ويشمل على بحثه المعروف

The Philosophy of logical Atomism

Scholz, H.,

Mathesis Universalis (ed. H. Hermes, 1961).

Wittgenstein, L.,

Notes on Logic (The Journal of Philosophy vol. IV No. 9. 1957).



في الشعر العربي القديم ونقده

الدكتور عبدالجبار المطلبي
عميد معهد اللغات العالي

الادب تعبير أداته اللغة ، وهو فن يحمل القارىء (أو السامع) على التفكير ، ويثير فيه عاطفة خاصة ، وينقله الى أجواء بعيدة أو قريبه من الخيال ، فالادب ، اذن ، هو جماع ذلك كله مما يتصل بالتفكير والعاطفة والخيال • وأدب كل أمة تعبيرها الحي في بيئتها الخاصة : يصورها ويصور تياراتها الفكرية والاجتماعية والسياسية ، وأحزانها وأفراحها ، وأشواقها ومثلها العليا في اطارها التاريخي • ومن البديهي ان أدب كل أمة يسبق قواعد نقد نقادها ، وقواعد النقد هذه تستخلص ، عادة ، من أدب الامة ، فعلينا ، في هذا المجال ، ألا نطبق قواعد نقد استخرجت من أدب معين على ادب آخر نتج في بيئة أخرى تعبيرا عن حياة قوم آخرين • واذا كانت قواعد النقد الغربي من نتاج أدب الغرب ، فليس من الحق ان نزن الادب العربي ، وهو نتاج بيئة أخرى ، وحياة قوم آخرين ، بميزان غريب عنه ، أي بقواعد النقد الغربية ؛ ولا يصح ، لذلك ، مسلك النقاد العرب ، في هذه الايام ، أو مسلك كثير منهم ، على وجه التحديد ، في تطبيق قواعد النقد الاوربي ومصطلحاته على الادب العربي لاسيما القديم منه • ويشتط هؤلاء النقاد كثيرا عندما يسلكون الشعر الجاهلي ، عامة ، في باب الشعر الغنائي ، ويحاولون ان يتحروا فيه عما يمكن ان يكون شبيها بشعر الملاحم أو الشعر القصصي المعروف في الآداب الغربية[1] ، فهم ، في ذلك ، ينظرون الى

---

(١) انظر الروائع (الشعر الجاهلي) لفؤاد أفرام البستاني (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٨) ص ٣٤ ــ ٤١ ؛ والحياة الادبية في العصر الجاهلي لمحمد عبدالمنعم خفاجي (مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٤٩) ص ١٧٢ ؛ ومعلقات العرب لبدوي طبانه (مطبعة الرسالة ــ) ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢ ؛ والعصر الجاهلي لشوقي ضيف (دار المعارف بمصر ١٩٦٠) ص ١٨٩ ــ ١٩٠ •

الشعر الجاهلي من الزاوية التي ينظر الغربيون منها الى آدابهم ، وقد فاتهم ان الشعر العربي ، لاسيما شعر المذهب البدوي منه[1] ، نمط من الفن مستقل عن آداب الامم الاخرى ، فهو لذلك يتفرد في خصائصه وألوانه تفردا يكاد يكون تاما ، ويعبر عن عبقرية خاصة هي عبقرية هذا الانسان البدوي المستقل ، الذي يستمد مثله وأخيلته ، وحتى طبيعة لغته من هذه الصحراء التي تحيط به •

ولا يفهم ، من كل ما سبق ، اننا لا نرضى للناقد العربي ان يطلع على النقد الغربي ، أو أن يلم بمذاهبه المختلفة ؟ فثقافة الناقد ، أي ناقد ، تتطلب منه الاطلاع على تيارات الآداب الاخرى وطرق التعبير فيها ، وتقييمها ، ولكننا لا نرضى بهذه المحاكاة التي تقاس الامور فيها بغير مقاييسها • ويبدو ذا فائدة ، هنا ، ان ننظر الى الادب العربي ، وفي أذهاننا أنماط معينة من الادب الغربي ، لا لكي نقيس التراث الادبي عندنا بمقاييس النقد الغربية ، وانما لنوضح ، بالمقارنة ، طبيعة هذا التراث وخصائصه • ولتكن الانماط الغربية التي في أذهاننا هي : شعر الملاحم والقصص والشعر المسرحي •

فمن المعلوم ان هذه الانماط نتاج البيئة الاوربية ، وهي بيئة كثيرة المشاهد ، فيها جبال ووديان وفيها بحار وخلجان ، فانعكس هذا الغنى في المشاهد الطبيعية على شخصية الاوربي ، كما ان العواصف والامطار والاخطار التي تهدد الانسان هناك والشتاء الطويل ، كل ذلك ساعد على خلق اللا وعي

---

(١) لم ينته المذهب البدوي بانتهاء الفترة الجاهلية بل استمر بعد مجيء الاسلام يسيطر على التعبير الادبي ، لاسيما في اليمامة وما جاورها نحوا من قرن انظر

Ci Lyall, The Pictorial Aspect of Ancient Arabian Poetry, (J.R.A.S., 1912, ii, P. 143.)

ويبدو ان ابا عمرو بن العلاء كان يحاول تحديد زمن هذا المذهب حين قال « فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرمة » انظر وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٦٦ ، وكذلك الاغاني (بولاق) ج ٢ ص ١٨٣ ، و

Nicholson, A literary History of the Arabs, 1956, P. 246.

(العقل الباطن) عند الاوربي ، ذلك اللا وعي المشتمل على أنواع مختلفة من الرهبات والمخاوف والرغبات ، وألوان متباينة من المشاهد والمؤثرات ، واحساسات مختلفة متضاربة ، فقد كان كل مظهر من مظاهر الطبيعة حوله رمزا لقوة تكمن فيه أو تسيطر عليه ، فتكلأه وترعاه أو تهدده وتنزل به الاذى والهلاك ؛ ومن الطبيعي ان تتعدد الآلهة ، تبعا لتعدد المشاهد واختلاف القوى الطبيعية • زد على ذلك ان الشتاء في اوربا اطول منه في الصحراء ، فاحتاج الانسان ، هناك ، الى ان يكد في الفصول الاخرى ، ليوفر الشبع والدفء لهذا الفصل القارس ، وقد ساعد الجلوس قرب النيران ، والسمر حولها ، في فصل الشتاء الطويل ، على سرد ذكريات المغامرات التي خاضها نفر من الجماعة في فصول العمل والمخاطرة ، في قصص حاولوا ان يعيشوا فيها مغامراتهم كرة أخرى ، وكانت هذه القصص ، عادة ، ملونة بالخيال ، فيها شيء من المبالغة التي تتفنن فيها عقول القصاص وعواطفهم • وهكذا ساعدت البيئة الاوربية على خلق القصص التي تصف الآلهة ومغامرات الابطال وبطولاتهم ، فتطورت الى الملاحم التي تصطبغ فيها أعمال الابطال وحروبهم بالخيال والاساطير •

وكما أفضى السمر حول النيران في الشتاء الطويل الى خلق القصص ، فكذلك ساعد على خلق الرقص الايقاعي لتمثيل جوانب من تلك القصص العنيفة ، وبذرت ، هنــاك ، بذور المســرح الاولى التي نمت وترعرعت ، بعد ذلك[1] • وأسهم الاستقرار الذي آل اليه المجتمع الاوربي (ونعني به هنا الاغريقي القديم) والاجتماعات الدينية ، وطقوس القرابين ، والاحتفالات الاخرى ، في تطور المسرح الاغريقي وازدهاره[2] •

اما البيئة العربية فسهوب من الرمال تنبسط أمام الناظر ولا يكاد يلونها شيء ، فاينما سرت في الصحراء ، واجهتك الرمال ، وامتدت أمامك حتى

---

(١) See Edmund Fuller, A Pageant of the Thearte (New York, 1941) Pp. 3 — 8,

(٢) المصدر السابق ص ٩ ــ ١٨ •

الافق ، فانعكست هذه الوحدة في المشاهد ، وهذا الانبساط الفسيح ، على ذات البدوي ، فلم تكن فكرة تعدد الالهة ، لذلك ، طبيعية عنده ؟ ان وحدة الطبيعة ألهمته وحدة الخالق أو أعدته ليفهم وحدانية الله سبحانه . وان هذا الانبساط لم يجعل اللاوعي عنده غنيا بمشاهد الطبيعة ذات الجلال والرهبة ، ولعلنا لا نبالغ ان تابعنا احد النقاد في قوله بالغاء « العقل الباطن عند هذا العربي ربيب الصحراء[1] » فلم ينم الخيال عنده ، وقصر عن التحليق الى حيث يرتاد الشاعر الاغريقي . أضف الى ذلك أن الشتاء لم يكن يقعد البدوي في المخابىء حول النيران ، فلم يتفنن القصاص في أقاصيصهم ، ولم تتطور حكاياتهم الى سرد البطولات التي تخلق الملاحم[2] ، ولم تنته بهم ، وهم في تجوالهم الدائم ، على مسرحهم الرملي المترامي الاطراف ، الى فن شبيه بفن المسرح الاغريقي ، فبقي حديثهم موجزا غنياً بالايماء والاشارة بعيدا عن الاسهاب والتطويل ، وما كان من الممكن ان ينشأ المسرح في حياة غير مستقرة كحياة البداوة التي لا يجمع أهلها اله تقرب اليه القرابين ويحتفل عنده في مواسم معينة كل عام[3] . وهكذا كانت الصحراء عالما خاصا ، وكان طبيعيا أن تؤثر في ساكنيها ، فتنتج أدبا خاصا مستمدا من عالمها الفريد[4] .

(١) النابغة الذبياني لعمر الدسوقي (القاهرة ، ١٩٥١) ص ٤٦ .

(٢) وقد أصاب الاستاذ الرافعي في قوله ان العرب لم يفردوا الشعر القصصي « بالقصائد ولم يطيلوه اطالة بالغة لذهاب معنى التقديس من عقائدهم وعاداتهم ، فليس لهم آلهة ولا أنصاف آلهة ، ولا أساطير من هذا القبيل على نحو ما كان عند الهنود واليونان والرومان . » تاريخ آداب العرب ، لمصطفى صادق الرافعي ، (القاهرة ، ١٩٥٤) ج ٣ ص ١٤٩ .

(٣) كان الاغريق يحتفلون في الربيع عند معبد ديونيسس . انظر :
Jane E. Harrison, Ancient Art and Ritual, (London, 1951), P. 75.

(٤) من الطريف ان تؤثر الصحراء في أسلوب كاتب انكليزي فنسمع ناقدا مثل J. Middleton Murry يعلق على وعورة أسلوب Doughty وغريب لغته (الانكليزية) التي اصطنعها في كتابه المشهور « اسفار في الصحراء العربية Travels in Arabia Deserta » فيقول ان ذلك « تعبير منسجم ، لابد منه ، عن نمط من الشعور » ويرى ان فيه انسجاما تاما بين مزاج الكاتب والارض التي كتب عنها ولغته التي استعملها في كتابه .
J. M. Murry, The Problem of Style, London, 1956, P. 17.

والغاء العقل الباطن أو ضعفه جعل الخيال ، كما ألمحنا سابقا ، قريبا من الارض ، فلصق البدوي ببيئته ، يتعلق بما يراه بعينيه ، ويصف ما يشاهد أو يجرب ، فجاءت نظرته الفنية واقعية ، تصف المشاهد الحية في الصحراء ، وتعالج المحسوس الظاهر دون المتخيل النائي[1] • فالوصف الحسي اذن طبيعي في الشعر البدوي ، وهو من أبرز الخصائص الفنية لهذا الشعر •

واذ كان الشاعر البدوي يصف محيطه كما انعكس عليه ، أو كما رآه ، ويصف تجاربه القريبة وعواطفه ، فهمنا وضع النقاد لشعره في باب الشعر الغنائي ، غير ان هذا التصنيف أو الوضع ضيق لا يجعل الشعر البدوي مماثلا للشعر الغنائي الاوروبي تماما ، فلا نحتاج اليه ، وان احتجنا اليه فللاشارة الى انه ليس شعرا قصصيا أو مسرحيا •

وكما وقع النقاد المحدثون في خطأ النظر الى الادب العربي من زاوية غريبة عنه ، فكذلك عجز نقدة قدامى عن فهم صور الشعر البدوي ومواطن الجمال فيها لانهم كانوا يستندون في حكمهم وتقييمهم ، على قيم فنية انحدرت اليهم من اممهم الاجنبية ان كانوا من الموالي أو من بيئة المدينة المستقرة التي كانوا يعيشون فيها • ومن ذلك نقدهم لقول ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

فاحتجوا بأن في قوله هذا افساداً للدار التي دعا لها ، وهو ان تغرق من كثرة المطر ، وقالوا : الجيد في هذا المعنى قول طرفة :

فسقى ديارك ـ غير مفسدها ـ ... صوب الربيع وديمة تهمي[2]

وذكر صاحب العمدة ان ناقد بيت ذي الرمة هو قدامة ثم أورد رد بعضهم عليه « بأن الشاعر قدم الدعاء بالسلامة للدار في أول البيت » ، وعقب

(١) جاء في الموازنة ان هذا « من مذاهب العرب عام في ان يصفوا الشيء على ما هو عليه وعلى ما شوهد من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع » الموازنة للآمدي ص ١٨٩ •

(٢) نقد الشعر لقدامة ص ٧٥ ـ ٧٦ •

المؤلف بقوله ان ارد هذا « هو الصواب »[١] .

وفيما ذكر صاحب العمدة نقطتان تجدر ملاحظتهما : الاولى : ذكر الدعاء بالسلامة في أول البيت ، وهي التفاتة طريفة غابت عن ذهن قدامة والعائبين الآخرين ، والثانية : أن احد العائبين ـ ان لم يكن هـو العائب الوحيد ـ قدامة . وقدامة بثقافته اليونانية والفارسية ، ونشأته في المدينة ، لم يكن مهيأ لفهم أدب الصحراء ، فعجز ، وعجز امثاله ممن عابوا على ذي الرمة بيته عن ان ينتزعوا أنفسهم من ثقافتهم ، كما عجزوا عن الانتقال ـ بخيالهم على الاقل ـ من دنيا المدينة الى حياة المفاوز ، فظلوا يفكرون على نحو خاص بعيد عن طبيعة الشعر البدوي الذي نقدوه ، وظلت ألفاظ ذلك الشـعر تثير في أذهانهم مدلولات بعيـدة عن المعـاني التي أراد الشاعر ، فتصوروا جُدُراً لدار ميٍ ، اذا استمر المطـر يهمي عليها فانه مخربهـا لا محالة ، والدار التي في بيت الشاعر انما هي آثار من رماد وأثافي ، وهذه الاشياء الصغيرة التي يتركها البدوي عند رحيله ، وليس على هذه كبير خطر من انهلال القطر ، ولو عرفوا خصائص التفكير البدوي وطراز حياته في بيئته القاحلة لعلموا يقينا ان صورة القطر لا ترتبط ، في ذهن الشاعر البدوي ، بالتخريب والافساد ، فالبدوي في صحرائه يشكو دائما من قلة الماء وندرته ، وتتوقف حياته وحياة حيوانه على سقوط الغيث ، فاينما همت السماء اخضرت الارض وازدحمت الحياة وغنيت وتلونت ، وكثر الصيد واطمأن الانسان وذهبت همومه ، غير ان ناقد المدينة الذي لم يكن مدركا حياة الصحراء ، ادراكا عميقا ، لم يستطع فهم هذا ، فلم يفهم الشاعر البدوي والصور التي ترتبط في ذهنه .

ويذكرنا نقد قدامة بناقد حديث هو مؤلف « فن الوصف » في مقارنته لوصف عنترة لروضة بوصف الربيع للبحتري ، ولنقتصر ، في ذلك ، على تعليقه[٢] على بيت عنترة الرائع في وصف الذباب .

---

(١) العمدة للقيرواني (مطبعة السعادة ، ١٩٥٥) ج ٢ ص ٥١ .

(٢) فن الوصف لايليا حاوي (بيروت ، ١٩٥٩) ص ٢١ .

يقول : « ان روضة[1] عنترة هي روضة علمية واقعية خصبة في وصفه للذباب :

هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

وهذا البيت الاخير ، يمثل طبيعة الوصف النقلي أفضل تمثيل ، اذ بدا فيه الذباب كما يبدو في الواقع تماما » •

وليس هذا الوصف ، في حقيقته ، علميا ، وما أريد به تصوير حركة الذباب التي تجري في كل الاوقات وفي كل مكان ، وليس فيه هذه « الفوتوغرافية » التي يومىء اليها الناقد •

ان مؤلف « فن الوصف » عجز عن نسيان ثقافته الغربية ولو لحظات ، وعجز عن ان ينتزع نفسه من عالم المدينة ليعيش ، ولو بخياله ، في عالم الصحراء ، حيث الجفاف والرمال ، وحيث تختفي أكثر مظاهر الحياة وألوانها أكثر أيام السنة ، حتى اذا نزل الغيث ، وأمرعت الارض ، وازدهرت خلال الربيع القصير ، تيقظت الحياة ونشطت وغنت ، وما وجود الذباب في صورة روضة عنترة الا اشارة رائعة الى يقظة الحياة في تلك الصحراء ، فكما كان الذباب عند البابليين رمز الخصب ، فانه عند البادين من ابناء القفار دليل على وجود الحياة والربيع بعد زمن من الجفاف طويل •

ولنعد مرة أخرى الى النقاد القدامى • فقد أخفق الموالي ـ أو اخفقت جماعة من نقادهم في العصر الاموي في تذوق شعر الصحراء بسبب قيمهم الفنية التي انحدرت اليهم من اممهم الاجنبية ، روى صاحب الاغاني ان خياطا اعترض الشاعر البدوي ذا الرمة في المربد وهاجمه على وقوفه في

---

(١) وهذه أبيات عنترة في وصف الروضة قال بعد ان شبه رائحة عبلة بالمسك :

أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليها كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية يجري عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا ، كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

الاطلال وتشبيهه حبيبته ام سالم بالظبية ، وسخر منه لهذه الصورة التي يشبه فيها ظبية بامرأة جميلة ، على ما للظبية من قرنين وساقين دقيقتين[1] .
فنجد في هذه الرواية عجز الخياط ، وهو على الاغلب مولى ، عن فهم الشعر البدوي وصوره ، لاعتماده في تذوقه وأخيلته على مقاييس أدبية غريبة عن بيئة ذلك الشعر ، فهو لم يجرب من الوقوف على الاطلال ما خبره البدوي الذي تقوم حياته على الترحال الدائم وراء الكلأ والماء ، والذي كان يصادف ، في كثير من تجواله ، آثار بيت قضى فيه فترة من الزمان مع حبيبة نعم بقربها ، ثم ذهبت مع قومها ، ولم يبق له منها الا هذه الرسوم تثيره وتثير معها ذكريات حبيبة . كذلك لم يفهم الخياط مغزى الوقوف على الدار ، ولم يفرق على ما يظهر بين الوقوف فيها والجلوس بين آثارها . وتأكيد البدوي على الوقوف مقصود لتجنب صورة الجلوس هناك ، تلك الصور التي تثير السخرية بين البدو[2] .

والصورة الثانية التي أخفق هذا الخياط في تذوقها هي تشبيه الشاعر لظبية الرمل بحبيبته ام سالم ، فلم يفهم من التشبيه الا مقابلة أعضاء بأعضاء ، وفاته الصورة الجميلة التي ترمز اليها الظبية ، اما البدوي فيفهم من التشبيه غير ذلك . يرى في الظبية كلها ما يرمز الى رشاقة الحيوان وانطلاقه في الطبيعة ، والى الانوثة غير العادية فيها ، كل ذلك في اطار من الرمال في الضحى أو عند الاصيل .

ويذكرنا هذا الناقد الخياط بمؤلف « فن الوصف » أيضاً في تساؤله

---

(١) الاغاني ج ١٦ ص ١١٨ .
(٢) « أنشد منشد قول كثير وكثير يسمع :

وقضين ما قضين ثم تركنني ... بفيفا خريم قاعدا أتلدد

فقال كثير :
انا ما قلت كذا ، أترانى قاعدا اصنع ماذا ؟
قيل : فجالسا ؟ قال : ولا هذا ! أجالسا كنت أبول ؟ قيل فما قلت ؟
قال : واقفا ، يريد واقفا على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم »
الموازنة (القاهرة ـ ١٩٥٤) ص ٣٥٧

عن علاقة أبيات النابغة التي يصف فيهـا ثور الوحش[1] « بالفرس[2] ، خاصة عندما يصف نفاذ القرن في فريصة الـكلب ، وظهوره منها كالسفود ، وما الى ذلك من اوصاف ومعان ومميزات يستكمل بها مشهد الصيد دون ان تتصل بقريب أو بعيد بالموضوع الاول الاصيل » • ويستطرد الناقد فيقول « هذه الآفة هي من أهم الآفات التي تضير الوصف الجاهلي ، اذ اعدمت فيه الغاية والسببية الفنيتين ، وأظهرت ضعف المنطق والتلاحق اللذين هما في اصل التطور والترابط ، عبر الاثر الفني »[3] •

والخطأ ـ كما يبدو لي ـ ليس في الوصف الجاهلي ، بل في الطريقة التي يعالج بها الناقد هذا الوصف ، فهو حين يتساءل عن علاقة الابيات بالفرس (الناقة) « عندما يصف (النابغة) نفاذ القرن في فريصة الـكلب » انما يجزيء موضوع الثور ـ كما جزأ الخياط اعضاء الظبية ـ على نحو لا تعرفه تقاليد مذهب الشعر البدوي ، ولا يفضي الى تذوق لآثار هذا المذهب أو فهم لصوره ، ويبدو لي ان كتابه ـ فن الوصف ـ مثل واضح على سوء الفهم الذي نتج عن سلوك السبيل التي لا تؤدي الى أبواب الصحراء ، (ولا أظن ناقدا ينظر الى البدوي الجاهلي على انه بدائي[4] ، وينطلق من هذه النظرة في كتابه ، مستطيعا ان يصل الى تذوق حقيقي لآثار ذلك البدوي) •

لا جـرم ان المرء لا يستطيع تذوق الادب الرومانسي وفهمه على حقيقته بتطبيق القواعد الـكلاسية عليه ، بل قد يبدو له الاثر الرومانسي هذيانا تختل فيه موازين النقد ، وفوضى لا تلتزم بهذه الاسس التي ألفها الناقد الـكلاسي ، والعكس صحيح • والادب الجاهلي أو معظمه ، على الاقل ، يؤلف الاطار الذي يضم ما يطلق عليـه بعض النقاد « المدرسـة البدوية »[5] أو « المذهب البدوي » هذا المذهب الذي كان نتيجة تطـور

---

(١) ديوان النابغة (صادر ـ بيروت ، ١٩٦٠) ص ٣١ ـ ٣٣ •

(٢) هذا وهم من مؤلف كتاب « فن الوصف » ، فالنابغة يشبه ناقته بثور الوحش ، وليس فرسه • انظر ديوان النابغة ص ٣١ •

(٣) فن الوصف ص ٤١ •

(٤) انظر فن الوصف ص ٩ و٢١ •

(٥) R. Nicholson, A library History of the Arabs, P. 246.

للشعر العربي طويل عبر قرون بعيدة لا نعرف عنها كثيرا ولا قليلا • ولا أريد ان أطيل في عرض خصائص هذا المذهب ، وحسبي ان أشير الى أن القصيدة فيه هي العمل الفني التام • وقد جرت العادة على اعتبار القصيدة العربية مؤلفة من سلسلة من أبيات أو موضوعات مستقل بعضها عن بعض[1] ، وان ارتبطت جميعا بوزن واحد وقافية واحدة • حقا ان ظاهر القصيدة يؤيد ذلك ، غير ان النظر الدقيق يظهر ان بين تلك الاجزاء أو الوقائع أو الصور (لاسيما القسم الفني منها)[2] وحدة داخلية مبنية على تيار متصل من الافكار[3] والصور المترابطة ، فالشاعر اذ يقف في تجواله على رسوم دار لحبيبته لا يواجه ذكرى حبه حسب ، وانما تشخص في ذاكرته أيضا ، في كثير من الاحيان ، ذكرى شبابه الذاهب (بعد مر حجج كثيرة على فراقه الدار[4]) ، فذكرى شبابه ، وحبه والخصب الذي جمعه

---

(١) انظر مثلا العصر الجاهلي لشوقي ضيف ص ٢٢٤ ونماذج في النقد الادبي وتحليل النصوص لايليا سليم الحاوي (بيروت —) ص ٥٠ و
Nicholson, Literary History of the Arabs, 78

(٢) اريد بالقسم الفني هذه الاجزاء من القصيدة التي تبتدىء بالوقوف على الاطلال ومخاطبتها وتنتهي الى الغرض (الاجتماعي) كالفخر أو المديح أو الهجاء ... الخ •

(٣) انظر النابغة الذبياني لعمر الدسوقي ص ٥٤ ، والشعر الجاهلي لفؤاد افرام البستاني ص ٣٠ — ٣١

(٤) قال بشامة بن الغدير استاذ زهير وخاله :

لمن الديار عفون بالجزع ... بالدوم بين بحار فالشرع
درست وقد بقيت على حجج ... بعد الانيس عفونها سبع

المفضليات (دار المعارف ١٩٥٢) ص ٤٠٧

وقال زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم

ديوان زهير ابي سلمى (صادر — ١٩٦٠) ص ٧٥

وقال النابغة الذبياني بعد وقوفه بربع الدار :

أسائل عن سعدى وقد مر بعدنا ... على عرصات الدار سبع كوامل

ديوان النابغة الذبياني (صادر — ١٩٦٠) ص ٨٧

وقال لبيد :

دمن تجرم بعد عهد أنيسها ... حجج خلون حلالها وحرامها

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (الكويت — ١٩٦٢) ص ٢٩٧

بحبيته في ربيع رائع ، حوافز عاطفية مثيرة ، تخلق جوا مناسبا للغناء ، والشعر ، وتفسر وجود النسيب في مطالع القصائد العربية ، وهو وجود طبيعي تقتضيه بيئة الصحراء التي لا يقر لساكنها قرار •

يصف الشاعر تلك الدار المهجورة ، وأجواءها المقفرة ، وما تثيره فيه تلك الاجواء من ألم • وتبعث فيه وقفته هناك صورا كثيرة يرتبط بعضها ببعض ، صور حبيبته وجمالها وحلو حديثها ، وطيب أنفاسها ورضابها ، وهذا الاخير يثير فيه أيضا صورا أخرى كالخمر مازجها ماء سحابة سحت ليلا ، وربما ذكره رضابها بحلاوة الشهد ••• وينتقل الشاعر عن الدار ، لكي ينسى همومه ، وما ان ينفصل عن الرسوم ، حتى يجد نفسه في الصحراء تواجهه عارية مترامية الاطراف ، متأهبة لاغتيال مرتاديها ، فلولا ناقته لضلت به المتاهات في دأماء الرمال التي لا يقوى على قطعها غير الابل لما تتحمل من مشقة السير البعيد وأهوال السفر ، وهو اذ يصف سرعة ناقته يشبهها بثور الوحش ، وهنا ينتقل من صورة الى صورة جديدة هي صورة الثور الوحشي وقصته ، فيصفه ثورا أضل قطيعه وراح يعتسف الكثبان ، وبينما هو كذلك اذا بمطر شديد ، وظلام ليل يأخذان عليه الطريق ، فيضطر الى اللجوء الى شجرة ارطاة ، ويصف الشاعر حركات الثور المتوجسة تحت الظلام الرهيب ، واذ يضيء الفجر جانب الافق يجري الثور خارجا ، ولكنه يفاجأ بكلاب مدربة على الصيد جائعة ضارية ، تهاجمه ، وتلحف في مهاجمته ، فيفر من هذا الشر المباغت ، ولكنه لا يلبث ان يرتد ثم يحمل على الكلاب ، منحيا على فرائصها بقرنيه ، وتنكشف المعركة عن الثور منتصرا ، (الا في الرثاء أو الموعظة فالثور مقضي عليه بالموت[1]) ، فيذهب الى مرعاه تاركا الكلاب خلفه بين قتيل وجريح وصائدا « لم يسلم ولم يصد »[2] ، او ان الشاعر يشبه ناقته بحمار الوحش (ويصف الشاعر أحيانا الثور والحمار معا في قصيدة واحدة)[3] ، فيصفه ويصف رحلته البعيدة ، مع أتانه أو اتنه ، الى الماء ، وينتهي معها بعد سرى طويل الى عين ماء حيث تنقع غلتها وتطفئ

(١) الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ٢٠ •
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٣ •
(٣) انظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري القصيدة رقم ١١ وكذلك رقم ٣٥ •

أوار أوامها ، وتنتهي بذلك قصة حمار الوحش في قصيدة الشاعر الجاهلي[1]، اما الشعراء المخضرمون ، والاسلاميون وشعراء العصر الاموي الذين ينتمون الى المذهب البدوي ، فلم يكتفوا بذلك ، بل طوروا هذه القصة ، وأطالوها وتفننوا في سردها ، وجعلوا خاتمتها سرد قصة صائد يترقب الحمر ، مختبئا قرب الماء ، مترصدا مجيئها ، فاذا ما خاضت في الماء وتوسطته أطلق سهمه[2] نحوها ، فان كانت القصيدة لغير الرثاء أو الموعظة ، طاش السهم وهربت الحمر ، ورجع الصائد الى بيته خائبا ، وقد يصف الشاعر غير ذلك من الحيوان أو الطير[3] ... ويخرج الشاعر بعد اتمام هذه الصور الفنية الى ما يريد من مدح أو فخر أو هجاء .. وليس من شك في ان نجاح القصيدة في غرضها الاخير يعتمد اعتمادا كبيرا على نجاح الشاعر في الصور الفنية السابقة .

هذه هي ، على الاجمال ، أجزاء القصيدة العربية ، كما انتهت الينا في الشعر البدوي ، ومن النقاد من يرى ان الشعر الجاهلي في صورة القصيدة ، قوالب جامدة ، ارتبط بها الشاعر ارتباطا تقليديا ، فحدت من حريته ووجهته وجهة تقليدية لا يجد خلالها مجالا كافيا للتعبير عن عواطفه وأهوائه وتجاربه ، وفي هذا الرأي تطرف ومبالغة . حقا ان طبيعة البدوي المحافظة وبيئته التي تحيط به ، والتي قلما يصيبها التغيير ، جعلتاه عرضة للتقليد ، ولكنه كان ، مع ذلك ، يملك حرية واسعة ، في اختيار الصور ، والوقائع ، فله ان يحذف منها أو يزيد عليها ، وله ان يوجز صورة أو يطيل

---

(١) انظر ديوان زهير بن ابي سلمى ص ١٠ ، وديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٨١ ـ ٨٨ وص ٩٦ ـ ٩٨ وص ١٢٥ ـ ١٣٠ وص ٢٣٥ ـ ٢٣٨ وص ٣٠٤ ـ ٣٠٧ وديوان امرىء القيس (السندوبي مطبعة الاستقامة ١٩٥٩) ص ٥٠ ـ ٥١ وفي ديوان اوس بن حجر (طبعة صادر ـ ١٩٦٠) قصيدة (رقم ٣٠) فيها ذكر لصائد تختم به واقعة الحمار ، واشك في نسبتها الى العصر الجاهلي لطريقتها التفصيلية التي تشبه طريقة الاسلاميين كالشماخ بن ضرار مثلا ولذكرها صائدا .

(٢) المفضليات (دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٥٢) ص ٤٩ ـ ٥١ وص ١٨١ ـ ١٨٣ وص ١٨٨ ـ ١٨٩ وص ٤٢٢ ـ ٤٢٥ ؛ ديوان ذي الرمة (كمبرج ـ ١٩١٩) ١٠ ـ ١٦ .

(٣) المفضليات ص ٣٩٩ ـ ٤٠١ ، وديوان عبيد بن الابرص (صادر ـ ١٩٥٨) ٢٩ ـ ٣٠ وديوان زهير ص ٤٩ ـ ٥٠ .

أخرى • زد على ذلك أن تلك الصور والوقائع تفتح للشاعر المبدع مجالا واسعا للخلق الفني ، فكل واحدة منها تتألف عادة من تيار مترابط من الصور والافكار التي تتدفق من تجربة الشاعر وبيئته ، وان بين تلك الاجزاء والوقائع (لاسيما القسم الفني منها) وحدة داخلية مبنية أيضا على تيار الافكار والصور المترابطة ، ومجرى هذه الصور من القصيدة العربية طبيعي حقا ، وان لم يبد أي رباط ظاهر بين اولى الصور وأخراها ، ولكن من الممكن ان يجد المتمعن فيها ذلك الخيط الدقيق الذي يربط بين صورة وأخرى ، ذلك الخيط الذي يمنح القصيدة وحدتها الفنية •

ولكن اذا كانت القصيدة البدوية وحدة قائمة بنفسها ، فما هذا الشيء المشترك الذي ينتظم صورها جميعا ؟

من الواضح ان لكل قصة أو واقعة في القصيدة شخصيتها التي تدور حولها الى جانب شخوص ثانوية ، اما القصيدة بصورها جميعا ووقائعها ، فتجري في عالم الصحراء ، فعالم الصحراء اذن ، هو ذلك الشيء ، أو ان شئت قلت (الارضية) التي تنصب عليها القصيدة جميعا ، فهنا ، اذن ، في عالم الصحراء ، يكتشف المرء أقوى الاسباب التي دفعت الى وجود القصيدة وخلقها في شكلها الذي ظهرت[1] فيه ، حتى استوت نموذجا من نماذج الادب العالمي • فأي انفصال عن حياة الصحراء لابد ان يؤدي ـ بالضرورة ـ الى انفصال مماثل ، في الشعر ، عن القصيدة العربية (عمود الشعر) وهنا نستطيع ان نفهم معنى ثورة أبي نواس على مخاطبة الاطلال في مطالع القصائد ، ذلك لان المجتمع الذي عاش فيه كان قد بعد بعض الشيء عن الصحراء الى حياة المدينة المستقرة ، ونستطيع ان نفهم أيضا سبب ظهور الموشح في الاندلس بعيدا عن عالم الصحراء •

ومن هذا العرض الموجز تتضح حدود مذهب ادبي في الشعر هو المذهب البدوي ، الذي يعبر عن نفسه في القصيدة التي تتألف من وقائع تنتظمها وحدة قائمة على ترابط الصور والافكار ، ومن الواضح أيضا ان الشاعر البدوي لا يقصد من تشبيه ناقته بثور الوحش مثلا ، مجرد التشبيه ، فيحاسبه ناقد كمؤلف « فن الوصف » على أساس دقة المقارنة في

(١) انظر النابغة الذبياني لعمر الدسوقي ص ٥٢ •

التشبيه أو اصابته • ان تشبيه الشاعر هذا وسيلة فنية للتعبير عن قوة ناقته وشدة احتمالها وسرعتها وهو في الوقت نفسه ، أداة للتعبير عن شيء آخر تجول فيه شاعريته ، فبه يستطيع الانتقال الى صورة أو واقعة أخرى هي قصة ثور الوحش ، ومجرد الانتقال ـ بطريقة الاستعانة بالتشبيه ـ الى هذه القصة يتيح للشاعر حرية في سرد الواقعة من غير ما التفات الى الاقتصار على الاشياء المتطابقة بين المشبه والمشبه به ، وهذه هي طبيعة انتقال الافكار في ذهن الانسان وسير الصور فيه ، فقد يذكرك صوت زائر تلتقي به بصوت صديق حميم وقد تمر بذهنك صورة هذا الصديق ، وقصة حياته ، ان كانت له قصة ، وما لقي من نجاح وخيبة • فلم يقتصر صوت الزائر على تذكر صوت الصديق بل كان وسيلة لاستقبال حشد من الذكريات وربما سيرة ملونة غنيت بالحوادث وصروف الليالي • وكذلك طبيعة الانتقال في القصيدة العربية •

وثمة وجه آخر يتصل بموضوعنا الذي نحن بصدده ، ذلك ان قصة ثور[1] الوحش قصة معروفة الحدود في تقاليد المذهب البدوي ، وهي في قوالبها التي تتحدى الشعراء ، ليعبروا عن قوة شاعريتهم خلالها تشبه بعض الاساطير الاغريقية ـ اذا جاز لنا ان نوردها هنا على سبيل التمثيل ـ فاسطورة اوديب ، مثلا ، موضوع أدبي جال فيه جماعة من الشعراء الاغريق ، ومع ان القصة معروفة الحدود والشخوص لدى الشعراء ، وحتى لدى جمهورهم ، فانها كانت تقدم لكل شاعر من هذه الجماعة مادة جيدة تسكب فيها شاعريته ما لديها من أصالة وابداع وفن • وكذلك قصة ثور الوحش ، فقد كانت ميدانا واسعا جال فيه كثير من الشعراء الجاهليين وتابعيهم من المخضرمين وشعراء من العصر الاموي ، فعبروا فيه عن مقدرتهم الفنية في حدود القصة ، وكان النابغة احد هؤلاء المبدعين ، فسرد قصة الثور وفقا لتقاليد المذهب البدوي ، وتنفست فيها شاعريته مبدعة متفننة ، وما كان عليه ان يقتصر على مجرد التشبيه وفقا لما يريد الناقد الحديث ، وليس للناقد الحديث حق في مطالبة النابغة ان يقتصر على تطابق طرفي التشبيه •

---

(١) سأبحث هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مقال قادم ان شاء الله تعالى •

المهلب بن أبي صفرة الازدي

القائد الذي مهد لفتح السند وفتح منطقة مدينة كِش[1]

ومدينة خُجَنْدة[2] واستعاد منطقة الخُتَّل[3]

« هذا سيد أهل العراق »

(عبدالله بن الزبير)

اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي

نسبه وأهله

هو أبو سعيد المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة بن سراق[4] بن صبيح[5] ابن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العَتيك بن الاسد[6]

---

(١) كش : مدينة تقارب سمرقند عبر نهر جيحون . وقد وردت باسم : كش في الطبري (٥/١٣٩) وابن الاثير (٤/١٧٥) وابن خلدون (٣/٤٦١) والبلاذري ص (٣٠٧) لذلك أخذنا بهذا الاسم لشهرته . أما في معجم البلدان (٧/٢٥٠) فيذكر أن اسمها : كس لا كش ويقول : « وربما صحفه بعضهم فقاله بالشين المعجمة وهو خطأ » . انظر معجم البلدان (٧/٢٥١) وقد ورد ذكرها في المسالك والممالك ص (١٦٦) باسم : كش بفتح الكاف لا بكسرها كما جاء في معجم البلدان .

(٢) خجندة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء نهر سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام شرقا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٠٢) .

(٣) الختل : كورة واسعة كثيرة المدن تقع وراء النهر ، وهي على تخوم السند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٠١) .

(٤) ويقال : ابن سارق . انظر الاستيعاب (٤/١٦٩٢) والاصابة (٧/١٠٥) .

(٥) في وفيات الاعيان (٤/٤٣٢) : ابن صبح .

(٦) في الاصابة (٧/١٠٥) ووفيات الاعيان (٤/٤٣٢) : ابن الأزد .

ابن عمران بن عمرو مُزَيْقِيَاء[7] بن عامر ماء السماء[8] بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازدَ الازدي العتكي[9] ، وهو من أزد العَتيك ـ أزد (دَبَا)[10] ٠

وكان أبو صُفْرَة والد المهلب مسلماً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأدى اليه زكاة ماله ولكنه لم يفد عليه ؛ وقد وفد على عمر بن الخطاب في عشرة من ولده أصغرهم المهلب ، فجعل عمر ينظر اليهم ويتوسم ، ثم قال لابى صفرة : « هذا سيد ولدك »[11] ؛ وقيل : انه وفد

---

(٧) مزيقياء : لقب عمرو المذكور ، وكان من ملوك اليمن ، وانما لقب بذلك لانه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب ، فاذا أمسى مزقهما وخلعهما لانه يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره ٠ وعمرو هذا هو الذي انتقل من اليمن الى الشام والانصار من ولده وهم الأوس والخزرج ٠ وقد ذكر ابن عبدالبر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه : (القصد الامم في أنساب العرب والعجم) : أن الاكراد من نسل عمرو هذا وأنهم وقعوا الى أرض العجم فتناسلوا بها وكثر ولدهم ، فسموا : الكرد فقال بعض الشعراء :

لعمرك ما الاكراد أبناء فارس ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

انظر معجم البلدان (٤/٤٣٩) ٠

(٨) في وفيات الاعيان (٤/٤٣٩) : عامر ماء السماء لا عامر بن ماء السماء كما ورد في أعلاه ، وقد لقب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه ، فشبه بالغيث ٠

(٩) أسد الغابة (٥/٢٣١) ، وانظر الاصابة (٣/٣٠٣) و (٧/١٠٥) والاستيعاب (٤/١٦٩٢) وطبقات ابن سعد (٧/١٠١) و (٧/١٢٩) ووفيات الاعيان (٤/٤٣٢) والمعارف ص (٣٩٩) والبلاذري ص (٣٠٧) وسرح العيون ص (١٠٢) ٠

(١٠) دبا : اسم موضع بين عمان والبحرين ٠ انظر وفيات الاعيان (٤/٤٣٩) والمعارف ص (٣٩٩) ٠ وهي مدينة بعمان قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها ٠ انظر معجم البلدان (٤/٣٠) ٠

وقد أضيفت جماعة من الازد الى (دبا) لما نزلوها ، وكان الأزد عند تفرقهم أضيفت كل جماعة منهم الى شيء يميزها عن غيرها ، فقيل : أزد دبا ، وأزد شنوأة ، وأزد عمان وأزد السراة ، ومرجع الكل الى الأزد المذكور ٠ انظر وفيات الاعيان (٤/٤٣٩ ـ ٤٤٠) ٠

(١١) أسد الغابة (٥/٢٣١) والاستيعاب (٤/١٦٩٣) والاصابة (٦/٢١٦) و (٧/١٠٥) ٠

على أبي بكر الصديق مع بنيه[١٢] ، ورواية وفوده على أبي بكر ضعيفة كما سنرى •

وقد ذكر الواقدي : أن أهل (دَبَا) أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده ومنعوا الزكاة ، فوجه اليهم أبو بكر الصديق عِكْرِمة بن أبي جَهْل المخزومي فقاتلهم فهزمهم وأثخن بهم القتل ، فتحصن فَلّهم في حصن لهم ، فحصرهم المسلمون حتى نزلوا على حكم عكرمة ، فقتل مائة من أشرافهم وسبى ذراريهم وبعث بهم الى أبي بكر – وفيهم أبو صُفرة غلام لم يبلغ ، فأعتقهم عمر بن الخطاب وقال : « اذهبوا حيث شئتم » ، فتفرقوا ؛ فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة[١٣] •

والحقيقة ، أن أبا صفرة لم يكن بين السبي ولارآه أبو بكر قط ، وانما وفد على عمر بن الخطاب وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، فأمر عمر أن يخضب فخضب ، فكيف يكون غلاماً في زمن أبي بكر وكان من ولده من ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة أو أكثر[١٤] •

لقد أوفد عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو أمير البصرة أبا صفرة في رجال من الازد على عمر بن الخطاب ، فسألهم عن أسمائهم وسأل أبا صفرة ، فقال : « أنا ظالم بن سارق » ، وكان أبيض الرأس واللحية وكان قد اختضب ، فقال له عمر : « أنت أبو صفرة ! » ، فغلبت عليه هذه الكنية[١٥] •

إن ايفاد أمير البصرة لأبي صفرة على أمير المؤمنين عمر ، دليل على

---

(١٢) الاستيعاب (١٦٩٣/٤) وأسد الغابة (٢٣١/٥) والاصابة (٢١٦/٦) •

(١٣) المعارف ص (٣٩٩) • وانظر معجم البلدان (٣٠/٤ – ٣١) والاصابة (١٠٥/٧) وطبقات ابن سعد (١٠١/٧ – ١٠٢) •

(١٤) انظر وفيات الاعيان (٤٣٢/٤ – ٤٣٣) • ولم يتطرق الى ذكر رواية الواقدي هذه كل من صاحب أسد الغابة والاستيعاب ، أنظر أسد الغابة (٢٣١/٥) والاستيعاب (١٦٩٢/٤ – ١٦٩٣) ، وقد ذكرها مؤلف الاصابة ورد عليها ، أنظر الاصابة (١٠٥/٧ – ١٠٦) •

(١٥) الاصابة (١٠٥/٧ – ١٠٦) •

أنه كان من رجالات الازد شرفاً وعقلا وتصرفاً ، فهو ممن نزل البصرة وشرف بها[16] ، وكان له طول وجثة وجمال وفصاحة ولسان[17] .

أيامه الاولى :

يتسب المهلب الى قبيلة الازد المعروفة بشجاعة رجالها واقدامهم ورجاحة عقولهم ، وكان أبسود من سادات الأزد عقلا واتزاناً وشجاعة واقداما ، فعاش المهلب أيامه الاولى في بيئة تقوى مزاياه الانسانية السامية : ورث محاسن البداوة عن قبيلته وأهله ، وترعرع في البصرة التي امتزجت فيها البداوة بالحضارة ، فنشأ وترعرع في محيط تعتد فيه البداوة بمزاياها الأصيلة وتأخذ من الحضارة ما يهذب تلك المزايا ويجعلها أكثر رقة وأبلغ أثـرا .

لقد امتزج الطبع الموهوب في المهلب بالعلم المكتسب ، فكوّن هـذا المزيج شخصيته النادرة في مزاياها الانسانية والقيادية على حد سواء .

جهـــاده :

ب ـ في المشرق :

أ ـ شهد المهلب حروب عبدالرحمن بن سَمُرَة القرشي العبشمي في سجِستان[18] وذلك سنة احدى وثلاثين للهجرة[19] ، اذ كان أحـد الاشراف الذين كانوا في جيش عبدالرحمـن بن سـمرة[20] ، فوجهـه عبدالرحمن بشارة فتح (كابُل)[21] الى عبدالله بن عامر أمير البصرة .

---

(١٦) طبقات ابن سعد (٧/١٠٢) .

(١٧) الاصابة (٧/١٠٥) .

(١٨) سجستان : يحدها من الشرق المفازة بين مكران والسند ، ومن الغرب خراسان ، ومن الشمال الهند ، ومن الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكرمان . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٣٩) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٢٠١) ومعجم البلدان (٥/٣٧) .

(١٩) ابن الاثير (٣/٥٠) .

(٢٠) البلاذري ص (٣٨٨) .

(٢١) البلاذري ص (٣٨٨) .

ب ـ وكان أول من عقد للمهلب على بن أبي طالب ، اذ ولاه قيادة الازد حين انهزمت يوم (الجمل)[٢٢] وذلك سنة ست وثلاثين للهجرة[٢٣] .

ج ـ وفي أيام معاوية بن أبي سفيان حين كان على البصرة عبدالله بن عامر ، غزا المهلب ثغر السند ، فأتى (بَنّة)[٢٤] و (لاهور)[٢٥] وهما بين الملتان و (كابل) فلقيه العدو فكبده المهلب خسائر فادحة ، وفي ذلك يقول بعض الازديين :

ألم تر أن الازد ليلة بيّتوا بَنّة كانوا خير جيش المهلب[٢٧]

وكان المهلب حينذاك في خراسان مع الحكم بن عمرو الغفاري[٢٧آ] .

ولقى المهلب ببلاد القِيْقان[٢٨] ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة فقاتلوه فقتلوا جميعاً ، فقال المهلب : « ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا ؟! » ، فحذف الخيل فكان أول من حذفها من المسلمين[٢٩] .

---

(٢٢) الاصابة (٦/٢١٦) .

(٢٣) ابن الاثير (٣/٨٠) .

(٢٤) بنة : مدينة بكابل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٩٤) .

(٢٥) لاهور : ولاية من ولايات الهند واقعة جنوب كشمير وعلى طريق القوافل بين الهند وأفغانستان وايران . انظر التفاصيل في منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان (٢/٢١١) .

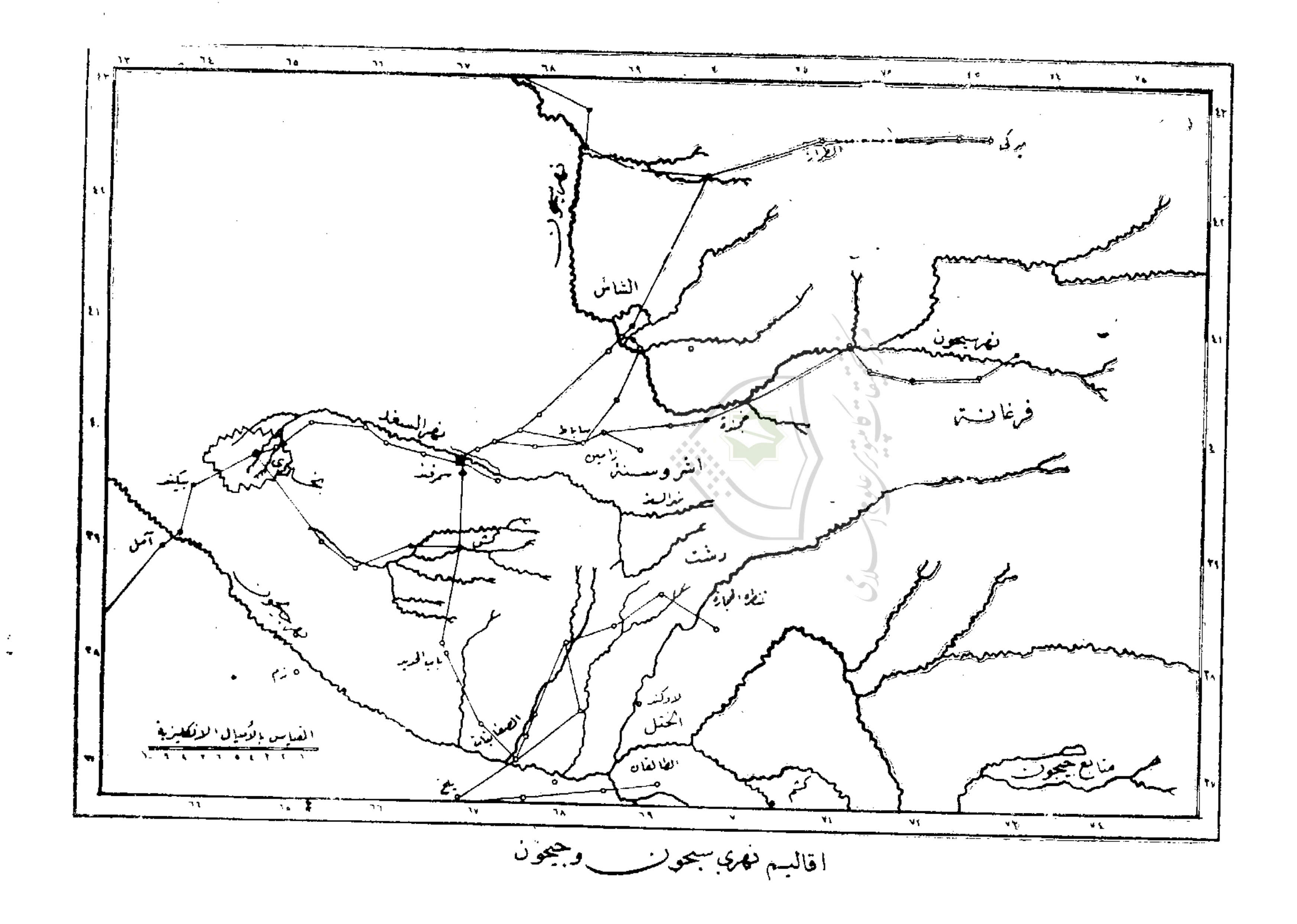
(٢٦) الملتان : هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٤٦) .

(٢٧) انظر معجم البلدان (٢/٢٩٤) وفي ابن الاثير (٣/١٧٧) والبلاذري ص (٤٢١) وردت كلمة : الأهواز بدلا من : لاهور ، ونص العبارة الواردة في هذين المصدرين : « فأتى بنة والاهواز وهما بين الملتان وكابل » . ومن الواضح أن الصحيح هو ما ذكرناه أعلاه .

(٢٧آ) البدء والتاريخ (٦/٣٢) .

(٢٨) القيقان : من بلاد السند مما يلي خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٩٧) وكان ذلك سنة أربع وأربعين للهجرة .

(٢٩) ابن الاثير (٣/١٧٧) والبلاذري ص (٤٢١) ومعجم البلدان (٧/١١٨) .



اقاليم نهري سيحون وجيحون

د ـ وفي ايام معاوية بن أبي سفيان أيضاً حين كان زياد على البصرة ، ولى الحكم بن عمرو الغفاري[٣٠] خُرَاسان فغزا (الغُوْر)[٣١] ؛ وكان المهلب مع الحكم فغزا معه بعض جبال الترك ، فأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق ، فولى الحكمُ المهلبَ أمر الحرب ، فلم يزل يحتال حتى أسر عظيماً من عظماء الترك ، فقال له : « اما أن تخرجنا من هذا الضيق أو لاقتلنك » ؛ فقال له : « أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق ، وسيِّر الاثقال نحوه ، فأنهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق ، فبادروهم الى طريق أخرى ، فما يدركونكم حتى تخرجوا منه » ؛ ففعل ذلك فسلم الناس بأرواحهم وأموالهم[٣٢] .

٢ ـ قتال الخوارج :

أ ـ حماية البصرة :

أمر مصعبُ بن الزبير على البصرة المهلبَ نيابة عنه في أيام أخيه عبدالله بن الزبير ، ثم ولاه عبدالله خراسان[٣٣] ، ولكنه بدلا من أن يتوجه لتولى منصبه هذا ، تولى قيادة أهل البصرة عندما طوقها الخوارج وهددوا

---

(٣٠) الحكم بن عمرو الغفاري : صحب النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفى صلى الله عليه وسلم ، ثم سكن البصرة ، واستعمله زياد بن أبي سفيان على خراسان ، فغزا الكفار وغنم غنائم كثيرة ، فكتب اليه زياد : « ان أمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ كتب ان يصطفى له الصفراء والبيضاء ، فلا تقسم في الناس ذهبا ولا فضة » . فكتب اليه الحكم : « بلغني ما ذكرت من كتاب أمير المؤمنين ، واني وجدت كتاب الله تعالى قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله لو أن السماء والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله تعالى ، جعل له مخرجا ، والسلام » ، ثم قسّم الفيء بين الناس . وقد مات عمرو سنة خمسين رضى الله عنه . انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٧/٢٨ ـ ٢٩) والاصابة (٢/٢٩) وأسد الغابة (٢/٣٦ ـ ٣٧) والاستيعاب (١/٣٥٦ ـ ٣٥٨) .

(٣١) الغور : جبال وولاية بين هراة وغزنة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١٣) .

(٣٢) ابن الاثير (٣/١٨١) وكان ذلك سنة سبع وأربعين .

(٣٣) سرح العيون ص (١٠٢) .

أهلها بالفناء ؟ فحمى المهلب البصرة بعد جلاء أهلها عنها الا من كانت به قوة ، فهي تسمى : بصرة المهلب[٣٤] .

فقد أجمع رأى أهل البصرة وعلى رأسهم الاحنف بن قيس التميمي في أحرج ساعات محنتهم على تسليم قيادتهم للمهلب ، اذ اتى أهل البصرة الاحنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم ، فأشار عليهم بالمهلب لما يعلم فيه من الشجاعة والرأى والمعرفة بالحرب[٣٥] قائلا لاشراف البصرة : « ما لهذا الامر الا المهلب » ؟ فخرج أشراف الناس فكلموا المهلب أن يتولى قتال الخوارج ، فقال : « لا أفعل ! هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان ، فلم أكن لادع عهده وأمره » ، فدعاه الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة القرشي أمير البصرة حينذاك فكلمه في ذلك ، فقال له مثل ما قال الناس ، فاتفق رأى أمير البصرة ورأى أهلها على أن يكتبوا على لسان عبدالله بن الزبير يأمره بقتال أهل الخوارج ، ثم أتوه بالكتاب[٣٦] ، وقال له الحارث أمير البصرة : « يا أبا سعيد ! قد ترى مارهقنا[٣٧] من هذا العدو ، وقد اجتمع أهل مصرك عليك » . وقال له الاحنف : « يا أبا سعيد ! انا والله ما آثرناك بها ، ولكنا لم نر من يقوم مقامك » ؟ فقال المهلب : « اني عند نفسي لدون ما وصفتم ، ولست آبياً ما دعوتم اليه على شروط أشرطها » فقال الاحنف : « قل ! » ؟ فقال المهلب : « على أن أنتخب من أحببت » فقال الاحنف : « ذا لك لك » ، فقال المهلب : « ولي إمرة كل بلد أغلب عليه » ، فقال الاحنف : « وذلك لك ! » ، قال : « ولي فئي كل بلد أظفر به » ، فقال الاحنف : « ليس ذلك لك ولا لنا ، انما هو فيء المسلمين ، فان سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم ؟ ولكن لك أن تعطي اصحابك من فئي

---

(٣٤) المعارف ص (٣٩٩) وانظر الاصابة (٦/٢١٦) والاستيعاب (٤/١٦٩٢) ووفيات الاعيان (٤/٤٣٣) . وانظر ما جاء عن ذلك في اليعقوبي (٣/١١) .

(٣٥) ابن الاثير (٤/٧٩) .

(٣٦) انظر نص هذا الكتاب في الطبري (٤/٤٧٨) .

(٣٧) رهقنا : غشينا ولحقنا .

كل بلد تغلب عليه ما شئت ، وتنفق على محاربة عدوك ، فما فضل عنكم كان للمسلمين » ؛ فقبل المهلب ، وكتب أمير البصرة بذلك كتاباً[٣٨] .

وانتخب المهلب من أهل البصرة اثنى عشر ألفا[٣٩] ، ولم يكن في بيت المال ما يكفي لسد حاجات المتطلبات الادارية لهذا الجيش ، فبعث المهلب الى التجار من يقول لهم : « ان تجارتكم منذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع موارد الاهواز وفارس عنكم ، فبايعوني واخرجوا معي أوفكم ان شاء الله حقوقكم » ، فأخذ منهم المال الذى يصلح به عسكره[٤٠] .

وسار المهلب الى الخوارج وهم عند الجسر الأصغر في البصرة ، فحاربهم ودفعهم عن هذا الجسر - ولم يكن بقى للخوارج الا أن يدخلوا البصرة ؛ فانسحب الخوارج الى منطقة الجسر الأكبر ، فسار اليهم المهلب في الخيل والرجال ؛ فلما رأوه قاربهم انسحبوا الى منطقة أخرى[٤١] ؛ فأمر المهلب بسفن فأحضرت وأصلحت ، فأمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فحارب الخوارج حتى أعد المهلب الجسر فلم يعبر الا والخوارج منهزمون ، فنهى الناس عن اتباعهم[٤٢] ؛ وبذلك نجح المهلب في حماية البصرة من خطر داهم .

ب - في سواد البصرة والاهواز :

اولاً - واكمل المهلب استعدادات رجاله ، ثم سار حتى نزل بالخوارج في منطقة نهر (تِيرىَ)[٤٣] ، فتنحوا عنه الى الاهواز[٤٤] ؛ فأقام المهلب في

---

(٣٨) الكامل للمبرد (٣/١٧٢) .
(٣٩) ابن الاثير (٤/٧٦) والكامل للمبرد (٣/١٧٢) .
(٤٠) الكامل للمبرد (٣/١٧٢ - ١٧٣) .
(٤١) ابن الاثير (٤/٧٦) والطبري (٤/٤٧٩) .
(٤٢) الكامل للمبرد (٣/١٧٣) .
(٤٣) نهر تيرى : نهر من نواحي الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٤٠) ، وهو باسم بلد من نواحي الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٣٨) . وانظر المسالك والممالك ص (٦٥) .
(٤٤) ابن الاثير (٤/٧٦) .

تلك المنطقة أربعين يوماً يجبي الخراج من كور دجلة ، فقضى ما للتجار عليه من ديون وأعطى أصحابه ؛ فأسرع اليه الناس رغبة في مجاهدة الخوارج وفي الغنائم وللتجارة[45] بعد أن ارتفعت معنوياتهم وعادت الثقة الى نفوسهم •

ثانياً ـ وسيّر المهلب الى معسكر الخوارج في الاهواز الجواسيس ، فأتوه بأخبارهم ، فسار نحوهم واستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر (تيرى) • وفي الاهواز اصطدمت مقدمته التي كانت بقيادة ابنه المغيرة بالخوارج فانكشف عنه بعض أصحابه ، ولكن المغيرة ثبت وأدام زخم هجومه ، فارتحل الخوارج عن (سوق الاهواز)[46] بعد أن أشعلوا النيران في بقايا أمتعتهم[47] •

وسار المهلب حتى نزل (سُولاف)[48] ، وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر : لا ينزل الا ويخندق وهو على تعبية ، ويتولى الحرس بنفسه ؛ وهناك في (سولاف) نازل الخوارج فاقتتلوا كأشد القتال ، وصبر بعضهم لبعض عامة النهار ، ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه، فانهزموا لا تلوى أم على ولد ، حتى بلغ بعض المنهزمين البصرة ؛ ولكن المهلب ثبت وأخذ ينادى : « اليّ اليّ عباد الله » ، فثاب اليه جماعة من قومه ، واجتمع اليه نحو أربعة آلاف فارس ؛ فلما كان الغد أراد القتال بمن معه ، فنهاه بعض أصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم ؛ فترك القتال

---

(٤٥) الكامل للمبرد (١٧٣/٣) •

(٤٦) سوق الاهواز : اسم مدينة في الاهواز • انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧٦/٥) و (٣٨٠/١) •

(٤٧) ابن الاثير (٧٧/٤) •

(٤٨) سولاف : قرية في غربي نهر دجيل من أرض الاهواز قرب مناذر الكبرى • انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧٨/٥) •

وانسحب قاطعاً نهر (دُجَيْل)[٤٩] ونزل (بالعاقول)[٥٠] في موضع لا يؤتى الا من جهة واحدة وأقام هناك ثلاثة أيام ، ثم ارتحل نحو الخوارج وهم بـ (سُلَّى وسَلَّيرى)[٥١] ، فخندق عليه ووضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة ، فكان الخوارج اذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمراً محكماً فيعودون من حيث أتوا ، فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ؛ وقد حاول الخوارج مهاجمة معسكر المهلب ليلا فلم تنجح محاولتهم ، لان أصحاب المهلب كانوا على تعبية وحذر[٥٢] .

وهاجم المهلب الخوارج بـ (سُلَّى وسَلَّيرى) ، فاقتتل الطرفان قتالا شديداً ، وصبر الفريقان عامة النهار ؛ ثم رجع كل قوم الى معسكرهم .... واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة أيام . وفي اليوم الثالث حمل الخوارج على جيش المهلب : حمل رجل من الخوارج على رجل من رجال المهلب فطعنه ، فحمل عليه المهلب فطعنه ، فحمل الخوارج بأجمعهم فضعضعوا الناس[٥٣] فانهزموا حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء . في هذا الموقف الحرج ، أسرع المهلب حتى سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ،

(٤٩) دجيل : اسم نهر في موضعين : أحدهما مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها ، فيسقى كورة واسعة وبلادا كثيرة ثم تصب فضلته في دجلة .

ودجيل الآخر ـ وهو المراد هنا ـ نهر بالاهواز ، مخرجه من أرض أصبهان ومصبه في الخليج العربي قرب عبادان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٤١) .

(٥٠) العاقول : لم اعثر على محله بالضبط : وهناك دير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٥٤) ولا يمكن أن ينسحب المهلب الى هـذا الموضع لبعده عن منطقة القتال . والمرجح ان العاقول في منطقة الاهواز بالقرب من دجيل .

(٥١) سلى وسليرى : موضعان بالاهـواز . انظر الكامل للمبرد (٣/١٧٨) ومعجم البلدان (٥/١١٨) .

(٥٢) ابن الاثير (٤/٧٧) والطبري (٤/٤٧٩) ، وانظر الكامل للمبرد (٣/١٧٨) .

(٥٣) الكامل للمبرد (٣/١٧٩) .

ثم نادى : « اليّ عباد الله ! » ، فثاب اليه جماعة من قومه ، وثابت اليه سرية من عُمان ، فاجتمع اليه منهم نحو من ثلاثة آلاف اكثرهم من الازد قومه ، فخطبهم قائلا : « أما بعد . فأن الله ربما يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيُهزَمون ، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ، ولعمري ما بكم الآن من قلّة .... انى لجماعتكم لراض ، وانكم أنتم لاهلُ الصبر وفرسانُ أهل المصر .... وما أحب أن أحداً ممن انهزم معكم ، فانهم لو كانوا فيكم مازادوكم الا خبالا . عزمت على كل امرىء منكم لما أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم ، فانهم الآن آمنون ؛ وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم ، فوالله اني لارجو أن لا ترجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم ... » ؛ واقبل المهلب راجعاً برجاله ، فما شعرت الخوارج الا والمهلب يقاتلهم في جانب عسكرهم ، فقتل المهلبُ أميرَ الخوارج وكثيراً من أصحابه وغنم معسكرهم . وأقبل من كان يطارد المنهزمين من أهل البصرة راجعاً ، وكان المهلب قد وضع لهم خيلا ورجالا على طريق عودتهم تختطفهم وتقتلهم ، مما اضطر الخوارج على الانسحاب الى (كَرْمَان)[٥٤] بعد أن تكبدوا خسائر فادحة بالارواح والاموال[٥٥] ؛ وبذلك قلب المهلب هزيمته الماحقة الى نصر مبين ... فكتب اليه أمير البصرة يهنئه بنصر الله قائلا : « ... ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهادم أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة ؛ فاستدم الله بشكره يتمم نعمه ؛ والسلام » . وكتب اليه أهل البصرة يهنئونه أيضاً[٥٦] .

وكان المنهزمون من جيش المهلب قد وصلوا البصرة ، فذكروا أن المهلب قد أصيب ، فهمّ أهل البصرة بالنزوح الى البادية ... حتى أتاهم

---

(٥٤) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى واسعة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٤١) ، وانظر حدود كرمان وتفاصيل عنها في المسالك والممالك للاصطخري ص (٩٧ - ١٠٠) . وكرمان بفتح الكاف وربما كسرت .

(٥٥) الطبري (٤/٤٨٠ - ٤٨١) وابن الاثير (٤/٧٧ - ٧٨) والكامل للمبرد (٣/١٧٩ - ١٨٢) وانظر سرح العيون ص (١٠٣) .

(٥٦) الكامل للمبرد ص (٣/١٨٢) .

كتاب المهلب بظفره ، فأقام الناس وتراجع من كان قد نزح منهم ؛ فعند ذلك قال الاحنف بن قيس : « البصرة بصرة المهلب »[٥٧] .

وأقام المهلب بعد هذه المعركة بالاهواز حيث بقي هناك حتى جـاء مصعب بن الزبير البصرة بعد عزل الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة عنها[٥٨] .

ثالثا : واستمر المهلب على قتال الخوارج في أيام مصعب وفي أيام خلفه على البصرة حمزة بن عبدالله بن الزبير ، فلما أعاد عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً الى العراق أميراً ، أراد مصعب أن يولي المهلب بلاد (الموصل) و (والجزيرة) و (ارمينية) ليكون بينه وبين عبدالملك بن مروان ، فكتب اليه وهو بفارس في القـدوم عليه ؛ فاستخلف المهلب على عمله ابنه المغيرة ، ووصاه بالاحتياط ثم قدم البصرة ، فعزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس ، وولاه الموصل والجزيرة وارمينيه ؛ فعاث الخوارج من بعد المهلب في الارض فساداً : لا يمرون بقرية بين أصفهان والاهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها[٦٠] ؛ فشاور مصعب الناس ، فأجمع رأيهم على المهلب ، فقال أمير الخوارج قطري بن الفجاءة : « ان جاءكـم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ، ويأخذ منكم ولا يعطيكـم ، فهو البـلاء الملازم والمكروه الدائم »[٦١] .

وخرج المهلب من البصرة يريد الخوارج ، فلما أحس به قطري بن الفجاءة أمير الخوارج قصد (كَرْمان) ، فأقام المهلب بالاهواز ، فكرّ قطري عليه وقد استعد واستعد المهلب أيضاً ، فحاربهـم المهلب واضطرهم على

---

(٥٧) الكامل للمبرد ص (١٨٤) .
(٥٨) الطبري (٤/٤٨١) .
(٥٩) ابن الاثير (٤/١٠٩) ، وانظر الطبري (٤/٥٧٩) والكامل للمبرد (٣/١٨٥) .
(٦٠) الكامل للمبرد (٣/١٨٧ ـ ١٨٨) .
(٦١) الكامل للمبرد (٣/١٨٨) .

الانسحاب الى (رامَ هُرْمِز)[٦٢] مندحرين[٦٣] ٠

وأرسل مصعب الى المهلب يستشيره ، وقيل : بل احضره عنده في أمر حماية العراق من تهديد عبدالملك بن مروان الذي سار بجيوشه الى العراق ، فقال المهلب لمصعب : « اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبدالملك وكاتبهم ، فلا تبعدني عنك » ، فقال مصعب : « ان أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج ، وهم قد بلغوا سوق الاهواز ، وأنا أكره اذ سار عبدالملك اليّ الاّ أسير اليه ، فاكفني هذا الثغر ٠٠ » ؛ فعاد الى قتال الخوارج[٦٤] ٠

رابعاً ـ وقتل عبدالملك مصعباً ، وكان المهلب يقاتل الخوارج بـ (سولاف) ، فبلغ قتل مصعب الخوارج قبل المهلب[٦٥] ؛ فلما استقر عبدالملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد بن عبدالله على البصرة ، فجعل المهلب على خراج الأهواز وسير أخاه عبدالعزيز بن عبدالله الى قتال الخوارج ، فسار الخوارج اليه وهزموه[٦٦] ٠

وعلم عبدالملك بخبر هذه الهزيمة فكتب الى عامله على البصرة خالد ابن عبدالله : « أما بعد ٠ فقد قدم رسولك في كتابك تعلمني فيه بعثك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل ؛ وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدّثني أنه عامل لك على الاهواز ؛ فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبي الخراج ، وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها :

---

(٦٢) رام هرمز : ومعنى رام بالفارسية المراد والمقصود ٠ وهرمز أحد الاكاسرة ؛ فكأن هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز أو مراد هرمز ٠ وهي مدينة مشهورة بنواحي الاهواز ٠ انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢١) والمسالك والممالك ص (٦٤) ٠

(٦٣) الكامل للمبرد (٣/١٩٢) ٠

(٦٤) ابن الاثير (٤/١٢٥ ـ ١٢٦) ٠

(٦٥) الطبري (٥/١٥) وابن الاثير (٤/١٣١ ـ ١٣٢) والكامل للمبرد (٣/١٩٣) ٠

(٦٦) الطبري (٥/١٦) وابن الاثير (٤/١٣٢) ٠

ابنها وابن أبنائها .... ارسل الى المهلب يستقبلهم ، وقد بعثت الى بشر[٦٧] أن يمدك بجيش من أهل الكوفة ، فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه ... »[٦٨] ؛ فكان المهلب نعم المشير على خالد بن عبدالله في قتاله الخوارج[٦٩] .

خامساً ـ ولما عزل عبدالملك بن مروان خالد بن عبدالله من البصرة واستعمل مكانه بشر بن مروان وجمع له المصرين : البصرة والكوفة ، أمره أن يبعث المهلب الى حرب الخوارج[٧٠] ؛ فسار المهلب حتى نزل (رام هرمز) حيث أصبح قائداً عاماً على جيشي الكوفة والبصرة[٧١] .

سادساً ـ وتولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق ، فعلم أن أكثر جيش أهل الكوفة قد رجعوا اليها بعد سماعهم بموت بشر بن مروان ، فقال الحجاج في خطابه الافتتاحي المشهور الذي القاه على أهل الكوفة بعد وصوله اليها مباشرة : « ..... وقد بلغني رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عاصين مخالفين ، واني أقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة أيام الا ضربت عنقه وأنهبت داره ... » ، ثم دعا العرفاء وقال لهم : « الحقوا الناس بالمهلب واتوني بالبراءة بموافاتهم ، ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا ونهاراً حتى تنقضي هذه المدة » ؛ فخرج الناس وازدحموا على الجسر ، وخرج العرفاء الى المهلب وهو بـ (رام هرمز) ، فوافاه جند الكوفة هناك[٧٢] ... ثم كتب الحجاج الى المهلب : « أما بعد . فان (بشْراً) رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك ، وأنا أريك حاجتي اليك ، فأرني الجد في قتال عدوك ؛ ومَن خفته على المعصية ممن قِبَلك

(٦٧) يريد بشر بن مروان أخا عبدالملك بن مران الذي كان على الكوفة حينذاك .

(٦٨) الطبري (١٧/٥ ـ ١٨) وابن الاثير (١٣٣/٤) .

(٦٩) انظر التفاصيل في الطبري (١٨/٥ ـ ١٩) وابن الاثير (١٣٣/٤) .

(٧٠) ابن خلدون (٤٠/٣) وانطبري (٣٦/٥) وابن الاثير (١٤١/٤) وانظر الكامل للمبرد (٢٠٠/٣) .

(٧١) ابن الاثير (١٤١/٤) .

(٧٢) الطبري (٤١/٥) و (٤٤/٥) وابن الاثير (٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦) وانظر ابن خلدون (٤١/٣) .

فقتله .... الخ »[73] ؛ وبذلك أعطى الحجاج للمهلب منتهى الصلاحية في قتل العصاة ، مما يدل على منتهى ثقة الحجاج بالمهلب ؛ فكان جواب المهلب للحجاج : « ليس قبلي الا مطيع ونادم على ذنبه ، وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب ، واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب ، واذا يأسوا من العفو أكفرهم ذلك .... فهب لي هؤلاء الذين سميتهم عصاة ، فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو »[74] ، وهذا منتهى الدفاع عن المعيّة لأعطائهم فرصة جديدة لأثبات اخلاصهم وحسن نواياهم ... وهذا منتهى العفو عند المقدرة .

جـ ـ في أرض فارس(٧٥) وكرمان :

أولاً ـ وأرسل الحجاج الى المهلب والى عبدالرحمن بن مخنف الذي كان على جيش أهل الكوفة يأمرهما بمناهضة الخوارج ، فزحفوا اليهـم وقاتلوهم ، فانهزم الخوارج الى (كَازَرُون)[76] ؛ فسار المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم .

وخندق المهلب على نفسه وقال لابن مخنف : « ان رأيت أن تخندق عليك ، فافعل » ؛ فقال ابن مخنف لأصحابه « نحن خندقنا سيوفنا » ، فأتى الخوارج المهلب ليبيتوه فوجـدوه قد تحرّز فمالـوا نحـو ابن مخنف ، فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل وقاتل فقتل[77] . وفي رواية : أن الخوارج جعلوا بأزاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم الى

---

(٧٣) الكامل للمبرد (٣/٢٠٣) .

(٧٤) الكامل للمبرد (٣/٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٧٥) فارس : بلاد فارس ، حدودها من الشرق كرمان ومن الغرب كور الاهواز وأصبهان ومن الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان ، ومن الجنوب البحر العربي . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (٦٧) ومعجم البلدان (٦/٣٢٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٣٢) .

(٧٦) كازرون : مدينة بفارس بين البحرين وشيراز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٠٦) .

(٧٧) الكامل للمبرد (٣/٢٠٤) وابن الاثير (٤/١٥٠) والطبري (٥/٤٦ ـ ٤٧) .

عبدالرحمن بن مخنف ، فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القــراء وقومه ، فحملت عليه الخوارج ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فانكشف الناس عنه وبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه ، فقتل عبدالرحمن مع من قتل من رجاله[٧٨] .

ثانياً ـ وبعث الحجاج الى عسكر عبدالرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره أن يسمع للمهلب ، فساءه ذلك ولكنه لم يجد بداً من اطاعته ، فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب .

وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلام أغلظ كل منهما لصاحبه ، فأرسل عتاب الى الحجاج يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعـودة اليه ، فبعث اليه الحجاج : « أن أقدم واترك أمر ذلك الجيش الى المهلب » ؛ فأقام المهلب بـ (سابور)[٧٩] يقاتل الخوارج نحو سنة[٨٠] قتالا شديدا ، وكانت (كرمان) بيد الخوارج و (فارس) بيد المهلب ؛ فضاق على الخوارج فكأنهم لا يأتيهم من فارس مادة ، فخرجوا حتى أتوا (كرمان) فتبعهم المهلب حتى نزل بـ (كرمان) ، فقاتلهم قتالا شديداً وانتصر عليهم ، فصارت (فارس) كلها بيد المهلب ، فكتب عبدالملك بن مروان الى الحجاج يأمره أن يترك بيد المهلب (فَسَا)[٨١] و (دَارَابْجِرْد)[٨٢] وكورة (اصْطَخْر)[٨٣] تكون

---

(٧٨) الطبري (٥/٤٧ ـ ٤٨) وابن الاثير (٤/١٥١ ـ ١٥٢) .

(٧٩) سابور : كورة واسعة مدينتها سابور . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٧٠ ـ ٧١) ، وهي كورة مشهورة بأرض فارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤) .

(٨٠) الطبري (٥/٤٨ ـ ٤٩) وابن الاثير (٤/١٥١) وانظر الكامل (٣/٢١٠ ـ ٢١١) .

(٨١) فسا : كلمة أعجمية ، وعندهم تلفظ : بسا بالباء ، ومعناها في كلامهم : الشمال من الرياح . وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي من أكبر مدن ولاية (دارابجرد) . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٦٧) ومعجم البلدان (٦/٣٧٥) .

(٨٢) دارا بجرد : ولاية بفارس سميت باسم مدينة بهذا الاسم ، وتحتوي على مدن كثيرة تفاصيلها في المسالك والممالك ص (٧٠) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٦) والمسالك والممالك ص (٦٧ ـ ٧٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٨٨) .

(٨٣) اصطخر : بلدة بفارس وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٧٥) .

معونة له على الحرب[84] .

ثالثاً ـ ووجّه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه في مناجزة الخوارج ، فأخرج المهلب بنيه : كل ابن له في كتيبة ؛ وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخماسهم . وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم ، فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار ... فجاء البراء بن قبيصة الى المهلب فقال : « لا والله ما رأيت كبنيك فرساناً قط ، ولا كفرسانك من العرب فرساناً قط ، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس ! أنت والله المعذور » فرجع المهلب بالناس حتى اذا كان عند العصر خرج الى الخوارج بالناس وبنيه في كتائبهم ، فقاتلوهم كقتالهم أول مرة[85] . ثم انصرف البراء الى الحجاج بعذر المهلب[86] .

واستمر المهلب يقاتل الخوارج ثمانية عشر شهراً أخرى[87] ، ثم كتب الى الحجاج : « اني منتظر منهم احدى ثلاث : موت ذريع[88] ، أو جوع مضر ، أو اختلاف من أهوائهم »[89] .

د ـ الحرب خدعة :

وطالت الحرب بين المهلب وبين الخوارج ، ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم ، فعلم أنه لا يظفر الا اذا وقع الاختلاف بينهم[90] .

وكان في عسكر الخوارج حداد يسمى (ابزن) يصنع نصالا مسمومة يرمي بها أصحاب المهلب ، فوجّه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف

(84) الطبري (5/120) وابن الاثير (4/169) .

(85) الطبري (5/120 ـ 121) وابن الاثير (4/169) .

(86) الطبري (5/121) .

(87) الطبري (5/121) وابن الاثير (4/169) .

(88) موت ذريع : موت فاش (88) .

(89) الكامل للمبرد (3/207) ، وانظر رواية أخرى عن نص كتاب المهلب للحجاج في الطبري (5/121) .

(90) سرح العيون ص (105) .

درهم الى عسكر الخوارج وقال له « الق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك »، وكان في الكتاب الى الحداد (ابزن) : « أما بعد ، فأن نصالك قد وصلت الينا ، وقد وجهت اليك بألف درهم ، فاقبضها وزدنا من هذه النصال » ؛ فوقع هذا الكتاب الى قطرى بن الفجاءة امير الخوارج ، فدعا (ابزن) وقال : « ما هذا الكتاب !؟ » ، فقال : « لا أدرى ! » ، فقال قطرى : « فما هذه الدراهم !؟ » ، فأمر به فقتل ! فجاءه عبد ربه الصغير وكان من كبار الخوارج فقال : « قتلت رجلا على غير بيّنة ولا تبين أمره ! » ، فقال قطري : « فما هذه الدراهم ؟! » ؛ قال : « يجوز أن يكون أمره كذباً ويجوز أن يكون حقاً ! » فقال قطري : « قتل رجل في صلاح الناس غير منكر ، وللامام أن يحكم بما يراه صلاحاً وليس للرعية أن تعترض عليه » ، فتنكر له عبد ربه في جماعة معه ، ولكنهم لم يفارقوه(٩١) .

وبلغ ذلك المهلب ، فدس الى قطري رجلا نصرانياً وقال له : « اذا رأيت قطرياً فاسجد له ، فاذا نهاك فقل : انما سجدت لك » ، ففعل النصراني ذلك ، فقال له قطري : « انما السجود لله » ، فقال النصراني : « ما سجدت الا لك » ، فقال له رجل من الخوارج : « قد عبدك من دون الله » ثم تلا قوله تعالى : (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ، فقال قطري : « ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضرّ عيسى شيئاً » ، فقام رجل من الخوارج الى النصراني فقتله ؛ فأنكر قطري ذلك عليه وقال : « قتلت ذمياً !! » ؛ فاختلفت الكلمة وزاد اختلافهم وفارق بعضهم قطرياً(٩٢).

وأخيراً بعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه ، فأتاهم الرجل فقال : « أرأيتم لو أن رجلين خرجا مهاجرين اليكم ، فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ، ما تقولون فيهما ؟ » ، فقال بعضهم : « أما الميت فهو من أهل الجنة ، وأما الذى لم يجز المحنة

---

(٩١) سرح العيون ص (١٠٥ ــ ١٠٦) وانظر ابن الاثير (١٧٠/٤) وفيه ورد اسم : عبد ربه الصغير باسم : عبد ربه الكبير ، وقد ورد اسمه : عبد ربه الكبير في الطبري (١٢١/٥) أيضا .

(٩٢) سرح العيون ص (١٠٦) وابن الاثير (١٧٠/٤) .

فكافر حتى يجزيها » ، وقال قوم آخرون : « بل هما كافران حتى يجيزا المحنة » فكثر الخلاف بينهم[٩٣] وفارق بعضهم قطرياً ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطرياً وبقي مع قطري منهم نحو ربعهم أو خمسهم ، ثم اقتتلوا فيما بينهم نحواً من شهر ، فكتب المهلب الى الحجاج بذلك ، فكتب الحجاج الى المهلب يأمره أن يقاتلهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فكتب المهلب الى الحجاج : « اني لست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتلون بعضهم بعضاً وينقص بعضهم عدد بعض ، فان تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضاً ؛ فأناهضهم حينئذ وهم أهون ما كانوا وأضعف شوكة ان شاء الله ، والسلام » ، فكف عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهراً لا يحركهم ؛ ثم ان قطرياً خرج بمن اتبعه نحو (طَبرِستَان)[٩٤] وبايع الباقون عبد ربه الكبير الذي أقام بـ (كرمان) ، فقاتلهم المهلب قتالا شديداً مستمراً حتى قال المهلب : « ما مر بي مثل هذا »[٩٥] ، فانتصر عليهم وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم ، وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير مع أربعة آلاف قتيل ، ولم ينج من الخوارج الا القليل ؛ وأخذ عسكرهم وما فيه[٩٦] ؛ فكتب الحجاج الى المهلب يشكره ويأمره أن يولي (كرمان) من يثق اليه ويجعل فيها من يحميها ويقدم اليه ، فاستعمل على (كرمان) ابنه يزيد بن المهلب وسار الى الحجاج ، فلما قدم عليه أكرمه وأجلسه الى جانبه وقال : « يا أهل العراق ! أنتم عبيد المهلب »[٩٧] .

---

(٩٣) سرح العيون ص (١٠٦) .

(٩٤) طبرستان : بلدان كثيرة واسعة يشملها هذا الاسم ، وطبرستان معروفة بمازندران وهي مجاورة لجيلان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧/٦) والمسالك والممالك ص (١٢٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٣) .

(٩٥) الطبري (١٢٣/٥) وابن الاثير (١٧٠/٤) وانظر اليعقوبي (٢١/٣) .

(٩٦) الطبري (١٢٣/٥) وابن الاثير (١٧٠/٤) .

(٩٧) ابن الاثير (١٧١/٤) والكامل للمبرد (٢٢٥/٢) . وانظر سرح العيون ص (١٠٧) .

أما قطري بن الفجاءة فقد قضي عليه الحجاج بسهولة في منطقة (طبرستان) بعد أن أصبح ضعيفاً ، وبذلك حمى المهلب البصرة من الخوارج بعد أن جلا أهلها عنها[٩٨] وطهر منهم منطقة البصرة والاهواز وفارس ومكران طبرستان بعد حرب ضروس خاض المهلب غمارها ضد الخوارج تسع عشرة سنة[٩٩] .

٣ ـ **الفاتح :**

ضم عبدالملك بن مروان سنة ثمان وسبعين للهجرة خراسان وسِجِسْتَان[١٠٠] الى أعمال الحجاج بن يوسف الثقفي ، فبعث المهلب على خراسان بعد فراغه من قتال الخوارج[١٠١] .

وقطع المهلب سنة ثمانين للهجرة نهر (بَلْخ)[١٠٢] على رأس جيش تعداده ثمانية آلاف رجل[١٠٣] ، فحاصر مدينة (كِش) فأتاه ابن عم ملك

---

(٩٨) الاصابة (٦/٢١٦) والاستيعاب (٤/١٦٩٢) ووفيات الاعيان (٤/٤٣٣) والمعارف ص (٣٩٩) وشذرات الذهب (١/٩١) .

(٩٩) شرح العيون ص (١٠٧) وفي الاصابة (٦/٢١٦) انه قاتل تسع سنين ، وهذا خطأ ، فقد كان المهلب من اشهر من يقاتل الخوارج أيام عبدالله بن الزبير سنة خمس وستين للهجرة ، انظر ابن الاثير (٤/٧٦) وانتهى من قتالهم سنة سبع وسبعين للهجرة · انظر ابن الاثير (٤/١٧١) ، ومن الواضح أنه قاتلهم أيام عبدالله بن الزبير · اذ أن الخوارج ظهروا في أيام علي بن أبي طالب ، وكان المهلب يومها من رجال علي بن أبي طالب المعروفين بحنكتهم العسكرية ·

(١٠٠) سجستان : اسم منطقة واسعة بينها وبين هراة عشرة أيام ، وهي جنوبي هراة · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٧) والمسالك والممالك ص (١٣٨) وآثار البلاد واخبار العباد ص (٢٠١) ·

(١٠١) الطبري (٥/١٢٤) وابن الاثير (٤/١٧٣) وابن خلدون (٣/٤٦) وانظر اليعقوبي (٣/٣١) ووفيات الاعيان (٤/٤٣٤) ·

(١٠٢) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وهي من أجل مدن خراسان وأكثرها خيرا · انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٦٣) ·

(١٠٣) كانت مقدمته مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل ، وكان قسمه الاكبر مؤلفا من خمسة آلاف رجل · انظر ابن الاثير (٤/١٧٥) والطبري (٥/١٣٥) وابن خلدون (٣/٤٦) ·

(الخُتّل)[١٠٤] ودعاه الى غزو (الختل)، فوجّه معه ابنه يزيد، فحاصر يزيد قلعة ملك الختل، فصالحوه على فديـــة حملت اليه، ثم رجع الى المهلب .

ووجه المهلب ابنه حبيباً، فوافى صاحب (بُخَاري)[١٠٥] فنزل جماعة من العدو قرية، فسار اليهم بجيشه المؤلف من أربعة آلاف رجل، فقتلهم وأحرق القرية، فسميت تلك القرية باسم : المحترقة، ثم رجع حبيب الى أبيـــه .

وأقام المهلب بـ (كش) سنتين، فقيل له : لو تقدمت الى ما وراء ذلك، فقال : « ليت حظي من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين » .

واتهم المهلب وهو بـ (كش) قوماً من مضر، فحبسهم بها، فلما رجع أطلقهم، فكتب اليه الحجاج : « ان كنت أصبت بحبسهم فقد أخطـــأت باطلاقهم، وان كنت أصبت باطلاقهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم »، فكتـب المهلب : « خفتهم فحبستهم، فلما أمنتهم خليتهم » .

وأخيرا صالح المهلب أهل (كش) على فدية يأخذها منهم[١٠٦]، ثم عاد الى (مَرْو)[١٠٧] .

الانســـان :

١ ـ كان المهلب من التابعين [١٠٩]، فقد ولد عام الفتح[١١٠] الذي

---

(١٠٤) الختل : كورة واسعة كثيرة المدن فيما وراء النهر (نهر جيحون) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٠١) .

(١٠٥) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها . وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة الخيرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨٢) .

(١٠٦) الطبري (٥/١٣٩ ـ ١٤٠) . وابن الاثير (٤/١٧٥) وابن خلدون (٣/٤٦) .

(١٠٧) مرو : أشهر مدن خراسان، وهما مروان : مرو الروذ ومرو الشاهجان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢) و (٨/٣٣) .

(١٠٩) طبقات ابن سعد (٧/١٢٩) والاستيعاب (٤/١٦٩٢) والاصابة (٦/٢١٦) .

(١١٠) الاصابة (٦/٢١٦) وشذرات الذهب (١/٩١) .

كان سنة ثمان للهجرة[111] (٦٢٩ م) ومات سنة اثنتين وثمانين للهجرة[112] (٧٠١م) بقرية يقال لها (زَاغُول)[113] من أعمال (مرو الروذ) في ولاية (خراسان) ٠

ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا ، وفي ذلك يقول نَهَار بن تَوْسِعة التميمي الشاعر المشهور[114] :

ألا ذَهبَ الغزوُ المقربُ للغنى[115] وماتَ الندى والجودُ بعد المهلّب

أقاما بـ (مرو الرُّوذ) رهنَي ضريحه وقد غُيِّبا عن كل شرق ومغرب

اذا قيل : أي الناس أولى بنعمة على الناس ؟ قلناه ولم نتهيّب

أباح لنا سهل البلاد وحَزْنها بخيل كأرسال القطا المتسرِّب

يعرّضها للطعن حتى كأنما يجللها بالارجُوان المخضّب

---

(١١١) السيرة الحلبية (٣/٨١) وطبقات ابن سعد (٢/١٣٤) وسيرة ابن هشام (٤/٣) وعيون الاثر (٢/١٦٣) ٠

(١١٢) الطبري (٥/١٦١) وشذرات الذهب (١/٩٠) وتاريخ أبي الفدا (١/١٩٧) وابن خلدون (٣/٥٢) والاصابة (٦/٢١٧) ٠ أما في طبقات ابن سعد (٧/١٣٠) والمعارف ص (٤٠٠) والاستيعاب (٤/١٦٩٣) ووفيات الاعيان (٤/٤٣٥) ، فقد جاء فيها : ان وفاته كانت سنة ثلاث وثمانين للهجرة ٠

(١١٣) وفيات الاعيان (٤/٤٣٥) وانظر الاستيعاب (٤/١٦٩٣) والمعارف ص (٤٠٠) ٠ وقد وردت في وفيات الاعيان (راغول) وهو خطأ مطبعي ٠ انظر معجم البلدان (٤/٣٦٨) ٠

(١١٤) الطبري (٥/١٦٢) وانظر وفيات الاعيان (٤/٤٣٥) وابن الاثير (٤/١٨٣) ٠

(١١٥) في ابن الاثير (٤/١٨٣) ورد صدر هذا البيت كما يلي : ألا ذهب المعروف والعز والغنى ٠

تُطيف به قحطـــان قــد عَصبت بــه
وأحلافهـــا من حــيّ بكرٍ وتَغْلِب

وَحَيّــا مَعَدٍ عُوّذٌ بلوائـــــه
يفـــدّونــه بالنفســـ والام والاب

فأي نوع من الرجال كان المهلب حتى يترك موته في نفوس الناس هذا الاثر الفاجع ، وحتى يترك بين رجالات العرب المسلمين هذا الفراغ الهائـل ؟

٢ ـ كان يُقال : « ساد الاحنف بحلمه ، ومالـك بن مسمع[١١٦] بمحبته للعشيرة ، وقتيبة بدهائه ، وساد المهلب بهذه الخلال جميعها »[١١٧] .

وكان سيداً جليلا نبيلا[١١٨] خطيباً شجاعاً[١١٩] فقيهاً[١٢٠] ، وكان على جانب عظيم من السخاء والكرم ، فلم يكن عند المهلب مال : كان اذا عزل استقرض[١٢١] مما يدل على انه كان كريماً كرم من لا يخاف الفقر . ومن كرمه ، انه أقبل يوماً من بعض غزواته ، فتلقته امرأة فقالت له : « أيها الامير ! اني نذرت ان أقبلت سالماً أن أصوم شهراً وتهب لي جارية وألف درهم ! » فضحك المهلب وقال : « قد وفينا نذرك فلا تعودى لمثله ، فليس

---

(١١٦) مالك بن مسمع بن سيار : من بكر بن وائل ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سيد ربيعة في زمانه مقدما رئيسا ، وفيه يقول حصين بن المنذر :

حيـــاة أبي غســـان خـــير لقومه   لمن كان قــد قاسى الامور وجـــربا

وكان مالك أنبه الناس .. قال رجل لعبدالملك بن مروان : « لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف ، لا يسألونه فيم غضب » ، فقال عبدالملك : « وهذا وأبيك السؤدد » . ولم يل شيئا قط . وقد مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين هجرية بالبصرة ، وعقبه كثـير . انظر الاصـابة (٦/١٦٤) والمعارف ص (٤١٩) .

(١١٧) سرح العيون ص (١٠٢) .
(١١٨) وفيات الاعيان (٤/٤٣٣) .
(١١٩) الاستيعاب ص (٤/١٦٩٢) .
(١٢٠) وفيات الاعيان (٤/٤٣٣) .
(١٢١) الطبري (٥/١٣٥) .

كل أحد يفي لك به » • ووقف له رجل فقال : « أريد منك حويجة » ، فقال المهلب : « أطلب لها رجيلاً » ، يعنى أن مثلى لا يسأل الا حاجة عظيمة[١٢٢] •

ولما هزم قطري بن الفجاءة أمير الخوارج ، دخل عليه المغيرة[١٢٣] وأنشده[١٢٤] :

أمسى العباد لعمرى لاغياثَ لهم ... الا المهلبُ بعد الله والمطرُ

هذا يجود ويحمى عن ديارهم ... وذا يعيش به الانعام والشجر

قال : « هذا والله هو الشعر » ، وأمر له بعشرين ألفاً[١٢٥] •

ومن كلامه : « عجبت لمن يشترى العبيد بماله ، ولا يشترى الاحرار بافضاله » • وتذاكروا عنده الثياب فقال : « أحسن ثيابكم ما رأيتموه على غيركم » • وكان كثيراً ما يأمر بصلة الرحم والمكيدة في الحرب[١٢٦] •

وكان حليماً ، ومن أخبار حلمه ، أنه مرّ يوماً بالبصرة ، فسمع رجلا يقول : « هذا الاعور قد ساد الناس ، ولو خرج الى السوق لايساوى أكثر من مائة درهم » ، فبعث اليه المهلب بمائة درهم وقال : « لو زدتنا في الثمن زدناك في العطية »[١٢٧] • وكان قد فقئت عينه بسمرقند[١٢٨] •

---

(١٢٢) سرح العيون ص (١٠٧) • وكان المهلب يوصى خدمه أن يقللوا من الماء ويكثروا من الطعام عندما يكون ضيوفه على خوانه حتى لا يملأ الضيوف بطونهم من الماء وحتى يملأوها من الطعام • أنظر كتاب البخلاء للجاحظ ص (١٣٣) •

(١٢٣) هو المغيرة بن حبناء • أنظر أخباره في الاغاني (١١/٣١٥ ـ ٣٣٢) •

(١٢٤) انظر القصيدة كاملة في الاغاني (١١ ـ ٣١٦ ـ ٣١٨) •

(١٢٥) سرح العيون ص (١٠٧) •

(١٢٦) سرح العيون (١٠٧) • وفي رغبة الآمل من كتاب شرح الكامل (٥/ ١٣٠) : أن المهلب قال : « العجيب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه » •

(١٢٧) سرح العيون ص (١٠٧) •

(١٢٨) كتاب المحبر ص (٢٦١) و (٣٠٢) ووفيات الاعيان (٤/ ٤٣٤) وفيه أيضا : وقيل ان المهلب قلعت عينه بالطالقان وكذلك في البلاذري ص (٤٠١) •

وكان بليغاً في كلامه حكيماً في آرائه ، له كلمات لطيفة واشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل ؛ من ذلك قوله : « الحياة خير من الموت ، والثناء خير من الحياة ، ولو أعطيت لم يعطه أحد لاحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال فيّ غداً اذا متّ »(١٢٩) .

وقيل يوماً للمهلب : « ما خير المجالس ؟ » ، فقال : « ما بَعُدَ فيه مدى الطَرْف وكثر فيه فائدة الجليس(١٣٠) » . وقال مرة : « العيش كله في الجليس الممتع(١٣١) » . وقال يوماً : « أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلا اخلاقه نسيان ما أسر اليه »(١٣٢) .

وقال المهلب لبنيه : « يا بني تباذلوا تحابوا ، فان بني الأم يختلفون فكيف بنو العَلات ؟ ان البرّ يَنسَأ في الاجـل ويزيد في العدد ، وان القطيعة تورث القِلة وتعقب النار بعد الذلة ، واتقوا زلة اللسان ، فان الرجل تزل به رجله فينتعش ، ويزل لسانه فيهلك ؛ وعليكم في الحرب بالمكيدة ، فأنها أبلغ من النجدة ، فأن القتال اذا وقع وقع القضاء ، فأن ظَفر فقد سَعِد ، وان ظُفِرَ به لم يقولوا فرّ »(١٣٣) . وأوصى ولده يزيد حين استخلفه على خراسان من جملة ما أوصاه : « يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب ؛ فان حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه »(١٣٤) .

وحين حضرته الوفاة ، دعا ابنه حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ثم قال : « أفترونكم كاسريها مجتمعة ؟ » قالوا : « لا ! » ، فقال : « أفترونكم كاسريها متفرقة ؟ » ، فقالوا : « نعم ! » ، قال : « فهكذا

---

(١٢٩) وفيات الاعيان (٤/٤٣٥) .
(١٣٠) رغبة الآمل (١/٢٠٤) .
(١٣١) رغبة الآمل (٣/٦٠) .
(١٣٢) رغبة الآمل (٦/١٠٥) .
(١٣٣) البيان والتبيين (٢/٢١٥ ـ ٢١٦) ، وبنو المهلب هم : المغيرة ويزيد وقبيصة ومدرك وحبيب ومحمد والمفضل .
(١٣٤) وفيات الاعيان (٤/٤٣٥) .

الجماعة[١٣٥] ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فان صلة الرحم تنسىء في الاجل وتثرى المال وتكثر العدد ، وأنهاكم عن القطيعة فان القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة ، فتحابوا وتواصلوا واجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، وتباروا تجتمع أموركم . ان بني الام يختلفون فكيف ببني العلات ؟ وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فأني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فان الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك . اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدوّ الرجل ورواحه اليكم تذكرة له ؟ وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف ، فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ؟! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة فانها أنفع في الحرب من الشجاعة ، واذا كان اللقاء نزل القضاء ، فأن أخذ الرجل بالحزم فظهر على عدوه قيل : أتى الامر من وجهه ثم ظفر فَحُمِد ، وان لم يظفر بعد الاناة قيل : ما فرّط ولا ضيّع ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين ،واياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم[١٣٦] » .

٣ ـ وكان المهلب شاعراً مقلاً ، ومن شعره[١٣٧]

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي	وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي
اذا جاء أمر الله أحيا حيوننا	ولابد أن تعمى العيون لدى الرمس

ومن شعره أيضاً[١٣٨]

انا اذا أنشأت قوم لنا نعم	قالت لنا أنفس أزدية عودوا
لا يوجد الجود الا عند ذي كرم	والمال عند لئام الناس موجود

---

(١٣٥) الطبري (١٦١/٥) ووفيات الاعيان (٤٣٥/٤) وتاريخ أبي الفدا (١٩٧/١) وابن الاثير (١٨٣/٤) .
(١٣٦) الطبري (١٦١/٥ ـ ١٦٢) وابن الاثير (١٨٣/٤) .
(١٣٧) وفيات الاعيان (٤٣٤/٤ ـ ٤٣٥) .
(١٣٨) سرح العيون ص (١٠٨) .

لهذه المزايا الانسانية التى كانت في المهلب ، ولمزاياه العسكرية التى سنذكرها عند ذكر مزايا قيادته ، ولانه كان يؤمن ايماناً راسخاً بضرورة الطاعة والتمسك بالجماعة[١٣٩] ، لهذه الاسباب مجتمعة كان المهلب موضع ثقة كافة الخلفاء الذين تولوا أمر المسلمين والامراء الذين تولوا أمر البصرة والعراق ، على الرغم من اختلاف نزعات وميول هؤلاء الخلفاء والامراء ، فكان موضع ثقة على بن أبي طالب ومعاوية وعبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير والاحنف بن قيس والحجاج بن يوسف الثقفي ؛ ذلك لان المهلب لم يل ولاية قط نظراً له ، انما كان يولى لحاجتهم اليه : عقد له على بن أبى طالب حين انهزمت الازد يوم الجمل ، وتولى قتال الخوارج بعد أن كانوا هزموا العساكر وغلبوا على البلاد[١٤٠] . لقد كان شعار المهلب في ادارته وقيادته ينطبق على وصيته لبنيه : « اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب »[١٤١] . وكان شعاره التمسك بالطاعة والجماعة ، فلا يثير الفتن ولا يعمل على أثارتها ولا يشارك في قوله أو عمله من يثيرونها ما دام يرى أن القوة في الطاعة والجماعة ، وأن الوهن في الخلاف والتفرق .

فقد كتب عبدالرحمن بن الاشعث الكندى حين بايعه الناس على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق ـ كتب الى المهلب بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته ، فبعث المهلب بكتاب عبدالرحمن الى الحجاج[١٤٢] .

وكتب المهلب الى ابن الاشعث يقول : « أما بعد إنك وضعت رجلك يا ابن محمد في غراز طويل الغيّ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فانظر لنفسك لاتهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكثها ؛ فأن قلت : أخاف الناس على نفسي ، فالله أحق أن تخافه عليها

---

(١٣٩) انظر الطبري (٥/١٦١) وابن الاثير (٤/١٨٣) حول ما جاء في وصية المهلب لبنيه من التمسك بالطاعة والجماعة .

(١٤٠) الاصابة (٦/٢١٦) .

(١٤١) رغبة الآمل (٣/١١٦) .

(١٤٢) ابن الاثير (٤/١٧٥) .

من الناس فلا تعرضها لله في سفك دم ولا استحلال محرم ، والسلام[١٤٣]» .
ثم كتب الى الحجاج : « أما بعد . فان أهل العراق قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يرده حتى ينتهي الى قراره . وان لاهل العراق شدة[١٤٤] في أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشموا أولادهم ، ثم واقفهم عندها فأن الله ناصرك عليهم ان شاء الله » ؟ فلما قرأ الحجاج كتاب المهلب قال : « فعل الله به وفعل ، لا والله ما اليّ نظر ولكن لابن عمه نصح » يعني **عبدالرحمن بن الاشعب**[١٤٥] .

ولكن الحجاج راجع كتاب المهلب بعد مدة من الزمن وبعد نشوب معارك طاحنة بين جيش الحجاج وجيش **عبدالرحمن بن الاشعث** ، فعلم نصيحة المهلب[١٤٦] وقال : « **لله دره ! أي صاحب حرب هو !! هو أشار** علينا بالرأى ولكنا لم نقبل ،[١٤٦]» .

لقد كان المهلب رجل دولة بكل ما في هذه الكلمة من معاني ، لذلك قال أبو اسحاق السبيعي عنه : « ما رأيت أميراً خيراً من المهلب»[١٤٧] .

ولهذه المزايا كانت له منزلة خاصة عند الخلفاء والامراء من النادر أن يرقى اليها غيره . قدم يوماً على عبدالله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق ، وهو يومئذ بمكة ، فخلا به عبدالله يشاوره ، فدخل عليه عبدالله ابن صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي فقال : « من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا ؟ » فقال : « أما تعرفه ؟! » ، قال :

---

(١٤٣) الطبري (٥/١٤٩) .
(١٤٤) وردت : شدة في ابن الاثير (٤/١٧٩) . أما في الطبري (٥/١٤٩) فقد وردت : شرة ، وهي الحرص الشديد .
(١٤٥) الطبري (٥/١٤٩) وابن الاثير (٤/١٧٩) وانظر ابن خلدون (٣/٤٨) .
(١٤٦) الطبري (٥/١٥٠) وابن الاثير (٤/١٧٩) .
(١٤٧) الاصابة (٦/٢١٦) .

« لا ! » ، قال : « هذا سيد أهل العراق » ، قال : « فهو المهلب بن أبي صُفرة ! »[١٤٨] .

ولم يكن يعاب بشيء الا بالكذب ، وقد كان أتقى لله عز وجل وأشرف وأنبل من أن يكذب ، ولكنه كان يحارب الخوارج ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحرب خدعة » ، فكان يعارض الخوارج بالكلمة فيوري بها عن غيرها ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد حرباً ورى بغيرها[١٤٩] .

لقد كان المهلب ثقة ، وأما من عابه بالكذب فلا وجه له ، لانه كان يحتاج لذلك في الحرب يخادع الخوارج ، فكانوا يصفونه لذلك بالكذب غيظاً منهم عليه[١٥٠] . ان صاحب الحرب يحتاج الى المعاريض والحيلة ، فمن لم يعرفها عدّها كذباً[١٥١] ، وكان المهلب فقيهاً يعلم ما جاء عن رسول الله عليه وسلم من قوله : « كل كذب يكتب كذباً الا ثلاثة : الكذب في الصلح بين الرجلين ، وكذب الرجل لامرأته يَعِدُها ، وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد[١٥٢] » .

لقد كان المهلب ثقة ليس به بأس ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم رواية مرسلة وروى عن بعض الصحابة وروى عنه بعض التابعين وتابعي التابعين[١٥٣] .

لقد كان المهلب من الأجواد المشهورين بالكرم والشهامة[١٥٤] وكان طرازاً نادراً من الرجال يندر أن يجود به الدهر الا نادرا .

---

(١٤٨) وفيات الاعيان (٤/٤٣٣) .
(١٤٩) وفيات الاعيان (٤/٤٣٣) .
(١٥٠) الاصابة (٦/٢١٦) .
(١٥١) الاستيعاب (٤/١٦٩٢) .
(١٥٢) وفيات الاعيان (٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤) ، هذا الحديث رواه أحمد في مسنده (٦/٤٠٣ و٤٠٤ و٤٥٤ و٤٥٩ و٤٦٠) كما رواه الترمذي . انظر مفتاح كنوز السنة ص (٤١٣) .
(١٥٣) انظر التفاصيل في الاستيعاب (٤/١٦٩٢) والاصابة (٦/٢١٦) .
(١٥٤) تاريخ أبي الفدا (١/١٩٧) .

القـــائد :

من النادر أن يحظى قائد بأعجاب قومه وأعدائه واطرائهم مزاياه الحربية كما حظى المهلب باعجاب قومه وأعدائه به واطرائهم له على حد سواء •

وصفه قطرى بن الفجاءة عدو المهلب اللدود ، فقال : « المهلب من عرفتموه : ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر : يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه ، ولا يبدؤكم الا أن تبدؤوه ، إلا ان يرى فرصة فينتهزها ؛ فهو الليث المبر[١٥٥] والثعلب الرواغ والبلاء المقيم[١٥٦] »••• والفضل ما شهدت به الاعداء كما يقولون •

لقد كان شجاعاً ذا رأي في الحرب[١٥٧] ؛ وقد قال أبو اسحق السبيعي : « لم أر أميراً أيمن نقيبة ولا أشجع لقاء ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب من المهلب[١٥٨] » •

إن مفتاح مزايا قيادة المهلب هي : شجاعته أولا وتفكيره في إدارة الحرب بشكل رائع ممتاز للغاية ثانياً •

كان دائما يوصي بالأناة والمكيدة في الحرب فيقول : « عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فأنها أنفع في الحرب من الشجاعة[١٥٩] » ، لذلك كان دائماً يخندق عليه ويضع المسالح ويذكى العيون ويقيم الأحراس ويحرص على بقاء رجاله على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم ، وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها[١٦٠] ؛ وكان المهلب يبث الأحراس في الأمن كما يبثهم في الخوف ويذكي العيون في الامصار كما يذكيها في الصحاري ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بَعُد منهم العدو ، ويقول : «احذروا

---

(١٥٥) الليث المبر : الغالب • يقال : أبر فلان على فلان ، غلبه وقهره وعلاه •
(١٥٦) الكمل للمبرد (١٨٥/٣) •
(١٥٧) الاستيعاب (١٦٩٢/٤) وانظر الاصابة (٢١٦/٦) •
(١٥٨) شذرات الذهب (٩١/١) •
(١٥٩) الطبري (١٦٢/٥) •
(١٦٠) الكامل للمبرد (١٨٥/٣) •

أن تكادوا كما تكيدون ، ولا تقولوا : هزمنا وغلبنا ، فان القوم خائفون وجلون ،والضرورة تفتح باب الحيلة [١٦١] » • ونصح أحد الرجال أحد القادة فقال : « ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم »[١٦٢] • وكان المهلب يوصي قادته بقوله : « خندق على نفسك فأني لا آمن عليك البيات »[١٦٣] •

بل كان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد : كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده[١٦٤] ؛ فكان الخوارج ـ لشدة حذر ويقظة المهلب وحسابه لكافة الاحتمالات ـ اذا أرادوا بيات رجال المهلب وجدوا أمره محكماً ، فلم يقاتلهم إنسان كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه[١٦٥] •

لقد كان حريصاً غاية الحرص على سلامة وأمن رجاله من مباغتة العدو لهم ، فقد امطرت الدنيا مطراً شديداً في إحدى الليالي ، وكان بين المهلب وجيش عدوه عَقَبه[١٦٦] ، فقال المهلب : « من يكفينا هذه العقبة الليلة ؟ » ، فلم يقم أحد ••• فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة وأتبعه ابنه المغيرة[١٦٧] •

انه أخذ بالحزم في القتال وإعمال الرأي[١٦٨] ، وكان يؤمن بمبدأ : الحرب خدعة ، ويؤمن بمبدأ : فرق تسد ، لذلك عمل على تفريق صفوف أعدائه ، وبذل في سبيل ذلك جهدا طويلا شاقاً فنجح في تفريقهم والقضاء عليهم •

---

(١٦١) الكامل للمبرد (٣/١٧٤) •
(١٦٢) الكامل للمبرد (٣/١٨٥) •
(١٦٣) المحبر ص (٢٤٥) •
(١٦٤) الكامل للمبرد (٣/٢٠٧) •
(١٦٥) الطبري (٤/٤٧٩) وسرح العيون ص (١٠٣) •
(١٦٦) عقبة : واحدة عقبات ، وهي الجبل •
(١٦٧) الكامل للمبرد (٣/٢٠٨) •
(١٦٨) سرح العيون ص (١٠٣) •

ولم يكن الانتصار على الخوارج سهل التكاليف ، فقد كانوا ذوي عقائد راسخة وشجاعة خارقة . سئل المهلب : « ما أعجب ما رأيت من قتال الخوارج ؟ » ، فقال : « رأيت رجلا منهم يطعن الرجل فيمشي في الرمح الى طاعنه وينال منه وهو يقول : وعجلت اليك ربي لترضى »[١٦٩] . وكانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعِلْق[١٧٠] النفيس أشد قتالا ، وقد سقط في بعض أيامهم رمح لرجل من قبيلة (مراد) من الخوارج ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل[١٧١] . لذلك كانت مهمة المهلب في القضاء على هذه الفتنة الداخلية صعبة للغاية .

وكان المهلب بعيد النظر ، فقد خلف حريث بن قطبة مولى خزاعة على مدينة (كش) وقال له : « اذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن » ، وكان قد استرهن منهم رهناً من أبنائهم ، وسار المهلب فلما صار بـ (بلخ) كتب الى حريث : « اني لست آمن ان رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك، اذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم أرض بلخ » ، فقال حريث لصاحب (كش) : « ان عجلت أعطيتك الرهن » ، فعجل صاحب كش بالفدية وأخذ الرهن فلما وصل حريث الى المهلب ضربه ثلاثين سوطاً عقوبة على مخالفته كتابه في الرهن[١٧٢] .

وكان يؤمن ايماناً عميقاً بأهمية الطاعة والضبط ، فقد اتهم قوماً من مضر حين كان يحاصر مدينة (كش) فحبسهم[١٧٢] ؛ وكان يؤمن بضرورة الاجتماع وعدم التفرق ويوصي اولاده بهما[١٧٣] ويحارب كل عوامل

---

(١٦٩) سرح العيون ص (١٠٧) .
(١٧٠) العلق : بالكسر النفيس من كل شيء .
(١٧١) العقد الفريد (١/١١٢) .
(١٧٢) ابن خلدون (٣/٥٢) وانظر الطبري (٥/١٦٠) وابن الاثير (٤/١٨٢) .
(١٧٢) الطبري (٥/١٦٠) وابن الاثير (٤/١٨٢) .
(١٧٣) انظر الطبري (٥/١٦١) وابن الاثير (٤/١٨٣) وابن خلدون (٣/٥٣) .

الفرقة والفتن[174] .

وكان يحب رجاله ويحبونه ، فكان لهم كالوالد الرؤوف ، وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل[175] ، وكان يدافع عن معيته دفاعاً قوياً ما داموا على الحق[176] فكان موضع ثقتهم لهذه المزية ولمزاياه القيادية الاخرى .

وكان يثق ثقة مطلقة بنفسه فلا يفسح مجالا لقائده الأعلى أن يتدخل في صلاحياته الخاصة ولا يريه استكانة وضعفاً ما دام يرى نفسه على الحق. كتب الحجاج الى المهلب يستبطئه في مناجزة الخوارج ويستعجزه ، فحبس المهلب رسول الحجاج أياماً حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم ، وكتب الى الحجاج يقول : « ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، فأن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى ، فأن امكنتني فرصة انتهزتها ، وان لم تمكنى توقفت ، فأنا أدير ذلك بما يصلحه ؟ وان أردت منى أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب ، فان كان صواباً فلك وان كان خطأ فعلي ، فابعث من رأيت مكاني ؟ والسلام[177] » ؟ ... وهذا منتهى الاعتداد بالنفس والحرص على حرية العمل دون تدخل من المرجع الاعلى بلا مبرر حتى ولو كان هذا المرجع الأعلى الحجاج بسطوته وسيطرته وقوة شخصيته .

وكان يؤمن بالحرب العادلة ولا يؤمن بالعدوان ، فكان يوصي بنيه بقوله : « لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيبغوا عليكم ، فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم[178] » .

وكان يعرف قيمة المعلومات عن العدو وعن طبيعة الأرض التي يقاتل فيها ، ويرسل الجواسيس لتزويده بتفاصيل الحالة المادية والمعنوية للعدو

---

(١٧٤) الطبري (١٤٩/٥) .

(١٧٥) وفيات الاعيان (٤٤٠/٤) .

(١٧٦) انظر دفاعه عن رجاله عند الحجاج بن يوسف الثقفي في الكامل للمبرد (٢٠٣/٣ ـ ٢٠٤) .

(١٧٧) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) .

(١٧٨) وفيات الاعيان (١٨٧/٢) ، وانظر شذرات الذهب (٧٨/١) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) والكامل للمبرد (٣٨/١) .

حتى يقاتلهم على بينة من أمره ، كما فعل في ارسال الجواسيس الى معسكر الخوارج في الأهواز[179] وكما كان يفعل تمهيداً لكل معركة يخوضها •

وكان لا يهتم بعدد الجنود بقدر ما كان يهتم بنوعيتهم ، فكان يفضل العدد القليل من الشجعان المؤمنين على العدد الكثير من المرتزقة الرعاديد[180] •

وكان شعاره في الحرب : « حم • لا ينصرون » ، وكان يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « ان بيتوّكم فليكن شعاركم : حم • لا ينصرون[181] » • وكانتُ ركُب[182] الناس قديماً من الخشب ، فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع ، فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معين أو معتمد ، فأمر المهلب فضربت الرُكُب من الحديد ، فهو أول من اتخذ الركب من الحديد ، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب[183] •

وعند تطبيق أعمال المهلب العسكرية على مبادىء الحرب ، نجد أنه كان ماهراً في (اختيار مقصده وادامته وعدم التحول عنه دون الحصول على النتيجة الحاسمة • وكان قائداً يحرص على مبدأ (التعرض) وذلك بعد اكمال (تحشيد قوته) وانجاز (أمورها الأدارية) •

وكان يطبق مبدأ (المباغتة) تطبيقاً ممتازاً للغاية في المكان كما فعل حين خرج بقواته من الطوق الذي أحاطهم به الترك وأنقذهم من الفناء الأكيد • كما كان يباغت عدوه بالزمان كما فعل عندما عاد الى معسكر الخوارج في (سلى وسليرى) حين كان أكثرهم يطاردون أصحاب المهلب ، وبذلك قضى

---

(١٧٩) ابن الاثير (٤/٧٧) •

(١٨٠) انظر انتخاب المهلب اثنى عشر الفا فقط من أهل البصرة في ابن الاثير (٤/٧٦) والكامل للمبرد (٣/١٧٢) وانظر خطابه الذي القاه على ثلاثة آلاف من رجاله الصامدين بعد هزيمة رجاله الآخرين في الطبري (٤/٤٨٠ ـ ٤٨١) وابن الاثير (٤/٧٧ ـ ٧٨) والكامل للمبرد (٣/١٧٩ ـ ٨٢) وسرح العيون (١٠٣) •

(١٨١) الاصابة (٦/٢١٦) •

(١٨٢) ركب : جمع ركاب ، وهو ما يوضع فيه رجل الفارس حين يركب فرسه •

(١٨٣) وفيات الاعيان (٤/٤٣٤) •

على أكثر الخوارج الذين كانوا في المعسكر ومن ضمنهم أميرهم أيضاً •

وكان يحرص على (الاقتصاد بالمجهود) ، وقد بذل قصاراه لمحافظة أرواح وأموال رجاله وذلك بيقظته وانتباهه وحرصه سلفاً على اكمال كافة متطلبات القتال •

وكان لا يقر له قرار قبل أن يتأكد من (أمن) قواته وأنها قد أعدت ما يحول دون العدو والنيل منها مادياً ومعنوياً ، ومن أجل (أمن) تلك القوات كان غالباً ما يقوم بواجبات حراستها بنفسه •

وكان لا ينفك يوصي على تطبيق مبدأ (التعاون) ، فكان رجاله يشتغلون عائلة متماسكة بأشرافه وإشراف أولاده •

وكان يعمل على (إدامة المعنويات) بمثاله الشخصي وبتوفير الأمن لرجاله وبعدله وبخطبه في أحرج الأوقات وباستئثاره بالاخطار دون رجاله•

لقد كان المهلب يقاتل بعقله كما يقاتل بسيفه ، وقد نال من عدوه بعقله ما لم ينل منه بسيفه •

وقد أعانه على أحراز انتصاراته الساحقة على الخوارج أولادهالأبطال، فقد وقع الى الارض من صلبه ثلاثمائة ولد[١٨٤] • قال عبدالرحمن الكلبي عندما رأى أولاد المهلب قد ركبوا عن آخرهم لحرب الخوارج : « شدّ الله الاسلام بتلاحُقكم ، فوالله لئن لم تكونوا أسباط نُبوّة انكم لأسباط مَلحمة »[١٨٥] •

وقد وصفهم أحد الرجال للحجاج فقال : « المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك ، وعبدالملك سم ناقع ، وحبيب موت زعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفاك بالمفضل نجدة » فقال الحجاج « كيف خلفت جماعة الناس ؟ » ، قال : « خلفتهم بخير : قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ما خافوا » ، فقال : « فكيف كان بنو المهلب فيكم ؟ » ، قال « كانوا حماة السرح

---

(١٨٤) المعارف ص (٤٠٠) •
(١٨٥) البيان والتبيين (٢/٦٦ ـ ٦٧) •

نهاراً فاذا أَلْيَلُوا ففرسان البيات » ، قال : « فأيهم كان أنجد ؟ ؟ » ، قال : « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها !! »[١٨٦] .

ولما هزم المهلب قطرى بن الفجاءة أمير الخوارج ، بعث مالك بن بشير بالخبر الى الحجاج ؛ فسأله الحجاج : « كيف تركت المهلب ؟ » ، قال : « أدرك ما أمل وأمن ما خاف » ، فقال : « كيف هو بجنده ؟ » فقال : « والد رؤوف » ، قال : « فكيف جنده له » ، فقال : « أولاد بررة » ؛ فقال : « كيف رضاهم عنه ؟ » ، فقال : « وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل » ...... فقال : « أخبرني عن أولاد المهلب » ، فقال : « أعباء القتال بالليل ، حماة السرح بالنهار »[١٨٧] .

لقد كان للمهلب قابلية فائقة على إعطاء القرارات السريعة الصحيحة وتصميم الخطط المعقولة العملية ، وكان شجاعاً مقداماً ، ذا ارادة قوية ثابتة وشخصية قوية نافذة ، وكان يتحمل المسؤولية بلا تردد ، وله نفسية لاتتبدل في حالتي النصر والاندحار ، يسبق النظر بعمق وبصيرة ، يعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ونفسية رؤسائه ومزاياهم ، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويدافع عنهم ويحبونه ، له قابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد .

كما كان يعرف مبادىء الحرب معرفة تلقائية ويطبقها ويؤمن بأهمية الضبط والطاعة ، وما أصدق يزيد ابن المهلب حين يقول : « إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف »[١٨٨] .

---

(١٨٦) الكامل للمبرد (٣/٢٢٤) .

(١٨٧) العقد الفريد (١/٢٠١) وانظر مروج الذهب بهامش ابن الاثير (٧/٨٢) . وفي الكامل للمبرد (٣/٢٢٧) : قال الحجاج للمهلب : « اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم » ، فذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء وقدم بنيه : المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبدالملك ومحمدا وقال : « انه والله لو تقدمهم أحد في البلاد لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لأخرتهم » ، فقال الحجاج : « صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان حضرت أو غبت ... انهم لسيوف من سيوف الله » .

(١٨٨) وفيات الاعيان (٥/٣٣٢) .

تلك هي موجز مزايا قيادة المهلب ، فلا عجب أن يقول فيه لقيط بن يعمر الأيادي[189] :

وقلدوا أمركم لله دركـــم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفاً إن رخاء العيش ســاعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا

مسهّد النوم تعنيه ثغوركـــم ... يروم منها الى الأعداء مطلعـــا

ما زال يحلب هذا الدهر أشـــطره[190] ... يكـــون متبعـــاً طـــوراً ومتبعـــا

وليس يشغله مـــال يثمـــره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرفعـــا

حتى استمرت على شزر مريرتـه ... مستحكم الرأى لا قحماً ولا ضرعا

ولا عجب أن يقول فيه شاعر من الازد[191] :

إن العراق وأهله لم يخبـــروا ... مثل المهلب في الحروب فســلموا

أمضى وأيمن في اللقـــاء نقيبة[192] ... وأقل تهليلا[193] اذا ما أحجمـــوا

لقد كان المهلب قائداً ممتازاً بكل ما في الكلمة من معنى .

---

(189) ابن الاثير (171/4) وانظر الكامل للمبرد (225/3) .

(190) الأشطر : جمع شطر وهو خلف الناقة وللناقة أخلاف ، يقال : فلان حلب الدهر أشطره ، أي اختبر ضروبه من خير وشر تشبيها بحلب جميع اخلاف الناقة ما كان منها حفلا وغير حفل .

(191) الكامل للمبرد (173/3) .

(192) فلان ميمون النقيبة : أي منجح مظفّر في مطالبه ، والنقيبة : النفس أو الطبيعة والخليقة .

(193) التهليل : التكذيب والانهزام . انظر الكامل للمبرد (173/3) .

المهلب في التاريخ :

يذكر التاريخ للمهلب : أنه كان طرازاً نادراً بين الرجال والقادة ، وانه كان قائداً انساناً من طراز رفيع .

ويذكر له ، أنه قضى بكفاءة ومقدرة وحنكة على أخطر فتنة داخلية هى فتنة الخوارج ، كانت تهدد سلامة الدولة الاسلامية بالانهيار .

ويذكر له ، انه فاتح مناطق واسعة من بلاد العجم نشر في ربوعها لغة العرب وعقيدة الاسلام .

رضى الله عن القوى الامين ، الأداري الحازم ، المفكر الحكيم ، القائد الفاتح ، المهلب بن أبي صفرة الأزدي .



این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

٣٨ ـ سرح العيون شرح قصيدة ابن زيدون ـ ابن نباتة المصري ـ مطبعة بولاق ـ ١٢٧٨هـ ٠

٣٩ ـ عيون الاثر ـ ابن سيد الناس ـ مطبعة القدسي ومطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٥٦هـ ٠

٤٠ ـ جمهرة انساب العرب ـ ابن حزم الاندلسي ـ دار المعارف بمصر ٠

٤١ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الاندلسي ـ المطبعة الازهرية بمصر الطبعة الثانية ـ ١٣٤٦هـ ٠

٤٢ ـ عيون الاخبار ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٤٣هـ ٠

٤٣ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق حسن السندوي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة الطبعة الرابعة ـ ١٣٧٥هـ ٠

٤٤ ـ الكامل ـ المبرد ـ مطبعة محمدعلي صبيح بمصر ـ ١٣٤٧هـ ٠

٤٥ ـ البخلاء ـ الجاحظ ـ دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٧٥هـ ٠

٤٦ ـ البدء والتاريخ ـ البلخي ـ مطبعة باريس ـ ١٩١٦م ٠

٤٧ ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ سترنج ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ مطبعة الرابطة ببغداد ـ ١٣٧٣هـ ٠



Bulletin
of
THE COLLEGE OF ARTS

Volume 7

April 1964

Issued By

The College of Arts, Baghdad University



CONTENTS

"AFRICA ON THE ROAD TO FREEDOM"

"THE CASE OF ANGOLA".

by : **Fadhil Zaky Mohamad, Ph. D.**
Department of Political Science

Historical Background. Angola, forteen times larger than Portugal, the mother country, has an area of (481, 350) sq. miles and a population of about (4,361,000): (1) 4,200,000 of which are Africans, 109,000 white, and 30,000 of mixed, parentage.

Locoted South of the Equator, Angola runs over a thousand miles along the Atlantic Oceon. It Boarders the Republic of Congo (formerly part of the French Equatorial Africa) on the north, The Republic of Congo (formerly Belgiam Congo) and North Roodesia on the east, and South west Africa on the south.

Luanda is the capital and principal city. If has a population of 200,000. Other important cities are Lobito, Benguela, Nova-Lisbon, Malanage, Sada-Bandeira and Silva porto.

Angola is portugal's largest colony in Africa. Other portugal's Colonies in this contiment include Mozambigue, Portuguese Guinea, Sao Tome, and principe.

Portugal is one of the first European Colonial powers to enter the Continent of Africa. Its history goes back as far as the Fifteenth Century. During this Century the Portuguese reached west Africa. And it was in 1842 when they first established themselves in Angola. The Portuguese first Century contact with Negro Africa was, in fact, a century of coastal exploration. Subsequent centuries witnessed sucessful penetration of African interior. It was during these centuries. beginning with mid - Sixteenth century, that the Portuguese became more actively involved in economic and political persues, and finally with military occupation and subjucation. By the 19th century, the Portuguese dominance reachld its climax.

At the outset, the Portuguese concentrated their activities in Angola(1) on, slaves and slave trade.(2) "An estimate of one million

(1) According to latest census in 1955.
(2) H.A. Jack. Angola — Repression and Revolt in Portoguese Africa, the American Committee on Africa, N.Y., 1960. P. 2.

slaves were exported from Angola between 1580 and 1680. For a time 80% of these slaves were sent to Brazil to work on the sugar plantations."(3) For "Without Sugar there is no Brazil and without Angola there is no sugar."(4) Between 1680 and 1830, two more millions slaves were exported from Angola.(5)

Historical records indicate that the Portuguese practiced slave trade for over 300 years. Not until about 1850, that the Portuguese did abolish their external slave trade practice — the slowest of all other nations in fact. But the lucrative slave institution had to continue internally till the year 1868.

The abolishment of slavery in 1868, however, took place only on technical basis. For one thing slaves relationship with their masters remained unsevered for another number of years. And when the first labor law was promulgated in 1875, it meant that slaves became vargant individuals who could contract for their services.(6) What appeared to be important in the instance of those freed slaves (Contract Workers), was that they were less well treated since employers had no more proprietory obligation. More than that employers "obtained additional workers as previously they had obtained slaves, from agents who received them from chiefs by mens of petty gifts and bribes. Also the colonial administrators would drow up contracts between employers and vargant (Africans not under Contracts), forcing the latter to work under five-years contracts."(7)

Analysis of the labor code put in force between 1899—1928 showed that the use of force, whenever necessary, were not illegal, since such practices are claimed to be for the betterment and for the civilizing of rude Africans Negros.(8) But such practices already convinced objective critics of the Portuguese's Severe type of Colonialism.

Events in the early part of the twentieth century showed no signs of a basic change in the Portuguese Colonial Policy. In the eyes of some observes, Portuguese colonial policy in Africa witnessed only a change toward further rirgidity, stiffness, and out modeness. Such more rigidness was mainfested in the 1935 colonial charter regarding all Portuguese African colonies as integral parts of metropolitan Portugal.(9) Ironically engugh, these territories before the charter of 1935 were allowed for eventual autonomy. The advant of Slazar regime witnessed ever more drastic steps to further attach Angola to

---

(3) Ibid.
(4) Quoted by James Duffy in Portuguese Africa. Cambridge, 1959. P. 139.
(5) Jack, op. cit. p. 3
(6) Ibid.
(7) Ibid.
(8) Ibid.
(9) Fred G. Burke, Portuguese Africa and American Foreign Policy. (Nov. 1960), p. 2

8. To what extent are the mapority exploited by the higher class? Or by a caste? Or a group of the society?

9. What is the quality of the justice of that particular country? And what are the chances of different classes in this justice?

10. What are the chances of each class in the socity in the education, in the medical health, in the justice, and in the political chances, in joining the government jobs? Or joining the House of Commons?

11. What are the regulations governing these chances?

12. What is the concept of the people toward the major institution which is supposed to be the government, and why?

The answers to these questions require a precise analysis of the social organization of the society, its structure and its function, because the structure and its function of a society control and govern to a certain degree:

1. The pattern of the behavior.

2. The ways of thinking

3. The responses of the people in general toward the major institutions.

The attitude, the behavior, and the responses of the individual and the group is the counter-part of the social and cultural values of the society.

Unless the social and cultural values, and the functions of the institutions are changed, the attitude of the individuals and the group can not be changed. There is correlation between the social values and the attitude of the groups. The change of the attitude depends upon the change and modification of the social and cultural values, because the attitudes and behavior of the individuals and the group are the product of the culture of the society.

Therefore it is necessary to find out the causes contributing to the pattern of the thinking, and the charaterstics of the attitude in the large enviornment, in order to discover to what extent the culture influences the individual personality, as well as the collective behavior and the group personality. Each society has its own values, and institutions. Then the ways of thinking, the attitudes, the social economy, and the social process are all conducted and controlled by these values. When these values, and the functions of the institutions are in harmony and conformity, the society becomes in a high degree of stability and in a good progress and vice versa. The disorganization of the

society, the exploitation of the middle and lowers classes, the differences of the standard of living among the different classes, the distribution of the wealth among the different classes of the society and the chances of each class, are all important factors playing a major role in the life of the society and influence indirectly the feeling of the society toward the foreign countries. The degree of integration of society, and the sufficient participation of the individual to his group are very important factors in the life of the society, because the capacity of the society to discopline the individual and the groups depend on it.

When there is normal and strong unification in the society it imposes a firmer discipline on the individual and the group and thereby preserves them to keep in line and with good comformity with its culture and social system.

The social disorganization produces trouble to the group as well as to the individuals, and that is reflected in the mind of the group and the individual. Then it contributes to the rejection of the social system by the group.

This is a normal process that, the function of the social system is to serve the group in satisfying their needs and interests, If these purposes can not be achieved by the social system, the group suffer and then under the tension and the constraint they seek out another social system which might be more relaxable to meet their biological and social needs. This is unquestionable sociopsychological law. It is obviously observed in different parts of the world, especially in the underdeveloped countries, where the standard of living is very low and the poor classes form the majority of the total population, and where the distribution of the national income is not adequately controlled and organized.

The social facts explain each other, nothing happens spontaneously but it is always a result of a definite chain of causation in harmony with scientific laws and processes. Modern physiological chemistry, dynamic psychology, and sociology have proved that every human being finds his conduct,attitude, and his ideas, determined by the comblined influences of his biological heredity and his social surroundings.

Therefore the attitude of the individuals and the groups, their way of thinking, their preference for one system over the other is a social phenomon determined by different factors and conditions of the social enviornment.

The most acute conditions facing the world today are to be found

not in the realm of the political relation among different countries, but, in the realm of the social sciences. To build up social relations among nations, will be of great help in the understanding and changing of the opinions between one counrty and the other.

We know at the present time how to produce and manufacture in the physical sense for all the needs of the world, and we know what kinds of manufacturing and production is more desirable in different parts of the world, and we know the standard of the consumption of each country for different materials, but unfortunately we do not know the social needs and general conditions of each country at the present time. We do not know why in a particular society the majority of the population are in conflict with the upper and ruling class? We do not know either why a particular economic and social system is more favorable rather than the other? We will remain ignorant of the answers to these questions until we try to study comparatively under adequate scientific methods in social research, the different social phenomena and conditions in different parts of the world.

It is necessary in the first stage to gather materials and formulate knowledge for further investigation and research, and when these data are available the comparison will be easily undertaken. The human relations will be improved as rapidly as we make progress in the field of comparative social studies in different parts of the world, and then we will find the facts lodged in the social system and its social components, or in other words, in the social structure and its functions.

The United States at the present time is asuming responsibility toward different countries in the world as the leader of the democratic nations, it spends money here and there but we have no knowledge of whether or not this money or other services touch the average man in the society; whether it is used in the right ways or not? whether this subsidization or service is employed in the advancement and improvement of the economic and social conditions of the society or not.? I might say so far, as I know the purposes of this assistance are not used in the right way in many countries and it does not touch the population as a whole. A scientific research will answer the questions.

It is the time of the sociologist to take stock, to investigate, collect materials, conduct scientific social research in different parts of the world in order to discover and analyze the social conditions and different factors which characterize the social conditions in different parts of the world. The result of this knowledge and information

will be of great help in understanding the actual factors contributing to the world conflict and war. In the meantime this knowledge will provide an accurate picture of the social coditions in each society. Under these scientific knowledge and informations the politician will be able to establish adequate and effective policies in dealing with different countries, And lastly the political relations will be established under scientific basis rather than the old concepts and traditions of international relations. The nations, rather than the governmental class, are the most important factor in international relation. Finally, the last word in the future will be in the hands of the social scientist in the world peace and prosperity.



A NOTE ON JONSON'S USE OF DRAMATIC DIALOGUE

By

Abdul Wahab Al-Wakil

The dramatic value of Jonson's language is becoming the subject of many a modern critical study, and critics are beginning to see his "artist's sense and care of language". His dramatic handling of the dialogues lies, I believe, in the use of rhetorical persuasion on the part of the knaves to dupe their victims, the long lists of technical, unfamiliar terms, or Jargon, formal speeches of praise and description, slang and, last but not least, exaggeration. Superficial though their effects may seem, in these means lie all the dramatic force in Jonson's language. They are there, not to express new ideas or deep feeling, but to impress, and in doing so they not only are in full harmony with the plots of the palys but also further them up. It is very interesting to notice the way words are used in Jonson's later comedies. Formally and for their own sake as they are used, instead of imparting a meaning, they acquire it from the context. To the sophisticated audience of the sixteenth century it did not appear so awkward as it may do to us.

Jargon, we shall soon see, is the knaves means of persuasion and it is imitated for ironical purposes by the fools, and so it not only represents characters, but also acts as a means by which the plot is forwarded and the irony of the situation is emphasized. Hence its dramatic effect.

Volpone's use of jargon, for instance, has a great bearing on the action which is his disguise. In other words, those long lists of alchemical terms are put into his mouth to complete rather than to comment on his disguise. When disguised as a mountbank, Volpone uses a long list of technical words which at once baffles and impresses the audience:

> "the mal caduco, cramps, convulsions, paralysies, epilepsies, tremor-cordia, retired nerves, ill vapous of the spleen, stopping of the liver, the stone..........."(1)

Lady Wouldbe's affected dissertation on arts and literature(2) not only helps to sum her character up, but also serves as a caricature, taken into context, entensifies the effect. This is best shown in the

(1) Volpone Act II, scene i
Everyman's Edition Vol. i
(2) Act III scene II of the same.

scene where Volpone, flooded by her technical terms, tries, in vain, to stop her, exclaiming:

"My good angel save me!"

and,

"Some power, some fate, some fortune rerscue me!"(3)

In Volpone, the use of exaggeration as a means of producing dramatic irony is evident in the opening scene where Volpone's thoughts in the morning are directed first and foremost to his gold:

"Good morning to the day, and next, my gold!—
Open the shrine, that I may see my saint."(4)

Before long, he is joined in this hyperbolical praise by Mosca, his servant, whose tone is so much similar that one is apt to mix the two speeches up. Obviously, hyperbole in this instance has a great dramatic effect. Again, Volpone's vehemence in describing his methods of making money(5) and Mosca's panegyric upon parasites(6) are remarkable pieces of irony mixed with hyperbole and serving the dramatic cause by expressing the emotion of sheer lust. In his speech to Celia(7), exaggeration plays another part, namely that of persuasion, whose dramatic effect is completed by Celia's indifference.

In his over praise of Corvino's wife to Volpone,(2) Mosca gives the impression that he is flattering his own master, without the latter's being conscious of it. The ironical use of hyperbole reappears in the first court scene when Mosca expresses his thanks to Volpone for the latter's successful defence of his cause.(9)

In Mosca's speeches the use of this figure of speech for persuasion is at its best when he deals with his clients. In them and without committing himself, he makes every one of the clients believe that he is the sole heir of Volpone. To make it sound gun-sure, so to speak, he implores them to extend their generosity to him because he has been doing his best for them. By his skilful handling of the language and without Voltere's being conscious of it he makes him believe that he is the heir.(10) Not only that, but he even praises Voltore's great eloquence in words that he hardly deserves just to make a laughing-stock of him:

"That, with most quick agilitie, could turn
And (re) turn; (could) make knots, and undo them
Give forked counsel; take provoking gold
On either hand, and put it up:"(11)

Corvino is pleased on hearing Mosca referring to him as coming

(3) Act III scene ii
(4) Act I scene i lines 1 and 2
(5) Act I scene i
(6) Act III scene i
(7) Act III scene v
(8) End of Act i
(9) Act IV scene i
(10) Act V scene i
(11) Act I scene i

to "prostitute" his wife. Of course, he takes it as an a exaggeratoin meant only to foster his cause. Yet, we know how accurate it is meant to be. Corvino, again, is made to heap curses on Volpone, thinking that he is deaf. Thus, Jonson is able to make a contrast between this greedy's real and pretended self:

Corv. (aloud) Or, like an old smoked wall, on which the rain
Ran down in streaks!
Mos. Excellent, sir! Speak out:
Yow may be louder yet; a culverin
Dischaged in his ear would hardly bore it.
Corv. His nose is like a common sewer still running
Mos. "Tis good! And what his mouth?
Corv. A very draught."(12)

But worse still is the scene where he tries to persuade his wife to lie with Volpone. Hhere the dramatic interest is at its best.

In the dramatic scene of the court, Voltore goes on to fool himself by repeating, sarcastically, all the charges made against Volpone, little knowing how true they are, a comment on which is supplied in a dialogue between Mosca and Volpone

Mos................................
He has taken pains, in faith, sir, and deserv'd.
In my poor judgment, I speak it under favour,
Not to contrary you, sir, very richly -
Well - to be cozen'd.
Volp. Troth, and I think so too,
By that I heard him, in the latter end.
Mos. O, but before, sir: had you heard him first
Draw it to certain heads, then aggravate,
Then use his vehement figures—
I look'd still
When he would shift a shirt:
and doing this
Out of pure love, no hope of gain-(1)

In the Alchesmist, it is through jargon mainly that speech achieves its full dramatic effect, and jargon, here, is that of both the Alchemist and the Puritan. The play opens with a remarkable scene where two knaves set the tone by exchanging the language of Alchemist in their quarrel. Face, in reminding Subtle of his apparently degrading past says, sarcastically:

"When all your alchemy, and your algebra,
Your mineralas, vegetals, and animals,
Your conjuring, cozening, and your dozen of trades,

---

(12) The End of Act i
(13) Act IV scene i

Could not relieve yourr corps, with so much linen.........
and in reply, later on, Subtle says:

Thou vermin, have I ta'en thee out of dung
So poor, so wretched, when no living thing
Would keep thee company, but a spider or worse
Rais'd thee from brooms and dust and water-pots,
Sublimed thee, and exalted thee, and fix's thee
In the third region, called our state of grace?......(14)

Thus we are introduced, from the very outset, not only to the situation but also to the main tone of the play. When used by a dupe, as in the case of Sir Epicure Mammon, the language, not only carries on the tone of the play but also throws a light on the character concerned. Sure of his understanding of the terms, Sir Epicure, adopts the pronoun "we" in referring to himself and the Alchemists. By using those terms he only shows his superficial understanding-which contrasts sharply with Face's mastery. This is well shown in the scene where he tries to persuade his sceptic firiend Surly:

Do you think I fable with you? I assure you,
He that has once the flower of the sun,
The perfect ruby, which we call elixir,
Not only can do that, but .... (15)

or in:

Face:..................... these blear'd eyes
Have wak'd to read your several colours, sir,
Of the pale citron, the green lion, the crow,
The peacock's tail, the plumed swan.
Mam. And lastly,
Thou hast descry'd the flower,
The Sanguis agni?
Face. Yes, sir,"(16)

The last quotation puts Mammon's understanding in its real place in contrast with Face's, who, sarcastically confirms him by "Yes, sir." Sir Epicure presents no difficulty for Face because he is the sort of person that gulls himself. He is not only confident but also indulgent in sweet dreams of what he is going to do after he possesses that magic stone, while his friend, wondering at his foolish credulity, says:

Sur. Heart! can it be,
That a grave sir, a rich, that has no need,
A wise sir, too, at other times, should thus,
With his own oaths, and agruments, make hard means
To gull himself' ......(17)

---

(14) Act I scene i
(15) Act II scene i
(16) Act II scene i
(17) Act I scene i

Jonson's dramatic genius reaches the highest point when he makes Subtle handles his different clients. He makes him use different languages according to the people he is to deal with. With Surly, for instance, he has to be carreful and so he uses clear, definite terms in tone and agrument. Mammon does not require so much effort because he is, already, a confirmed dupe. With the appearance of Ananias Subtle realizes that, now:

"A new tune, new gesture, but old language"(18) is required. Later even the language has to be changed to convince the stubborn Ananias, and so, some ambiguous, long words are introduced, but to no great effect. Still another way is adopted with Kastril. In order to convince him that they will teach him the art of quarrel they use geometrical terms as a parody upon the Italian school of fencing. As soon as Dapper appears, a law-term is used but, as with the rest, ambiguity is soon the last resort, which, according to Aristotle, is the one means of misleading.

Surly's scepticism is forceful but not so convincing or reasonable as Subtle's for reasons connected with, so to speak, the well-being of the play.

Mammon's misplaced confindence carries him so far as to contradict himself; while professing indirectly a knowledge of the language and terms of the alchemist in his persuasion of Surly, he agrees with Subtle that those terms are intended for one thing, and that is "to obscure their art." He fails to distinguish between knowledge and the words.

Ananias is highly impressed by the wording of the order Subtle gives Face as soon as he is shown in, and in a humble tone announces himself, using a puritan jargon, to be "a faithful brother". The scene that follows is a remarkable one in which Subtle and Face conspire to flood poor Ananias with long unfamiliar terms both to baffle and imprerss him. None the less, he is firm in his reply that he understands no heathen language. As no effort succeeds in breaking his resistence, he is sent away by force after an affected quarrel about his name.(19)

Subtle's language teems with alchemical as well as puritan terms. He does not use Puritan jargon only with Ananias and his master Tribulation. He even uses it with Mammon and Surly serving, thus, another purpose beside satire. As an Alchemist he is reputed to be a pious man. Moreover, Mammon is warned, in a Puritan manner, against "carnall appetite" and "ungoverned haste". Thus the task

---

(18) Act II scene i
(19) Act II scene i

of getting rid of him has become very easy, i. e. by putting the blame on him, which is what happens. For, he ascribes the failure of the scheme to his "voluptuous mind" without even their hinting at it.

In the Alchemist, the dramatic force of the language, therefore lies in the fact that characters are made to speak in the jargon of the profession or class to which they belong or pretend to, thus playing constantly upon the situation and enriching its meaning.



MOTIVATION AND CHARACTERIZATION IN SHAKESPEARE'S RICHARD II AND DANIEL'S THE CIVIL WARS BETWEEN THE HOUSES OF WORK AND LANCASTER

Said, Fatima

Contrary to G. B. Harrison's view that there is little similarity between Shakespeare's *Richard II* and Daniel's narrative poem *The Civil Wars Between the Houses of York and Lancaster*, it seems that the two works come very close to each other in plot, idea, language and imagery. Such similarities could not be considered as accidental. At the least, they imply that one poet must have seen the other's version, or that both had seen still another version of the story, possibly a play that has not survived.

Some critics tend to believe that it is more likely that Shakespeare would have read Daniel's poem, while he was planning his series of plays dealing with the same period. Dover Wislon states that Shakespeare "had his head full of the poem while he was engaged upon the play".(1) Laurence Michel, trying to prove that Daniel could never have copied Shakespeare's play or written under its influence argues:

> Daniel was a self-conscious literateur, a purist and a scorner of the popular stage and its purveyors, would not conceive of its production, even when printed, as literature. It is, therefore, unlikely that he would have seen or read the plays and even less likely that he would have considered them proper source material(2).

In spite of this view of his, he admits that the 1609 version of *The Civil Wars* points to knowledge of Shakespeare.

What made these critics support the view point that Shakespeare is influenced by Daniel rather than vice versa is the fact that all external evidneces give priority to Daniel's poem. Bibliographical evidences indicate that *The Civil Wars* was written before Richard II. The first was entered on the Stationers' Register on October 11, 1594, whereas the second was entered on August 29, 1597.

Although the date of writing Richard II has not yet been fully

(1) John Dover Wilson, The Works of Shakespeare : Richard II. (Cambridge. 1939). p. IXIV.
(2) Samuel Daniel. The Civil Wars. ed. Laurence Michel (New Haven. 1958). pp. 7—8.

determined, Harrison tends to believe that it had probably been written in 1594 or 1595, and Dover Wilson concludes that it had been written in 1595.

These external evidences, as well as the fact that Daniel had by the year 1595 established his reputation as a historical writer following the lead of Spenser, are enough to convince us that Shakespeare would have read Daniel and considered his narrative poem a serious source upon which he could rely in addition to Hall and Holinshed's *Chronicles*. Tillyard argues, in this connection, that "Daniel was in high repute just before Shakespeare began his second tetralogy and he must have commanded respect if not awe through his severe academicism."(3)

Although, both poets began at the same point in the reign of *Richard II*, Daniel ended at a point corrresponding to the end of *III Henry VI*. Their political philosophy is identical. Both show the horror and evil of civil dissention and the curse of rebellion.

Daniel introduces like Shakespeare the idea of Nemesis protesting against Henry's action of rebelling and usurping the crown of an anointed king. This idea is pervasive in both the whole *Civil Wars* and Shakespeare's cycle, transcending the bound of any reign, because the curse works itself out in the whole Lancestrian Dynasty.

Themes of the horror of civil wars and the inevitable retribution are stressed in both works. In Richard II, Carlisle insists on the invalidity of a subject passing a sentence on a king (IV.i.125—29), and in Daniel Carlisle objects against the deposition of Richard and abhors the thought that a lawful king should be judged by his subjects, who are 'judges incompetent' (B.III.23). Carlisle's prophecy of the future of England after the foul deed of Bolingbroke is the most striking echo of Daniel in Shakespeare's play (IV.i.136—38).

Daniel seems to share with Shakespeare his great reverence for the monarchical system. The conception of the divine sanction is affirmed throughout both works, and become essential to understand the nature of Bolingbroke's crime, "which is not merely personal treachery of murder but the overthrow of an order divinely sanctioned in the name of inordinate ambition,"(4) remarks Traversi.

Both poets share the same attitude toward the two protagonists. They do not side with either of them. They exhibit the weakness and faults of Richard, but they seem to agree that all his faults do not amount to tyrranny and hence outright rebellion against the anointed king is a crime.

---

(3) E. M. Tillyard. Shakespeare's History Plays (New York. 1946). p. 238.

(4) Derek Traversi. Shakespeare From Richard II to Henry V (Stanford. 1957), p. 31.

Apart from this quasi-religious belief in the sanctity of an anointed monarch, they have not other prejudices with the exception of their assertion of the paramount interests of England above those of kings and subjects. Shakespeare's view is somewhat ambiguous in this regard. He tries to convince us that Richard is sacrificed for the good of England and at the same time England is cursed after his fall. Daniel's view is just as ambiguous as that of Shakespeare.

The first motivation in both works is the accusations brought against Mowbray by the Earl of Hereford-Bolingbroke. The most important one among these accusations is the one in which the king himself is involved: the murder of Gloucester, his uncle. Daniel's treatment of this episode differs from that of Shakespeare. He makes it clear that Mowbray was charged by the king to kill Gloucester at Calais. Shakespeare leaves this matter unsettled and somewhat ambiguous. The reasons for doing this, as far as I can see, are either to justify the introduction of the great symbolic scene, when violent challenges take place before Henry IV in Westminster Hall, or to keep the audience uncertain as to whether Richard is really involved in this business or not. If we are to think of Richard, the divinely sanctioned monarch, as he who has been involved in Gloucester's death, we would not take Bolingbroke's crime as heinous as it is, since it is committed against a criminal, and we would naturally feel less sympathetic with Richard. Shakespeare may have another important reason for treating this episode in this way; the audience will have a chance to believe that Bolingbrorke's character becomes at the end of the play identical to that of Richard, as he commits the crime of getting rid of a rival to the throne. Moreover, the subtle playright succeeds in winning the audience to his side in sympathizing with the dethroned monarch. Although he exhibits Richard's weakness, he spares no pains to evoke our whole-hearted pity for his fall, and nothing better serves his plan than leaving the death of Gloucestre ambiguous.

The second motivation which led to Bolingbroke's banishment is treated in the same manner in both works. Richard realizes that Bolingbroke courts the favour of the common people and that any triumph from his side over Mowbray in the combat would increase his popularity and bring him closer to the heart of the commoners. To avoid this growing danger, he suddenly orders the banishment of Bolingbroke and Mowbray. It is hard for him to wrong a sincere friend like Mowbray, but he has to sacrifice a friend to get rid of a foe. Daniel stresses the indignation of the common people at Richard's sentence against Bolingbroke. In a few lines he gives the idea that the commoners are thinking of supporting the wronged Earl, in case he should return and usurp the crown (B.I. 69).

The third motivation which led to Bolingbroke's return is the foolish act of confiscating his estate in which culminate the faults of the unfortunate king. Daniel's treatment of this event differs slightly from that of Shakespeare's. In this poem the usurper is summoned back by the commoners before the death of his father. But both works affirm that his restum is motivated by his desire for restoring his property and dukedom. Both poets seem to agree that Bolingbroke has not plotted his usurpation of the crown beforehand. Daniel believes that Bolingbroke was thrust into the crime by occasion and Shakespeare seems to believe that Fortune and Richard's weakness helped him to achieve sovereignty. He is, therefore, not a schemer but an opportunist. Circumstances drive him from point to point and he takes what Fortune and Richard throw in his path. Coleridge accepts this view and affirms that Bolingbroke is

> a man who in the outset has been sorely injured: then we see him encouraged by the grievances of his country and by the strange mismanagement of the Government, yet at the same time scarcely daring to look at his own views, or to acknowledge them as desires.(5)

In my opinion three factors led to Bolingbroke's success: Fortune, Richard's weakness and his practical mind. His attitude towards the different people who supported him show his subtlety. He pretends to be depending on them, while in reality he is reaching out to the exercise of authority. He is clever enough to make a judicious appeal to family sentiment, when he addresses York:

> You are my uncle, for me think, in you
> I see old Gaunt alive.
>
> (II.iii.177—18)

The effect of this approach upon York who in his heart has already chosen the path of betrayal, is immediate.

In both works the characters of both protagonists are revealed through contrast and imagery. Each of them represents a different world: Richard the world of Medieval refinement and Bolingbroke the more familiar world of Elizabethan England. The weak character of Richard who is interested in musing, posing and phrasing is contrasted to the character of the man of action, Bolingbrake who takes quick and effective actions silently. Through imagery, the fortunes of both protagonists are pictured as two buckets opposing each other, and when one of them rises up the other one could not avoid sinking to the bottom of the well. Shakespeare is clever enough to conceal the wheel of fortune, as he employs this less familiar figure of Fortune, because the wheel is in his mind all throughout the play.

---

(5) T. M. Raysor. Coleridge's Shakesperian Criticism (Cambridge 1930), ii. pp. 188—9.

In fact it determines the shape and structure of the play. At the beginning of the play Richard appears high on Fortune's wheel and Bolingbroke at the lowest point of it. In act 3, the wheel turns mysteriously, paralysing the will of the king, and raising Bolingbroke up by a power beyond his volition. The imagery of the sun is pervasive in both works for the same purpose. Richard is likend to the sun emerging from the cloud, being surrounded by his bad advisors who gradually dim the lustre of his character. Bolingbroke is likened to the bright shining sun (IV.i.261), which Shakespeare borrowed from Daniel. The fortune of the successful usurper accepting the homage of his subjects is likened to the ocean receiving the tribute of the river-water. Thus allying Belingbroke with the faces of nature and emphasizing the inevitability of this rise to power.

In both works, Richard seems to have accepted the tragedy of his fall, thinking himself a Christ deserted by many Judases. Instead of taking any step to suppress the rebellion and punish the rebels, he submits willingly and delivers his crown with his own hands. This idea is dramatized in the same manner by Shakespeare (IV.i.208) and Daniel (B.2.3).

In Daniel's poem, Richard dwells on bewailing his fortune as if enjoying his downfall. In Shakespeare's play, when he is told that his kingdom is taken from him, he falls into hysteria, then, overwhelmed by a stronger current of emotion, he cries in despair,

> For God's sake, let us sit upon the ground
> and tell sad stories of the death of kings-
> (III.ii.155-6)

Shakespeare's treatment of the parting of the queen from her husband is different from Daniel's. In Daniel's poem the event is more moving and emotional. I agree with Tillyard, who says of Shakespeare, "In places where emotion rises, where there is strong montal action, he evades direct or naturalistic representation and resorts to convention and conceit."(6) The sight of Richard passing unregarded by anybody, lingering behind the pomp of Bolingbrake, is very emotional and gives justification to the fainting of the disillusioned queen. In Shakespeare's play, Richard seems to be too stoic when he is parting with his wife.

The rebellion in both works is motivated by the desire of the rebels to restore the lawful king. Both rebellions end with failure and lead to the murder of the divine monarch. The only difference is that Daniel fails to make the event as brillient as Shakespeare does.

---

(6) E. M. Tillyard. Shakespeare's History Plays (New York, 1946) p. 247.

He prepares for it very cleverly, but at the climax falls to the level of any ordinary poet. (B.III.49).

The idea of getting rid of Richrd is dramatized in both versions in the same manner. Henry, in Daniel's poem, feels after suppressing the rebellion that Richard is the power behind it, though he is not personally involved in it. To get rid of this danger and to avoid future rebellion and disorder, he thinks that nothing would secure him better than,

> The roote cut off, from whence these tumults rose,
> (B.III.56)
> He dares not confess his desire at large, but merely hints that
> He would 'twere done, and that he thought it good:
> And ther-with eyes a Knight, that then was by;
> who soone could learne his lesoon, by his eye.
> (B.III.57)

Shakespeare seems to have copied Daniel here, because he comes very close to him in the treatment of the event as well as in the language. In his play, Exton tells the servant that when Henry hinted that he would like to get 'rid' of this 'living fear' (V.IV.2), he looked at him

> As who should say, "I would thou wert the man
> That would divorce this terror from my heart,"
> (V.IV.8—9)

In both versions, Exton is requdiated by Henry after the murder of Richard. Daniel here seems to have borrowed from Shakespeare, as this incident does not exist in his earlier version of 1609. This implies that by this date Daniel had probably recognized Shakespeare as a serious writer on historical subjects, since he had revised this particular incident in the light of Shakespeare's treatment.

Dramatic structure of both works is different. Danial's epic narrative comes closer to history and tries to tell as many historical incidents as possible. Shakespeare seems to be interested in symbolic actions rather than in real events. The tournament scene with all its pomp and violent challenges between Bolingbroke and Mowbray ends with out any physical action, and so does the scene in which violent challenges are taking place before Henry IV in Westminister Holl. In like manner, the clash expected between Bolingbroke and Richard at their first encounter and which is stressed by the first one, is replaced by a highly ceremonious encounter leading to the effortless submission of Richard. Similar to this is the notion of the Welsh army, preparing itself to support Richard and suddenly dispersing without doing anything against the usurper. Shakespeare seems in this play to be blow-

ing bubbles which become bigger and bigger and all of a sudden burst and vanish.

However, Shakespeare's play is more effectively constructed. The scenes are balanced and contrasted very cleverly: a ceremonial scene is followed by a private scene and scenes of action and motivation are superseded by scenes in which neither action nor motivation exist. Even the speeches of the characters are contrasted: Richcacrd's ritual and long speechs are set into contrast with Bolingbroke's speeches which are completely void of the conventional tone of the first one.

Characterization in both works seems to be the same. Apart from few incidents in which both protagonists and some other characters such as the queen, Northumberland and the gardener in Shakespeare's play, behave as human being, the characters appear in the rest of both works as, to borrow Harrison's statement, mouthpieces for poetic sentiments. Daniel too fails to make his characters more alive, except in the parting scene between Richard and his queen. Discrepancy in Richard's character is conspicuous in both works. At the beginning, his weakness is stressed and at the end his valour is amazing, especially in Daniel's poem. Some critics try to interpret this valour as intended by Shakespeare to show that the wronged king, who failed to hold his dignity alive, tries in his last moments to restore it. Although this sounds true, it can not convince those who are sympathizing with the falling monarch.

To come to a conclusion I would say that Shakespeare is indebted to Daniel for a number of ideas and imagery, and that although Daniel's poem seems to be the most illuminating background for a full appreciation of Shakespeare's play, yet it is somewhat inferior it, becouse Daniel fails to animate his materials as Shakespeare does.

Bibliography:

1. Tillyard, E. M. *Shakespeare's History Plays*. New York, 1946.
2. Wilson, John Dover. *The Works of Shakespeare*: *Richard II*. Cambridge, 1939.
3. Daniel, Samuel. The Civil Wars. ed. Laurence Michel. New Haven, 1958.
4. Traversi, Derek .Shakespeare From Richard II to Henry V. Stanford, 1957.
5. Baysor, T. M. Coleridge's Shakespearian Criticism. Cambridge, 1930.

ADMINISTRATIVE RESPONSIBILITY
CONCEPTS & THEORIES

By

Latif Al-Kassir
L.L.B., B.A. (U.C.), M.A. (U.C.)
teacher of Public Administration
Instetutes of Public Administration
and College of Political Science and
Economics
University of Baghdad.

Introduction :

Major transformations in the basic foundations of the administrative life are taking place. The old administrative structures are desintegrating, the new structures still lie in the future, and one can only discern their first rough outlines.

New and unforeseen administrative practices, incompetable with traditional principles, have arisen with an elemental spontaneity. Administrators must take these new developments into consideration when seeking for new categories of schemea. This must be done not only to understand the reality of current law but also to guid the administrator to the proper goal. Totalitarianism threatens to submerge the idea of legality in administrative dispotism. Furthermore the individualistic conception of law has proved to be incapable of saving the administration from distruction.

Public administration and political scientists have tried to bring forward a new category of restrain "accountibility". This differs from both the principle of sheer subordination and that of fearful deciplane. It takes the need of the governed and the decision makers into account. At the present precariously time this theory is of the utmost necessity

A close inspection of the term "administrative responsibility" proves that this term identifies a unique and essential sector in Public Administration, namely the accountability of the administrator. This is especially important in a country where totalitarianism and democracy are engaged in a fatal struggle.

That is how administrative responsibility proves its essential relevance to the current crisis. The theme presented below can provide the necessary elements for a democratic policy whose aims are: the establishment of a democracy based on efficiency, value neutral administration, the preparation for an equilibrium of the peoples needs, demands and believes and the defence of every one's liberty in the future society.

Definition :

In stones Legal Dictionary responsibility is defined as follows: "The obligation to answer for an act done and to repair any injury it may have caused; or, in terms of ability to discharge an obligation".

This definition is broader than those discussed below. Responsibility, as defined by Dr. Carl Friedrich, "Is the responsive conduct to the wish of the power-holder". A much broader definition might be useful in deducing the element of power and response to power.

Dr. H. Finer, however defines responsibility as follows:

1. one is that X is accountable for Y to Z; the essential condition is the "externality" of the agency or persons to whom accountability is to be rendered and it can mean very little without that agency having authority over X, determining the lines of X's obligation and the terms of its continuance or revocation.

2. The second concept of responsibility is an inward personal sense of moral obligation, with the emphasis on the conscience of the agent.*

According to the first definition the officer is accountable to the law, or to any other normative order. In case of violation sanction should be applied. According to the second definition the administrator committs an error only when that error is recognized by his own conscience and so his punishment will be the twings therof this is more or less similar to Hara-Kiri.

From these definitions one notices that the first implies the notion of contractual relationship and the second the idea of non-contractual relationship. It may be safely said that administrative responsibility is a power and a duty combined with a third elemments, an essential part of the contractual responsibility, namely, accountability. However not everyone having a duty is responsible. He is only responsible when he is entrusted with the freedom of choices in fulfilling his duties. On the other hand, an increase in power does imply an increase in duties, but duties cannot be widened without some extension or increase in power.

---

* H. Finer. "Administrative Responsibility and Democratic Government" Public Administration Review, 1 : 335 (Summer, 1941).

The importance of Administrative responsibility :

Historically speaking, when the general responsibility of the state began to be admitted by the ruler, there was no thought of extending it to the administration. Then responsibility was characterized by the transcendental and not the secular conception, The notion that the ruler represented God on the earth and he and his officials were responsible to Almighty*. It was only after the establishment of that central core of administrative government (bureaucracy) that responsibility became secularized and constitutionalized. Its importance in the field of administration was exceeded by all the other elements, or value in this area of knowledge.

Means of Control :

Control, in fact, springs out from the very nature of Responsibility. Responsibility has been conceived as duty, power, and accountability, with the essential condition that accountability should be rendered to an external agency, person or group of persons. In order to relate this generalization to the specific functions, the following questions must be answered:

1. Responsibility for what?
2. Responsibility to whom?

The answers to these questions are varied and depend on the understanding of the conflicting implications and sophistications. One must be aware of whether it is a (fact) or (sense). To see it as a (fact) implies that responsibility *is* existing or *will* exist. To see it as "sense" is to conceive of it as a normative order. Expressing the fact that somebody "ought" to act in a certain way means that this behavior is prescribed by a norm which may be a moral, legal or some other norm. All that can be done to describe this "sense" is to state that it is different from the sense in which we say that an individual behaves in a certain way, that something actually occurs or exists. A statement to the effect that something "ought" to occur is a statement about the existence and the contents of a norm, not a statement about natural reality** not something concerning the future.

The answer to the question, Responsibility for what, could be satisfied by saying that an administrative agency ought to be responsible for formulating as well as executing public policy. Administrative agencies have exerted to great influence, and have given guidance

* C. Friedrich, Constitutional Government and Democracy. (1959) pp. 259, 408.

** H. Kelsen, General Theory of Law and State (1947) pp. 35—37.

on public policy formulation. This was accomplished in the following manner:

1. In the exercise of the discretionary powers allowed in everyday operations.

2. In the process of developing specific proposals for legislative considerations. The above can be classified into:

1. Technical discretion.
2. discretion in social planning.
3. discretion in reconciliation of interests.

With respect to the formulation of specific proposals for legislative approval, amendment, or rejection, the administration does in fact play a great role in originating legislation in the various levels of government.

Mr. Edwin E. Witte says:

> ,, "Beyond question many important statutes enacted by the Congress have their origin in administrative departments and Congressional action is profundly influenced by the wishes of these departments. To my personal knowledge this has been the situation as to substantially all social security legislation and also, I believe, as to most of the agricultural banking credit, defense, housing, insurance, public utility securities, tax, and much other legislation."*

The situation is not dissimilar in the lower subdivisions and their legislative behavior. For example, Scott and Zeller asserted that "state and local administrative agencies and officers proposed and spensored more than half of all the statutes enacted by the legislature of New York. But, they continue, the participation of the administrative departments in the legislative process is much broader than the total number of their own bills implies."*

Apparently the administrators' role in this endeaver is coming to be accepted by most political scientists, "though the ritual of partisan politics often appears to require denunciations of Bureaucratic influence on legislation.***

Nevertheless, the increase in administrative power has constituted the origin of the administrative responsibility in democracy. The opponents were suspicious of this movement as a subversive movement toward legistic canons and impinging upon the sovereignty of the legislature, thus becoming despotic, aiming to employ the court against

---

* Edwin E. Witte. Administrative Agencies and Statute Lawmaking", Public Administration Review, Vol. II p. 116 (1942).

** Elizazeth Scott and Belle Zeller, "State Agencies land Lawmaking", Public Administration Review, Vol. II p. 205 (1942).

*** Arthur A. Mass and Laurance I. Radway, "Gauging Administrative Responsibility in D. Waldo Ideas and Issues in Public Administration pp. 441 — (1956).

the legislature and the legislature against the court. As James Beck observed:

> The subversive power secured by the Bureaucrats and selfish groups from well *meaning* and complacent Congrees, which professes to accomplish so much for the poor, the exploited, and downtrodden, means nothing less than the transformation of individual enterprice, self-reliance, and ambition into collective and mass action directed by bureauracy uncontrolled by law."*

Thus, a situation so badly shaken by Bureaucracy; there is a flash of real hope emenating from the undeniable fact that, they thought, return to the old days of traditional democracy to regain responsible administration, they insist on the limitation of Bureaucracy. Accordingly, they sought devices through which they will be able to control the activities of Bureaucracies. These devices may be classified into two groups.

1. The first it that responsibility *is* or *ought* to be a political concept "set in the context of more or less radical democratic theory or in the context of more or less traditional constitutionalism; hence a person is resposible in fact or operationally to the people or to their representatives. The Hoover Commission for example put it well in the following statement:

> The president, and under him his chief lieutenants, the department heads, must be held responsible and accountable to the people and the Congress for the conduct of the executive branch.
>
> But responsibility and accountability are impossible without authority — the power to direct. The exercise of authority is impossible without a clear line of command from the top to the bottom, and a return line of responsibility and accountability from the bottom to the top.**

2. The second is that responsibility is not something which can be measured only on "the basis of bowing to the will of a governing majority and that its enforcement is bount not so much to the mechanics of majority rule as to complex and subtle set of internalized values and group life phenomena. These values in turn will in final analysis determine the quality of the public service, and the character and conduct of its servants.***

From the recent reports and studies, one can ascertain that the political devices are as follows:

---

* James Bevk, Our Wonderland of Bureauracy p. 85, (1932).
** Cited by P. Odegard, "Toward a Responsible Bureaucracy, "Annals, Vol. 292 p. 18 (March, 1954).
*** D. Waldo, The Problem of Democracy in its Relation to Administration (monograph).

1. legislative supremacy.
2. rule of law.
3. direct responsibility to the people or group of people.

1. *Legislative supremacy* :

This approach holds that to have well responsible administration, and to be able to put one's finger on administrative responsibility in democratic society, the administration must be held responsible to the legislature. The administration has been endowed with quasi-legislative power, thus it is a matter of course that they should be accountable and controlled by the legislature. Moreover, that direct responsibility cannot end with the chief executive, because the executive himself cannot be made accountable to the legislature in quite the same way as in parliamentary government. The authority to force the chief executive to resign when he no longer commands the confidence of the legislature is lacking. It is argued that in a democracy, the Bureaucracy does not formulate public policy. It is both unauthorized to and incapable of assuming the task of making the law, "only the legislature has been authorized to make the law. This is inescapable responsibility of the first magnitude."* Consequently, as long as the legislature is the sole body in translating the general interest into law, it follows that the legislature must oversee the execution of the law. In the American Constitution, for example, the formers of the Constitution expected Congress to share in the direction and control of the administration.**

The well-known exponent of this approach is Herman Finer, who shoulders the responsibility to defend this theory, whether in his books or articles. Mr. Finer put special emphasis on the external control. To him Bureaucrary is inherently specialist, hierarchical, and autonomous. Indeed, herein are the dangers for the administrative theory. There is no doubt that sooner or later there is an abuse of power when extrenal punitive controls are lacking.*** .

Finer insisted that the democratic system required the external as well as the inner control which the latter being a characteristic of dictatorial systems. Democratic governments, in attempting to insure the responsibility of office holders to the people, have recongnized the following doctrines and they have built their action upon them.

1. The mastership of the public in the sense that they are working not for the good of the public in the sense of what the public (needs) but of the (wants) of the people as expressed by the public.

---

* Ernest Griffith, Congress, its Contemporary Role p. 107 (1951).
** C. Hyneman, Bureaucracy in a Demorcracy p. 176 (1955).
*** Finer, op. cit., p. 338.

2. Recognition that this mastership needs institutions and especially a centralized elected organ which can express and exert its authority.

3. The function of the public and of its elected institutions is not merely informing the governments and the officials of what they want but the authority and power to exercise and effect the course which the latter are to pursue, the power to exact obedience to orders.

The problem of irresponsibility is accentuated by the very nature of the office holder. This abuse has shown itself in three ways:

1. Governments and officials have been guilty of nonfeasance; they have not done what law and customs require them to do owing to laziness, ingorance, want of care for their charges, or corrupt influences.

2. Malfeasance, where a duty is carried out with waste and damage, because of ignorance, negligence or technical icompetence.

3. Overfeasance, where a duty is undertaken beyond what custom obliges or empowers. Overfeasance may result from dictatorial temper,* the vanity and ambition of the official genuine, sincerety, or public spirited zeal. Nevertheless, considered as another class off abuse of power: "virtue itself hath both need of limits"

These are common abuses committed by officers which when coupled with their monopolist attitude tend to make these officials similar to: "The grand men of business who have arrogated to themselves the exclusive control of the manufacture or sale of commodity and therewith the domination without appeal by the victim, of an entire sector of the national life.**

The crucial point is whether the legislature offers effective control over the administration? In order to insure the administrative responsibility in a democratic society the following steps among others must be taken: It is universally agreed that the exercise of the power of control by the legislature, such, for example, as Congress' detailed attention to and the itemization of financial appropriations, may destroy movement, flexibility, and the like, on the part of the administrator. However the administrators differ from the other schools of though by not advocating administrative discretion and unity of power. Instead they insisted on the reform of the legislative body. They urged a far more rational procedure saying it is

> "needless that the administration should be given its head, but on the contrary, what legistive bodies should be improved — conceding the growing power of officials. We may discover the remedy in the political

* Finer, op. cit., pp. 338—388.
** The agitator personality in contrast to the Administrative Personality.

parties and election, if our minds are ready to explore''*

The legislature should have access to experts who may counte: the council of administrators and free the legislature from the Bureaucratic recommendations. Because it was this superior command of information, more than any other factor, which has given the executive-legislative struggle the appearance of a losing battle for the latter.**

The followers of this school differ among themselves with regard to the time of relationships between the legislature and the administration.

Finer urged that the legislature ''should define and datermine the course of action and the duties and power of the public servants to the most minute degree that is technically feasible...... espacially since these enactments may not be precise, becaus the lgislators were not clear about what they wanted...... thus offering latitude to officials''.

Accordingly they suggested a never ceasing control with the help of the courts and the people. In fact, he is even suspicious of the courts, hence, to avoid the judicial bias in the interpretation of social legislation, he introduced Laski's suggestion that a preamble migh be set at the head of every statute so that its intention might be rendered less mistakable.*** Hyneman shared Finer's point of view. He says:

> ''The rule should specify in the statutes every guide, every condition, every statement of principle that it knows in advance it wants to have applied in the situations that are expected to arise. This rule derives from a concept of legislative supremacy''.****

Professor L.D. White inclined to disagree with this particularism and he suggests that the executive should be responsible to the legislative, but only through the chief executive, and primarily for the broader questions which arise in formulating and executnig policy. ''The legislature perforce must deal with administration on the basis of principle and generality, if they are to deal with it effectively and in the public interest''.*****

Although these scholars have worked on many reforms but, they have particularly tried to maintain democratic responsibility in public administration by encouraging political control. The legislature or any elective assembly must set and enforce the accountability of the administration. ''The condition sought is no less than that the unambiguous,

---

* Ibid., p. 341.
** Ibid., p. 336.
*** Finer, op. cit., p. 339
**** Hyneman, op. cit., p. 84—87
***** L.D. White. "Legislative Responsibility for the Public Service". in his. New Horizons in Public Administration (1945) p. 6.

external and objective subservience of the bureaucracy".* Although "Judicial and quasi-Judicial procedure and standards provide some guarantees of fair and beneficial administration, and through the code of ethics, interior discipline, and all the arrangements to make these effective, offer the guarantees of incentiveness agility and fruitful administration, nothing is more important in our own day than the fundementality of political control or political responsibility.**

The Case Against Legislative Control

It has already been shawn that even the exponent of legislative supremacy have admitted that the legislative has envisaged difficulties. Like all highly specialized procedures the legislative methods of the modern nation state are relatively incapable of meeting the needs of unusual situations. The major problem could be summarized thus by:

1. To reverse Finer's statements with Mr. F. Watkins argument that the first difficulty may be characterized as a technical problem. This problem is accentuated by the legislatur's lack of knowledge and expertise to legislate adequately on many subjects. Nor does the legislature have the knowledge to adequately control bureaucrats after it has set the wheels in motion on any particular problem. For this reason, bureaucrate were justified on the ground of "their specialized knowledge could not tolerate any delay."***

2. The more serious forms of modern legislative collapse are apts however, to be political rather than merely technical in character. The practice of the majority rule is the main reason for the delay of the passing of many important pieces of legislation, for the will of the legislature is seldom a concerted one. Moreover, it is the will of individual legislature which counts, rather than the will of the nation. Hence, the legislature knowledge is inadequate to write meaingful statutory directions for administration. And all subsequent interpretations of basic statutes are the interpretations of individual legislatures or Committees as that are:

(a) Procedure minded and thus not representative of the whole will of the legislature or (b) acting at the behest of individual "constituency minded" legislature, because the legislatures acting on a particular problem will have to take over the formulation of administrative policies governing these problems, and will even have to take the initiative in much fundamental legislation on these problems.

* A. Dotson. "Fundamental Approaches to Administration Responsibility. Western Political Quarterly p. 715 (Sept. 1957).

** H. Finer. "Better Government Perasonnel," Political Science Quarterly" Vol. II. p. 585.

*** F. Watkins. "The Problem of Constitutional Dictatorship" in Public Policy ed. by C.J. Friedrich and Edward S. Mason p. 344 (1940).

The superior expertise of administrators, it is said, will put them beyond the competence of the legislature to control, and should the legislature attempt control willy nilly, it will only defeat its own purpose by crudely disturbing expert administrative activities and procedures.*

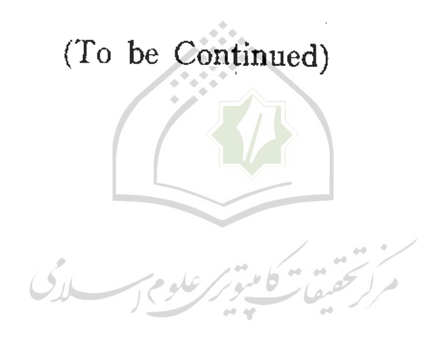
It is true that there are certain defects and any legislative body should confine itself to broad statutory declarations of purpose. Besides, technical matters sometimes call for emergency measures, which by their very nature stick together over these things.

Therefore, individual legislatures perform this function spasmodically and on the basis of individual administrative actions which are displeasing to the legislatures or thier particular constituents.

3. Accordingly, the legislature in its present undisciplined forms is not a representative institutions. Its actions are those of individual members often at the behest of certain powerful constituents. The bureaucracy itself may better represent the people than does the legislature.

Seemingly it is the legislature which really needs controlling rather than the administration. If this is the case, then what is the substitute for accountability? The answer is the rule of law.

(To be Continued)



* C. Gilbert, M. Kampelman, "Legislative Control of the Bureaucracy, Annals, Vol. 292 (March. 1954), p. 79.

THE SOURCE OF MORALITY IN THE MECCAN PERIOD OF THE QUR'AN

by S. Shamma Ph. D. (Edinb.)
Asst. Prof. of Philosophy
Univ. of Baghdad

Introduction. The inner life of man. A general view of the Quranic teaching in the sphere of morality. esp. within the individual.

The first Meccan stage. Discussion of an (11) points table 9 of which concern specifically moral notions the other 2 concern the form and the method the Quran treats its code.

The second Meccan stage. Here the previous 11 points are further discussed, the addition of a 12th point, that of social morality.

THE SOURCE OF MORALITY : THE INNER LIFE OF MAN

The omnipotence of God in Islam is vehement: He created man and made life easy for him. He sent him messengers to remind him and preach to him, commanding him to what benefits him and prohibiting him from what is against his own good. The way is open then to man to choose, or to try at least. Thus, man is responsible, in a sense, for what he does. The source of responsibility is within the heart of man. Man's heart, according to the Quran, is the seat of reason and the seat of moral judgment as well, since the last two functions have the same identification. The good reasoning is, then, morally healthy; further, the same process leads to religious salvation and constitutes generally, what is meat by wroship in Islam, although this worship demands also certain rituals. In the man's heart, or, variously, soul *nafs*, lie the functions which differentiate between good and evil, functions which are personified sometimes in the form of angels and devils. The temptation of the devil, or, the base desires of man, is always there, it can only be nullified through good reasoning, or simply listening to the inner voice of the heart; or, again, remembering God and his many lessons or laws given to man.

This "double-talk" of the Quran is always present, though it is

not confusing. Thus God arranged everything for man, even according to certain equivocal (*mutashabihat* !) passages in the Quran, God pre-destined man from eternity as to his salvation or damnation. Yet, it is clear enough in the Quran that man's soul will be his first judge, and God will, so to speak, second the judgement of the soul against itself. A book of works, of what is good or evil, is kept in each one of us, even an angelic book-keeper is mentioned who supervises our acts, sayings, and the very thoughts or intentions of the heart (God knows the very whispering of the soul 50, 16). Even after committing many sins the way of repentance is open to man. The soul is said to have a blaming function, i.e. a reawakened conscience is always given the chance to forget the past evil doings and to begin a pure life again. This capacity to repent is given such an important position that even a presumably good person is in continuous fear that he would sin. This is of course an aspect of the sensitivity of the conscience. Virtuous acts are greatly rewarded in the next world, so also the vices we commit will be balanced against any good we do, and if the resulting balance is against us we shall be punished accordingly. Virtue even has its rewards in this world, although such a reward is not always material, i.e. we have to be satisfied by the mere doing of the virtuous act, in other words, our recompense is spiritual and moral, though sometimes we may be rewarded concretely as well.

The moral recompense of virtue, the blaming of the conscience, the good reasoning and the healthy observations of the individual, these factors fused with the inner responsibility in man and his reponse to what is good, orient us to happiness, or to a purified state of soul needed for the ultimate salvation. We need to say a "purified state of soul" and not a "pure state of soul" like that of Nirvana, because man is apt to sin as much as he is apt to do good, and there is a continuous activity in which we are tempted to sin or we may actually sin, then we are innerly blamed hence we may strive after what is good and thus repent, and the process is continuous as long as man is responsible, i.e. owning his full reasoning capacities. Even a prophet is not infallible.

All this leads us to appreciate the mechanism of the inner life of man. There is a kind of court and court procedure; our heart, or soul, is the judge. God, of course, is the supreme judge. The invididual is the accused. The concrete accusation is reproduced in a written book. For defence one is helped by an opposing book of virtuous deeds. And so on. These judgment scenes are demonstrated in detail in the illustrations of the Last Judgment. If we benefit from the rule of the "double-talk", we can incorporate all eschatological judgments and observations to illustrate the mechanism of the inner

life of man in this world. In this way the spiritual-religious salvation is identifiable with our moral happiness, that God created man only to worship him (Q.51, 56) can be understood in a human context as referring to man's following the rule of law and leading a cleaner life, that all that is said of good and vicious men in the next world is directed to man in this earthly life of ours, and so on. The present paper is not meant to discuss fully the symbolism of religion, but some involvement in this symbolism is needed to explain the moral and social functions of the Muslim.

It must be also mentioned that the ultimate norms of our acts and intentions lie within the individual, but God the moulder of all our human life delegated to the society, i.e. the Muslim community, an almost equal force to that of the individual's heart or soul. Thus, the public opinion in regard to what is approved of publicly and what is not *al-amr b'il-m'ruf wa'l nahy 'anil-munkar,* is an alternative to man's inner voice. This force of public opinion is in principle applicable to all individuals, although some individuals among Muslims introduced various innovations according to the inner voice they felt within themselves, despite all accusations of the community.

I shall follow roughly the chronological order of Nöldeke-Schwally except when it is a matter of presenting the subject in a more organic way, or when the chronology does not really help, as when e.g. a certain term does not appear in one of the periods. As for citing the Quran I am using the official Egyptian edition, and using my own translation of the text of the Quran, except when it is bracketed, in which case I am using Bell's translation.

The first Meccan stage (the so-called 1st and 2nd periods):

wa-fi anfusikum a-fala tubsirun (Q. 51, 21)

If we look for the organ of moral judgment we find it in the language of the Quran variously expressed, mainly in qalb-,nafs-, and less sadr-passages. The qalb (heart) is the seat of reasoning (17,46); so also the nafs is created with its two inclinations towards what is good and what is evil (91,7f.) God sends his messengers to help the choosing will of man towards salvation and ultimate happiness; thus Muhammad is sent to remind (51, 55); and man cannot be left alone to roam at will (75,36). God being by his nature a *summum bonum* (20, 8) reveals to his messengers to guide us along the right path and it remains to man to choose between being grateful and obedient to the laws of God, or ungrateful and disobedient to the same laws (76, 3). Our very acts will on the Judgment Day talk for us (52, 22), and each one will be responsible only for his own soul (82, 19; 53, 38). Every act, great or small, will be written in our accounts (23, 102f.; 54, 53; 99fi 6ff.) The damned will confess to the truth of their sins (67, 9ff.; 69, 18ff.; 75, 13ff.; 36, 65). Thus the

responsiblility of the individual is clearly stated from the earlier periods onwards. The blaming soul (75,2) is one of the main signs of the creations of God worthy to be sworn with.

The responsibility of man is tempted, however, by the vicious influence of the devil or, as very often, mentioned, by the stupidity of man and his base desires, i.e. the irrational elements in man. In 79,40 the fearing of God is coupled with the act of prohibiting the soul of its passion *hawa*. In 18,28 the neglectfulness of God is coupled with the obedience to passion (cf. further 20, 16). In 25,43f. passion is said to be raised by some lost men to the level of a god, the mentality of such people is worse than that of the cattle. The passion of the soul is coupled with false opinion (wrong reasoning !) (53,23). In the next verse 53,24 such a man of false opinion is asked mockingly whether he is getting in the long run whatever he looks for! The base desires are understood to have such wordly ends as honours and wealth (18,28).

The devil tempts man or tries to tempt him all the time. Yet man can avoid such temptation by continuous thinking of God and asking him for forgiveness (51,17f.) even at the cost of a sleep-less night (probably as a result of repentant feelings and the act of the blaming soul). The believers are in continuous fear of punishment. until God rewards them (52,26f.) The fear of God and of his punishment is either a result of sinning, or in anticipation of such a state of affairs (69, 44ff.)

The fear of conscientious believers and repenting sinners is usually standing in the neighbourhood of the hope of rewards for the good one does or is likely to do. This situation enlarged brings us to the two notions of hell and paradise. Thus it is said that on the Judgment Day men will be different, some hope to see the fruits of what they did, whereas the sinners will be punished (99,6ff.; 84,6f.)

The good deeds are, in one word, nothing but the worship God expects us to offer him (51, 56). This worship is explained further as being certain beliefs and duties on an individual and a social basis (cf. sura 103): Really man is in danger of loss, except those who believe (in the one God) and do good works and counsel each other to truth and endurance!

The salvation, or the happy end, of the individual is said to be identified with or enhanced by the purification of the soul (91,9). This purified soul is said to be a "sound heart" (26,89) or a satisfied and trusting soul (89,27) which is "happy and approved of" (zufrieden und befriedigt -Henning- 89, 28) One needs in this connexion to talk of the purification of the soul and not of a pure soul like that of the Nirvana order. Each one of us is born with both inclinations to be virtuous or vicious (91,8). Even Muhammad is blamed

in the Quran for certain past sins and warned against future ones (cf.e.g. the beginning of sura 80 and the beginning of sura 48. In 47,19 M. is asked to pray for the forgiveness of his sins.) Also, each one may work for his salvation and for the purification of h.s soul (cf. the following derivatives of one and the same root, i.e. *zakkaha, yazzakka, tazakka,* and *yatazakka*): Thus in 79,18 Moses approaches Pharaoh asking him to purify his soul. In 92,18 charity, through helping the poor, is an aspect of the purification of the soul. The purification results also from certain negative acts, such as keeping the soul away from passions and base desires and from excessive love of wealth and honours, as was mentioned in some passages above.

Also, no soul can guarantee its purification because of the continuous state of fear mentioned above.

In order to purify the soul or the heart, one needs to qualify the material on which he is working. Here certain basic characteristics of human nature are defined. Man is inattentive, non-serious and apt to look at his destiny light-heartedly (cf. the beginning of sura 21). Man is hasty (17, 11) and the devil makes him forgetful (18, 63). Forgetfulness is even applied to the Prophet except in what concerns the revelation (87,6). Forgetfulness is one of the most repeated arguments throughout the Quran, and in various forms, too, as will be seen later. Thus because of man's forgetfulness he is unthankful, *kafir,* hence he is an unbeliever. Also, because of forgetfulness, God needed to send several messengers and prophets to men, and so on. Man is also impatient or fearful, *halu',* (70,19) cowardly or weak *jazu',* when affected by evil (70,20). The devil works on such qualities because, also, of the two instincts directed towards good or evil, which was referred to earlier. But just because of this duality of his nature man is apt to awaken or be reawakened and reminded; one of the functions of the soul is to be blaming (75,2). It is even said that there is a watcher, *hafiz,* within us (86,4). This watcher balances the effect of the devil in a sense, but he is essentially registering what good or evil we do. The evil influence of the devil is basically counterbalanced by the blaming soul. God is said to be too near to us to overlook any (evil) whisper within the soul (50,16). An adjective like *hafiz* and of the same root, *hafiz,* is applied to a virtuous person who watches himself (against evil), the same thing is coupled with devotion (50,32f.) If one remembers the technic of the "double-talk", referred to in the introductory note above' the *hafiz* does not need to be an angel, it is simply a capacity of man! This watching capacity of man will be coupled throughout the Quran with endurance, truthfulness and exerting effort in order to reach the salvation (-happiness) level. Thus whoever wants this earthly life he may get whatever fruits it brings, but whoever looks for his salvation

and exercises his efforts sufficiently he will fully be recompensed (17,18f.) (Cf. also, 53, 38ff.; 39,35).

But the excercise of effort can be for good as well as for evil (92, 4ff.; 18,104). In another passage man is said to be toiling heavily to his Lord (i.e., working for his salvation) (84,6).

Now, after discussing a number of passages referring to the source of morality in man according to the first six years of the mission (Gesch.d.Qorans I, von Nöldeke-Schwally, 70), one finds sufficient ground for a sociomoral movement in the very first stage of the religion of Islam. Before moving to the next stage, one may enumerate the main points which appeared fairly clearly in the first stage:

1. The ethical norms lie within human nature, especially the individual, who is held responsible.
2. God is in a sense a super-structure, who cares for man, supervises his acts and intentions, and so on.
3. Morality in the individual heart is viewed in terms of justice and judgment and judicial procedures, all of which are best demonstrated in illustrations projected in scenes belonging to the Judment Day.
4. God is morally proved.
5. Moral life is identified with the rational function in man, and consequently irrational elements are held to be morally unhealthy, and vicious.
6. Temptation is taken to be the function of these irrational elements, and vice is personified in the form of the devil.
7. A process of blaming-repentence, or fear-hope, is one of the moral devices to raise man to a better level.
8. The purification of the soul is the result of the previous process, and this purification is equal to moral happiness and, in religious terms, is identifiable with salvation.
9. The perfact man and the pure soul are not to be found on earth, human moral and inner life is in continuous movement, with its many tides and ebbs. There is, however, a book which keeps all our positive and negative accounts, and one is never sure of the sum total of this.
10. Human nature, the ultimate seat of morality, is qualified.
11. What has been mentioned above in (2) and the fact that Islam is essentially a religion, lead to what I may call "the technic of 'the double-talk", the personification of mental and moral capacities in the form of angels and devils, the projection of human life into the next world, and so on.

The second Meccan stage (the 3rd period):

Let us look at the development of the eleven points mentioned in

the previous stage, but not necessarily in the same order; starting with the leading point, i.e. the inner origin of human norms inside the individual. Here the following passage (13,11), put according to Nöldeke-Schwally (I,S.162) in the last Meccan sura, and the verse may be Medinan, is a typical statement of the Quranic attitude in this respect: "Allah altereth not what is in a people *qawm* until they alter what is in themselves". Two points seem to appear in this passage, the first is that God, despite all his omnipotence and because apparently of the very nature he created in man, does not change man's condition except after a change of heart and mind in man himself. The second point is that God alters the social conditions of man only after a certain individual change happened in man. If one puts aside here the garment of the super-structure and the double-talk referred to in (2) and (11) above, one can easily conclude that the inner life of the soul (mind, or heart) is the very conditioning factor in the human situation and system of norms. From now on, especially in the Medinan stage, the community and the State or simply the society, will have almost as much weight as the inner voice of the individual.

A few more examples will suffice to strengthen the point of view given above. In (10,23) it is said that whatever selfishness (baghy, i.e. wrong) we commit, the harm of it will only be against our souls. According to 6,125 God opens wide the breast of those he wants to guide to the right path, i.e. the submission to the will of God, islam, whereas those who disbelieve in him he makes their breasts narrow and confused. Read in the light of the other citations this passage can only mean that it is man's decisions in his very breast (where the reasoning heart lies) cause him to convert to Islam or prefer to remain a polytheist. Thus despite that God lets X accept Islam and Y not, it is X who has a wide open breast and Y not. Hence, God puts no blame on those who, under coercion, are made to confess to disbelief whereas their hearts are entirely satisfied with and trustful in God (16,106). 22,46 declares that it is the blindness of the heart which hinders it from reasoning and benefiting from the many lessons spread all around on the earth. The Prophet is consoled by God against various odds against him in this way: That he does not need to have any confusion in his breast in regard to the revelation sent down upon him (7,2). Satan says to the sinners in the next world that he simply broke his promises to them, and that he had no authority over them except that he called them and *they responded to him,* why should they put the blame on him when *they need only blame themselves*? (14,22). In the next world every soul will examine itself what it has done of good or evil deeds (10,30). The sinners in Hell will be accused of having had hearts with which they did not

reason, and eyes and ears which they did not use to see and listen (clearly), they are as heedless as the cattle (7,179).

It is not meant here to pass judgments of any kind on the nature of religion, but it is clear enough that Islam in its religio-ethical doctrines gives probably the very first place in this life of ours to the inner voice within us and makes our thoughts and intentions responsible for whatever we do or believe.

Let us turn now to point (3). Here I may be justified to find an ethico-judicial group of terms and expressions, aiming to understand Morality in terms of justice and judicial procedures. (This reminds one of Ch. Torrey's short work, *The commercial-theological terms in the koran*). In this connexion the social factor, and many historical and legendary parables illustrating it now becomes more and more apparent, as it was mentioned above.

Thus God does not destroy the towns unjustly, if their peoples have not been reminded (of their crimes) (6,131). We shall give testimony against ourselves in regard to the truth of prophets and their missions (6,130; cf. also 7,172). In the story of Joseph (12,51f.) the woman who solicited Joseph for himself confesses the truth, because truth or justice *haqq* have to prevail; betrayal or treachery are denounced, innocence and the telling of the truth are made essential. The sinners are often reminded that they may even be punished in this world for the wrongs they are committing (7,100). None will bear the responsibility for another person (35,18). These judicial expressions are, all the time, made easier by moral injunctions, such as 6,54 in which it is said that the mercy of God makes him forgive anyone who commits a crime being ignorant of its nature, provided that the wrong-doer repents and reforms his soul afterwards. Also, the leaders of criminals are essentially warned against punishment (6,123). God's revelations are given a higher place than law, they are called *basa'ir,* evidences, (6,104) which have to be followed. and God has the upper hand over his servants (subjects) (6,118); he is also the great or supreme testifier to what happens in the whole cosmos (10,61). Crimes and disobedience to this divine law made many peoples and societies be destroyed (6, 6. 11. 21. 44. 47. 49; 10. 13 etc.) Our rewards will be measured to us in accordance to what we have done in this world (6,132). Wealth cannot be given as a compensation for the sins committed (10,54). Justice will be tried with justice between men (10, 47. 54). Prophets in some of their functions are nothing but judges (10, 71), a function for which they are not to be paid (10, 72) also (11, 29). Muhammad in Medina will often be mentioned in the revelation in his function of a judge and an arbitrator, as we shall see later. God's decision is final (11, 40. 65. 82. 94).

Not all passages concerned with ethico-judicial terms have been

discussed above. I am not presuming, however, that there is any systematic code of law to be inferred from the Quran, as has been very cleverly discussed by J. Schacht in his book, *The origins of Muhammadan jurisprudence*, and his more recent research. Yet the germs of an ethically conditioned code of law is surely to be seen in the Quran, and the life of Muhammad as a prophet, especially since his rule in Medina, gives us ample evidence for that.

Point (4) is that of individual responsibility, which has been partly exemplified above. A few more examples may suffice us. In 34, 25 Muhammad is asked to preach to the Polytheists, as follows: Say to them: You will not be responsible (asked) for our crimes, nor we are responsible for your deeds. The expression "they-or he-did injustice to themslves" is often mentioned in the sense of the responsibility man bears in regard to himself (e.g., 34, 19; 11, 101; 14, 45). Also, the expression "they lost their souls" is almost equal to the previous expression, it means that man behaves irresponsibily hence he loses his soul and gets no reward for what he has done (cf. e.g., 6, 12. 20, 7, 9. 53; 11, 21f.). The sinners are said to be only destroying themselves (by their sins) unknowingly (6, 26). Further references are (6, 44. 52. 70. 104. 137).

Let us now turn to (5) and (6), i.e. the connexion of the rational and the moral, on the one hand, and of the irrational and the immoral on the other hand.

Now, more than in the first stage, we find that truth can only be held through reasoning and being conscious of it and both of these last processes testify also to the moral voice and individual will, whereas opposite mental processes go hand in hand with indecent and immoral acts and thoughts. Thus opining or following mere opinion cannot disprove the truth, further, opinion can be false and equal to a lie (10, 36; 6, 116). In 6, 123 it is said that sinning or committing a crime involves plotting and machination, but such acts will harm the plotters themselves, although they are unaware of such a regressive action of their plots. To commit a lie is related very often to stupidity and carelessness in regard to one's destiny and final success (11, 21). Lying and injustice are stereotyped in many passages (7, 37; 11, 18; 10, 17). But committing a lie (*kadhiba, iftara*) is in many cases related not to a strictly moral context, it usually concerns the truth of revelation and other strictly religious truths. But on the whole, truth, knowledge and telling the truth are all put in a spiritual-moral context, too. Conversely, ignorance, weakness of judgment and false opinion are meant in both religious-spiritual sense as well as in a moral sense. Thus in 47, 24 the locking of the heart causes inability to understand the message of the Quran. Observation, in the form of hearing and seeing, is often coupled with

the processes of understanding and reasoning in general (11, 24). Thus, if the heart is sealed (sc. unable to reason) one cannot hear (7,100) also (7,179) and (6, 25. 35f. 39. 46). Mocking is another intellectual vice and it is related to big crimes (6, 6. 10); so laso light-heartedness is another crime (6, 91). These latter evils are individual vices mentioned against a social background. Following a passion is equal to false opinion (6, 56). The devil usually beguiles the individual and makes him confused and unable to make up his mind (6, 71). Lying and beguiling or being beguiled are related in another passage together (6, 112), whereas ignorance and barbarism (coupled with infanticide) are brought in another passage together (6, 140.) Ignorance and barbarism will become from now on mottoes of damnation, just as much as the opposite qualities are idealized and related only to happy and successful people.

A beguiled person cannot be benefited by any counsel (11, 34). Here beguiling is caused by God, who even beguiled the devil (sc. Satan) (7, 16). But God's beguiling comes after the rebellion of his subject (7, 12f.) The passage 11, 34 referred to above, so also 11,25ff., is said against the people of Noah who show pride, ignorance, indecisiveness and looking for miraculous and superstitional actions. Hence, the beguiling of God is almost the consquenoe of irrational and immoral qualifications in the subject. One may be allowed to interpret God's beguiling as follows:

God beguiles those who have already been beguiled and who have every characteristic to make them ready to fall. God, once again, will simply second the judgment which has already been passed by the beguiled person against himself. The consequence is that beguiling is another capacity springing from human nature, or it is an opposite function to that of blaming met earlier, and it is surely a branch of the evil implanted in man, met earlier in the revelation. This leads us to point (6), namely that of temptation, which may be considered essentially as an aspect of the inner voice of man. But it is also said that God, or through the agency of the devil, tempts man for the latter's sake. Temptation here is the testing pot which removes moral weaknesses from us and makes us purer and happier. According to this latter function of temptation, it is appearing as a moral device to reform and awaken us. God in 7, 168 declares that he lets the Jews be separated in groups and distributed everywhere on earth in order to be tempted, whether they are thankful for the graces bestowed upon them or appreciative that the evils falling over them are only meant as reminders. We can be tempted by positive factors, wealth and honours, or negative factors like those which came over Job (38, 41; cf. also, 6, 156). This dual aspect of temptation leads. on the one hand, to happiness and success, and,

on the other hand, to damnation and unhappiness. Thus (God's) temptation will lead some of us to the right path of guidance, and others to misguidance (7, 155).

These various aspects of temptation are functionally related to the process of blaming-repentance (i.e. point 7) and to the process of self-purificataion (point 8), and to these two latter points one may turn now.

On the whole, then, committing a crime or an evil is a matter of human choice; to counterpart this, man needs to ask for forgiveness and to repent. According to 6,54 and 7,153 repentence is coupled with self-reformation *aslaha* and both these acts are made to redeem former sins. In 11,3 repentence is supposed to be followed by bestowing of bounty (i.e., from God) *mata', fadl*. This "bounty" is understood to be material (especially *mata'*), but it may also be a moral bounty (especially *fadl*). *fadl* can also mean "virtue". Thus, it is possible that repentence has a moral reward, which may be coupled by a material one, too. Does not God know better those who are grateful ? (6,53). In another passage (6, 27 also, 6, 31. 63. 130) the sinners are made to repent when confronted with their punishment, or with the sentence passed against them. Repentance covers both conspicuous and intentional crimes or sins (6, 120). Repentance is one of several ways leading to happiness and final success (6, 34. 48. 82. 127. 135). Self-purification is highly beneficial for the individual (35, 18). If *taqwa* (piety) is to be taken as the highest and most perfect virtue in Islam, then the "pious" are those who do not seek exaltation nor corruption and theirs will be the final happiness (28, 83).

Point (9) concerns how perfect and happy and sure we may be in this earthly world of ours. It has been mentioned above that our happiness is a result of a long struggle; we need to have our fears in anticipation of any sin we may commit, but once we fulfil our duty one needs to be more hopeful and contented than anything else. No man can say, of course, how far perfect and saved or happy he is, yet a certain level of certainty is surely attained by those who remember the laws of God always, and keep fulfilling what inner morality demands. According to 6,48 there is no need to have any fear if one believes and tries to reform himself. In another passage we must not mix our belief with injustice, in which case we are well-guided and safe (6, 82).

In a passage declared by a former prophet (11, 90), he says:

> ". . . I only wish to set things right as far as I am able; my hope of success is in Allah alone; upon Him I have set my trust and to Him I turn penitently". In another we read (14, 12).

"And why should we not set our trust upon Allah, seeing He hath guided us our ways ? Surely, we shall endure patiently. . "

Point (10) concerns human nature, which has been partly described above in various arguments. One of the most repeated arguments now is that those who are not interested in the ethico-social ideology of Islam are indeed interested in such mundane purposes like wealth, children and honours. Earthly life and its ornaments is in principle denounced, if one does not care also for a spiritual life (11,15). Man is throughout the Quran reminded of his weakness (10, 12). Ungratefulness is another often repeated weakness of man in this Meccan stage too (40, 61; 10, 21ff.; 11, 10; 14, 34; 41, 49f.; 42, 48). Being neglectful is another important trait which occurs in a number of passages of this second stage (10, 92; 10, 179).

This latter trait of neglectfulness is related to another trait, i.e. that of forgetfulness mentioned in the first stage. With these two traits is to be related ungratefulness (*kufr*) referred to very often, as has been exemplified above.

The remaining two points (2) and (11) regarding God as a super-structure and the technique of the double-talk respectfully need hardly be mentioned here. It has been repeatdly mentioned that, e.g., God beguiles us after we are really ready by various traits in us to be beguiled. God is just in his dealings with us, but we shall supervise ourselves our book of accounts, and we shall testify to the contents of such a book.

Coming now to the end of the second stage one obesrves two main points. First, all the moral bases found out in the first six years of the mission have been further developed in the latter six years in Mecca. This observation was not only believed and felt by Muslims throughout the ages, it is an evidence, to the consistency of the Quran in what concerns the main bases of morality. Second, it seems that the one main point, which may be added as point (12), contributed by the second stage is that of the social significance of morality. Thus despite the fact that the individual soul is the seat where good and evil are judged, society steps in from now as another important arena of morality. One sees in the stories of the former societies how justice applies its rules to individuals and groups as well, how many human weaknesses are mentioned not only about individuals as such, but also some of them applied to groups, e.g. the grouping of criminals in the form of a *mala'*, leading the whole society down the hill to destruction. The sinners in the next world will repent and testify to their sins *en masse*. The Medinan period is the best to illustrate the social background of the Ouran and its morality.

AVICENNA'S CONCEPT OF PHYSICS

by
Jafar Al-Yassin
D. Phil. (Oxon.)

I will first descuss the primary meaning of the term "Physics" as used by Ibn Sina(1) and then proceed to consider his philosophical meaning of the same term.

The first part of Ibn Sina's "Physics" is mainly concerned with the causes and principles of physical things. It is hold that physical science has for its subject-matter the substance of the sense-object that moves. It subject, therefore, is the body in so far as it is related to its movement, since movement can exist only in a body which is capable of actual movement. This definition obviously excludes mathematical objects, as these have no actual movement and cannot be sensed. Likewise, movement in this context is the kind which exists in the body. It follows, therefore, that an object which possesses movement can be considered as a phyisical body, while one which does not can be regarded as non-physical.

Accordingly, the realm of nature is divided into three sections: (a) that of the inanimate bodies of the sublunar world, (b) that of the animate bodies of the sublunar world, and (c) that of the celestial animate bodies. Only the sublunar world is the subject-matter of physical science in general.

The sciene which he is exponding is physical science, which is a particular science. Its subject is the bodies perceived by the senses in so far as they are liable to change.

Physical objects have both external and internal causes, and the science of physics cannot be considered to be exhaustive unless it takes account of them both. The physicist may assume their existence: his essential task is to give an accurate explanation of their real "quiddity". The rational way to approach them, whether in learning or in teaching(2) is to start from the more general and proced to the more particular. Further, the causes of "common" must be known first if the "common' things(3) themselves are to be known. Moreover,

Ibn Sina emphasises that in Nature individual things are not intended for complete existence by themselves; rather is it Nature's aim that specific natures should exist in the external world in the individuals of their species. That is the complete and universal goal, which is also, in consequence, what is better known to Nature. If, however, we compare particular individuals with specific ones and relate both to the intellect, we shall find that the species of individual thilngs are neither prior nor posterior with respect to the intellect unless the faculty of perception shares the "inner sense". In that case, individual things become better known to us than the univeresl ones.(4)

Ibn Sina adds that our apprehension of particular things by sense-perception and imagination also begins with imagining an individual thing which is closer to the unversal intended, until we acquire an image of the individual thing which is in itself entirely and puraly individual.

He believes that the imagination receives first from the senses an individual of a species without its distinctive features. The representation, for instance, which is impressed on a child's imagination - e.g. that of a human being without qualification, without its distinctive features — is termed an "indeterminate individual". The phrase indeterminate individual" stands for any individual of the species to which it is related without its being determined whch and what kind it is. Hence the word "individual" signifies what is not divisible into a number of individuals which share its definition; and that is in brief what Ibn Sina means by an "indeterminate individual" in the first sense. In the second sense, it is this individual body, which cannot be other than it is. As far as the intellect is concerned, an indeterminate individual in the first sense can in reality be any individual of that genus or single species; whereas in the second sense it connot be any individual(5) of this species, but on the contrary only this single determinate thing.

Ibn Sina also attempts to expound the relation between causes and effect and the relation between simple part and the compound. In both cases, however, there is a relation to sense-perception, to the intellect and to Nature. With regard to the relations between sense perception, causes and effect: when the causes are separated, if both cause and effect are perceived, the one is not perceived must before or after the other; and if they are not perceived, neither will have any relation to sense-perception; and the same will apply to the imagination. The intellect, however, can often become aware of the cause bofore the effect and then proceed from cause to effect. But the relation of these different kinds of cause to their effects with referance to Nature is this: any cause which is a final cause will be better known to Nature, and any cause which is a cause because it is an agent and is acting,

not because it exists in order to be the agent of its own action, will also be better known to Nature than its effect.

Finally, the compound is better known to sense-perception. For the intellect, simple entities are prior to compounds. In Nature, it is for the most part the compound that is aimed at. Of "common things", individuals, simple entites and componds, the best known to the intellect are "common" things and simple entitles; the best known to Nature are individuals of species and compounds.

Throughout this part(6) Ibn Sina's aim is to state that we must start with what is general (i.e. *genera*) and proceed to what is more particolar (i.e. *species*), because the genus is a part of the definition of species. It is well known that, according to Aristotle and Ibn Sina, definition is composed of genus and differentia — as illustrated by the example, "Man is a rational animal". The purpose of the definition is to denote the "meaning" or the "quiddity" of a thing. Ibn Sina, as we have seen, pointed out the *genus* is called a part of the definition of the *species*. But the gneera should be known before the species, or, in another sense, the genera are prior to the species,(7) In addition, to apprehend the definition, we ought to start from a part of it and proceed to the definition itself; i.e. we have to examine the particular before the universal. If we attempt to apprehend the definition by applying the universal first, we shall find it misleading, in view of the difficulties we shall have to face in the case of "equivocal"(8) words. We may come to the conclusion from the above passage that species are ontologically prior to genera, a conclution emboded in Ibn Sina's statmeent elsewhere,(9) that "parts are in themselves prior to their whole".

Turning now to Ibn Sina's doctrine on the "indeterminate individual", it might help us first of all to elucidate the meaning of the word "individual" ( ) (10) in his terminology. It signifies two things: (a) the single actual individual thing, and (b) the indeterminate indivilual thing. An indeterminate thing has a general implication. When we refer to Zaid as an individual, we do not mean that he is Zaid; we indicate that what we refer to as an "individual" can in no way be shared, as though it were a certain Zaid. And other things can share in this individuality, for individuality is a state which occurs in natures pertaining to genera and species. The difference between "man" the species and the indeterminate individual" man, the generalised form, lies (a) in our reference to "man" as a rational animal, and (b) in referring to the indeterminate individual "man" as signifying this nature, i.e. "Man" related to an attribute inherent in this nature when connected with the matter considered in physical science.

To my mind, Ibn Sina is attempting to say that the "indeterminate

individual'' in the first sense of the term lacks reality and concrete existence. It is more or less like a representation of an image witout any qualification; whereas, in the second sense of the term, it signifies a real and definite individual in the external world and would appear to have two meanings: (a) a concrete one, and (b) an unstable state, as, for instance, a man (i.e. Zaid) seen from afar, its ''manness'' or ''animal-ness'' bing impossible to determine. Thus, in both species and genus, there is uncertainty.

One may ask, however, whether there is any decisive difference between the name ''man'' in the generic sense on the one hand and ''man'' in the proper sense on the other (as we say, for example, ''Smith'' or ''Zaid'' without any special qualification). It seems to me, as Bertrand Russell argues that(11).

> ''If the word ''man'' produces in us the reactions which are common but no other, we may be said to undertand the word ''man''. In learning geometry, one acquires the habit of avoiding special interpretations of such a word as ''triangle''. We know that, when we have a proposition about triangles in general, we must not think specially of a right-angled triangled or any one kind of triangle. This is essentially the process of learning to associate with the word what is associated with all triangles; we have learnt this, we understand the word ''triangle''. Consequently there is no need to suppose that we ever apprehend universals, although we use general words correctly''.

Without going into further detail, I will now attempt to show what meaning the term ''prior'' had for Ibn Sina. For us, prior things are those objects which we sense first. What is better known to us is also prior as far as we are concerned; whereas that which is better known to nature is the object intended by nature to exist. In comparison with universals, sense-particulars will be found to be prior and better known to us, since the first things we perceive are sense-objects and it is from them that we proceed to acquire the rational universal''. Compared, however, with the universals of the species, the universals of the genera will be found to be prior *by nature*, though not better known *to nature*. The universals of the species are also, according to Ibn Sina, prior and better known to the intellect, the natures of species being better known to nature than the natures of genera. The natures of genera are, however, better known to us.

As regards the main topics, Ibn Sina says that the physical body is a substance, in which we can suppose a dimension and another property-the *form*, in virtue of which the body is a body. The body exists as a body even if the dimensions it had actually have changed; it will remain a body, neither ceasing to exist nor changing as such - its

form remains stable and does not vanish. This physical body, according to Ibn Sina, has principles by which the body receives its "body-nes". These principles are two: *hylé* and form; and as far as the form of "body-ness" is concered, it is either prior to all the other forms or connected with the body. This form is a substance. "Matter" in this context is able to receive these forms or to be connected with them. It can do this either by virtue of its absolute, universal nature or in virtue of a nature which is in itself "common" to all. This nature will have a certain relation to the forms and it is the form which gives this substance its perfection. Ibn Sina here considers form as (a) corporeal absolute form, or (b) specific form, or (c) accidental form. Futher, *hylé* can in no way be separated from the form and exist by itself.

The physical body also has "active" and "final" principles. The former makes the matter subsist through the form. The latter is the goal in view of which these forms are impressed on their matter. By "active" and "final" principles Ibn Sina means universal principles. "Universal" in this sense is to be undertood in two ways: (a) as the agent that produces the first act, and (b) as the final goal to which all physical things tend. In the second sense it is (a) the universal agent which is predicated of the particular agents producing particular things, and (b) the "Final Cause" which is predicated of every particular goal of individual things. According to Ibn Sina, the "active" principle, regarded by many as universal in the first sense, is not a phyisical object. Though it is possible that there may be an efficient cause among physical objects, there cannot be an efficient cause which is the cause of all physical objects without exception. The physicist should investigate in detail the universal efficient in the second sense.

The physical body, Ibn Sina adds, has additional principles, in as much as it can (a) change (b) be perfected and (c) come into existence. These three states are different from one another. What is meant by capacity of "changing" is that the body formerly possessed some other actual property, which has ceased to exist and another property has come to belong to it. By capacity of "being perfected" or come into existance is meant that an essence was originally incomplete but was later perfected. Privation is a "necessary codition" of the capacity to change or be perfected, but the converes is not true.

Thus, if we consider what is common to what can change, what can be perfected and what can come into existence, the principles of the physical body will be *hyle,* form and privation; but if we confine ourselves to what can change, its principles will be *hylé* and contrariety.

Form is distinct from privation because a form in itself is a certain

"quiddity,,(12) whereas privation does not exist to a greater degree than hylé. But this privation is not non-existance without qualification;(13) it is a privation which in a sense exists.

It is worth repearting at this point that Ibn Sina considers the physical body, its form and its matter, as substance. The view leads to certain difficulties: he has already stated that substance (in the sense of prime matter) cannot be separated from form and have existence by itself, whereas substance in the sense of the first category is neither asserted of a subject nor present in a subject. Taking both these statements into account, we should ask how this substance can be separated from its form. If it can be so separated, how can the existent be regarded as non-existent (as substance in the second sence)?

Ibn Sina attempts to throw some light on the point in his Metaphysics, where he says that "substance" when applied to *hyl* is only "readiness" to receive forms. In any event, the problem still remains, to my mind, even though he maintains that matter and form are inseparable in fact and distinguishable only by thought. This is, indeed, one of the problems which began with Aristotle. Aristotle, for instance, regards the individual as a combination of matter and form, matter (i.e. prime matter) ultimately being the absolute unqualified. still in most cases, when Aristotle speaks of mateer he means corporeal matter, e.g. wood or iron; but nowhere does he indicate in what way matter acquires body-ness, and this becomes a problem for the later philosophers. The conception of matter as possessing no qualities whatever, and indeed not even existence, is, it seems to me, an impossible one.

We must now consider the term "change" and see how change occurs in physical objects. For Ibn Sina, it is clear that to the extent to which a body can change, it must be something capable of being changed from what it was into what it is changed into. Thus, the change occurs from a state of non-existence to a state of existence; and accordingly, as far as the privation is concerned, it is a privation belonging to a given parcel of matter, which has the readiness and the ability to be realiesed in a specific matter. So the change occurs *from* and *towards* the middle state between non-existent and existent. Thus, it always occurs between two opposite extremes. This dees not mean that the opposite extreme itself changes into another state, but that oppisites cannot inhere in the substratum simultaneously.

It is evident, Ibn Sina says, that some bodies come into existence and are liable to cease to exist, i.e. can assume a form and lose a form; while others do not do so, but are eternal. The *hyle* cannot be "common" to both in the first of the two senses of "common" unless we regard the natuie of the substratum of something not liable to cease to exist and the nature of the substratum of something liable to cease to exist as in themselves one and the same nature, capable

of receiving any form whatsoever. If this were so, then there would be a "common" matter in this sense (but how unlikely this is will become clear later). "Common" matter in the above sense persists eternally.

One might ask whether physical things have a formal cause in the first sense. Ibn Sina's answer is that we do not find it possible to imagine any form except the form "body-ness". If there were formal cause of this sort for bodies, or a form for one body, then this cause would not be anything transitory but would persist eternally with it and like the *hyle* would be eternal.

As for privation, it is obvious from its nature that there cannot be "common" privation; for privation is something which is able to come into existence.

With regard to "common" in the other of the two senses, all three principles exist in "common" in transitory things, since all transitory things participate in *hyle*, form and privation. It is said that this kind of "bing" common" neither comes into existence nor ceases to exist, i nthe same sense that it is said of the universal.

When we consider particular things, we find that they are pieces of matter which come into existence and cease to exist, like the wood of a bed, although prime matter, as Ibn Sina has already noted, is not transitory but persists eternally. "Eternal" in this sense means that the forms are not composed of matter and form and so could come into existence and cease to exist.

As far as privation is concerned, its coming into existence consists in the form's leaving the matter, so that the privation of this property comes about, while its ceasing to exist consists in the occurrence of the form. Privation is lack of form and is not the cause of form, but its existence is related to form, so that it is nothing but relation to form.

Ibn Sina finds it difficult to accept that expressions denoting these principles (i.e. matter, form, privation) are equivocal; he stresses that they should be used analogically, like the terms "being", "principle" and "unity".

Hence, he adds, everything called *hyle* has a nature which shares in what has the characteristic of taking to itself something it did not possess previously. Everything called form is a shape belonging to something of the sort just mentioned. Everything called privation is the non-existence of something like what we called "form" in a thing whose nature is capable of receiving it. Ibn Sina endeavours to establish that form is a principle and is exclusively concerned with its being one of the two parts of transitory things. The physicists task is to study the principles most properly called "causes", so that he can establish the existence of their active principle "common" to all physical things, viz. Nature.

In view of all this, we may recongnise that Ibn Sina's concept

of nature appears more or less personified and is regarded as having an aim and knowledge.(14)

NOTES

(1) Abu Ali al-Husain Ibn Sina, better known in Europe as Avicenna, was born in Safar 370 A.H. (August, 930 A.D.) near Bukhara in a village called Karmaithan. Died 428 A.H. (1036 A.D.). The main historical sources about his life are the following:
   (a) Al-Qifti, Tarikh al-Hukama, ed. Lippert, 1903.
   (b) I.A. Usaibia, Uyun al-Anba fi Tabaqat al-Atibba, ed. Muller, 1884.
   (c) Al-Baihaqi, Tatimmat Siwan al-Hikma, ed. M. Shafi, 1351 A. H.

(2) Cf. Avicenna, al-Burhan of al-Shifa, ed. A. Afifi, Cairo, 1956, p. 57 ff.

(3) Cf. Aristotle, Physica, 260^a, 12—20.

(4) Cf. Avicenna, al-Shifa, Ms. Pococke, 125, fol. 7^a, Oxford.

(5) Cf. Avicenna, al-Madhkhal of al-Shifa, ed. F. Anawati and his collaborators, Cairo, 1952, p. 17 ff.

(6) See al-Shifa, op. cit. fol. 10^b ff.

(7) Cf. Aristotle, Categoriae, 15^a

(8) Cf. Aristotle, Analytica Posterioa, ed. W.D. Ross, Oxford, 1955, II, 13, and see Al-Burhan, op. cit., pp. 308, 309, 317.

(9) Cf. al-Shifa, op. cit. ch. X, maqala I.

(10) See Aristotle, Metaphysics, 1074^a 31.

(11) Cf. his book An Outline of Philosophy, London, 1927, p. 57 ff., and see also al-Gazzali, Tahafut al-Falasifa, Beyrouth, 1927, p. 330 ff.

(12) Cf. Aristotle, op. cit. 1032^b 1

(13) Ibid. 1055^a 33

(14) See, for example, E. Zeller, Outline of the History of Greek Phil., London, 1955, p. 179ff.

BIBLOGRAPHY

Aristotle — Physica, ed. W.D. Ross, Oxford, 1959.

,, — Mataphysics, ed. J. A. Smith and Ross, Oxford, 1908.

,, — Categoriae and Analytica Posteriora, ed. W.D. Ross Oxford, 1955.

Avicenna — al-Shifa (Physica), Ms. Pococke, 125, Bodleian, Oxford.

,, — al-Shifa (Metaphysics), Ms. al-Azhar 331, Cairo.

,, — al-Burhan of al-Shifa, ed. A. Afifi, Cairo, 1956.

,, — al-Madkhal of al-Shifa, ed. F. Anawati and his

,, — collaborators, Cairo, 1952.

al-Baihaqi — Tatimmat Siwan al-Hikma, ed. M. Shafi, Lahore, 1351 A.H.

al-Qifti — Tarikh al-Hukama, ed. Lippert, 1903.

I.A.Usaibia — Uyun al-Anba fi Tabaqat al-Atibba, ed. Muller, 1884.

JALAL UD DIN RUMI'S THEORY OF EVOLUTION

By

K. M. Jamil
Professor of Philosophy,
College of Arts, Baghdad

(In the last issue of this Bulletin under the caption "Modern Theories of Evolution and the Problem of Creation in the Holy Quran", I have discussed some of the main theories of evolution with reference to the dectrines of Islam. In the following article it will be seen how Jalalud Din Rumi, influenced by these teachings, has attempted to formulate his own theorye of evolution which is extraordinary and most interesting.)

With reference to the problem of creation it is generally asked, how did God create the universe? Thinkers have expressed various views on this problem that are popular in philosophical circles:

According to some God creates the world in the same way as a watch maker makes a watch; but in that case we would have to suppose that God is dependent on external material as the watch maker. Another view is that of emanation which implies the absence of will. The creation emerges from God in the same way as light emanates from a luminous body or water overflows from a full cup. A somewhat similar view is that of generation and this suggests an identity of nature between the generator and the generated analogous to that which exists between parents and their offspring. Lastly, there are those who believe that the universe itself is God, or at least that it is His body and the soul is inherent or immanent. This would mean that the universe is eternal, but seeing its nature and the universal phenomena of development, such a view seems to be hardly tenable.(1)

If we look to this beautiful universe with all that is in it, it is higly improbable that its existence is in vain. There seems to be an inherent reality which behaves as if it had a personality with a will or

(1) The idea of an evolving God is also not tenable for the reason that such a God would Himself be subject to the laws according to which He or the universe has been created.

Impulse that is all pervading. It is the reality which could be considered to have brought us from non-existence into existence and led us from primitive stages of consciousness into, what we call, full consciousness and who knows to what stages of existence or awareness we are destined to. Such a planing suggests that our existence is dependent on Thought or something which has a great resemblance to Thought. It is as though matter or physical existence, emanating from the Will organizes itself in Thought. The domain of the Being Himself seems to be far more sublime and greater than this world which is encompassed by Him and only partially expresses Him. The Thought which rules over the phenomenal existence is itself an emanation of the Impluse (Mauj) which in Rumi's words, is the very essence of the creation by the Sea of Reality:

آن بحر بزد موج وخرد باز برآمد ـ آوازه درافگندچنین گشت وچنان شد
(منتخبات دیوان شمس ۱۹ ـ ٦)

"That Sea manifested in waves and Reason appeared, And cast abroad a voice; so it happened and thus it befell".

The Tradition tells us that God was a Hidden Treasure and He desired to be known, so He brought forth all creation in order that He many be known. But this Treasure could not be a passive Thought in the hegelian sense. Without the Creative Impulse of Love which is its own object there could have been no objective world:

چون بغرد بحر غرش کف شود ـ جوش « احببت بان اعرف » شود (کتاب المثنوی المعنوی دفتر ششم ص ٤٨٥)

"If the Sea (Reality) roars, its roaring turns to foam (phenomenal world) and becomes the surge(1) of 'I (God) desired to be known"(2) Would this mean that Rumi supports the doctrine of emanation? There is indeed an idea of emanation in his thought but it is not implied that God is helpless in manifesting Himself. The surge of the Will actualises in Thought and Thought materializes in Him. Thuoght is the immediate source of all creation. It is the essence (Asl) and the root (Maya) of everything. But for it there would have been no creation. It is very difficult to explain in what relation creation stands with such a Reality. Rumi is conscious of the fact that any analogy to reveal its mystery is so defective. In one of his favourite analogies he compares the Being with a sorcerer whose incantation are believed

(1) The Reality in this sense is dynamic, but it should not be supposed that there is any restlessness in its nature. The change and restlessness is with reference to us. There is a calmness of Beloved in the Subject and the Object is all distracted.

(2) Referring to the Tradition in which God has been compared to a Hidden Treasure.

to produce apparitions that remain subservient to him and yet may have their own individuality:

صنع حق باجمله اجزائی جهان ـ چون دم وحرفست از افسون گران
(کتاب : ششم ص : ٤٩٥)

"The creation of the particles of the world by God is like the magic that enchanters work by their spells."

In this sense the divine Command Kun (To Be) which is the cause of all creation was actually given by the Being to an aspect of the Being Himself and this partial manifestation of the Deity evolves to receive the spirit of Adam. We do not know if Rumi was aware of the Quranic doctrine that Adam had already a semi-physical existence before he fully acquired the body. It looks as though he believed Adam to be a purely spiritual entity and matter for him is only that which is known empirically in this world. When Adam was banished from the heaven, it is into such a matter that his spirit was infused.

« اهبطوا » افگند جانرا دربدن ـ تابه گل پنهان شود درعدن (کتاب : ششم) ص : ٥٤٥

"(The Divine Command) "Fall Ye"(1) cast the spirit into the body (Badan) so that pearl of Eden might be hidden in clay"

The word body or Badan used in this verse is not to be understood in the ordinary sense of human body. It is rather to be taken as equivalent to the philosophical term Haula (Hyle) or the primordial matter into which his spirit was introduced:

تو ازآن روزی که درهست آمدی ـ آتشي يا باد يا خاکی بدی (کتاب پنجم) ص ٣٦٦

"At the time when you came into existence you were either fire or air or dust"

To use modern scientific termenology we can say that according to him when electrons and protons were impregnated with the spirit, the evolution of man started.

Before proceeding to discuss how this went on through centuries, let us consider what Rumi has to say about the life prior to our acquisition of material existence. The spiritual life of Adam and Eve was quite different from that of ours in physical world. Indeed they symbolically represent humanity, but Sufi insight in Rumi takes

(1) This was the Command when Adam was asked to leave heaven.

him even beyond this stage. He thinks of the very essence due to which Adam and Eve themselves came into existence. Such an essence is no other than that of the Being Himself. If the reality of man is not to be sought in his material existence, then this very essence is identical with his spirit. Hence Rumi tells us that before the emergence of man all of us were potentially living in Him:

منبسط بوديم ويك جـو هر همه ـ بي سر وبي پا بديم آن سر همـه
يك‌گهر بوديم همچون افتاب ـ بی گره بوديم وصافی همچو آب (كتاب اول) ص ٣٤

"Simple were we and all one substance; we were all without head and without feet yonder.

We were one essence like the Sun; we had continuity and purity like water".

This is because there cannot be any plurality in the essence itself.

در معانی قسمت وافراد نيست ـ در معانی تجزيه وافراد نيست (ايضا)

"In things spiritual there is no division and number: in things spiritual there is no partition and there are no individuals".

Individuality is the attribute of physical existence. When the Spirit which is the creater of matter manifests itself in the physical world, appears into multiple forms:

"When the goodly Light (i.e. the Spirit) took form it became (many in) number like the shadows of the battlement".

چون بصورت آمد آن نور سره ٠ شد عدد چون سائهائی كنگره (ايضا)

It is evident that the world was existent long before the emergence of man on earth. It is so vast that it would be a folly to assume that everything in it is for man. Nevertheless it is true that no other being on earth has surpassed his merits. Probably it is due to this that he has developed a sense of superiority. In fact he makes other creatures subservient to his will. They very matter which is sometimes considered to have given birth to man, becomes a helpless tool in his hand. We have no right to criticise when religion tells us that man is the highest manifestation of God. It is pointed out that this innate superiority is not due to his physical existence. There is yet another entity in him which has been constantly leading him to higher and higher stages of life. And this is the divine spirit which has long been infused in him. As long as Adam was the product of the same metal which was used in the construction of physical objects he was of the

world and for the world but the moment the divine element was introduced in him he became His vicegerent and a mirror of His sovereignty. The more the spirit develops in him or the more he utilises his inherent powers, the more he gets control over the nature. In reaching this stage man his crossed all the stages of inferior creation.

In the phenomenal existence Adam was relatively the last of creation to reach perfection and yet he is the only being to reflect the Divine attributes in the true sense. Though he came at the end in reality he was the first in the Thought. Identifying Adam with human beings, it may be concluded that it was humanity that was the object of creation. From a spiritual point of view even this view is not quite correct. Sufis go further and tell us that Adam or humanity is a means to a higher end. It is the fullest manifestation of the Spirit itself that is intended. It is the Objective Self which is Amr Allah (Directive Energy) or Divine Impulse. The perfect manifestation of this is aimed at by the Subjective Self.

The name given to this Objective Self is the reality of Muhammad who is "the Logos who unites the essence and attributes and the names in his Singleness (Fardiyya)". His wisdom is Singular because he is the most perfect being in the human species; therefore existence was begun and ended with(1) him, Referring to this reality in him the Prophet thus speaks: in the Mathnawi in his mute eloquence:

گربصورت من زآ دم زاده ام ـ من بمعنی جد جد افتاده ام
کز برائی من بدش سجده ملك ـ وز پي من رفت بر هفتم تلك
پس زمن زائده در معنی پدر ـ پس زمیوه زاد در معني شجر
(کتاب : چهارم) ص ۳۵۳

"Though apparently I (Muhammad) am born of Adam, in reality I happen to be the forefather of forefathers.

Because it was for me (and me alone) that angels went into prostration; they followed me in their flight up to the seventh heaven.

That is why (it is not incorrect to say that) in reality the father is born of me; that is the reason why(it can be said that) the tree is the product of its fruit".

There are two aspects of the reality of Muhammad; When he appears in flesh and blood in the external world, he is the Divine Messenger (The Rasul) and the Divine Vicegerent (Kaliph) in the real sense. As an inherent reality he is Ishq e Rabbani (Divine Impulse of Love) and the object of love for the reality in its Subjectivity. The world with all its creatures is a product of Love and a manifestation of Love-Impulse:

---

(1) Studies in Isalmic Mysticism. p. 157.

عشق ربانی ست خورشید کمال ـ امر نور اوست خلقان چون ظلال
(کتاب : ششم) ص ٤٩٢

"The Divine Love (Ishq) is the Sun of perfection; the Divine Amr (Command) is its light; the creatures are as shadows".

Behind the objective world there are forces that are more fundamental than those of the physical. But these too are products of the same reality which has been identified with the Commond:

آن موالید از ره این چار نیست ـ لاجرم منظو راین ابصار نیست
آن موالید از تجلی زاده اند ـ لاجرم مستور پرده ساده اند
زاده گفتیم وحقیقت زاد نیست ـ وین عبارت جزیء ارشاد نیست
(ایضا ص ٥١٦)

"Those progenies are not produced by means of these four. (i.e. mineral, vegetable, animal and human). Consequently they are not seen by these eyes.

These progenies are born of the Light (Tajalli); undoubtly they are covered from sight (empirical perception) by a pure veil.

We said "born" but in reality they are not born; such an expression is only used in order to guide (the understanding)".

The reality of Muhammad should not be considered apart from the spiritual life on earth. All prophets and saints whose object is the Being, represent it. The Quranic verse "We Do Not Make Differentiatioo Between The (Divine) Messengers" refers to this unity in spiritual life which is due to the mysterious working of this Ruh (Spirit). Here the identification of Logos is not merely with the person of Messiah but rather with all spiritual manifestations:

مصطفی زین گفت کآدم وانبیا ـ خلف من باشند در زیر لوا
بهراین فرموده است آن ذو فنون ـ رمز « نحن الآخرون السّابقون »
(کتاب چهارم) ص ٢٥٢

"It is because of this Mustafa (Muhammad) said that Adam and (all) the prophets are my sons and under my standard.

It is becacuse of this that the Knower of the sciences (Muhammad) has declared the mystery of the verse: "We who come at the end (of time) are the preceding ones".

The reality of Muhammad is thus not only a source of spiritual enlightenment but also the creative energy which, to use Bergson's phraseology, is "La duree" or "Elan vital".

The question now arises, how does this principle work when it manifests itself in the material form in the person of Muhammed? It is difficult to understand how the very generator of energy can be contained in one individual who appears at a certain time and place.

However, this is no puzzling when we take him to be the highest mainfestation of his own reality. In this sense he is the main product of evolution. It is not that when Muhammad fully manifests himself in the phenemenal world there remains nothing of his reality in the Unseen. The Ruhul Qudus, the Gabrial, and all other spiritual progenies represent him. When the Prophet experiences these entities he actually experiences himself in various forms.

That which is beyond it, is the domain of the Pure Being or Subjectivity itself which is the object of worship. This is what is known as "the Dark Mist" (al Ama) a term used by the Prophet when answering the question, "where was God before the creation?" Dr. Iqbal remarks that "al Ama" translated into modern phraseology would be "the Unconsciouness" and that it "anticipates the theories of Schepenhauer and Von Hartmann". Criticizing this the late Prof. Nicholson writes "The Ama, as he (Dr. Iqbal) describes it, is not a blind unconcious power, but it is the absolute inwardness (butun) and occultation (istitar) in which the opposite concept of outwardness (zuhur) i.e. all relations of the Essence to itself as "other" is somehow absorbed and neglected like starlight in sun-light(1)".

Such an interpretation of the word Ama is more true to the spirite of Sufism(2). Indeed it is identical with the term Hidden Treasure which is often used in Sufi literature for God in his Subjectivity. Only when manifestation takes place the Subjectivity cries out: "I come to My creatures with My attributes"

(اخرج بصفاتی الی خلقی)

but the "I" actually does not come, what is manifested is an aspect of the Real to reflect back upon itself.

From these discussions Rumi concludes that the world is not a playground of blind forces, nor is it an artistic creation which has no end beyond what has been manifested. He tells us that there is not any sane person who is engaged in any work but has no object before him. "It is contrary to the rules of wisdom", he says, "that the paintings of heaven and earth are for their own sake(3)".

Those who claim that purpose is only a creation of our minds, will have to prove that our own consciousness is a product of chance. Persons who have no experience of spiritual life have no right to justify or deny the doctrines of spiritual men. We should not overlook the difficulties of them when they try to make us understand the Divine scheme of creation in terms of our language which is befitting only to

(1) Studies in Islamic Mysticism. p. 95.
(2) Iqbal's error seems to be due to his enthousiasm for finding out equivalent terms to Muslim phraseology in Western Philosophy.
(3) Math. IV. p. 319.

explain the phenomenal realities. Besides, it is wrong to suppose that whatever they say can be understood by all. There are some pre-requisite conditions to grasp the significance of their teachings.

Rumi informs us that the Divine purpose has been explained in various statements made by spiritual men. Evidently, it is difficult to understand them for those who do not like to go beyond what is known by ordinary sense perception. These may even be considered to be inconsistant. However, the meaning will gradually be clear to those who have goodwill and try to sympathetically understand them.

It is said that God created this world so that from the "darkness of this world Light may appear(1)". The meaning is this that in proportion to evolution the higher aspects of reality become more and more manifest. That is why it is pointed out that "the purpose of creation is to reveal the treasure of loving kindness and grace(2)". When this is fully realized, the Lover bows down before the Beloved-Creator. The same idea has been expressed in the religion when it says: "God created the world with all its good and evil with the intention that all should recollect Him and adore Him(3)".

The ultimate object of Sufi aspiration is even beyond this. It is union with the Deity. There are great obstacles in this way. It becomes possible only after so many acts of self-annihilation, and casting away of the illusions of material existence. The Lover is examined by trials and tribulations which come to him more and more in proportion to his proximity with the Beloved. Of all the lovers the person who has suffered most in this path is Muhammad. Hence the Tradition says: "But for the (Muhammad) I (God) would not have created heavens(1)". Since the reality of Muhammad pervades in all spiritual manifestations, Rumi concludes: that the declaration "Lau Lake" (But for thee) means that the whole affair of creation is for those who have spiritual insight.

When Ruh (or the reality of Muhammad) which is the universal spiritual force turns its attention towards the Pure Being and submits to Him in love, it is known as the Lover. But the Lover is not different from the Beloved. It is the Beloved Herself who assumes the form of the Lover. Both of them are to be taken as two aspects of the same Reality. With this interpretation of the Reality the verse "But for thee" means that the Being has created the universe for Himself. The Sufi who uttered Anal Haq (I am the Truth) did not express more than what is implied in the above verse:

---

(1) Fihi ma Fihi, p. 88.
(2) Selected Poems. IV. 1—2.
(3) Fihi ma Fihi, p. 217.
(1) The Tradition is well known to Sufis though it lacks authority.

« لولاك لما خلقت الافلاك » هم « انا الحق » است معنيش اين ست
كه افلاك را براى خود افريدم ــ اين « انا الحق » ست بزبانى ديگر
رمزى ويگر (فيه ما فيه ص ٥١)

"(The Tradition) "But for thee I would not have created the heavens" has the same significance as that of (the utterance of Hallaj: "I am the Truth". The idea is that I (God) have created the heavens for Myself. This (expression about the Prophet) is (the same as the declaration of Hallaj) "I am the Truth" though it is uttered by a different person and carries a different significance".

After having discussed Rumi's doctrine of Logos and his views about the purpose of evolution, we shall now consider his dectrine of evolution. It will be seen that he, in conformity with the Quranic view, long before the discoveries of geologists and evolutionists, thought that the duration of creation and development spreads over and indefinitely long period of time. No doubt that according to him the Being is all powerful but it cannot be said that in His manifestation He is abrupt. The Thought follows its own laws. "Was God not able to create heavens and earth in one moment by the Word "Be" (Kun)"? he asks. Indeed this He could do, but He did not do so. There must be some reason why He extended the time for it "to six days every day being as long as a thousand years".(1) This itself proves that the Reality takes its own time in its manifestation. The process of creation and development is gradual. Nothing is done in haste.

It might appear as natural to believe that the life with which we are acquainted has its origin in the physical existence but this is because we do not know its real nature. In reality it is no more than a mere "foam on the Ocean of Reality". Granted that even this "foam" has its own dynamic characteristics, but in itself it is not capable of constructing an evolutionary structure. The activity we see in atoms is no doubt real but deeper is the activity in the domain of the spirit which is the very cause of its existence. In this sense living beings have not evolved from not living but from a living reality. It is the spirit itself that appears first in the form of minerals.

The same energy which materializes itself in matter in certain other conditions transforms into organic form. If the universal Will is the directive energy then there is nothing strange if matter assumes various forms in the scale of evolution. We shall have to go beyond Mc. Dougall's psycho-plasm in order to find out the causes

(1) Math. VI. p. 499 : In my previous articles on this subject I I have painted out even these six thousand years are not to be taken literally. They refer to a very long duration of time.

of evolution. We agree with him that if "the stellar universe is approaching a condition in which all the matter will be collected in one solid mass at zero temperature" it would not be a history of evolution. However, who can deny that the physical universe has reached this stage after a long process of development. It is evident that its beautiful structure has not come into existence due to the inherent qualities of the matter itself. It seems to be dependent on some other reality which makes use of it as a tool. The Impulse which has moulded it into a physical world also leads it to develop certain conditions in itself in order to create organic life by transforming its own self into a higher self. The formation of colonies of cells and the centralization of the nervous system is an attempt of the spirit to assume a physical form and then to proceed for the acquisition of self-consciousness.

It will be seen that his main concern is to show how human beings have evolved. All other forms of evolution have been explained in the light of the principle according to which man has evolved. As we have already pointed out, the man in potentiality was there long before the evolution started. The spirit first appears in the form of physical existence or inorganic matter (electrons, protons, etc.):

امده اول باقلیم جماد (کتاب چهارم ص ۳۳۷)

It is obvious that it does not move blindly when it manifests itself in this form. The insight which is identical with it, is aware of its mission and the object it has in view when it assumes this form. At this stage of our consciousness we do not precisely know what actually it does to the matter which it would like to mould into a higher form of physical existence; but this much is clear that:

سالها هم صحبتی وهم دلی ـ با عناصر داشت جسم آدمی (کتاب ششم ص ٤٧٧

"During many years the body of man had companionship and intimacy with the elements (lower forms of physical existence)".

It is also evident that the time which is required by the inorganic matter to emerge into a higher form of life is not wasted. The matter, however low it may be in the scale of evolution, according to him cannot be considered as dead for the reason that in itself it is a form of the spirit. Nevertheless, it cannot be considered that it or at least that matter which prepares itself for a higher life, retains its inorganic life. Only when it liberates itself from itself or is dead to its own nature, it succeeds in appearing in the form of vegetation (bacteria). Thus he refers to this stage of life in the evolution of man in the following verse:

از جمادی مردم ونامی شدم (کتاب سوم ص ۳۱۱)

"I died from the inorganic realm and came into the plant life".

The life in the stage of vegetation continues for a long time. The new form of life is so pleasing to itself that it forgets all that has happened in the previous stage or the efforts it actually had to make in order to evolve:

سالها اندر نباتی عمر کرد ـ وز جمادي یاد ناورد از نبرد (کتاب چهارم ص ۳۳۷)

"Years it lived in the realm of vegetation and could not remember any of its struggle in the inorganic realm.

At last even this stage had to be left. Since annihilation in the lower stage of life is the condition of emerging into a high life, the spirit learns to experience death in the vegetable form and this results in its evolution in the animal form. Referring to the emergence of human life in animal form from the vegetative self, Rumi writes:

وز نما مردم بحیوان سر زدم (کتاب سوم ص ۳۱۱)

"I died to the vegetative life and raised my head in the animal world".

In this stage too it is difficult for the spirit to remember its previous stage. What remains manifest is the condition of that state alone. Reminding this forgetfulness in the process of evolution Rumi writes:

وز نباتی چون بحیوانی فتاد ـ نایدش حال نباتی هیچ یاد (کتاب چهارم ص ۳۳۷)

"And when it (the spirit) reached the animal kingdom from the vegtation, it could not remember any of its experiences in the plant life".

The state of animal life also persists for a long time. Here too the spirit with so much effort learns to make use of the same method which it had adopted in its previous stages for its evolution. That is to say, it learns to die in its animal existence and acquires a new life in human form:

مردم از حیوانی وآدم شدم (کتاب سوم ص ۳۱۱)

"I died in my animal life and became Adam"

It is generally agreed among the evolutionists that history or memory plays an important role in evolution. Whatever life experiences is recorded. Not to speak of other stages even at the stage of humanity it is very difficult for an individual to consciously remember all that

he has experionced in this stage. What we know is the present condition of this state alone. To remember that which has passed in the previous stages of evolution is almost impossible. It may be asked what actually Rumi intends to derive at by referring to the memory in the previous stages of evolution. The reason why he refers to this is that this stage, despite the development of self-consciousness, is still a stage of forgetfulness as those of the previous ones. What human beings have forgotten is the very object of their previous struggle and the method due to which there has been evolution. That is to say, it is unbelievable for them if it is reminded that self-annihilation is the only means by which they have attained or can hope to attain a higher existence.

It should be noted that an individual is not left alone to take this long and strenuous journey in the path of evolution. The all pervading dynamic self is there to grant life to all those who progressively turn their face to the Real by annihilating themselves. It is the Creator who has led them form inorganic life to organic and it is He who leads the spirit from animal kingdom to humanity.

باز از حیوان سوئی انسانیش ـ میکشد آن خالقی که دانیش (کتاب چهارم ص ٣٣٧)

"Again the omniscient Creator drags the spirit from animal kingdom to humanity".

Referring to this Divine guidance in human evolution Rumi declares:

از آغاز او عدم بود ، بو جودش آورد ـ از طویلهٔ وجودش
بجمادیش آورد واز طویلهٔ جمادیش بنباتیش آورد ـ واز نباتی
بحیوانی و از حیوانی بانسانی (فیه ما فیه ص ٢٣)

"He (man) was in the beginning Adum (non-existence). He (God) brought him into existence. Then from the string of existence He brought him into mineral werld; from the string of minerals He brought into vegetation and from vegetation to animal and from animal to human".

The time which man takes for evolving himself from animal life is also very long. The organism of the species which is to surpass others had to develop in the nature's laboratory in the most skilful manner. Referring to the Tradition in which it is pointed out that it took forty mornings for Adam to develop his physical existence, Rumi asks:

خلقت آدم چرا چل صبح بود ـ اندر آن گل اندك اندك میفزود (کتاب ششم) ص ٤٩٩

"Why was (the time occupied in) the creation of Adam forty

mornings (each morning here refers to a very long duration of time)? (It is because) he says, "He (God) was adding (something new i.e. gradual development) to the (human) clay".

It can indeed be said that man is nature's masterpiece. He has unique powers that give him increased control and enlarged freedom. He is a happy combination of complexity, integration, and efficiency. He is not a complexity of the hideous idol of an artist with ten arms. If that had been the case it would have increased complexity but not efficiency and "it would have become an instance of degeneration rather than of evolution".(1)

It should be noted that according to Rumi soon after the spirit manifests itself in inorganic world the struggle for higher existence starts. He does not believe that the struggle is only the characteristic of organic life.

هر جمادی که کند رو درنبات ـ از درخت بخت او روید حیات (کتاب ششم ص ٤٦٧

"Every mineral that sets its course towards (aspires to evolve into) the plant life grows from the tree of its fortune".

The matter which succeeds in dying to itself emerges in organic life. Death is an entrance to higher life. Not until the atoms of the different elements lose their individuality, does the formation of microscopic organisms become possible. Had the minerals not been able to sacrifice themselves there would have been no emergence of vegetable kingdom. The struggle of minerals for higher life is not so evident as that we find in plant-life. The vegetation which is to evolve semehow finds out its way to animal kingdom.

هر نباتی کانبجان رو آورد ـ حضر وار از چشمهٔ حیوان خورد (ایضا ص ٤٦٧)

"Every plant that turns its face towards the animals life drinks like Khizr from the fountain of Life".

The struggle in this domain is very acute but the spirit succeeds in liberating it from itself and transforms it into human form. At this stage if it could live a natural life as in the previous stages, it would perhaps have attained its cherished goal. The difficulty lies in the fact that there are innumerable obstacles here in the way of further development. Luckily, there are other forces as well which are spiritual and directly affect human consciousness. It is mostly due to these that human spirit comes into contact with the object of its aspiration. Hence it is possible for it to acquire a still hgher life to which religion points out that it is eternal.

---

(1) Modern Materialism, p. 132.

بازجان چون رد سوی جانان نهد ـ رخت را در عمر بی پایان نهد (ایضا ص ٤٦٧)

"Once more, when the spirit sets its face towards the Beloved, it lays down its load (and) passes into life without end".

Rumi, like the vitalists in our time stresses on the fact that for the proper understanding of the phenomena of evolution we must look to the Impulse which manifests itself in all existence. Variations are due to the very means that are adopted in the process of evolution. Heridity is not so important as to make the evolution dependent on it. The objects that evolve are inherent in the Impulse. The offsprings of a species make use of their parents inasmuch as parents are the cause of their generation. According to the scientific theories it is now pointed out that when the parent's body develops from the fertilized ovum a residue of unaltered germinal material is kept apart to form the reproductive cells. The essential germinal material contained in the parent eggcell is not used up in the construction of the body of other offsprings but is reserved unchanged for the formation of the germcells of the following generation.

By natural selection if evolutionists only mean that activity of nature which preserves the favourable variations and destroys injurious ones, then it is a very inadequate description of the process. The main question is why certain species produce and preserve these variations which protect them from their enemies. Take for example, the species of the lien and the sheep. The former have no doubt developed their claws to protect themselves and servive, while the latter could not even develop their horns. The use and disuse of an organ in an organism may affect the offspring but this also refers to the greater or lesser degree of intensity in the force of Impulse and its ability to take into account the conditions in the environment.

Generally speaking the evolutionists in our time, by referring to so many factors like variations, adaptibility, favourable conditinos etc. have tried to explain the survival of the fittest. However, such views lead us to an idealistic concept of the world according to which all that is in the universe affects the course of evolution. Besides, these discussions do not take us beyond the physical well-being of organisms and species. The main point that is neglected in the phenomena of evolution is this that it makes death as a stepping stone for the attainment of all higher life. If that is the case then we shall have to go beyond the experience of life in the physical world. Apparently what we know are the stages of life that lie in between primitive organic forms of life and human existence, but there is no reason to believe that there are no other forms of life beyond these stages. True to the spirit of his evolutionism Rumi looks forward to higher

stages of life and is not content to remain at any one particular stage.

We have pointed out that for Rumi there is nothing which is inanimate and that there is struggle for evolution in all stages of life. This struggle is neither for existence nor for power, nor for any other purposes. It is purely a struggle of Love for acquiring higher forms of life which is a means for the progressive realization of the Real. We do not know what kind of struggle is there in the mineral world but it is quite evident in the organic world. It is generally pointed out that in the struggle for existence individuals and species try to pretect themselves from those that are powerful and make use of the weaker ones as a means for their own preservation. Rumi tells us that this very act refers to the fact that higher organisms help lower organisms in pulling them up to the level of their own existence. However, from an outsider's point of view it would appear that higher species flourishes and lower perishes. If this had not been the case, he asks, then how could minerals have been consumed by vegetation? or how could plant-life haven been sacrificed for the sake of animal kingdom?

Vegetation is not inimical to inorganic matter when it destroys it or when it makes use of it for its self-preservation. It rather helps it to acquire a superior form of life in vegetation. A bacterium after its emergence becomes a self-producing machine which draws so many bacteria from the matter it consumes. The animal world in a similar way is not inimical to plant-life; it transforms vegetation into amoebae. An amoeba only increases the process of its procreation by the consumption of vegetation.

There are as we know divergent lines of evolution. Each of them represents a unique stage in the organic development. It seems that nature in order to make this mortal abode worth living has given each species a free play to develop according to its gonius and propensity. The being who was to be a microcosm came at the end. It is in Adam that animal nature loses its distinctive characteristics. If human beings in their struggle for existence make use of animal and vegetable kingdom as a means, there is nothing wrong in it:

حلق حیوان چون بریده شد بعدل ــ حلق انسان رست و افزائید فضل
(کتاب اول ص ١١٤)

"The animals are justly slaughtered when the life of human beings is to be saved and their accomplishments are to increase".

Such is the importance of humman life that all animal life can be sacrificed for it. But this does not in any way suggests that we have to treat it capriciously. This simply means that human beings should live a life which is befitting to the level of their existence; nay, they should even have to prove their superiority by sacrificing themselves

in order to acquire a life which identifies them with the Universal Reason which is quite different from the "partial intellect" which they possess at this(I) stage. What is needed is the destruction of the "partial intellect" which they possess at this(1) stage. What is needed is the destruction of human self and its transformation into angelic self. When it is evident that in all stages of our previous existence we have not lost anything by dying to ourselves, then it is wrong to suppose that we lose anything if we work and succeed in self-annihilation. We all know that there is no scape from death, but this kind of death is not very helpful in our future evolution. Only that death which is consciously acquired by us in the path of self-realization is an entrance to a higher form of life.

پس چه ترسم کی ز مردن کم شدم (کتاب سوم ص ۳۱۱)

"Hence why should I fear that I lose something after death".

If self-annihilation is to be considered as the fundamental law of evolution, then it is sheer ignorance to be afraid of death. Only a person who is already dead to his carnal self knows the truth of this assertion. Being himself one of these who have worked for this ideal, Rumi states about his future life with great confidence:

حملهٔ دیگر بمیرم از بشر — تا بر آرم از ملائك پرو سر (ایضا)

"In the next stage, I shall die in my human life so that I may raise my head amongst cherubim and develop pinions like angels".

Evolution is an universal phenomenon. It will be wrong to suppose that life stops at any particular stage. He tells us that even after acquiring angelic self there is still a further struggle ahead for those who would like to transcend this stage. There are stages of life which are even higher than those we can think of. There is no end to progress:

وز ملك هم بایدم جستن زجو — كل شی هالك الا وجهه
بار دیگر از ملك قربان شوم — آنچه اندر وهم ناید آن شوم
(كتاب سوم ص ۳۱۱)

"The company of angels too, I shall have to leave, (because) (as the Quran says:) "Everything is perishable except His Countenance".

Then again I shall sacrifice my angelic-self, becoming that which cannot be grasped by imagination".

At the stage of humanity we cannot avoid the responsibility to work for our future evolution. However, we need not be disheartened for the reason that the struggle is hard. The Being who had been

(1) Math. I. p. 99.

guiding us in all our provious stages of evolution, is there to help us in all our efforts. Hence he constantly reminds us to have faith in the teachings of spiritual men and seek help from the Source we come from, for nothing can be achieved without the Grace:

دراین راهها ومنازل آمدی ـ هیچ در خاطر و وهم تو نبود که خوا می آمدن
واز کدام راه آمدی وچون آمدی ، ترا آور دند ومعین می بینی که آمدی ،
همچنین تا با صد عالم دیگر گونا گون خوا هند بردن ـ منکر شو واگر
از آن اخبار قبول کن (فیه ما فیه ص ۱۲٦)

"Thou hast come into those paths and stages; thou hast no idea or thought of coming into them. Dost thou know from where thou come? (But) they (spiritual forces) did bring thee forth. Thou (now) definitely seest that thou hast come. Likerwise they intend to take thee to a hundred different and manifeld worlds. Do not, therefore dency this (doctrine). If they (spiritual men) inform thee about that world, believe them".

The Deity has brought us forth through so many stages of life so that there should not remain any doubt about our future life. But it is strange that very few pay any heed to the teaching which reminds of this life. Rumi points out that the teaching of the Quran is evolutionary in its spirit. He refers to the future stages of human evolution as indicated by the Quran in the following verse:

طبقاً عن طبقٍ فما لهم لا يومنون (انشاق ع ۱)

"You shall most certainly enter one stage after another. But what of those who do not believe? Wherefore?"

BIBLIOGRAPHY

Abdul Hakim, Khalifa, "Metaphysies of Rumi", Lahore 1933

Bergson, Henri Louis.

1. "The Two Sources of Merality and Religion"
   translated by R.A. Audra and Brereton, London, 1935.
2. "Creative Evolution"
   translated by A. Mitchel, London, 1911

De Boer,
The History of Philosophy in Islam
London, 1903.

Iqbal, Dr. Muhammad
"Reconstruction of Religious Thought in Islam"
Muhammad Ashraf Publication, Lahore, 1958.

James, William
"The Varieties of Religious Experience"
Longmans Green Co. London 1952.

Lecomte du Nouy,
Human Destiny

Me Dougall, Williams
"Modern Materialism"
London 1934

Nicholson, Reynold
"Studies in Islamic Mysticism" Cambridge 1921
"The Idea of Personality in Sufiism" Cambridge, 1923.

Patrick,
Introduction to Philosophy

Quran (Holy Quran)

Rumi, Jalalud Din

1. "Kitab el Mathnawi el Ma'nawi", Amira Press, Turkey, 1268 A. H.
2. "Mathnawi of Jalalud Din Rumi"
   edited by Reynold Nicholson A, Cambridge, 1925 1929, 1933.
3. "Selected Poems from the Divani Shamsi Tabriz"
   edited by R. Nichelson A.
4. "Fihi Ma Fihi"
   edited by Abdul Majid Daryabadi, Ma'arif Press, Azam Gadh

Russell, Bertrand
"History of Western Philosophy"

Shaw, George Bernard
"Preface to Androeles and the Lion"

Shibli Nu'mani

1. "Sawanch Maulana Rum"
   Nawilkishore Press 1909
2. "Ilmul Kalam"

THE DEVELOPMENT OF MONTAIGNE'S ATTITUDE TO THE ESSAYS.

Christopher Powell.

The *Essays* of Michel Eyquem, Sieur de Montaigne, have been very popular in England ever since John Florio's lively translation in 1603. The huge essay called *Apology for Raimond Sebond* has become the best-known and is frequently cited, along with the essay *Of Cannibals,* in connection with Shakespeare(1). From it we derive the usual idea of Montaigne as a sceptical philosopher, with his motto "Que scay-je?" and the medallion showing a pair of evenly-balanced scales. It is a pity that this view of him should have obscured other aspects of his thought. Scepticism profoundly influences him after the *Apology,* but he also develops a positive philosophy through the self-analysis and study of personality which culminate in the magnificent essay *Of Experience.* Although some critics, including M. Villey(2). appear to see a falling-off in wisdom in the later essays, for many readers it is in this final stage that Montaigne is at his most fascinating. The development of Montaigne's thought is becoming more generally realised, thanks to the work of Villey, Gide and others, and one important factor which has emerged is the extent to which Montaigne's numerous additions to the *Essays,* interpolations made in later life, affect their original form and meaning. The Third Book of 1588 shows significant changes in his way of thinking, and later additions carry the development further.

One particularly interesting aspect of Montaigne's thought is the progressive change in his own attitude to the *Essays.* In this article I shall trace this change from Book One through the later essays and amendments to the end of his life, when he could declare that the *Essays* had formed him as nearly as he had formed the *Essays.*

Provisional dates have been given by Villey for the writing of the various *Essays.* Most of Book One was probably composed in 1572—73. Then in 1576—78 came the sceptical crisis, when Montaigne was busy on the *Apology for Raimond Sebond.* To this period belong

(1) This aspect of Montaigne has been examined by G. C. Taylor in his book Shakespeare's Debt to Montaigne (1925).

(2) See the reference to Villey's opinion in André Gide's Journal for 12th. March, 1933.

many of the essays of Book Two. In 1579—80 he seems to have written several important essays for Book One (including that on the Cannibals), and a number for Book Two. These essays reveal a growing interest in self-portrayal; Montaigne writes in a more intimate style than ever before, Having decided to make himself the subject of his book, he composed a short Preface announcing this to the reader. The first two books of the *Essays* were published at Bordeaux in 1580. A few alterations were made for the 1582 edition, mainly to satisfy the Church authorities. Then in 1586 — 87 Montaigne prepared the Third Book. It was published in the following year, together with a new edition of the other two books, now augmented by a number of notes and interpolations. Further additions were made in readiness for the next impression, but Montaigne died in 1592. Most of his final amendments were incorporated in Mademoiselle de Gournay's 1595 edition. It is this version, with a few small changes as the result of research, that we read today.

Montaigne is not the most orderly of writers. It is one of his charms that we never know what we shall find next; comments on philosophy may be interrupted by personal reminiscences; then we find a reference to Plutarch or a quotation from Virgil before a leap into something else — commentaries on curious superstitions or the treatment given to their kings by the inhabitants of ancient Thrace. Nothing, at first sight, could seem more confused. In fact, the *Essays* have an inner unity which Montaigne himself makes clear for us in a number of comments. The superficial chaos is largely a result of the interpolations. It is not so apparent in the early essays as they originally stood (i.e. before 1588), and we can read them in this form if we use a modern edition which follows Villey in printing the 1580 text with a mark (a), and the texts of 1588 and 1595 marked (b) and (c) respectively. A comparison of these three versions is enlightening.

The earliest essays are, as conceived, very short indeed and rather stiff in manner. They have little intimacy, no hint of self-revelation. For the most part, they consist of anecdotes drawn from history or classical authors, linked by short comments. The opinions expressed are usually limited to general observation. The result is but to point a moral or adorn a tale. For example, here are the openings of the first three essays of Book One, in their original form(3):—

> "The most common way to soften the hearts of those we have offended, when they have us at their mercy and are able to take revenge, is to move them to pity and commiseration by submission".(I, 1.)

(3) Quotations are from the translation of the Essays by E. J. Trechmann, New York, 1946.

"The story goes that Psammenitus, King of Egypt, being defeated and taken prisoner by Cyrus, King of Persia, and seeing his captive daughter, dressed as a slave, pass him on her way to draw water, and all his friends weeping and wailing around him, kept his eyes fixed on the ground without uttering a word". (I, 2.)

"Bertrand du Guesclin died at the siege of the castle of Randon, near to Le Puy in Avvergne: the besieged were, after capitulating, ordered to bring the keys of the place on the body of the dead man". (I,3.)

If we look for Montaigne's opinions about the *Essays* at this time, we find that he has little idea so far of his purpose in writing them. In Book One, essay 8, *Of Idleness,* he affirms that he has retired to his home to spend "in rest and retirement the little time I still have to live"; here his imagination has "brought forth so many chimeras and fantastic monsters, the one on top of the other, without order or design" that he has decided to write them down. In I,28 *of Friendship,* the *Essays* are described as "grotesque and monstrous bodies, pieced together of different members, without any definite shape, without any order, coherence, or proportion, except they be accidental". The idea is repeated in I, 46, where he likens the *Essays* to a "gallimaufry", a miscellaneous collection. In essay 50, he discusses his method of writing; how he does his best to treat each subject as it deserves. There is so far no idea, apparently, that the "subject" of the *Essays* is to be himself. This notion germinates in the Second Book. We find some interesting comments in II,8. Addressing this essay to Madame d'Estissac, whose son later accompanied Montaigne to Italy, he says that writing was thrust on him by melancholy and boredom:

"And then, finding myself empty and totally destitute of any other matter, I offered myself for the subject-matter of my essays."

So for the first time we meet the idea of the *Essays* as a self-portrait.(4). This manifesto comes just after what is in fact a practical demonstration, for in II,6 Montaigne has described vividly the accident (a fall from horseback) which almost killed him, one of the most lively passages of the *Essays*. Here we are already far from the manner of the earliest essays in Book One.

Up to this point, Montaigne has only written short essays, seldom exceeding a few pages in length. Now comes the *Apology for Raimond Sebond;* two hundred pages in the Pléiade edition of the *Essays*. Its sheer length sets it apart from anything else Montaigne ever wrote. The most consciously serious of all his works, it does not defend but

(4) Though we cannot be quite certain when these lines were written. Young M. d'Estissac accompanied Montaigne on his travels in 1580, so it is possible that the opening paragraphs of this essay, addressed to his mother, might have been written in courtesy and added just before publication.

subtly demolishes Sebond's arguments for belief in God by the exercise of pure reason. Montaigne does not seem to have intended to disprove or condemn Christianity, although it is clear that he was a believer by conformity to custom rather than conviction; he wanted to show that human reason, intellect and wisdom are so puny, and all man's knowledge so uncertain, that they can teach us nothing about God or indeed about anything else; the Catholic religion has to be accepted entirely by faith. (This viewpoint, called fideism, was later condemned by the Church and the *Essays* were put on the *Index*.)

The Apology makes fascinating reading as argument; the questioning of the most basic beliefs is a foretaste of Descartes, and there is something of perverse glee in the way Montaigne undermines one after another all man's proudest claims. For the reader who is looking for intimate self-portrayal this essay may be rather dry. Even the additions made afterwards do little to relieve the tension of argument with quaint personal details or discursive chat. Montaigne treats it in a different manner from his other essays. André Gide suggests that Montaigne could not proceed with his self-portrait until he had worked out the problems in his mind; "The desire to compose that chapter stood in his way". (*Journal*, December, 1911). In one sense, of course, the essay is most revealing, since we go right into Montaigne's mind and see how it works. But this is incidental to the main purpose of the essay. Montaigne does not discuss himself, or the *Essays*.

Villey assigns several important essays to the year 1579, when the *Apology* had probably been finished. Two new features now appear in Montaigne's writings. One is the references to renal colic or kidney stone, a complaint from which he was to suffer much pain for the rest of his life. The other is a growing awareness of the potential value of the *Essays* not just as a self-portrait, but as a record of experience and Montaigne's reaction to it. Essay II,37 is entitled *Of the Resemblance of Children to their Fathers,* but as often the true subject is much wider and includes a survey of Montaigne's illness. This could have been a dismal and boring topic, but Montaigne makes it otherwise, and treats us to some amusing comments on the unreliability of doctors and medicine. Pain has obviously increased his self-awareness, and so we find him discussing — in a manner very different from that of the early *Essays* — his personal reactions to an experience which was extremely vivid and which he was anxious to describe. Moreover, he begins the essay with a discussion of the *Essays* themselves, and although (as in II,8) he makes little account of them ("a bundle of diverse pieces"), he adds:'

"For the rest, I do not correct my first impressions by my second. My intention is to show the progress of my opinions, and that each part may be seen in its original state. I should like to have begun

earlier, that I might follow the course of my changes".

So here we have a description of the *Essays* as a record of change, although it is to be noted than Montaigne did not entirely keep to his plan of "not correcting his first impressions".

In the essay *Of Giving the Lie* (II,18), probably written about the same time, Montaigne opens with a reply to possible objections to the Essays. Some, he says, may say that self-portrayal is a proper subject for the great and famous but hardly for a man of the common run:

"The objection is true but it affects me very little. I am here not erecting a statue to be stuck up at the street corner of a town or in a church or market place ...... it is intended for a nook in a library, and to entertain a neighbour, a kinsman, a friend, who may take pleasure in renewing his acquaintance and intimacy with me by means of this portrait".

Montaigne has now firmly decided that his Essays are to be a self-portrait, and that the portrayal shall record his experience and changing opinions. That he was fully aware of the fluidity of those opinions is shown by a number of entries in the essays written just before the 1580 publication, and also by certain essays in Book Three. Thus in I,26 we find:

> "These are my humours and opinions. I give them as representing what I myself believe, not as what I expect others to believe. I aim here only at disclosing myself, who may peradventure be a different self tomorrow, if anything newly learned shall have changed me".

These thoughts evidently led Montaigne to consider more fully than before the ephemeral nature of personality. The essay *Of Repentance*, written in 1586—7, examines the whole question; He tries to find out what in a man is changeable and what is basic to his character. This involves a discussion of the *Essays*, since they are a record of character. At the opening of the essay, he says:

> "I cannot fix my object (i.e. himself) . . . . I do not portray the thing itself. I portray the passage; not a passing from one age to another, or, as the people put it, from seven years to seven years, but from day to day, from minute to minute . . . . So it may be that I contradict myself, but, as Demades said, the truth I never contradict".

Montaigne was probably becoming conscious of inconsistencies in his *Essays*, and wanted to explain them. Eager that his *Essays* should be a true record, he was unwilling to falsify one part in order that it might tally with another. Elsewhere in the Third Book he says that there are no contradictions; this is not quite true, but all the opinions expressed reflect Montaigne's view at the time of writing. The problem of reconciling truth with consistency was evidently a

problem to him in his later work.

In this essay *Of Repentance* (III,2) Montaigne reaches a new stage in his attitude to the *Essays;* he realises that in portraying himself, he is portraying the whole of humanity.

> "I am holding up to view a humble and lustreless life; that is all one. Moral philosophy, in any degree, may apply to an ordinary and secluded life as well as to one of richer stuff; every man carries within him the entire form of the human constitution".

At the same time, there is no hint of the least didactic purpose:— "Others form man; I describe him". To "form man" was a design which Montaigne never had; he would have shunned any such suggestion.

The essay *Of Vanity,* III,9, comments at greater length than ever before on the *Essays.* The observations are scattered at intervals throughout this vast and loosely constructed essay, one of the most important Montaigne wrote and also the most diffuse. He opens it by asserting that to write about vanity is perhaps the greatest vanity of all, and several times he asks us to bear with him in what he says: "Reader, permit this test-piece (ce coup d'essay) also to pass muster; and the third addition to the other parts of my portrait". Here he is approaching a definition of his work; the essay as a "test-piece"; an attempt to find the truth. We shall see this clarified in the last essay in the book. He also remarks "I add, but do not correct". This was true at the time of writing, but much was to be added after 1588. A lot of space is taken up in attempting to clarify points in the style of the *Essays* which might perplex readers - punctuation, spelling, the difficulty of following some of his arguments. Plainly Montaigne is more concerned than previously that the *Essays* should be rightly understood. On the surface, he still makes little account of them, more from modesty, I think, than affectation; they are but "ravasseries" or "rhapsodies"; he is too lazy to read through the proofs before publication, but in any case, says he, it is not worth the trouble. Yet there is one feature of the *Essays* which he has now come to notice:—

> "I have felt this unexpected advantage from the publication of my conduct of life, that in some sort it serves me as a rule. I sometimes consider whether it would not be better not to disclose the history of my life. This public disclosure of it obliges me to keep to the path, and not to give the lie to the picture I have drawn of my qualities, which are usually less distorted and contradictory than the malicious and unhealthy judgments of these times will admit of".

For the first time he is realising that his book, like many another creation, is endowed with a life of its own and is capable of influencing its creator. This is a motif which recurs in the later additions, published in 1595.

Montaigne's last essay, III,13 *Of Experience* is full of great utterances, expressed without dogmatism or claims to infallibility. Montaigne says that he has found the truest knowledge to be that gained through self- observation and intelligent conformity to his own nature (the "maitresse forme" of the essay *Of Repentance*). He thinks that the supreme virtue is to "rightly and truly enjoy one's existence" (jouyr loiallement de son estre). In this last essay, he gives us a definition of the essays which links their title to their purpose: "In fine, all this farrago that I am scribbling here is nothing but a record of the experiences of my life (les essais de ma vie)". Experience, for Montaigne, is a question of "trials" in which the character is tested and the character itself tests the nature of reality. The *Essays* are the record of these "trials", the documentation of a life-long experiment - the experiment of living, and especially the experiment of living with a painful illness, observing reactions and asking questions. The result has been to give Montaigne a positive philosophy, based on the needs of his own nature: "Nature is a gentle guide, but not more gentle than she is wise and just".

The interpolations made by Montaigne after 1588 affect all three books. Although some additions had been made to Books One and Two for the 1588 impression, the 1595 ones are more numerous and more weighty. Some of this new material is made up of quotations from newly-read books inserted to give point to existing comments, but many paragraphs in a very personal style were also added, sometimes changing the entire tone of an essay. (This is especially true of Book One, where some essays were doubled in length by the two sets of additions.) The new comments do not show any further development in Montaigne's view of the essays themselves, but reinforce the attitude expressed in Book Three. He also tries to explain the additions:

> "My book is always one. Except that at every new edition (that the buyer may not go away quite empty-handed) I take the liberty to add an occasional ornament over and above, since it is only a piece of badly-joined marquetry. They are but overweights, which do not contradict the first form, but, by a little ambitious subtlety, impart a particular value to each of those that follow". (III, 9).

This is not, in fact, the whole story, as an examination of certain essays will show; Montaigne's attitude to death, for instance, changes a great deal and passages in I,7 and III,12 (especially the additions) are so different that it can hardly be denied that Montaigne does, in this case, contradict his "first form". In fairness to Montaigne it may be said that so unmethodical a man may well have been less aware of the inconsistencies than we are. Yet in a sense, his book is indeed "always one" for it always reflects the truth about himself and his

opinions even though the opinions may be different at different times. "It may be that I contradict mayself, but the truth I never contradict". If we realise this, and also search for the real topic of each essay (perhaps not quite the same as in its title) we shall not get lost: "It is the negligent reader who mislays my subject, not I: a word or two on it may always be discovered in some corner, which will not fail to be sufficient, though it may be hard to find".

Montaigne also puts more clearly the discovery of his 1588 essays: in an addition to II,18 he says:

> "In modelling this figure after myself, I have so often been obliged to adjust and compose it, in order to get at myself, that the copy has in some sort become shaped and consolidated o itself. In portraying myself for others I have portrayed myself in more distinct colours than were mine originally. I have no more made my book than my book has made me; a book consubstantial with its author, concerned with me alone, a part of my life: not dealing with and aimed at other and third persons like all other books. Have I wasted my time in so continually and carefully rendering an account of myself? For they who examine themselves so closely, they do not penetrate so far beneath the skin, as one who makes it his study, his work and his trade, who is engaged with all his faith, with all his strength, on a record the will endure".

With this quotation, which shows Montaigne's final view of the *Essays*, I shall end this study. We have come a long way from the vague concepts expressed about the *Essays* by the earlier Montaigne. Yet he never came to have too high an opinion of them or claim any special merits. His most important decision was that taken about the time of the *Apology* to make the *Essays* a record of personal experience; later he saw the deeper implications of this, but his scepticism and modesty saved him from trying anything pretentious. His attitude to the *Essays* developed as he found their value in clarifying his own ideas, but he presents them to us, at the end no less than at the beginning, in the simple manner described in his preface:— "This is a book of good faith, Reader".

BIBLIOGRAPHY.

Montaigne. *Essais.* Texte établi et annoté par Albert Thibaudet. Paris, Gallimard, 1958. *Editions de la Pléiade.*

Montaigne. *Essays.* Translated by E.J. Trechmann. New York, Random House, 1946.

Taylor, G.C. *Shakespeare's Debt to Montaigne.* 1925.

Gide, André *Journal,* 1889—1912, 1932—1939. Paris, Gallimard.

THE DEMON DRUMMER OF TEDWORTH.

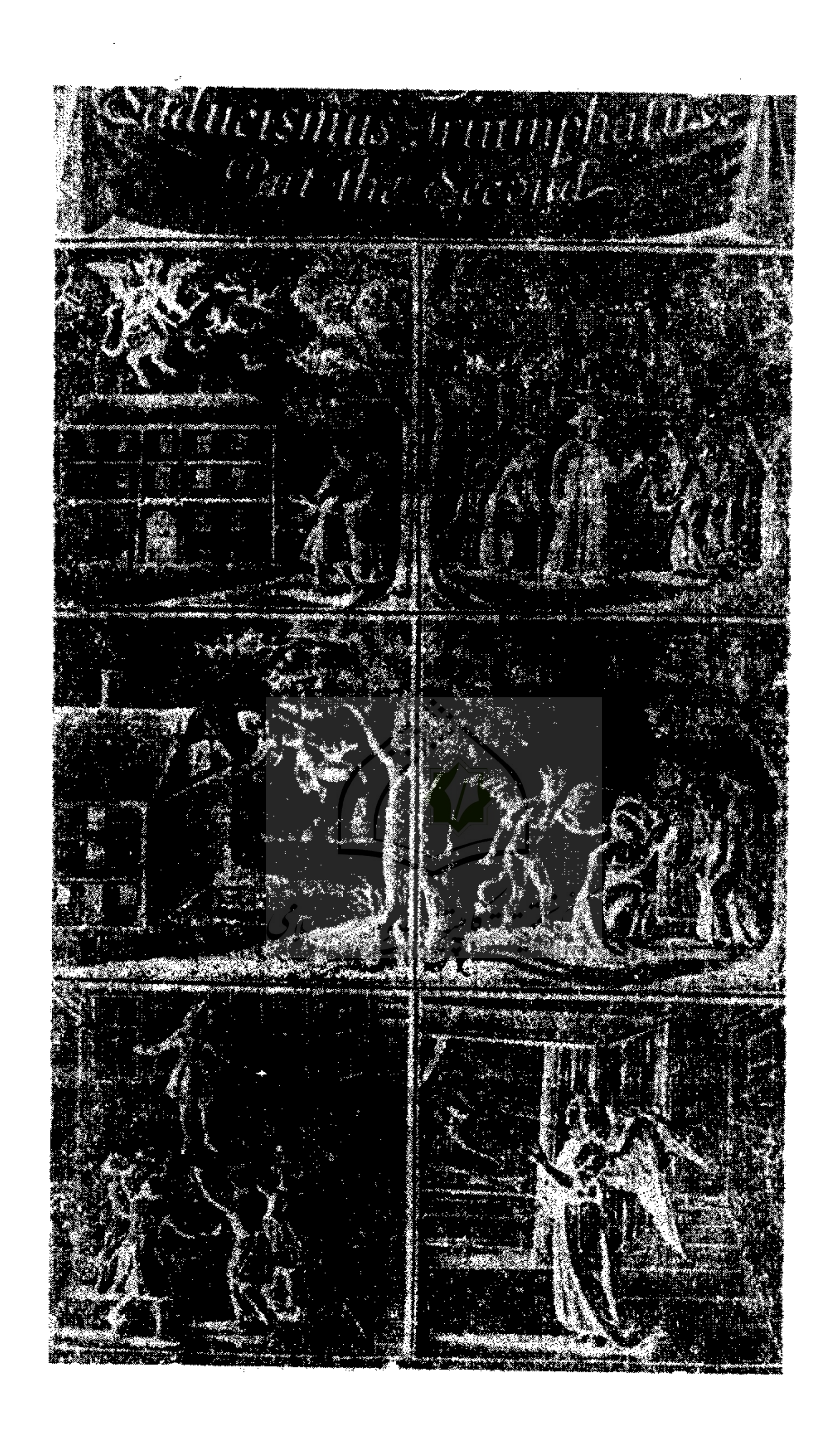
Colin Visser
College of Arts

On the 15th of April, 1663, John Mompesson of Tedworth, Wiltshire, laid formal charges against a certain William Drury(1). His charges related to an incident which had occurred in March of the previous year. It was then that Drury, a soldier and drummer in a recently disbanded regiment, had first called on Mr. Mompesson to ask for assistance. He was refused. He persisted until Mr. Mompesson, thoroughly annoyed, confiscated his drum. Drury left threatening revenge. Shortly afterwards the Mompesson family began to be troubled by inexplicable noises of which the most alarming was a banging on the confiscated drum at unexpected hours of the night. Drury was charged with creating a nuisance. He denied the charges which were not proved. Drury disappeared, but the noises continued, accompanied by phenomena so strange that at last Mr. Mompesson was "carryed" to the King "who heard all the story"(2). So began a *cause célèbre* that was sung in ballads, celebrated in poems and enacted on the stage. It intrigued some of England's most distinguished philosophers and as late as 1768 John Wesley, in his *Journal*, could still mention the events with awe.

Perhaps the first published account of the incident is a broad-side ballad, *A Wonder of Wonders*, by Abraham Miles, a copy of which in the Bodleian Library is dated by Anthony à Wood "Mense februar: 1662/3"(3). By 1664 the incident was sufficiently well known for it to find its way into Samuel Butler's ***Hudibras***. In the second part Hudibras and his squire, Ralph, meet a lady who remarks sceptically that:

> Some have mistaken Blocks and Posts,
> For *Spectres*, *Apparitions*, Ghosts
> With Sawcer eyes, and Horns; and some
> Have heard the Devil beat a Drum. (4)

The most detailed account of the events, however, was given to the public by Joseph Glanvill. In January 1663, Glanvill, the vicar of Frome-Selwood in Somersetshire, took advantage of his proximity to Tedworth to visit Mr. Mompesson's house and see the phenomena



The Frontispiece to the second part of *Sadducismus Triumphatus*, 1681. The frame in the top left hand corner represents the Demon Drummer.

for himself. Joseph Glanvill was a man of some importance. In 1661, while at Lincoln College, Oxford, he had published *The Vanity of Dogmatizing* in which he advocated a fashionable scepticism. Anthony à Wood says unkindly that by publishing this book Glanvill intended "to gain himself a name among the virtuosi"(5). It is certain that Glanvill's scepticism was simply a means of promoting an easier acceptance of the "New Philosophy" of which he was an admirer. The year before he went to Tedworth he published *Lux Orientalis,* a book which depended on the neo-Platonic doctrines of Henry More. Joseph Glanvill's interest in neo-Platonic theories, and more particularly in neo-Platonic theories on the nature of the soul, combined with his preoccupation with methods of scientific proof to promote an interest in supernatural phenomena. It was this that led him to Tedworth.

At Tedworth he was received by Mr. Mompesson and witnessed what can best be called a series of poltergeist phenomena. He examined them carefully and could later answer the penetrating questions sent to him by Henry More. He saw the drum beat both by "fire and candle"; boards moved mysteriously and tables and chairs "walk't about"; the "daemon" beat at the head and the posts of the children's bed with a hammer and noises were heard not only in the rooms but above the house. Glanvill was convinced of the authenticity of what he had seen and could assure More, who seems to have been determined to arrive at the truth, that it was not a device to lower the value of the house and that the heavy panting he had heard was not a dog under the bed.(6)

Glanvill sent a full description of what he had seen to Henry More. On March 31, 1663, More passed it on to his close friend Lady Conway. "I have sent you here a narrative enclos'd beyond all exception", he wrote. The apparent certainty of the evidence filled him with enthusiasm.

> O that Dr. Baines(7) that whitleather witt had but had the hap to have been in Tedworth in those transactions. What tough tugging would there have been betwixt the evidence of sense and the prejudicate phancyes that his Taurine blood had hatched against the existence of Daemons.(8)

The day after his return from Tedworth Glanvill wrote of the events to his friend, the theologian Richard Baxter:

> I came yesterday from Mr. Mompesson's house at Teidworth, of whose disturbance I presume you have heard.

> And I understood there, that you were desirous of a perticular account that you might publish the Relation. I came thither upon the same designe, and was an eye and ear witnesse of many thinges which the Infidell world will scarce believe.

Like More, Glanvill was convinced that the Tedworth phenomena could provide evidence which would convince those who were hostile to a belief in the existence of a world of spirits: "I'me confident," he continued, "a Relation of those strange transactions will be as palpable and convictive a Testimony against Atheism as this age hath afforded. Some Hobbists who have been there, are already convinced, and those that are not so are fain to stick to their opinions against the evidence of their senses."(9)

Although Baxter had wanted to "publish the relation" he did not do so. The account presumably remained among his papers and it is interesting to note that some years later he wrote to Increase Mather, the New Englander who was to play so important a part in the Salem witchcraft trials of 1692, to commend his *Essay for the Recording of Illustrious Providences* of 1684. Baxter was so taken with this "history of prodigies", that he wrote,

> I purpose to put my scraps into your hands (so much as is not lost) *And* not only so, but to furnish you with some from a friend, if you will reprint your books while you are here, And add these as a supplement.(10)

By this time, however, Glanvill's account was already famous and Increase Mather himself had already written admiringly of "Mr. Glanvill's Collection of *Modern Relations*." (11) The Salem witchcrafts were therefore directly linked with similar and earlier events in England.

Glanvill did not immediately publish his findings. It seems that Mr. Mompesson was "not willing to have a Narrative publish't, till the disturbance bee over, and then it will be fully and perticularly done."(12) Publication was further delayed when, shortly after his visit, Glanvill fell seriously ill. In November or December 1663, Henry More told Lady Conway that an account of the events was in Glanvill's hands and that he would have made "some consyderable progress in that affair had not a violent fever seiz'd on him, and brought him to the very brink of his hope of enlargement out of this earthly prison into the more open world of spiritts."(13)

When eventually Glanvill did print the story of the demon

drummer he turned it to his own purposes. For some time he had been determined to use science, which interested him deeply, in defense of established religion. He wanted to defeat Hobbes and his fellow materialists on their own ground, and to produce sensible evidence for the existence of the supernatural. This evidence, he believed, could be found in a close examination of supernatural phenomena and, more particularly, the phenomena associated with witchcraft. It was with this in mind that he wrote *A Philosophical Endeavour in the Defence of the Being of Witches*, which was published in 1666. Almost the entire edition was destroyed in the Great Fire while it was still at the printers. In 1667 it was reprinted as *Some Philosophical Considerations Touching the Being of Witches and Witchcraft.*

In this book Glanvill attempted no more than to prove the possibility of witchcraft. Towards the end of 1667 he revised *Some Philosophical Considerations* and reprinted it as *A Blow at Modern Sadducism*. His object was now enlarged. He intended not only to establish the possibility of witchcraft but to prove its actual existence. It was as proof that he printed, for the first time, "an Account of the Fam'd Disturbance by the Drummer, in the House of Mr. Mompesson".

The account was written in the form of a letter to Lord Brereton, a leading member of the Royal Society to which Glanvill himself had been elected in 1664. Glanvill obviously thought that his narrative would afford evidence of the existence of spirits which would be considered conclusive by a group of "new philosophers", and he believed that evidence of this sort was essential if proof were to be established. This is revealed by the remarks with which he prefaced his account:

> And did the *SOCIETY* of which your Lordship is an illustrious Member, direct some of its *wary,* and *luciferous* enquiries towards the *World* of *Spirits,* I believe we should have another kinde of *Metaphysicks,* than those are taught by men that love to write great Volumes, and to be *subtil* about *nothing.* For we know not any thing of the world we live in, but by *experiment,* and the *Phoenomena;* and there is the same way of *speculating immaterial* nature, *by extraordinary Events* and *Apparitions,* which possibly might be improved to *notices* not *contemptible* were there a *Cautious,* and *Faithful History* made of those *certain* and *uncommon appearances.* At least it would be a *standing evidence* against SADDUCISM, to which the present Age is so *unhappily* disposed, and a *sensible Argument* of our *Immortality.* (14)

Glanvill found support for his venture not only amongst traditional philosophers but from the new men of science. This curious alliance between science and the supernatural is best illustrated by Glanvill's correspondence with Robert Boyle. With his gift for making useful friendships Glanvill had introduced himself to the distinguished scientist by sending him a copy of *Lux Orientalis*.(15) He then enlisted Boyle's aid in the collection of narratives similar to that of his "Demon Drummer" which would expand the collection of accounts of supernatural events of which the "Drummer" was the first. On October 7th, 1677? he wrote to Boyle:

> I have lately received a letter from Mr. *Jo. How,* the minister, in which he tells mee, that he acquainted you with a design I am now upon, which is to collect some modern well attested relations of fact, to prove the existence of witches and apparitions; and that you thereupon were pleased to mention a notable narrative in your hands of *Sir George Mansfield's* case, which he saith you are willing to oblige me with.(16)

Boyle sent the story and approved of the design, for, he had written in an earlier letter to Glanvill:

> We live in an age, and a place, where-in all stories of witchcrafts, or other magical feats, are by many, even of the wise, suspected, and by too many, that would pass for wits, derided and exploded.

Careful accounts of supernatural events did much, he believed, "to conduce to the reclaiming . . . . of atheists".

Yet in their correspondence the signs of the rift between science and religion were already obvious, for Boyle had remarked in the same letter that a study of supernatural phenomena would "advantageously enlarge our knowledge" in philosophy though not, he added, "in physics, strictly so called".(17)

Glanvill's account of the demon drummer of Tedworth was, therefore, a significant factor in the 17th Century struggle between an emerging materialistic science and accepted religious beliefs, but its philosophical intention was too abstruse to be appreciated by the general public. Glanvill's narrative was read, rather, as a simple story of the supernatural and as such it was tremendously popular.

A new edition of *A Blow at Modern Sadducism* appeared in 1668 and in 1681 a revised version with additions was published as *Sadducismus Triumphatus.* It was published posthumously for in 1680 Glanvill had died in his house at Bath. The new edition was prepared for the press by Henry More.(18) *Sadducismus Triumphatus* was reprinted in 1682, 1688, 1689 and, for the last time, in 1726.

One of the first people to see Glanvill's account of the Tedworth incident was Samuel Pepys who was reading a copy of *A Blow at Modern Sadducism* on Christmas day, 1667, although the date given on the title page is 1668. His impressions, one suspects, were those of the majority of his contemporaries:

> Wife and girl and I alone at dinner - a good Chistmas dinner. My wife reading to me "The History of the Drummer of Mr. Mompesson", which is a strange story of spies, and worth reading indeed.(19)

Although the philosophical issues escaped Pepys as they escaped most readers, yet the subsequent history of the Drummer story cannot be understood without some knowledge of the changing philosophical scene. For issues in philosophy, known directly only to a few, will gradually become diffused until, insensibly, they affect the attitudes of the most unheeding. When, in 1679, John Oldham published his *Satires upon the Jesuits* his attitude to Glanvill's tale was full of the scepticism which had already marked the reference in Butler's *Hudibras,* but which, in the changing climate of opinion, had become much more wide-spread. Admittedly, Oldham, the friend of the Earl of Rochester, was more sceptical than most, but it is with an increasingly common satirical intent that he rails against the "merchandise of Rome", claiming, sarcastically, that one drop of holy water, "The Pope's Elixir", would have "silenc'd quite the *Wiltshire Drum*".(20)

More elaborate criticism of the Drummer story came from that suspect quarter, Holland, where, Henry More had remarked in a letter to Boyle, a "considerable company of men" had appeared, "mere scoffers at religion, and atheistical, that professed themselves *Cartesians*".(21) In 1695 *De Betoverde Wêreld* by the Dutch Cartesian, Balthazar Bekker, was translated into English as *The World Bewitched.* This translation was reprinted in 1700 under the title *The World Turn'd Upside Down.* Bekker drew attention to Glanvill's *Sadducismus Triumphatus,* "a Book, wherein he employs a great deal of Learning, to prove that Witchcrafts, Inchantments, Apparitions, and Phantoms, are possible". He found Glanvill "carries it above all others, as to the force of his reasoning", but examined the story of *"the Spirit* of

Tedworth" to find it the product of delusion or conscious fraud.(22)

In 1718 Francis Hutchinson conclusively stated the case against the belief in witchcraft and tales of the supernatural when he published *An Historical Essay concerning Witchcraft, with Observations upon Matters of Fact.* He opposed "Dr. *More*, and Mr. *Glanville*, and Mr. *Baxter*", who, he wrote, "have defended and pretended to solve the the grossest of the Notions".(23) The declining belief in the reality of supernatural phenomena he attributed to "modern Improvements of natural and experimental Philosophy" and to the development of the Royal Society.(24) Science had established itself as antagonistic to belief in supernatural phenomena; Glanvill's attempt to use the "New Philosophy" in defence of established religion had failed. It is with irony that we recall his words:

> And did the *Society* of which your Lordship is an illustrious Member direct some of its *wary*, and *luciferous* enquiries towards the *World* of *Spirits*, I believe we should have another kinde of *Metaphysicks*, than those are taught by men that love to write great Volumes and to be *subtil* about *nothing*.

When next we meet the Demon Drummer of Tedworth it is in an atmosphere purged of all metaphysical speculation. Joseph Addison's last contribution to the stage was a comedy, "after Molière's Manner", entitled *The Drummer.* It was produced at Drury Lane on March 10, 1716 but had probably been written some years before. Addison based his play on the Tedworth incident, but the resemblance is very slight. The "drummer" of the play is a disappointed suitor who has disguised himself as the ghost of Sir George Truman in an attempt to scare away Tinsel, his rival for the hand of Lady Truman. Sir George, not dead at all, returns and, disguised as his own ghost, scares the imposter away.

The events which Glanvill had found so pregnant with meaning furnished Addison with no more than a comic situation. There is an implicit scepticism in Addison's play which comes to the surface in the scene where Tinsel reassures Lady Truman, who is momentarily scared by the "drummer". When Tinsel speaks, his lines have the urbanity of an age far removed from Glanvill's preoccupations:

Tinsel: Give me but possession of your Person, and I'll whirle you up to Town for a winter and cure you at once. Oh ! I have known many a Country Lady come to *London* with frightful Stories of the Hall-House being haunted, of

> Fairies, Spirits, and Witches; that by the time she had seen a Comedy, play'd at an Assembly, and ambled in a Ball or two, has been so little afraid of Bugbears, that she has ventur'd home in a Chair at all Hours of the Night.(25)

All trace of the fear of the supernatural has disappeared.

It would be dangerous to oversimplify the issues, but it is difficult to deny the "gradual, insensible, yet profound modification of the habits of thought prevailing in Europe", which Lecky claimed had taken place in the Seventeenth Century.(26) The incident of the Demon Drummer of Tedworth and its subsequent history is a useful index of this change. Glanvill's account of the incident appeared at a climactic moment. Scientific thought was developing but had not yet clearly shown itself hostile or even indifferent to the belief in the reality of supernatural phenomena, although the theories of Descartes and, even more, of Hobbes caused increasing discomfort to theologians. As the century drew to its close scientific fact established itself as the dominant reality. Glanvill had sensed this and had tried to turn the Tedworth and similar incidents into scientific proof of the existence of the supernatural. It was an impossible liaison. Science, specifically concerned with the material, could only be antagonistic. The Tedworth incident was increasingly discredited or explained away, until at last, devoid of all significance, it was remembered only as a curiosity.



NOTES

1. Depositions published *Mercurius Publicus*, April 16—23, 1663.
2. See More to Lady Conway, March 31 (1663), Letter No. 138, *The Conway Letters*, (ed. M. Nicolson) 1930.
3. Pamphlet, Wood 401 (193).
4. *Hudibras*, (ed. A.R. Waller) 1905, II, i, p. 108.
5. *Athenae Oxonienses*, (ed. P. Bliss) 1813—1820, III, p. 1244.
6. "A Letter to the Reverend and Learned Dr. Henry More, About the Drummer of Tedworth", *A Blow at Modern Sadducism*, 1668, pp. 137—155.
7. i.e. Thomas Baines (1622—80), who had disagreed with More on the existence of the world of spirit.
8. Letter No. 138, *The Conway Letters.*
9. MS letter, Dr. Williams Library, Cat. No. 59.5.177.
10. MS letter, Dr. Williams Library, Cat. No. 1.217.
11. *An Essay for the Recording of Illustrious Providences*, (Boston) 1684, p. 158.
12. MS letter, Dr. Williams Library, Cat. No. 59.5.177.
13. Letter No. 140, *The Conway Letters.*
14. *A Blow at Modern Sadducism*, pp. 94—95.
15. See Glanvill to Boyle, letter undated (1662?). *The Collected Works of Robert Boyle*, (ed. T. Birch), 1772, VI, p. 630.
16. *The Collected Works of Robert Boyle*, VI, p. 631.
17. *Ibid.*, VI, p. 58.
18. It is not stated in the text who the editor is, but from certain comments he emerges unmistakeably as Henry More.
19. *The Diary of Samuel Pepys*, (ed. M. Bright) 1953, III, p. 131.
20. *The Compositions in Prose and Verse of Mr. John Oldham*, (ed. E. Thompson) 1770, I, Satire IV, p. 66.
21. *The Collected Works of Robert Boyle*, VI, p. 513.
22. *The World Turn'd Upside Down*, 1700, xxii, 226—27. The full text of Bekker's examination was not given in the English translation.
23. "The Dedication", *An Historical Essay*, 1718, p. vi.
24. *An Historical Essay*, x, 133—134.
25. "The Drummer", *Miscellaneous Works*, (ed. A. Guthkelch) 1914, I, p. 443.
26. See W. Lecky, *History of the Rise and Influence of Rationalism in Europe*, 1865.

NEW APPROACHES TO THE STUDY OF THE ENGLISH LANGUAGE

by

John H. Montagu Butler.

To study a language is not the same thing as to learn it. Learning a language involves the acquisition of practical skill; it is an artistic rather than a scientific activity.

But the scientific study of a language, while it does not in itself learn or teach a language, may help us to do so, by sohwing us what is to be learnt and in what order, so that we may organize our learning or teaching more efficiently.

Before considering the modern approach to linguistics, it is necessary to summarize the previous history of the subject as studied in Europe and America.

Up to the end of the eighteenth century, linguistic study was practically confined to the classical languages, of which modern languages were supposed to be more or less degenerate descendants. Latin was regarded as a "logical" language, the grammatical concepts of which were part of the essential structure of thought, and were therefore implicit in every language, however corrupt or imperfect it might have become. The many resemblances between the forms of languages were attributed to common descent from a known living or dead language. Some believed this parent language to be Greek, others Hebrew, while one Dutch scholar patriotically affirmed all languages, living and dead, to be derived from Dutch.

In 1786 Sir William Jones produced the theory, based on his studies of Sanscrit, that all the languages which we now call Indo-European were descended from a definite, but remote and unknown, common ancestor. This theory was applied and developed in the work of Rask, Bopp, Grimm, Max Mueller, Skeat, and other nineteenth century philologists, who established the unity of the Indo-European language family and the relationship between different members of that family. They discovered many of the laws governing sound-shifts. On this basis, and on that of diligent comparison of word-material, they were led to make reasonable conjectures as to the nature and form of the parent Indo-European language, and its possible affinities

with other language-families, such as Semitic or Finno-Ugric, and even to speculate on the origin of language itself.

In the early twentieth century a more scientific approach was introduced - or re-introduced - by Ferdinand de Saussure, who insisted on descriptive methods rather than on philosophical speculations. Henry Sweet made important contributions to the study of phonetics. Otto Jespersen may be considered as the last of the older or the first of the modern linguists. His work was many-sided, generally sound, and always interesting.

Semantics as dealt with by Ogden and Richards in "The Meaning of Meaning" is perhaps of more interest to philosophers than to pure linguists.

The growing importance of English as a world language, and the need to teach it more efficiently to people to whom traditional grammar on the classical European model is totally foreign and misleading, has called for a new description of English which should correspond more closely with the language as actually spoken and written. Pioneers in the practical field include such English-teaching experts as Harold Palmer, Michael West, Noonan, W. Stannard Allen and A.S. Hornby. Working independently of one another, these experts have thrown much light on the nature of the English language.

The study of non-European languages, especially American Indian Languages, has meanwhile stimulated much academic research in English-speaking countries, especially the United States, which has produced such eminent names as Edward Sapir, Leonard Bloomfield, Charles Fries, and Robert Lado, to name only a few. In Great Britain we have the great phonetician Daniel Jones, Simeon Potter, Sir Alan Gardiner, the late W.J. Entwhistle, and others.

The starting points of modern linguistic study may be summarized as Situation, Sounds, and Structure. Meaning and Function are regarded as secondary, not because they are unimportant, but because they are mental aspects of language, impossible to observe directly and best inferred from the relationship between Situation and Structure. This is not absolute dogma, though it is a principle which has guided most modern scholars. In fact, as we shall see, it is impossible to disregard Meaning, and I shall deal briefly with it when we come to consider what I shall call the Message.

The type of Situation in which linguists are interested is that which involves a Stimulus and a Reaction, and in which at least two people, a Speaker (or Writer) and a Hearer (or Reader) are concerned.

Let us begin with a simple example of such a Situation.

X and Y go into an orchard. X, who is hungry, sees an apple on a tree and picks it. Seeing the apple may be considered as the

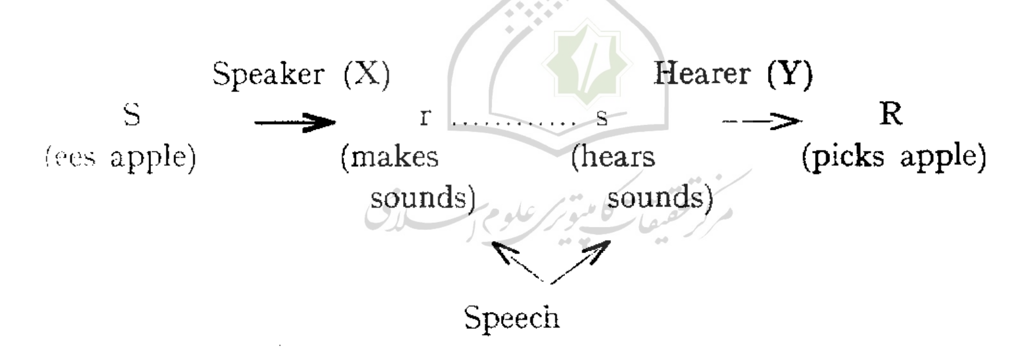
Stimulus (S), and picking the apple the Reaction (R). The Situation can be represented diagrammatically as follows:

X
S ⟶ R
(sees apple) (picks apple)

Only X is concerned, and there is no question of speech.

Suppose, however, that X sees the apple but finds that it is out of reach. X then probably turns to Y, who is taller, and makes certain sounds with the vocal cords, tongue, palate, lips and so forth, which cause Y to pick the apple and hand it to X.

In this speech-situation the original Stimulus (S) of seeing the apple produces, not the normal Reaction (R) of picking the apple, but a substitute-reaction (r) which consists in making sounds. The Reaction (R) of picking the apple is not produced by the sight of the apple but as a result of sounds striking Y's eardrums. These sounds, produced by X as a substitute-reaction, act on Y as a substitute-stimulus (s). The whole situation can be illustrated by the following diagram:—



In this analysis we can notice (1) that speech is ultimately a substitute for action, or even a form of action in itself, (2) it to some extent transcends the physical situation of which it forms part, since S and R can occur at different times and places, (3) it normally involves at least two persons, and is therefore a social phenomenon. I say "normally" because there are cases in which no other person than the speaker is involved. This is so in exclamations, purposeless chatter, and so on.

Now it is possible to consider the Stimulus and Reaction as together consituting all the whole real Meaning, and Speech (r.........s)

as a mere set of signals. But when we consider different languages, we find that even where the Stimulus and Reaction are the same, the Message conveyed by speech may differ not only in the signals used but in the actual content and information conveyed.

Let us take as an illustration the sentence: 'X said: "Please pick me an apple". This English sentence tells us:

1) that X is a specified person, not just anybody,

2) that the saying took place at some time or times in the past,

3) that in speaking to Y, X used a polite formula, either to obtain a favourable response, or simply from social habit,

4) that he expected an action-response from Y,

5) that this action did not have to do with a specified apple.

If this situation were reported in Spanish (X dijo: Cogeme una manzana) we should be told whether X said this on one occasion (dijo) or on an indefinite number of occasions (decia). In the language of the Hopi Indians of North America the question of tense — past or present — would be considered as irrelevant. What would be considered as relevant is whether we ourselves observed X to say the words, or whether we are relying on second-hand information. Some Far Eastern languages would indicate whether X was addressing an inferior, an equal, or a superior in rank. French and many other European languages would tell us whether X and Y were close friends (cueille-moi) or comparative strangers (cueillez-moi). Arabic would indicate whether Y were a male or female. Many other languages would show by their forms that the object "apple" belonged to one or other grammatical category, such as gender.

Such concepts as were have been discussing are not always consciously in the mind of the speaker. They are a "built-in" part of his language. We can represent the process of speech by another dagrame:

Notion —>	Linguistic Concept —>	Means of Expression
(Subject-matter)	(e.g. tense, gender, etc.)	Code of signals)

Before leaving this question it is worth reminding ourselves that language is essentially conventional and abstract in character. Words stand for whatever they do stand for only because certain people agree that they shall. And what they stand for is generalized and abstract rather than specific and concrete. "Cat" for instance, is not the name of any particular animal, but of a class of animals. The degree of abstraction and classification varies from language to language, and from one social group to another. To the average man red is red, but to the artist or dress-designer it might be crimson, scarlet,

vermilion, copper, rust, burgundy, brick, and so on.

The study of the relation between Notion and Linguistic Concept, and between language and what it represents, constitutes the philosophy and psychology of a language, but it would be foolish to study this without first examining the Means of Expression, the code of signals employed.

The physical basis of language consists of speech-sounds. These may be supplemented by gestures or represented by conventional written symbols, but it is the spoken sounds that are fundamental in languages. The study of the mechanical production of speech-sounds is phonetics, that of the significance and grouping of sounds is phonology or phonemics.

The production of these sounds is affected by a number of different factors. Sounds may vary according to the height and position of the tongue relative to the other organs of speech, the amount of opening between the jaws, the shape of the opening made by the lips, the method of production, the place of production relative to other speech-organs, the degree of vocalization, the force and direction of the breath, duration, intensity, and other factors. Since each of these factors may vary greatly, it is hardly surprising that the number of different speech sounds is almost limitless. No two persons speak alike, and even sounds uttered by the same speaker will vary according to context and position.

For instance, to the average English speaker the individual sounds in "pool" [puul] and "loop" [luup] seem identical, the only apparent difference being that of order. A French or Polish speaker, however, would notice differences in the quality of the [l] in "pool" (cf. Fr. "poule") and the [l] in "loop". Other observers might notice the initial aspiration and greater length of the vowel sound [uu] in "pool", and differences between the quality of [p] in the two words. The question is whether we should consider all such sounds as essentially different and assign to them different symbols whenever we wish to record them in writing, or whether we should adopt some simpler method.

We are helped towards a solution of this problem by the Phonemic Theory. Reduced to its bare essentials this states that where in any given language there exists a group of closely related sounds, regarded by most native speakers as essentially the same sound, and used in such a way that no member of the group ever replaces any other member of the group in the same linguistic context, then they can be considered as varieties (or Allophones) of the same basic sound-family (or Phoneme), and can be represented for most purposes by the same symbol. This holds good, of course, only within the language selected for study. In English, for example, where the "clear" [l] of

"loop" is always, and the "dark" [l] of "pool" is never, found before a vowel-sound, the two can be regarded as Allophones of the same Phoneme, but in Polish or some other language with a different phonemic structure they might be regarded as belonging to different Phonemes.

I should mention here that American linguists often use the term Phoneme when referring to *any* distinctive sound-feature, including features of stress and intonation, but that British linguists do not generally use the term in this way.

Units of speech-sound combine to form units of meaning. Most people consider the basic unit of meaning to be the word. This belief is natural and widespread, but only partly correct. The word is in many ways an unsatisfactory unit, difficult to isolate and identify. Are we to consider "cannot", "tablespoon", "I'm", *"n'est-ce pas"*, *"Untergrundbahnhofeingang"*, and *"amamus"* as single words or groups of words? It is true, of course, that in some languages such as German and English the division between words is fairly clearly marked by features of stress, intonation, and so forth, so that, for instance, a "black bird" is not the same as a "blackbird", either in meaning or sound. Linguists, however, often prefer to deal not in words but in "morphemes". These may be roughly defined as "the smallest unambiguous linguistic forms capable of expressing or affecting a meaning".(+) Thus the word "boys" (boiz) contains two morphemes "boy" (boi) and "s" (z). Clearly these morphemes are on different levels, since the first, denoting a class of young humans, is capable of standing by itself, whereas the second, indicating the plural, cannot stand by itself. We call the first a "free-form", the second a "bound-form".

Before such forms can constitute coherent speech they must be organized and arranged in accordance with the Structure of the language. This Structure is determined by the speech-habits of native speakers; it is not necessarily either logical or consistent, though from a social and practical point of view it is convenient to teach certain standardized forms.

The structural machinery makes use of certain devices, which may be summarized as follows:

1) *Selection of forms* eg. "I saw him and he saw me" (where the selection of the forms: "I", "me", "he", "him", indicates the doers or "sufferers" of the action; the selection of the form "saw" indicates past time).

2) *Order* eg. "Dog bites man" "Man bites dog".

3) *The use of "empty" or structural forms* such as un-, re-, -less,

---

(+) My own definition, but based on the work of Bloomfield and others.

am, do, shall, used to, of.

4) *Special features of pronunciation, stress, intronation, "juncture"* and so on, e.g. "You're not going ?" (falling and rising.) "Well?" "Well!".

5) *Reduplication* This may be complete as in "It's very, hot" "He just talks, talks, talks . . . " or a kind of partial echo as in "namby-pamby" "helter-skelter". It is not a very common or important device in English.

These devices often overlap and so are redundant. Many are, strictly speaking, unnecessary. "You not come yesterday" is grammatically unacceptable but is reasonably intelligible. Or, on the other hand, a device may be lacking where it is needed. Or it may exist in the spoken language but not in the written, or vice versa. This simply means that no language is perfect.

In spite of the devoted labours of many scholars, no truly satisfactory description of the structure of English has yet been written. The traditional grammars suffer from the following defects: 1) they are too much influenced by concepts derived from the grammar of other languages than English, especially Latin and Greek, 2) they pay too little attention to the spoken language, 3) they take the word — the "Part of Speech" — as their starting-point, instead of working down from the sentence(1) or up from the sound(2). Most English grammars begin with the words: "A Noun is the name of a person, place, or thing ..." — the more "honest" grammar-books add "etc." !

Practical works for the foreign student by writers such as A. S. Hornby and W. Stannard Allen, are very much better and more realistic, but do not attempt to give a complete description of English structure.

The most interesting and promising work in this field seems to come from American universities such as the University of Michigan, and from the research carried out by Professor Charles C. Fries and his associates and pupils. Fries's work is so good, so stimulating, that there is a real danger of his theories being erected by his enthusiastic followers into a dogma. Needless to say, this is the last thing that would be desired by Professor Fries himself.

The first problem to be dealt with in any system of structural grammar is that of sentences and other word-groups. The philologists tended to define the sentence in terms of Meaning and Function, though some of them had ceased to require a division into Subject and Predicate. Sir Alan Gardiner — an expert on Ancient Egyptian —

---

(1) like Whitehall — Structural Essentials of English.
(2) like Jespersen — Essentials of English Grammar.

defined a setence as "A word or set of words followed by a pause and revealing an intelligible purpose(1). This, in many ways admirable, definition allows for such formally incomplete utterances as: "Yes" "Yes?" "George!" "Well, if you really want to ......"

The "mechanistic" school of linguists generally prefers a description based on form. Thus, for instance, Bloomfield describes the sentence as "an independent linguistic form, not included by virtue of any grammatical construction in any longer form".(2) Such a description is shown to be valid if we take a nonsense utterance like the following:

AGGLE IGGLES OGGLE UGGLES

This is quite unintelligible, yet it is clearly a sentence in form with a definite structure corresponding to one of two types:

1) Young girls eat sweets, or

2) He) likes good books.
Jim)

Fries, after studying a large number of conversations recorded on tape, classifies utterances according to the type of response they elicit. Such utterances are:

1) Those which elicit an oral response only. They include questions, conventional expressions like "Good morning" (where the response is simply a repetition of the same word), and calls (eg. "Harry!"), where the response might be "Yes?" or "Did you call?".

2) Those which elicit an action-response only: eg. "Come here".

3) Those which elicit merely attention. Continued attention may be signalled by expressions on the part of the hearer such as: "Yes?" "Really?" "H'm" "Good heavens!"(3)

Word groups may also be classified as Endocentric or "Headed", and exocentric, or "Non-headed", Groups. A Headed Group is one which "belongs to the same form-class as one of its constituents"(4), of which the group may be said to be an extension. Thus "the red rose" belongs to the same form-class as "rose". A Non-headed Group does not belong to the same form-class as any constituent, eg. "John ran", or "in the garden". Oviously a Sentence is a Non-Headed Group. All Word-groups are characterised by features of tone, stress, and so on, which all form an important, though hitherto neglected, part of the structure of English.

The same system of division into Endocentric and Exocentric

---

(1) The Theory of Speech and Language.
(2) Language p. 170.
(3) Fries C.C. Structure of English (The examples are my own).
(4) Bloomfield. Language; Whitehall, Structural Essentials of English.

Groups can also be applied to the groups of morphemes which make up a compound or complex word. If this seems to blur the traditional distinctions between Vocabulary and Grammar, or between Morphology and Syntax, I, personally, think this is probably all the the good. In Modern English, at least, the Part of Speech to which a word belongs should no longer be determined by a kind of *a priori* label denoting its general function (Names, Actions, and so on), but by the position and role it can occupy in the structure of a sentence or utterance. Some parts of speech may also, of course, have characteristic word-forms. But whether we are dealing with words or word-groups, the important thing is structure.

In such a short and superficial survey of some of the modern trends in linguistic study, especially as applied to English, it is all too easy to appear by turns either dogmatic or vague. I may seem to have endorsed or rejected theories which cannot be fully understood without detailed study, preferably re-inforced by practical experience either in the laboratory or in the classroom. My admiration for the work of wodern American linguists must not be taken to imply that I reject the "mentalistic" or philosophical study of language in favour of the scientific approach. I believe that both kinds of study are necessary and useful, and that they can and should help each other. But, like psychologists, linguists are handicapped by having to use the very medium they are investigating for the purpose of investigation. It is for this reason that the more objective approach has been so valuable, by showing us a new unencumbered way to the academic understanding and practical teaching of English and other languges.

Baghdad
2nd November 1963

BIBLIOGRAPHY

Sapir E.	Language	Harcourt Brace & Co. Inc. New York 1921
Bloomfield L.	Language	Holt, New York 1933
Gardiner Sir Alan	The Theory of Speech and Language	Oxford University Press 1951
Jones D.	An Outline of English Phonetic	Heffer 1956
Jones D.	The Phoneme	Heffer 1950

Potter S.	Modern Linguistics	Deutsch 1957
Potter S.	Our Language	Penguin Books
Fries C.C.	Structure of English	Longmans 1957
Jespersen O.	Essentials of English Grammar	Allen & Unwin
Jespersen O.	Language, its Nature, Development and Origin	Allen & Unwin 1924
Jespersen O.	Philosophy of Grammar	Allen & Unwin 1924
de Saussure F.	Cours de Linguistique Générale	Paris 1922
Hornby A.S.	A Guide to Patterns and Usage	Oxford University Press 1954
Bodmer F.	The Loom of Language	Allen & Unwin 1943
Wilson R.A.	The Miraculous Birth of Language	Guild Books 1946
Whitehall	Structural Essentials of English	Harcourt Brace & Co. Inc. 1956
Entwhistle W.J.	Aspects of Language	Faber 1953
Ross A.S.C.	Etymoloby	Deutsch 1958

ANASTASIUS
OR
MEMOIRS OF A MODERN GREEK.
By
Thomas Hope. 1819

G. W. Groos
College of Education
Baghdad University

The end of the Napoleonic wars left Europe and the Near East open once again to English travellers, and during the following decade two picaresque novels of first-class merit were published, each dealing with Near Eastern countries, and each sufficiently popular to stimulate further interest in the newly-accessible Muslim world. They were 'Anastasius, or Memoirs of a Modern Greek' by Thomas Hope (1819) and 'Haji Baba of Ispahan' by James Morier (1824).

Although Sir Walter Scott praised both books equally (and very highly*) their subsequent fortunes have been very different. 'Haji Baba' has retained its popularity for many years, partly because of its gay humour and the lively ups-and-downs of fortune which its narrator-hero enjoys, and partly because it describes Persian manners and customs with such informative accuracy that for very many years the traditional advice for any traveller to that country was: "Take an English saddle and a copy of Haji Baba". 'Anastasius' on the other hand, although in many ways of quite equal merit (and in some aspects far superior) to Morier's entertaining tale, is now in danger of becoming a completely forgotten masterpiece, known only to specialists in Regency literature and students of the picaresque tradition.

On its first publication — without the author's name — 'Anastasius' was almost universally attributed to Lord Byron. This attribution seemed reasonable enough: the book not only deals with those parts of the East which Byron was known to have visited, but it also shews a vigour in characterisation and story-telling rather similar to that displayed in such lively verse-narrative as 'Childe Harold', 'The Giaour', and 'The Corsair'. In addition to this, Anastasius himself, the good-looking, wild, sardonic young Greek,

* introduction to "The Talisman".

revengeful but often generous and friendly, seems very much the *alter ego* of the handsome but moody young lord of Newstead who had scandalised London society, who was bitterly satirical in his dislikes, and who was so openly a partisan of Greece in its struggle against the Ottoman Empire.

Byron read the book with delight and would have been proud to have written it: he "wept bitterly" as he humourously expressed it to Lady Blessington, "first that he had not written it, and secondly that Hope *had*." No bold bad baron, but plain Mr Thomas Hope, a rich but unromantic commoner (once unkindly caricatured with his wife as Beauty and the Beast) had produced this vivid powerful book about the life and travels of the arrogant young Greek islander; to everyone's surprise — and one contemporary reviewer* flatly refused to believe the truth — the author was a wealthy dilettante who amused himself by designing furniture and by collecting classical statues and Chinese porcelain. The whole affair must have been even more annoying to Byron as he had recently included Hope in a satire: it was

> The victim sad of vase-collecting spleen
> House-furnisher withal, one Thomas hight

who had written the book which Byron would so much have liked to have written himself.

Hope was very rich, and had spent some of his fortune and several years of his life in travel through the Muslim world. Into the mould of 'Anastasius' he has cast all his experience of Eastern men and manners, and very few of the rich young men who, like himselfs spent a few years on an extended Grand Tour before settling down to a quiet life in the English countryside can have possessed such an acute power of observation and such a talent for lively, vigorous and sardonic description:

The book is in the conventional picaresque tradition, with frequent vicissitudes of fortune which befall the hero, a number of love-affairs, and several interpolated stories which are told by different characters in the tale. This rather hackneyed recipe for a best-seller is well-known to any student of the English novel; such books are often amusing or romantic, but almost never contain the genuine feeling for contemporary history nor the dramatic power which together make 'Anastasius' so striking a book. Hope's uncommon skill in character-drawing is of special interest when the book is regarded as history: he describes real people who were living at the time of his travels, some of whom he may have met personally, and all of whom must have been vividly described to him by his contemporaries. His literary style remembers

---

* The famous Sydney Smith.

Gibbon but it is brisker: balanced and antithetical, it is sufficiently varied — and vigorous — to avoid monotony.

Antithesis is well suited to ironic or bitter humour, and Anastasius' description of Achmet (kehaya to the Pasha of Baghdad) is a good example of Hope's style and of his keen perception:

> Achmet, once a groom in Suleiman's stable, now held in his stead the reins of empire. I was received at his levee with the utmost courtesy. Nothing indeed could be more fascinating than Achmet's exterior. His features were fine, his figure noble, his manners dignified yet mild, his wit playful without pungency. He spoke with affability to all, and never ceased bewailing the pomp his situation required. No passion ever could be perceived to disturb the serenity of his countenance or the placidity of his temper.
>
> But most deceitful was this fair outside. Humble in his manner, his heart swelled with unbounded pride: for every piastre he gave in gifts, his agents doubled their exactions tenfold. The more he expatiated on the pleasure of pardoning the more certain it was that he meditated some act of signal revenge; and if he sighed at being obliged to represent his master, it was because he longed for Suleiman's death, to be master himself,

Other people — some better and some worse than Achmet — are described with equal acuteness: a few of them spring to life in a single phrase or sentence. There is for instance the great Bey Mavroyeni. Prince of Valachia. In spite of his power and position the reader remembers his character best in the light of Anastasius' cutting comment

> 'among the tongues he commanded, that of his loving helpmate had never been numbered. He therefore might rule in great affairs abroad, but always ended by obeying in little matters at home'.

and in much the same ironic vein Anastasius tells us of his own sister who had embraced Islam in order to marry a Turk. She incessantly bewailed this apostasy until at last her husband granted her a divorce:

> 'immediately she flew back at once into the arms of the church and into those of a young Greek, who, an effective instrument in her reformation, obliterated every trace of her first unhallowed wedlock by a more canonical union'.

Hope's skill in lively characterisation does not depend solely upon opportunities for bitterness or irony. In the prison at Istanbul, where Anastasius served a sentence, was the mountain-chieftain Mackari. Although Mackari had undergone torture and insults, though he was loaded with chains, he still remained a chief; by his courage and devotion he still protected his comrades as far as was humanly

possible, and his very warders could not "shake off the awe felt by all who approached him. They confessed by their fears their nothingness in his presence." Mackari "looked like the cedar of Lebanon, which, though scathed by lightning from heaven, still overtops all the trees of the forest" and his voice "was the roar of a lion, dreaded even through the bars of his cage."

Almost as memorable, though far calmer in tone, is the description of the dying Zoroastrian who met his end with such firmness and dignity. In 'Anastasius' Hope continually derides human weaknesses but he greatly admires dignity and fortitude, and gives some of his finest prose to passages which describe physical or moral courage. This particular description stands out like some unexpected and beautifully illuminated capital in the chapter of Anastasius' undignified adventures as a quack doctor's assistant. The old Persian, knowing that his death was near, refused all medical aid but begged to be allowed to watch the setting of the sun. The stairs were too narrow for him to be carried out quickly and he was therefore placed before the open window

> 'so as to enjoy the full view of the glorious orb, just in the act of dropping beneath the horizon. He remained a few moments in silent adoration, and mechanically we all joined him in fixing our eyes on the object of his worship. It set in all its splendour; and when its golden disc had entirely disappeared, we looked round at the Parsee. He too had sunk into everlasting rest.'

Though Hope's success does not depend on humour or on any other single quality, yet humour, usually sardonic in tone, is to be found in abundance and provides a very pleasant light relief throughout the book. Anastasius loves to spotlight vanity, guile, avarice, or indeed any other human weakness, and the author does not even spare himself. Hope was a keen collector of ancient art; but his Anastasius felt no enthusiasm for archaeologists who

> 'preferred the remains of a former worn-out world to the good things of the present renovated globe, and a petrified oyster or cabbage to fare of easier digestion'

and in the character of "Mr T" we cannot help recognising a neat miniature portrait — sympathetically drawn but nonetheless viewed with satiric amusement — of Mr Thomas Hope himself as

> 'a young gentleman of great fortune, tired of having everything at home in the most comfortable style for nothing but the trouble of issuing his commands, and who therefore wandered about the world to enjoy the variety of now and then going to bed without his supper or getting up without having gone to bed.'

There is humour of incident as well as of character. In spite of his acuteness Anastasius falls victim — as so many others have done

since — to an Egyptian confidence trickster. He had, while in Cairo, bought a very expensive and magnificent fur pelisse:

> 'the very mob raved of its beauty; and one youth in particular eyed it with such intense adoration that, unable to possess himself of the whole, he cut off the left sleeve while it hung at my back.'
> Anastasius gloomily sent home the damaged cloak, but good

fortune appeared to follow:

> 'Scarce however had its mangled body reached my door than after it walked in the severed limb. Dropped in the confusion of the place by the thief, the precious fragment had been picked up by an honest fellow who, by the greatest good luck, happened to be a tailor into the bargain, and offered to wield his needle. The honest fellow's services were accepted: the cloak was given him and he retired to work in a little back chamber.
>
> Unluckily this room, besides a door, also had a window; and having come in at the one, my friend chose, for variety to go out at the other. On my looking in to hasten the business, tailor, cloak, and sleeve had disappeared together, nor have they ever since been heard of.'

Subsequently Anastasius falls by accident into a troupe of professional beggars from the Morea.

> 'Moved with compassion at the sight of so much suffering I determined at once to remove all these accumulated ills, and for this purpose began to lay lustily about me with my good long ox-hide whip. It would have gladdened a feeling heart to see what a salutary and immediate effect followed this application. At the very first flourish the lame found the use of their legs, the blind recovered their sight, and the deaf and dumb a Stentorian voice. A poor decrepit creature, doubled with age and infirmity — straightening as if by magic — became all at once as nimble as a stag: a man shaped like a dromedary slipped his hunch without missing it; and a woman, eighteen months at least gone with child, stumbling over a gravestone, brought to light a truss of straw!'

Such hyperbole frequently enriches comment and description in

the book: of a merchant's harem-hidden wives Anastasius writes

> 'Nothing so little seen, except thunder, ever made so much noise'

of a bore

'he entertained his friends with stories so long and tiresome that they would have made the very moon split her face with yawning' and he also tells of a severely puritanical doctor of Mohammedan law 'who, considering all amusements as equally heinous, made no difference between a game of chess and illicit attentions to one's own great-grandmother'.

Quite as effectively as hyperbole he uses understatement: of his return to Istanbul after an unsuccessful military expedition:

'The mob of the capital, it seems, had promised itself the agreeable spectacle of the heads of the Egyptian Beys stuck on the battlements of the Bab-humayoon, and cared little to see us only bring back our own. To ourselves however this was a source of some satisfaction'.

Even the most horrible practices are sometimes described with humour. In the character of a santon, or Turkish holy man, Anastasius arrives at Acre, at that time under the rule of Djezzar.

'The first face I met in the city appeared short of its nose — I had witnessed that deficiency elsewhere. The next was minus an eye; — that too is sometimes seen in other countries; — but the third had no ears, the fourth no lips; and there seemed to be as many people possessed of one hand only as two. At last, meeting a man whom I was not afraid to question on this local singularity, in as much as — by some singular piece of good luck apparently — he still retained the possession of his full set of limbs and features, I civilly accosted him, expressed my joy at seeing his eyes, ears, nose, mouth etc., all complete; and finally begged to ask how it happened that this occurrence was so rare at Acre?

'You are a stranger, it seems' answered the man, 'and have not yet been taught the mark of our master: it is by these peculiarities that our shepherd knows his flock. Every sinner receives it; — but remember, some saints are not exempted.'

The very lightheartedness of this description somehow adds to the sinister reputation of this same Djezzar and prepares us for the effect of his sudden return to his capital after his fifth pilgrimage to Mecca:

'A bomb, bursting in the middle of its assembled population could not have spread at Acre a greater dismay than did

Djezzar's unexpected arrival. Immediately every eye became fixed, every tongue tied, and every limb motionless and paralysed, as if by the force of a fascination. No one durst speak, or look, or even listen: for the fate of all Djezzar's enemies, taken one after the other from among the living, made the vulgar believe in the supernatural powers he affected; while the wise dreaded what supplied the place of magic — spies who informed him of everything, and agents who stopped at nothing.'

Djezzar's hideous and bloody career is among those pieces of historical reporting which set the book apart from — and above — other romances of its kind. They are introduced as accounts of local history which are told to Anastasius during his travels, and they not only give added variety to the book (or, as Anastasius himself says 'get rid, during a few pages of the eternal I which haunts all the rest of my narrative') but are in themselves fine passages of descriptive writing. The story of Djezzar, his atrocities of cruelty and his relentless vindictiveness, make a splendidly aweful tale of terror. Barbarous as a husband and merciless as a master, his mamelukes and his harem together conspired to murder him.

'No one knows what foe to humanity betrayed the well-concerted plot: all saw too soon that Djezzar knew his danger. Infuriate he rushed into his harem and for a while stabbed indiscriminately all he met in his way. But soon he regretted the too easy death vouchsafed to the first victims of his rage — his own hands, it is said, submitted to the rack those charms in which he had rioted by preference, and the greatness of the reptuies he had tasted became the measure of the pangs he had inflicted.'

Another historical episode, but one which fills us with enthusiasm and admiration instead of with the loathing which Djezzar inspires, deals with Hassan Djeddawi's hairsbreadth escape from assassination and his flight through the streets of Cairo. Hope was clearly born a century and a half too soon: he is a superb example of a cinema script-writer manqué. The passage, which is worth quoting at length for its exciting 'moving-picture' technique, ranks with the very highest productions of vivid reportage:

It had been planned to make Hassan Djeddawi's murder appear to be accidental, and the accident was arranged to take place at the Saturday Games when it was known that the Bey was to be a spectator. In the contest of shooting at an earthenware jar, two competitors failed completely.

A third now tries in his turn: his ball goes wider still than

the former from the pretended mark but it strikes the real one, for it grazes the turban of Djeddawi. Every bystander loudly laments the accident. The Bey alone saw the intent: he saw his death-warrant signed. Immediately he calls round him his Mamelukes and from their closepressed circle raises the cry of war and the sword of defiance. The games cease; the fight commences: the few remaining adherents of Ismail join the banners of Hassan.

Three entire days did every street of Cairo in turns become the field of battle. Three entire days did every stone of the capital in turns stream with blood. At last Hassan felt his strength give way and saw his supporters fall off one by one.

He retreats to the suburbs, reaches the house of a friend and with furious gallantry defends it, but at last is driven to save himself by flight along the roof-tops. He

> 'vaults from terrace to terrace and climbs from roof to roof — sometimes scaling almost inaccessible heights, at others leaping down awful precipices'

until he is forced to come down to ground-level once more, where, at the bottom of a long flight of steps he sees a hostile Mameluke waiting to bar his passage:

> 'him he fells with his sabre at a single blow, and mounting the Mameluke's own steed he rides back at full speed to Cairo. But at every turn his antagonists were watching. They soon espy his escape and in a moment he heard the whole troop again close at his heels. Danger seemed to lend him wings. He reaches Cairo the first — though scarce by the distance of a pistol-shot. Meeting a string of camels carrying water, he rends open the skins with his dagger to increase the slippery smoothness of the pavement. Coming up with a file of arabas, conveying a wedding, he tilts over the wagons to bar the passage. No throng of human beings however great, stops his career. Overthrowing some, trampling others underfoot, he still advances unslackened in his speed. Everywhere warning shouts announce his approach; everywhere screams of terror precede his rapid steps. At sight of him the horrorstruck mob flies in every direction like chaff before the hurricane: and his wide circuit frequently bringing him back to the same places in which he had appeared before — but each time more pale and ghastly and covered with blood than before — he at last begins to be viewed as his own ghost, still continuing the flight of his body. It was a stupendous thing to

behold a vast capital, successively filled with ever-increasing terror and dismay by the appearance of a single man, and that man himself a fugitive, only darting by like a meteor; just heard, just seen, and then again disappearing.

Hassan, totally exhausted, eventually claims the protection of Ibrahim, the powerful Sheik-el-belled, who, though an enemy, is closely related to him. Ibrahim grants Hassan protection but turns out to be a traitor: he promises him a safe-conduct out of Egypt; it is only later that the Bey hears that he is to be sent to Djedda, the town which he once had sacked; a place where he will inevitably meet a death far more cruel than if he had died in battle. Quietly he allowed himself to be taken to Suez where he was put on board a vessel bound for Djedda.

'in the darkness of the night he fell upon the Reis himself the moment sleep closed his eyelids, and with his arm round the pilot's throat and his pistol to his heart, he forced him to steer for the African coast, and for the port of Cosseir. There he disembarked, by forced marches gained Akmim and from that place plunged into the desert. In a few days he reached the tents of his former Arab allies. The fame of his wonderful escape spread in all directions; at last it reached Cairo and the wreck of his party insensibly withdrew and joined, high up the Nile, its imperishable leader'.

If I have achieved any success at all in selecting these passages from 'Anastasius', the reader is now wondering why a book with such obvious merits should have become so utterly forgotten that the name of Thomas Hope is far better known to experts on English furniture than to students of English literature.

There are several reasons for this: one of them is simply a matter of length. 'Anastasius' is a solid three-volume novel, and was written for a more leisured age than ours: accordingly it is inclined to suffer in the twentieth century. However, many other long books have survived, and length is not a sufficient factor in itself to damn a good book to total oblivion. A more important reason is that Hope's preoccupation with contemporary history, which I have noted as one of the merits of the book, is also one of its weaknesses. Far too long is spent in trying to explain the baffling fluctuating (and at this distance of time, rather dull) party politics of the Egyptian Beys; the magnificant speed at which part of the story travels is matched by passages of slow introspection: Anastasius is perhaps a little too interested in his own character, and paragraph after paragraph describes in the minutest detail the upbringing and psychology of his friends. Hope's